جامعة يحي فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

شعبة التاريخ

الاستشراق البريطاني وقضايا التاريخ العثماني من الربع الثاني للقرن الثامن عشر ولغاية مطلع القرن العشرين

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث نظام "LMD" تخصص الدولة العثمانية

إعداد الطالبة:

خولة بوقوفالة

إشراف:

أ.د الغالي غربي / د. عبد الرزاق توميات

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
نادية طرشون	أستاذ التعليم العالي	جامعة المدية	رئيسا
الغالي غربي	أستاذ التعليم العالي	جامعة المدية	مشرفا ومقررا
عبد الرزاق توميات	أستاذ محاضر أ	جامعة المدية	مشرفا مساعدا
حكيم بن الشيخ	أستاذ التعليم العالي	جامعة المدية	عضوا مناقشا
حميد قريتلي	أستاذ محاضر أ	جامعة المدية	عضوا مناقشا
رقية شارف	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأستاذة بالأغواط	عضوا مناقشا
دليلة بوجناح	أستاذ محاضر أ	جامعة البليدة 02	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1445- 1446هـ/ 2024- 2025 م

جامعة يحي فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

شعبة التاريخ

الاستشراق البريطاني وقضايا التاريخ العثماني من الربع الثاني للقرن الثامن عشر ولغاية مطلع القرن العشرين

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث نظام "LMD" تخصص الدولة العثمانية

إعداد الطالبة:

خولة بوقوفالة

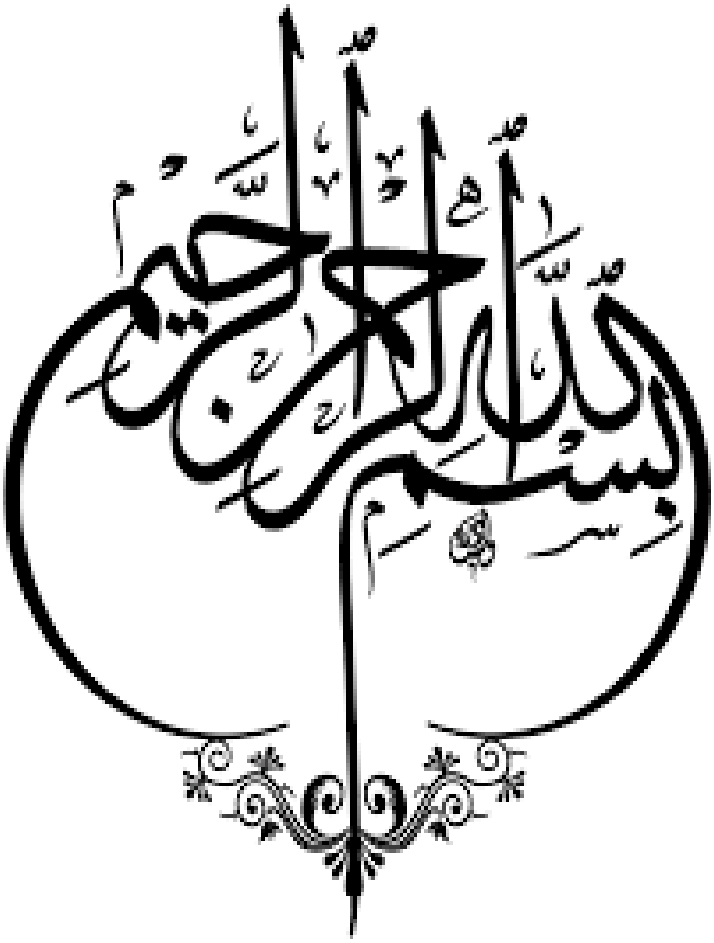
إشراف:

أ.د الغالي غربي / د. عبد الرزاق توميات

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
نادية طرشون	أستاذ التعليم العالي	جامعة المدية	رئيسا
الغالي غربي	أستاذ التعليم العالي	جامعة المدية	مشرفا ومقررا
عبد الرزاق توميات	أستاذ محاضر أ	جامعة المدية	مشرفا مساعدا
حكيم بن الشيخ	أستاذ التعليم العالي	جامعة المدية	عضوا مناقشا
حميد قريتلي	أستاذ محاضر أ	جامعة المدية	عضوا مناقشا
رقية شارف	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأستاذة بالأغواط	عضوا مناقشا
دليلة بوجناح	أستاذ محاضر أ	جامعة البليدة 02	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1445- 1446هـ/ 2024- 2025 م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى الجزائر

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما

إلى زوجي، إخوتي، عائلتي وكل من أحب

الشـــكر والعرفان

عملا بقوله تعالى: {بَلِ اللَّهَ فَاعبُدْ وَكُن مِن الشَّاكِرِينَ} وبقول نبيه الكريم: {التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله}

أحمد الله تعالى في المقام الأول وأشكره على واسع كرمه وفضله، أن سدد خطاي وأعانني على إكمال هذا العمل.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذَي المشرفين الأستاذ الدكتور **الغالي غربي** والدكتور **عبد الرزاق تومیات** على تأطير هذا العمل من البداية وعلى كل ما قدماه لي طيلة هذه المدة من نصائح وتوجيهات.

كما أتوجه بجزيل الشكر والعرفان لأمينة مخبر الدراسات التاريخية والمتوسطية عبر العصور الأستاذة **حبيبي لعروسي الديلمي** على رحابة صدرها وما قدمته من مساعدات في سبيل إنجاح هذا العمل، ولرفيقتي في هذا الطور الدكتورة **عبدات سارة** وكل من أعاننا ولو بكلمة طيبة.

الحُرُ مَن رَاعى وِدَادَ لَحظَة وانتَمَى لِمَن أَفَادَهُ لَفظَة

قائمة المختصرات

أ. المختصرات باللغة العَربية

تر: ترجمة

تق: تقديم

تح: تَحقيقِ

ج: الجزء

ط: الطبعة

د.ط: بدون طبعة

د.د: بدون دار نشر

د.ب: بدون بلد نشر

د.ت: بدون تَاريخ نشر

ص: الصفحة

ص ص: الصفحات

ب. المختصرات باللُغات الأجنبية

P : Page
PP : Les Pages
Ibid : Même Référence
Op cit : Référence Précédente
N : Numéro
V : Volume
Sd : sans date
Cilt : المجلد أو الجزء باللغة التركية

éd : édition
edi : edition

المقدمة

- **التعريف بالمَوضُوع**

لطالما كان هُناك اهتمَامٌ غَربي بالشَّرق الإسلامي وحَضاراتِه وما يَخصه مِن عُلومٍ، مَعارفَ، آدابٍ، عَاداتٍ وتَقالِيد. تَجسد بشكل حَركة فِكريةٍ مَعرفيةٍ اصطُلِح عليها مُنذ الفَترة الحَدِيثة بـ "الاستشراق"، والتي سُرعان ما استُغِلَّت من الحُكومَات الغَربية لتَضحى عقبها مَشروعا ذو مؤسساتٍ ومَدارِس ورُواد عَلى اختلاف أنواعِهم وفِئاتهم، يُستَند عليه لمعرفة خَبايا الشَّرق وحيثياته بُغية تَنفيذ مُخططات ومآرب الغَرب.

الغَرب الذي جُسد في هذه الدِراسة وحُصِر في بريطَانيا ذَات العَلاقَة الحَسنة مع الدولة العثمانيَّة المبنية عَلى الصداقة في عَدِيد المرات، هذه التي عكِف مُستشرقوها منذ العصور الوسطى ومطلع الفَترة الحَدِيثة عَلى دِراسة الشَّرق، فَتَاريخِ الدولة العثمانيَّة وولاياتها بِجَمِيع مَجَالاته وتَبحروا فيه دِراسة وواقِعًا باعتِبَاره جُزءًا لا يَتجزأ مِنه. فتوجهوا لمَركز الحُكم والولايات كرَحالَةٍ، أَطباء، مُنصِّرين وضُبَاط، عاينوا الوَضع عن كثب ونقلوه في مُذكراتهم وكُتبهم، أو كَمُؤرخين بَاحثين عن أوراقٍ تَاريخيةٍ في ثَنَايا أَرشِيفها، مُخلفِينَ بذلك مُلاحظاتٍ وانطِباعاتٍ مُختَلفة حَولها ومُغالطاتٍ وافتِراءاتٍ عَدِيدةٍ في حَقها أَضحَت في وَقتنا الراهِن بمَثابة مُسلماتٍ وحَقائِق تَاريخيةٍ لا نِقاشَ فِيها.

صَبت بريطَانيا جام اهتِمَامها خِلال تِلكَ المدة عَلى مَنطِقة الخَليج العَربي، مِصر، بِلاد الشام والعِراق بشكل كَبير لِقُربِها مِن الهند كُبرى مُستَعمراتِها، وهُو ما يُفسرُ كَثرة الدِراسَات حَولها إذَا مَا قُورِنت بِأُخرى. كما لَم تَغفل عَن مَركزِ الحُكم وحَيثياتِه أين عَيَّنَت عَلى كُل مَنطِقة عددا من الرَحالَة، المُنصِّرين والضُبَاط، وقَصَدها آخَرون بِدَافعٍ ورَغبَةٍ ذَاتيةٍ فَدَرسُوها كلٌ حَسبَ الهَدَف الذي يسعى إِلَيه أو وُجِّه لَه، فالضُبَاط عَلى سَبيلِ المِثَال لا الحَصر وُجِّهُوا لِتَحقيقِ الأهدَاف العَسكَرية والسِياسيَّة، والرَحالَة والجُغرَافيين لِتقصِّي الآثَار، أَسمَاء المنَاطِق، المُدن والأَوضَاع الاجتِماعية، والدبلوماسيين للتَّقَرُّبِ مِنَ الأُمَراء والحُكَّام، والمُنصِّرين لتَنصِير المُجتَمعات.

فكَانت مُختَلف الأحدَاث التي عَاشَتها هذِه الدولة وولِاياتها مُدوَّنَةً في كِتاباتِ وأَبحاثِ هؤلاء، مِن قَضَايا سِياسيَّة، عَسكَرية، إِصلاحية، فِكرية وحتى الجُغرافِيَّة مِنها. فَطرحُوا وعَالجُوا مُختَلف مَواضِيعِها، أَثاروا الانتِبَاه لِعدَدٍ مِن الحَقائِق التَّاريخية، تمكنوا كذلِك بِفَضلِ نشَاطِهم والمُسَاعداتِ التي حَظُوا بِها مِن الحُكومة البريطَانية مِن الحُصُول عَلى أُمهات الكُتب وتَحقيقِها وفَهرَسَتِها، أو الوُصولِ إلى مَناطِق مُختَلفة في العَالَم العُثماني قد يَصعُبُ الوصُولُ إليها.

كَما لَم يَغْفَلُوا عَن القَضَايا الاجتِماعية، أين درَسُوا طَبائِعَ المُجتَمعاتِ العثمانيَّة، حَياتهم اليوميَّة، أَوضَاعُهم الصِّحِيَّة... وغير ذلك، مُركزينَ عَلى شَيئَينِ اثنَين هُما وَضعُ المَرأَة العثمانيَّة نِصفُ المُجتَمع وأَسَاسُه وكَذا أخلاقِيات وطَبائِع الشُّعُوب، فجَسَّدت كِتاباتهم ومُلاحظَاتِهم تِلكَ العَالَم العُثماني الشَّرقي بِصُورَةٍ مُشينَة ومُنفِّرة في غَالِبِ الأحيَان. دُون أن نَغُضَ الطَّرف عَن استِغلالهم للمَحطَّاتِ التَّاريخية الكُبرى لِتَنفيذ المُخطَّطَات الاستِعماريَّة البريطَانية والتي تَمَّت بالفِعل وبَرزَت نَتائِجها مُنذ أواخِر القَرن التَّاسع عشر ومَطلَع القَرن العِشرين.

- **دوافع اختيار المَوضُوع**

يَرجِعُ اختِيارنا لِهذا المَوضُوع لِعددٍ مِن الأَسبَاب الذَاتية والمَوضُوعيَّة، كَانت الرَغبَة في مَعرفة النَظرة التي طَالت الشَّرق المُتجَسِّد في الدولة العثمانيَّة مِن الغَرب، والصُّور النَّمطية التي خَلَّفها هذا الأَخير حَول مُختَلف قَضاياه في طَليعة هَذه الدوافِع، ثُم لِم لا يَكون هذا الغَرب هو بريطَانيا ذَات العَلاقَة الحَسنة المَبنية عَلى الصَّداقة في عَدد من المرات مع الدولة العثمانيَّة، فَضلاً عن المُيول البَحثية والرَغبَة في البَحث في الجَانب الفِكري. ومِنه جَاء هذا المَوضُوع مُعَالجا للرُؤية والنَظرة الاستشراقية البريطَانية للدَّولة العثمانيَّة في فَترة زَمنية حَسَّاسة لِكِليهما فَقد شَهِدت تَطورًا سَريعا للاستِشراق ومُكافحة عُثمَانية عَلى أَصعِدةٍ عَدِيدة بُغية مُواكبَة التَّطورات العَالمية وفَرض وُجُودها وحِماية ممتلكاتها.

هَذا فَضلاً عَن الرَغبَة في دِراسة هذا المَوضُوع مِن زَاوِية مُحدَّدَة بَعِيدة كلَّ البُعد عَن الدِراسَات الحَاليَّة التي أجرِيت أو تُجرى حَولَه والمُتعلِّقة بِمَدى إِنصَاف المُستشرقين أو إجحَافِهِم

للشرق عَلى العُموم، نَحو مُعالجَته لمَعرِفَة مَوضُوعيَّة المُستشرقين ومِصدَاقيَّتِهم أَولا، وتِبيانِ مُغالَطاتِهم وافتِراءاتِهم المُوجهة للتَاريخ العُثماني وكَيف تم استِغلال كِتاباتِهم مِن الحُكومة لِخِدمَة أَغراضِها الشَّخصِية ثانيا. بِغَض النَظر عَن الرَغبَة في مَعرِفَة الآراءِ والمُلاحظاتِ التي خَلَّفَها هؤُلاءِ حَول الدولة العثمانيَّة وعددٍ مِن قَضاياها.

- **أهمية الدِراسة**

انطِلاقًا مِن كَون الاستشراق حَقلاً مَعرفيًا ضخمًا استغلَّتهُ الحُكومة البريطَانية لِتَنفيذِ مُختَلف مُخططاتها، فهُو بذلِك يقدم خِدمَتين أَساسيَّتَين للبَاحثين والقُرَّاء قَائِمَتين عَلى تَقديم المَعرِفة، وتِبيانِ السَّيَاسَات البريطَانية المُطبَّقَة والأهدَاف المَرجُوِّ تَحقيقها وطُرُقِ تَنفيذِها. لِذلِك تَكتَسي هَذه الدِراسة أَهمِّية بَالغة في مَجالِ الدِراسَات الاستشراقية والتَّاريخية، ولِمَ لا الدِراسَات المُتعلِّقة بِمجالِ الاستِغرَاب مِن بَعدها كَونها:

تَهدِفُ إلى تَسليط الضَّوءِ عَلى مُختَلف كِتاباتِ المُستشرقين المُعالجة والدَّارسة للتَاريخ العُثماني بِأنواعِها، الدَّقِيقَة المُعالجة، المُجَانبة للدِّقة والمشوهة لِهذا التَّاريخ. بالإِضافَة إلى كَونِها تُبرِزُ مُختَلف الصُّورِ النَّمَطية والمُلاحظاتِ والانطِبَاعاتِ البريطَانية المُخلَّفة حَول التَّاريخ العُثماني وعَددٍ مِن قَضاياه الحسَّاسَة السِياسيَّة منها، الاجتِماعية والفِكرية.

فَضلاً عَن كونِها قد سلَّطَت الضَّوء عَلى إِسهاماتِ المُستشرقينَ البريطانيين في دِراسة التَّاريخ العُثماني، في مَجالاتٍ مُتعددةٍ ذَات العَلاقَة المُباشِرة بِنقل حيثياتِ هَذا التَّاريخ والكتابة عنها، وتَقديم مادةٍ عِلمية مُتنوعة إن لم تَكُن ذَات نِسبة عَالية مِن الدِّقة فَهي مُجَانبة لَها، بالإِضافَة لِتِلكَ الدِراسَات الخَاصة بالدِّين الإِسلامي، واللُغات وكَذا مُسَاهمَاتِهم في إِعدادِ الفَهارس لمُختَلف المخطوطَات والوثائِق العثمانيَّة.

عِلاوةً عَلى تِبيانِها لمُختَلف المُغالطَات والأفكَار الاستشراقية البريطَانية المُلصقة بالتَّاريخ العُثماني، والتي مَا لبثَت أن انتَقلَت للعالمِ الشَّرقي وأضحَت كمُسلَّماتٍ لا نِقاشَ فِيها، أو كنَظريات فلسَفيَّة يعمَدُ البَاحثون في الوَقت الرَّاهن إلى إِثباتِها أو نَفيها.

- **حدود الدراسة**

نَظرا لِكبر المدة الزَّمنية العُمرية للدَّولة العثمانيَّة المُقاربة لستة قرون مُتتالية، كان لا بُد مِن ضَبط وتَحدِيد فَترة زَمنية للدِراسة، مع الأخذ بالاعتِبار وَفرة المَّادة الاستشراقية من عَدَمها. لِذلِك توجهنا نَحو القَرنين الثَّامن عَشر والتَّاسع عشر الذي يَشهَد وَفرة في الكتاباتِ الاستشراقية البريطَانية ذَات العَلاقَة المُباشرة بالتَّاريخ إذا ما قُورن الأمر بفَترات زمنية أُخرى. وبالمُقابل تَشهد هذه القُرون أحدَاثا مُتتالية وحَاسمة في تَاريخ الدولة العثمانيَّة مِن تَمردات داخلية، تَدخلاتٍ أَجنبية وتَغيرات في نِظَام الحُكم، ليُضاف إِليها مَطلع القَرن العِشرين الذي شَهِد أُفول نَجم هذِه الدولة وقِيام الجُمهورية التُّركية بدلا عنها.

- **الإشكالية**

بمرورِ الزَّمن تَطور الاستشراق وازدادَ رُواده وبَرزَت فيه المَدارِس والمَراكِز البَحثية والمَعاهِد، وتغيَّرت أهدَافه ومساعِيه فتوجه نَحو دِراسة الشَّرق والبَحث فيه وفَهمِه فهما يَختلف عن استِشراق العُصور الوسطى -ذاك القائم عَلى تصويرِ الشَّرق والكتابة عنهُ بناء عَلى تخيُّلاتٍ وتآويل - فهمًا يُجسِّدُ حالة الشَّرق كما هي استنادا إلى المُشاهدة ومُعاينَة الوَضع والوصف، ومِن ثم نَحو فهمٍ هادفٍ للسَّيطرة والهَيمنَة وإلى الاحتواء وحتى لإِعادَة صِياغة الشَّرق وتَجسيدِه وِفق مَصالِح الغَرب، بعد تَعاونِه مع الاستِعمار وسَعيه لِتَحقيقِ مَصالحه المُختَلفة.

هذا ولعلَّنا مِن وراء هذا الطَّرح المُقتضب نَروم إلى تِبيان الصُّورة التي رَسمها الغَرب الذي جُسِّد وحُصِر في بريطَانيا لتَاريخ الدولة العثمانيَّة، لما لِهذه الأَخيرة مِن عَلاقَة وطيدَة وطويلةِ الأمدِ بالشَّرق وبها، ولتعدُد صُور هذه العَلاقَة مِن عَلاقَة تَودٍ نَحو عَلاقَة صداقةٍ وحماية إلى عَلاقَة استعمارٍ وهيمنَة. وهذا في الفَترة التي شَهِدت اتحادًا بين الاستِعمار والمَعرِفة -المتمثِّلَة في الاستشراق - واستِغلالا من الأوَّل للثَّاني، وفُقدان الأَخير لأهميَّتِه ومكَانته كنوعٍ مِن المَعرِفة. بناء عَلى هذا؛ كيف جَسَّد رُواد الاستشراق البريطاني الدولة العثمانيَّة في كِتاباتِهم؟ وإلى أي مَدى يُمكن الاعتِماد عليهم كمصادِر موثُوقة في الكتابات التَّاريخية؟

ولِتبسيط هذه الإشكالِيَّة أكثر فأكثر، ووُصولا إلى إجَابةٍ مُقنِعةٍ عنها أُرفِقَت بمجُموعةٍ من التَّساؤلات هي كالتالي:

- مالمَقصود بالاستشراق؟ وما رأي الغَرب كموجد له والعَرب كمُوَجَّه إليه فيه؟
- ماهي أُصول هذه الحَركة الغَربية؟ وما الأهدَاف التي سَعت إلى تَحقيقِها؟
- ماهي أبرزُ مَدارِس الاستشراق، ومن هُم رُوادها البارزُون وماهي خَصائصها؟
- كيف نَشأت المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية محط الدِراسة؟ ما خَصائصها؟ ومن هُم أبرزُ رُوادها؟
- كيف عَكس رُواد المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية قضايا التَّاريخ العُثماني في كِتاباتهم؟
- مالصُّورة التي جسَّدها المُستشرقون البريطَانيون عن الخِلافة والنُّظم العُثمانيين؟
- ما النَظرة التي طالت سَلاطين الدولة العثمانيَّة وبَعض شَخصياتها الفَاعلة من طرفهم؟
- ما رأيُهم في الحَركات الانفِصَاليَّة التي بَرزَت في الدولة العثمانيَّة أواخر القَرن الثامن عشر؟
- ماهي أبرزُ المُلاحظاتِ والانطباعات التي خلَّفاها المُستشرقون البريطَانيون حَول فَترة أواخِر الحُكم العُثماني، وقَضِيَّة سُقوط الدولة وقِيام الجُمهورية بَدلا عَنها؟ وما رأيُهم فيها؟
- ما هي الصورة التي جَسدها المُستشرقون البريطَانيون عن قِسم الحَريم والمَرأَة العثمانيَّة خَاصة في ظِل عدَم اطلاعِهم عَلى الوَضع لخُصوصيته وسِريته؟
- ما الصورة التي جَسدها رُواد المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية حول مكَانة الفَرد الأجنَبي في الدولة العثمانيَّة؟
- كيف كَانت نَظرة الاستشراق البريطاني للجَانب الفِكري والعِلمي للدَّولة العثمانيَّة؟ وما مَوقِفهم من كل ذلك؟
- ماهي أبرزُ الإدعاءات، المُغالطَات والافتراءات التي تَضمنتها كِتابات هؤلاء المُستشرقين؟ وما هي أبرزُ إسهَامَاتهم وخَدماتِهم المُقدمة للتَاريخ العُثماني؟

- **الدِراسَات السَّابقة**

قبل الخوضِ في غِمار أي بحثٍ تَاريخي علمي، يَعمد البَاحث إلى البَحث لاستِجلاء مُختَلف الأَبحَاث والدِراسَات ذَات العَلاقَة بمَوضُوعه، والتي تُبرِزُ له وُجهات النَظر المُختَلفة حوله، وطُرق وكيفية مُعالجَة البَاحثين للمَوضُوع. لِذلِك ورَغم وَفرة الدِراسَات حَول الاستشراق البريطَاني إلا أنَّ مَوضُوع دِراستنا يظلُّ نَوعاً ما جديدًا ويحتاج مزيدًا من التعمق والدِراسة، لِقلَّة الدِراسَات حَوله والمُشابهة له، ومَع ذلك نَذكر بَعضا من الدِراسَات الموجُودة ذَات العَلاقَة المُباشرة أو غير المُباشرة به من أمثَال:

- مقال البَاحث جمال يزير المعنون بـ: الحَركة الوهابية في تَمثلات الرِّحلة الاستشراقية بناء الصورة -كِتابات "جون لويس بُوركهارت" أنموذجا -، (المَجلَّة التَّاريخية الجزائرية)، مج05، ع01، 2021م. والذي عالج فيه صاحبه بعد أن عرَّج عَلى مفهوم الاستشراق، الرحلة الاستشراقية، أساليب المُستشرقين، أهدَافهم، رحلة المُستشرق الرَحالَة "**جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt**" وما ورد في مختلف كتاباته عن الحَركة الوهابية، ليختتمها بتقييم لهذه الكتابات.
- بالإِضافَة لمقال الدكتور نواصر عَبد الرحمان الموسوم بـ: دَور رحلات "جون لويس بوركهارت" (1784 -1818م) في الكتابات التَّاريخية، والمنشور بمَجلَّة "دِراسَات تَاريخية"، مج10، ع01، 2022م. عالج من خِلاله أهمية وقيمة عددٍ من الرحلات الأوروبية في الكتابات التَّاريخية والتي كَانت رحلة المُستشرق بوركهارت واحدة من بينها.

دون أن نغفل عن ذكر كل من:

- دِراسة الدكتور ناصر بن إبراهيم بن عبد الله التويم الموسومة بـ "الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية"، والتي قدم فيها دِراسة وصفية لعدد من الكتابات الاستشراقية المُعالجة لسيرة وحياة صاحب الحَركة الوهابية، بالإِضافَة لعرض يخص حياته، تكوينه العلمي، دعوته للحَركة برؤية استشراقية أي بناءً عَلى ما ورد في الكتابات التي تطرق لها في الفصل الأول من دراسته والتي شملت كِتابات مُستشرقين

بريطانيين، ألمان، فرنسيين ...وغيرهم. ليُقدمَ تقييما مقتضبا لهذه الكتابات في خاتمة دراسته.

- وكذا رسالة الدكتوراه الخَاصة بالدكتور مَازن المطبقاني، والموسومة بـ: "مَنهج المُستشرق برنارد لويس في دِراسة الجوانب الفِكرية في التَّاريخ الإسلامي"، والتي نشرها ككِتاب يحمل عنوان: "الاستشراق والاتجَاهات الفِكرية في التَّاريخ الإسلامي دِراسة تطبيقية عَلى كِتابات بِرنارد لويس". قدم فيها عرضا حول الاستشراقين الإنجلِيزي والأمرِيكي، وحول حَياة المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" مِحور الدِراسة، ليشرع عقبها في مُعالجَة مواقفه وآرائه من الأمور المُتعلِّقة بالدِّين الإسلامي والتي كَانت الخِلافة العثمانيَّة، والقَضِيَّة الفِلسطِينية واحدة من بينها.

- منهج البَحث

لتَحقيقِ الأهدَاف المرجُوة مِن هذه الدِراسة، وبغية الوُصولِ لنَتائِج دَقيقة، قُمنا بعَمَلِية البَحث استنادا إلى ثلاثة مناهج بحث أَساسية هي على التوالي: المنهج الوصفي، المنهج التَحلِيلي والمنهج المقارن. فجُسد الأول في وصف كل من القضايا التَّاريخية العثمانيَّة، ومُلاحَظات المُستَشرقين البريطانيين وانطباعاتهم حول التَّاريخ العُثماني، أما الثاني فجسد في تَحلِيل آراء المستشرقين حول قضايا هذا التاريخ المختلفة لمعرفة المُغالطَات والأفكَار الاستشراقية. وجُسد الأخير في المقارنة بين آراء المُستشرقين في حد ذَاتهم، أو بينهم وبين الكتابات التَّاريخية المحلية لتبيان الاختلاف بينهم، ومعرفة الكتابات الأكثر مصداقية ومَوضُوعيَّة في الطَّرح، مع التركيز عَلى استخراج المُغالطَات والافتراءات المتوارثة التي قيلت في حق هذه الدولة.

- خُطة الدِّرَاسة

إجابة عَلى الإشكالية المطروحة وبغية إعداد فهرس دقيق للدِراسة، قمنا بضبط شيئين اثنين فيها، تمثَّلَ الأول في تَحدِيد المُستشرقين البريطانيين، أما الثاني فتمثل في اختيار عدد من

القضايا التَّاريخية العثمانيَّة، عَلى أن يندرِج كلاهما ضمن سِياق المدة الزَّمنية المطروحة، ليتم عقبها بناء الهيكل التنظيمي للدِراسة في أربعة فصول متكاملة.

حُدد الأول من بين هذه الفصول للحديث عن الاستشراق بشكل عام، عالجنا فيه مفهومه اللغوي والاصطِلاحِي، مع الإشارة للفروق المَفَاهيمية حوله بين كل من الشَّرق والغَرب، خلفيات ظهور هذا الأَخير ومَدارِسه التي كَانت المَدرَسة البريطَانية واحدة من أبرزِها. وصُهرت هذه المواضيع كلها في فصل واحد تحت مسمى **"الاستشراق ماهيته وأبرَز مَدارِسه".**

أما الفصل الذي تلاه فقد ضم القضايا السِياسيَّة ومواقف المُستشرقين البريطانيين منها، جَاء تحت عنوان **"القضايا السياسيَّة في كتابات المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية"**. تم فيه انتقاء عدد من القضايا السياسية المهمة في تاريخ الدولة العثمانية، ومن ثم معالجة حيثياتها مركزين على إبراز مختلف المواقف الثابتة، التصورات المُسبقَة، الملاحظات والانطباعات التي خلفها هؤلاء المُستشرقين حولها.

حيث قسمناه إلى ثلاثة مبَاحث رئيسة، ضم كل واحد منها ثلاثة مطالب فرعية، ضمت بدَورها أبرز الأمور السِياسيَّة التي شَهِدتها الدولة العثمانيَّة منذ الربع الثاني للقرن الثامن عشر ولِغَاية مطلع القَرن العشرين، كالشرعية الدِّينية والسِياسيَّة للدَّولة العثمانيَّة والتي تناولنا فيها مسألة الخِلافة ونَظرة المُستشرقين لبَعض من سلاطين الدولة وشخصياتها الفاعلة، وكذا ظاهرة النفوذ المحلي في الدولة العثمانيَّة والتي قصدنا بها حَركات التمرد والحَركات الانفِصَاليَّة التي شَهِدتها الدولة العثمانيَّة خِلال الفَترة المدروسة، لنختمها بالحَدِيث عن عَلاقَة هذه الأَخيرة بأورُوبا.

في حين جُعل الفصل الثالث للحديث عن الجَانبين الاجتِماعي والفِكري للدَّولة العثمانيَّة والنَظرة التي طالتهما من المُستشرقين البريطانيين مع تبيان الملاحظات والآراء التي خلفها عددٌ منهم حولهما، وجَاء تحت مسمى " **القضايا الاجتِماعية والفِكرية في كِتابات مدرسة الاستشراق البريطاني"**. عالجنا فيه رؤية المُستشرقين البريطانيين للمرأة العثمانيَّة ولجَانِبٍ من الحياة الاجتِماعية في الدولة، لنختمه بنَظرة هؤلاء للجَانب العلمي العُثماني.

عَلى أن يكون تقييم هذه الكتابات أمرا معالجا ومستخلصا في آخر فصل من هذه الدِراسة، بناء عَلى ما ورد في الفصول السَّابقة من آراء وملاحظات وانطباعات المُستشرقين المُختَلفة. مع إبراز المنهَجية المتبعة وإسهامَات المُستشرقين البريطانيين في دِراسة التَّاريخ العُثماني ومُعالجَة قضاياه، وتسليط الضوء عَلى المُغالطَات والافتراءات الملصقة بهذا التَّاريخ بغية معرفة طرق الاستفادة من هذا النوع من الكتابات. جَاء كل هذا في فصل واحد تحت مسمى **"القيمة التَّاريخية للكِتابات الاستشراقية البريطَانية "**.

- **نقد وتقييم لأهم المصادر والمراجع**

يستلزم عَلى كل بَاحث في مجال التَّاريخ العُثماني أن يعتمد عَلى عدد قيم من المصادر والمراجع ذَات العَلاقَة المباشرة بمَوضُوعه، وبإسقاط هذا الأمر عَلى مَوضُوع الدِراسة فإنه يتحتم علينا الاعتماد عَلى نوعين منها: الأولى بينهما خَاصة بالاستشراق البريطاني ورُواده، أما الثانية فخَاصة بالتَّاريخ العُثماني. نذكر منها:

كِتابات عَددٍ من المستَشرِقينَ البريطَانيين التي تُعد مَادة أولِيَّة مُهمة وقيمة عاصر عدد من كُتابها وقائع الأحدَاث في العالم العُثماني وكتب عنها. جَاءت كِتاباتهم مُعالجَة لمواضيع عَدِيدة تخص هذا التَّاريخ من بينها: الكتاب الذي أُلف بالاشتراك بين مُستشرقين بريطانيين هما "**هاملتون جبAlexander Roskeen Gibb Hamilton** " و"**هارولد باون Harold Bowen**" والذي جَاء في جزأين أولهما موسوم بـ: " Islamic Society and the West: a Study of the impact of Western Civilization on the Muslem Culture in the Near East" أي: "دِراسة لتأثير الحَضارة الغَربية عَلى الثقافة الإسلامية في الشَّرق الأدنى"، أما الثاني فجَاء تحت عنوان: "Islamic Society in the Eighteenth Century" أي: "المُجتَمع الإسلامي في القَرن الثامن عشر". واللذان ترجما تحت مسمى واحد هو "المُجتَمع الإسلامي والغَرب". وقد تم الاعتماد عليه بجزأيه بشكل كَبير في هذه الدِراسة لما له من عَلاقَة مباشرة بقضايا هذا المَوضُوع، وللأفكار الواردة فيه والمعبرة عن آراء كليهما ومُلاحظَاتِهما عن هذا التَّاريخ.

بالإِضافَة لكِتابات رائد الاستشراق البريطاني **"برنارد لويس Bernard Lewis"** التي لا يُمكن الاستغناء عنها، كونها تعد مادة تَاريخية خصبة، تضم آراء هذا الأَخير حول التَّاريخ العُثماني برمته. وقد لا نجد مُستشرقا آخرا مشابها له في الطَّرح والمُعالجة وفي كثرة الكتابات والدِراسَات التَّاريخية. وللعلم فإن كِتابات هذا الأَخير والنَظرة التي طالتها من البَاحثين في الوَقت الراهن واعتبار عدد منهم إياها مادة عِلمية موثوقة ودقيقة تستوجب نقدا وتمحيصا خِلال التعامل معها، ومرد هذا للأفكار الواردة فيها، ولطَريقَة طرحها والتي يسعى هذا المُستشرق جاهدا لإيصالها للقارئ الغَربي الذي وجهت له هذه الكتابات بالدرجة الأولى والعَربي من بعده. نذكر منها كِتابين تم الاعتماد عليهما بشكل كَبير هما الكتاب الموسوم بـ: "ظهور تُركيا الحَدِيثة The Emergence of Modern Turkey"، وكِتاب "استنبول وحَضارة الخِلافة الإسلامية Istanbul and The Civilisation of The Ottoman Empire".

دون أن نغفل عن كِتابات الرَحالَة والضُبَاط الذين عايشوا الأحدَاث وكَانُوا جزءا منها، من أمثَال كِتابات المُستشرق الرَحالَة **"جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt"**، التي كتبها بناء عَلى معاينته للوضع عن كثب والتي هي الأخرى كان اعتمادنا عليها بالغا في القضايا السِياسيَّة ذَات العَلاقَة بشبه الجَزِيرة العَربية. كونها ضمت في طياتها معلومات جمة عما جرى في المَنطِقة خِلال فَترة رحلته، فعدت بذلك مادة تَاريخية هَامة وجب الإطلاع عليها، تمحيصُها واستخراج الأفكَار والملاحظات ومُختَلف الانطباعات التي عَكست وجهة نَظر هذا الأَخير في مُختَلف القضايا ذَات العَلاقَة بالمَوضُوع.

فَضلاً عن مذكرات الضَابط والمُستشرق **"جورج فورستر سادلير George Forster Sadleir"**، التي كَانت ككِتابات المُستشرق السَّابق لها عَلاقَة مباشرة بشبه الجَزِيرة العَربية، باعتبار أنَّ صاحبها قد وُجه إليها خِلال الربع الأول من القَرن التَّاسع عشر لإتمام عدد من المهام الموكلة له من طَرف الحُكومة البريطَانية. والتي تعد مادة تَاريخية أولية لرجل

عسكري، تحوي تفاصيل دقيقة وجب البَحث فيها لمعرفة المساعي البريطَانية والسِياسَة المتبعة في المَنطِقة وحتى التي تصبوا إليها.

من جَانِبٍ آخر، لا يُمكن فهم هذه الكتابات إلا بعد فهم مطلق وعام لمَوضُوع الاستشراق، والذي لا يتم إلا من خِلال الإطلاع عَلى مراجع رئيسة ذَات العَلاقَة المباشرة به، والتي تبرزُ وجهات نَظر مُختَلفة عنه تُساهمُ جَمِيعها في إعطاء البَاحث صورة متكاملة عنه. نذكر من بينها:

كِتابات كل من الدكتور **"محمد عبد الله الشَّرقاوي"**، الدكتور **"مازن المطبقاني"**، الدكتور **"علي بن إبراهيم الحمد النملة"**، وكذا الدكتور **"أنور الجندي"**. التي تم الاعتماد عليها بكثرة في هذه الدِراسة كونها تقَدِّمُ عرضاً مستفيضا حول الاستشراق، وتُساهمُ في تَحلِيله وتبيانه بصورة حقيقية ومقاربة للواقع. هي كالتالي: "الاستشراق دِراسَات تَحلِيلية تقويمية" للشرقاوي، "الاستشراق والاتجاهات الفِكرية في التَّاريخ الإسلامي - دِراسة تطبيقية عَلى كِتابات برنارد لويس" للمطبقاني.

دون أن نغفل عن المراجع التي تحوي في طياتها نوعا من النقد للاستِشراق، ككِتاب كل من: الدكتور **"ساسي سالم الحاج"** الموسوم بـ: "نقد الخطاب الاستشراقي الظَّاهِرَة الاستشراقية وأثرها في الدِراسَات الإسلامية"، وكذا كِتاب الدكتور **"الدهان محمد محمد"**، المعنون بـ: "قوى الشر المتحالفة -الاستشراق، التَّبشير، الاستِعمار"، فَضلاً عن كِتاب الدكتور "**الجبري عبد المتعال محمد**"، الوارد تحت مسمى "الاستشراق وجه الاستِعمار الفِكري". والتي كَانت جَمِيعا تُقَدِّمُ نَظرةً مُغايرة للاستِشراق مُعتبرةً إياه عَاملاً أسَاسياً للاستِعمار ومُمَهدا له.

بالأخذ بالاعتِبار الشَّق الثاني للدِراسة والخَاص بالتَّاريخ العُثماني، وإن اعتَمدَنا عَلى عدد من المصادر العثمانيَّة إلا أن اعتمادنا الكَبير كان عَلى بَعض من المراجع التركية المعربة

التي لا غنى للبَاحث عنها. من أمثَال كِتاب المُؤرخ التركي "**يلماز أوزتونا**" "تَاريخ الدولة العثمانيَّة" بجُزأيه، وكذا كِتابات المُؤرخ "**أكمل الدِّين إحسان أوغلى**" "الدولة العثمانيَّة تَاريخ وحَضارة"، وكذا كِتابه الصادر حديثا "التراث العلمي العُثماني - النشأة التطور القضايا ". والتي تُساهمُ جَمِيعا في تَقديم التَّاريخ العُثماني بحلة دقيقة ومُبسطة وغير مخلة بالأحدَاث والوقَائِع التَّاريخية.

- **الصعوبات**

لا يكاد يخلو مجال البَحث العلمي في التَّاريخ من الصعوبات ذَات العَلاقَة المباشرة بالمَوضُوع، أو بالبَاحث في حد ذَاته. فصعوبة المادة العِلمية المدروسة كَانت في طليعة هذا الأمر، تلاها في ذلك صعوبة الوصول إليها، فرغم الرَغبَة في الوصول إلى مخطوطَات، أو دِراسَات وأبحاث مُستشرقين بريطانيين غير مدروسة لم يكن الأمر كافيا، فهي إما قابعة في مكتبات غَربية لم تسعفنا الظُرُوف للذهاب إليها، أو مَنشورة في مواقع للبيع في المزاد العلني، أو تتطلب أموال طائلة لشرائها من مَواقع بريطانية.

هذا بغض النَظر عن عدم القدرة عَلى تَحقيقِ نوع من التوازن بين فصول الدِراسة بِسَببِ طبيعة المادة. فكما هو معروف للقضايا السِياسيَّة الحظوة في الكتابات التَّاريخية، عكس الكتابات المُتعلِّقة بالجَانِبين الاجتِماعي والفِكري التي تشَهدُ قلةً في المصادر أو المراجع الأَساسِية وحتى في الكتابات الاستشراقية.

الفصل الأول

الاستِشراق ماهيته وأبرز مَدارِسه

I. مفهوم الاستشراق
II. المسار التاريخي للاستِشراق
III. مَدارِس الاستشراق
IV. المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية

الاستشراق ذاك الحقل المعرفي الضخم الذي أوجده الغرب، تباينت حوله الآراء واختلفت، وتعدَّدَت مَفَاهيمه بتعدد المُفكرِين والبَاحثين فيه، وكذا باختلاف المنَاطِق والمحطات التَّاريخية. ارتكز عليه الغَرب لدِراسة الشَّرق عن كثب والبَحث فيه والولوج إليه، فاضطلع مُختَلف رُواده لخِدمَة مَصالح الحُكومَات الغَربية وسياساتها المُختَلفة، وأُنشِئَت في سَبيلِ تَطويره عدد من المَدارِس والمَعاهِد والمؤسسات المستوعبة لمُختَلف الدِراسَات حتى عُدَّ بذلك جزءا من صراع حضاري بين غَربٍ مَسيحِي وشَرقٍ إسلامي.

I. مفهوم الاستشراق

أولا - المفهوم اللغوي والاصطِلاحِي

01 المفهوم اللغوي

الاستشراق لفظة حديثة ذَات مدلول قديم، استُعمِلت لترجمة الكلمة اللاتينية "Orientalism"[1] ومنها جاءت المصطلحات الأخرى كاستشرَق ومستشرق "Orientalist"[2].

---

[1] **Orientalism** : كلمة مقسمة لقسمين "Orient" و "East" وكلاهما تعنيان الشرق، ولكن غالبا ما تستخدم الكلمة الأولى تحت مفهوم البلدان الواقعة شرق البحر المتوسط وأوروبا، في حين تستخدم الكلمة الثانية بمعنى الجهة الشرقية. للمزيد أنظر: محمد حسن زماني، **الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغَربيين**، تر، محمد نور الدِّين عبد المنعم، ط01، المركز القومي للترجمة، القاهرة -مِصر، 2010م، ص 41. أنظر أيضا: علي محمد إسماعيل، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل -مدخل علمي لدراسة الاستشراق**، ط06، دار الكلمة، القاهرة -مِصر، 2014م، ص09.

[2] **المستشرق The Orientalist:** هو مُؤرخ أو كاتب أو عالم **غَربي** يهتم بمختلف مناطق الشَّرق، أو هو الذي عَمِل عَلى تَدريس تَاريخ الشَّرق أو لُغاته. استعمل هذا المصطلح كأول مرة خلال القرن السابع عشر بالضبط عام 1683م بعد أن أُطلق عَلى أحد أعضاء الكَنيسَة الشَّرقية لمعرفته ببَعض لُغات الشَّرق. وللعلم فإن الباحثين الشرقيين لم يتمكنوا من تحديد كينونة المستشرق وهل هو كل شخص دارس للشرق وللغاته أم يقتصر الأمر على الغربيين فقط. من جانب آخر توجه المُستشرق البريطاني **"آرثر جون آربري Arthur John Arberry"** في حديثه عن هذا الأمر إلى فصل المستشرقين عن العلماء والمؤرخين والأثريين ونفى كل الشروح السابقة المتعلقة بكينونة هذا الأخير، الأمر الذي يفتح أمام الباحث تساؤلات عديدة

اشتُقت من لفظة "شَرق"، فيُقال شَرقت الشَّمس، وتُشرق شُروقا أي طَلعت، وشَرَّقَ أي أخذ جِهة الشَّرق، وبالتالي فهي تعني مَشرق الشمس واسمُ الموضِع المَشرِقِ، والسين فيه حرف قد زيد كان القصدُ مِنه الطَّلب، أي طَلب دِراسة ومَعرفة ما في الشَّرق. فيكونُ المقصودُ به عِلم الشَّرق أو عِلم العَالم الشَّرقي.[1]

ورد في المعجم الوسيط أن المَقصود بالمَشرِقِ هو البلاد الإسلامية الوَاقِعة شرقي الجَزِيرة العَربية.[2] وللبَاحثين الغَربيين رَأي في هذا فالشَّرق عندهم قد قُصد به مَنطِقة اليُونان، آسيا وُصولا للهِند ومُرورا ببوابَة الشَّرق البُندقية، ليضحَى خِلال القَرن التَّاسع عشر يُقصد به المنَاطِق المُسلمة من الدولة العثمانيَّة، شمال إفريقيا وحَتى منَاطق آسيَا الوُسطى.[3]

حوله فإن لم يكن هو المؤرخ، الأستاذ والأثري فمن يكون؟ للمزيد أنظر: إدوارد سعيد، **الاستشراق المَفَاهيم الغَربية للشرق**، تر، محمد عناني، ط01، رؤية، مِصر، 2006م، ص 45. أنظر أيضا: أحمد سمايلوفيتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العَربي المعاصر**، د.ط، دار الفكر العَربي، القاهرة -مِصر، 1998م، ص 22. أنظر أيضا: مالك بن نبي، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، ط01، دار الإرشاد، بيروت، 1969م، ص 05. أنظر أيضا:

Arberry, A, J, **British Orientalists**, William Collins sons and Co, UK, 1943, p 08. See as well : Grahame Johnston, **The Australian Pocket Oxford Dictionary**, 05 edi, Oxford University Press, London, 1969, p 550.

[1] ابن منظور، **لسان العَرب**، مج10، د.ط، دار صادر، بيروت -لبنان، د.ت، ص173. أنظر أيضا: رودي بارت، **الدراسات العَربية والإسلامية في الجَامِعات الألمانية**، تر، مصطفى ماهر، د.ط، المركز القومي للترجمة، القاهرة -مِصر، 2011م، ص17. أنظر كذلِك: فاروق عمر فوزي، **الاستشراق والتَاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)**، ط01، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، 1998م، ص29. أنظر أيضا: عبد الرحمن عميرة، **الإسلام والمسلمون بين أحقاد التَّبشير وضلال الاستشراق**، ط01، دار الجيل، بيروت -لبنان، 1999م، ص 90. أنظر أيضا:

Paul Robert, **Le Nouveau Petit Robert**, 1ed, Josette Rey Debove et Alain Rey, paris, 1967, p1800.

[2] **المعجم الوسيط**، ط04، مكتبة الشروق الدُولية، مِصر، 2004م، ص 480.

[3] Mathias Deryfuss, **Les Juifs dans L'orientalisme**, "Musée d'art et d'histoire du Judaisme", paris, mars- juil 2012, p 04.

02 المَفهُوم الاصطِلاحِي

مع كثرة الموسُوعات وتعدد الكتابات حول الحَركة الاستشراقية، تعددت مَفَاهيم الاستشراق واختلفت، وأخذت اتجاهات متباينة حسب مقصد صاحبها منها. ومع ذلك ظلت متقاربة في المعنى وإن اختلفت في المبنى. كان المَقصود به تِلكَ الجهود العِلمية والدِراسَات الغَربية الهَادِفة إلى التعرف عَلى دُول الشَّرق المُمتد من الشَّرق الأقصى حتى الأدنى، ومن شرق البحر المتوسط حتى شمالي إفريقيا إِضافَة لمُختَلف المنَاطِق الإسلامية. من كل جوانبها السياسيَّة، الاقتِصادية، العسكرية، الاجتِماعية، الدِّينية وحتى الطبيعية. وبمعنى أدق هي تِلكَ الكتابات الغَربية المُعالجة لتَاريخ دُول الشَّرق، حضَاراتها، مُعتقداتها، ثَقافاتها، مَواردها الطبيعية و ثَرواتها المادية ونِقاط ضُعفها بهدَف تَأمين مَصالح الغَرب.[1]

تجدر الإشارة هنا أنَّ مَفَاهيم الاستشراق قد تعددت واختلفت باختلاف البَاحثين والمُفكرِين وكذا باختلاف المنَاطِق والمراحل التَّاريخية. فَكان للغَربين كبَاحثين ومُستشرقين وكمُوجدين له رأيٌ فيه كَما كان للعَرَب. ما جَعل الآراء تتضارب بين كِلا الطرفين وبين أفراد كل فِئة فيما بَينهم، كما تَباينت رُدود أفعالِهم في ذلك فكَانت في أغلَبها إما تَبرِيرا للاستِشراق أو نَقدا له.

فالغربيين قصدوا باستشراق العصور الوسطى دِراسة كل من اللغتين العِبرية والعَربية لارتباط الأولى بالدِّين ولِصلة الثانية بالعِلم، ليتغير مفهومُه عقبها وأَضحَى يُقصد به دِراسة تَاريخ الشَّرق وكل ما يخُصه من آدابٍ، علومٍ، معتقداتٍ، عاداتٍ وتقاليد، وحتى ذاك العلم المهتم بالحضارات الشرقية الذي ألصقت به الميول، الرغبات والسياسات الاستعمارية. والذي

[1] محمد حسن زماني، المرجع السَّابق، ص 48. للمزيد أنظر: مجموعة مؤلفين، **الموسوعة العربية العالمية**، ج01، ط02، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص 712. أنظر أيضا: بولس موترد، **المنجد في اللغة والأعلام**، ط43، دار المشرق، بيروت -لبنان، 2008م، ص384.

ما لبث متخصصوه منذ الفترة الحديثة أن تنصلوا منه ورفضوا التَسمي به[1] وفَضَّلُوا بدلا عنه استخدام مصطلح الدراسات الشرقية أو دراسات المناطق.[2]

أما بالنسبة للبَاحثين العَرب والنَّاقدين للحَركة الاستشراقية فهم كذلك قد تَركوا بَصماتِهم وآراءهم في هذا المَوضُوع واختَلفُوا فيما بينهم في تَحدِيد مفهوم شَامل له وانقسموا في ذلك لفئاتٍ ثلاث: رأت الأولى منهم أنَّه علم قائم بذاته، أما الثانية فالاستشراق في نظرها ليس إلا حركة أدبية كان الشرق مصدر إلهامها أو اتجاها فكريا غربيا وعاملا من عوامل التغريب، في حين رأت الفئة الثالثة أنَّ الاستشراق مُنطلق التنصير والاستعمار وهي الفئة التي ربطته بالحركة الاستعمارية وبينت أن مختلف دراساته منطلقة إما من دافع ديني تنصيري أو دافعٍ استعماري هادف لخدمة مصالح الحُكومَات الغربية أو مصالح اليهود من خلال الانتفاع من مختلف الدراسات الاستشراقية.[3]

---

[1] وجب الإشارة هُنا إلى أنَّ العَديد من المُستشرقين في أواخر العصور الحديثة ومطلع الفَترة المعاصرة لا يحبذون تسميتهم بهذا المُصطلح مستندين في ذلك إلى العَديد من الحجج والبراهين، مفادها ما ألصق بهذا الأَخير من اتهامات وشوائب وما قام به مُستشرقو العصور الوسطى والحديثة من تحريف وتزييف وتعصب. وتوجهوا نَحو وصف المراحل الأولى له بـ"مرحلة جاهلية الغَربيين" واقترحوا بدائل أخرى له. عَلى سبيل المثال لا الحصر: استبدال مُصطلح الاستشراق بمُصطلح "الدراسات الشرقية"، أو "دراسات المناطق". واستبدال لفظة مُستشرق بـ "العالم المتخصص" أو مُصطلح "متخصص في الدراسات الإقليمية" المرتبط بمجال بحثه. ولعل من أبرز المُستشرقين الرافضين الانتساب لمُصطلح الاستشراق نجد "برنارد لويس Bernard Lewis"، و"تشارلز دوتي Charles Doughty". للمزيد أنظر: زماني، المرجع السَّابق، ص ص50، 130. أنظر أيضا: محمد عبد الله الشرقاوي، **الاستشراق دراسات تحليلية تقويمية**، ط01، دار الفكر العَربي، القاهرة -مِصر، د.ت، ص ص49 -50. أنظر أيضا: إدوارد سعيد، **الاستشراق...**، المرجع السابق، ص45.

[2] سمايلوفيتش، المرجع السابق، ص ص22، 27. أنظر أيضا: محمد أركون، مكسيم رودنسون وآخرون، **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه**، تر، هاشم الصالح، ط02، دار الساقي، بيروت -لبنان، 2000م، ص ص21 -22.

[3] الشرقاوي، المرجع السابق، ص ص49 -50. للمزيد أنظر: أنور الجندي، **الموسوعة الإسلامية العَربية**، د.ط، ج03، دار الكِتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص 251. أنظر أيضا:

Yvon le Bras, Fabienne Ruellan, **Voyages le Gout de l'ailleurs dand les collections du musée**, "Musée des Beaux-Arts de Quimper", France, 25 Nov 2016- 27 mars2017, p 05. See as well : Edward Said, **Orientalism,** 01 Edi, Random House, New York- US, 1979, p 02.

II. المسار التاريخي للاستِشراق

هُناك اختلاف واضح وبارز بين البَاحثين حول تَحدِيد البدايات الفعلية للاستِشراق، فمنهم من أرجعه لبدايات ظهور الإسلام، ومنهم من ربطه بالتَّاريخ الأندلسي إبان مجد الحَضارة العَربية الإسلامية، في حين ذَهبَ آخرون لأبعد من ذلك إلى الفَترة الحَدِيثة. وقد وجب الإشارة هُنا إلى أنَّ هذه المحاولات تهدفُ وبشكلٍ تقريبي إلى تَحدِيد فَترةٍ زمنيةٍ معينة كبداية للاستِشراق لا تَحدِيد سنة بعينها، كون أنَّهُ من الصعوبة القِيام بذلك.

أولا - الاستشراق خِلال العصور الوسطى

بداية، سَاهمَ الانتِشار الواسع للإسلام في توجيه أنظار الغَرب نَحوه كرجال الدِّين الذي رغبوا في فهمه ودراسته والتعرف عليه بغية الحد من انتِشاره ومنع المَسيحِيين من اعتناقه. عَلى غِرار ما قام به "**يوحنا الدمشقي Iohannes Damascenus**"[1] الذي دَرس الدِّين الإسلامي وخَلُصت أبحاثُه في الأَخير إلى إعدادِ مصنفات تصب في نفس الهدف السَّابق الذِّكر. أسهَمت في رسمِ الصورة الأولى عن الإسلام لدى الغَرب. ولكن أجمع العَدِيد من البَاحثين عَلى عدم اعتبارِ هذه المُحاولة ومثلها كبداية للاستِشراق، وذلك لسببٍ وجيهٍ مفادُه أنَّ هذه الشَّخصِية هي شَخصيةٌ شرقية نَشأت وعَاشت في كنفِ الدَّولةِ الأموية، وأنَّ الحَدِيثَ عن الاستشراق يقتَصِرُ عَلى الشَّخصِيات التي نَشأت وعاشت في الغَرب فقط.[2]

---

[1] **يوحنا الدمشقي Johannes Damascenus**: منصور بن سرجيوس المعروف بينبوع الذهب، قديس ومن آباء الكَنيسَة اليونانية وموظف في البلاط الأموي. برع في الفلسفة وعلم المنطق واستغلهما لدحض الإسلام والوقوف في صف الكَنيسَة اليونانية. خلَّفَ في هذا كتبا عديدة مثل "ينبوع الحكمة" و"محاورة مع مسلم". للمزيد أنظر: جواد علي، "**يوحنا الدمشقي Johannes Damascenus**"، مجلة الرسالة، ع610، القاهرة، مارس 1945م، ص ص243 -244.

[2] محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ط02، دار المنار، القاهرة -مصر، 1989م، ص ص25 -26.

إنَّ المُطلِّع عَلى الكُتب والمؤلفات الدَّارِسة للاستِشراق يرى أنَّ العَدِيد منهم قد أجمعوا عَلى أنَّ بداياتِ الاستشراق تعود لأَبعَد من ذلك، إلى القَرن التاسع الميلادي الذي شَهِد توافدًا أوروبيا نَحو المَشرِقِ بالتَحدِيد نَحو الأراضي المقدسة بغرض الحج، والذي استَمر لِغَاية القَرن الحادي عشر ليشهد توقفا عقب سيطرة السلاجقة عَلى المَنطِقة وتشدِيد الخناق عليهم. غير أنَّ هذا التوافد ما لبث أن عاد من جديد خِلال فَترة الحروب الصليبية ليضعُف ويقل مرةً أخرى بعد تَحرِير فِلسطِين واستَمر عَلى هذا الحال حتى القَرن الرَّابع عشر.[1]

كان هذا التوافد سببا وجيها دفع بالحجيج والرَحالَة إلى دِراسة المَنطِقة والإطلاع عليها عن قرب وجَاءت كِتاباتهم واصفة للصراع القائِم بين المُسلِمين والمَسيحِيين. لتزدادَ هذه الدِراسَات خِلال الحروبِ الصليبية وعقبها فقد كَانَت خسارتهم فيها سببا لتَوجُّههم نحو دِراسة الدِّين الإسلامي والبَحثِ فيه بهدف إيجاد طَريقَة للقضاء عليه وغزو العالمِ الإسلامي. ما جَعل استشراق هذه الفَترة يمثل تَاريخ الصِّراع بين العالمين الإسلامي والمَسيحِي.[2]

مع كل هذه المحاولات وتلك يُرجع الغَربيون بداية الاستشراق الفعلي أو الرسمي إلى القَرن الثاني عشر للميلاد، والذي شَهِد تَوجُّها أوروبيا **منظما** صَوبَ عاصِمة الحَضارة الأندلس للدِراسة. أين تمكنوا من تَرجمة عددٍ من المخطوطَات الإسلامية للُغاتهم والعَدِيد من أمهات الكُتب. نَاهيك عن إصدارهم لأول قاموسٍ لاتيني عَربي وأول تَرجمة للقرآن نَحو نفسِ اللغة والتي تمت سنة538هـ/ 1143م من طرف رئيس دير كلوني المعروف بـ "**بطرس المحترم أو المبجل Petrus Venerabilis, Pierre le Venerable**"[3]، مُعتبرين كل المحاولات التي

[1] الحيدري، المرجع السابق، ص13.

[2] نفسه، ص14. أنظر أيضا: زقزوق، **الاستشراق والخلفية ...**، المرجع السابق، ص 28.

[3] **بطرس المحترم Petrus Venerabilis, Pierre le Venerable (1092 -1156م)**: راهب فرنسي قصدَ الأندلس رغبة في الاستفادة من علومها، ليعود عقبها لبلده ويشرع في ترتيب الكتب وتصنيفها للرد عَلى المُسلِمين واليَهود. كلف بطرس بعض المتَرجِمين لترجمة القرآن إلى اللاتينية وكَانت تِلكَ أول ترجمة معدة ومعتمدة في أوروبا حتى نِهاية القَرن السابع عشر. للمزيد أنظر: عبد الرحمن بدوي، **موسوعة المستشرقين**، ط03، دار العلم للملايين، بيروت -لبنان، 1993م، ص ص110 -111.

كَانت قبل هذا القَرن استِشراقا غير رسمي. ولعلنا هنا يُمكنُ أن نُدرج أسماء عدد من الشخصياتِ المؤيدة لهذا الطرح والتي بدأت التأريخَ للاستِشراق من ذاتِ الفترة من أمثال المستشرقين الألمانيين "**يوهان فوك Johan Vuk**"[1] و"**رودي بارت Rudi Paret**"[2] وكذا المستشرق "**غوستاف دوجا Gustave Dugat**"[3] الفرنسي.[4]

لتتواصل عَمَلية الترجمة بعد بطرس المحترم وتتوسع لتشمل مُختَلف الكُتب والمؤلفات العَربية مع "**جربرت دي أورلياك Sylvestre2 (Gerbert)** "[5] ثم "**دو ألفونسوا**"[1] المترجم لمؤلفات

أنظر أيضا: يوهان فوك، **تَاريخ حَركة الاستشراق الدراسات العَربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القَرن العشرين**، تع، عمر لطفي العالم، ط02، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001م، ص17.

[1] **يوهان فوك Johan Vuk (1894م)**: مُستشرق، فيلولوجي وأستَاذ لغة عربية ألماني. خلف كتبا ودراسات عديدة عن اللغة والفقة العَربيين من أمثَال: كِتاب "الدراسات العَربية في أوروبا حتى بداية القَرن العشرين"، بالإضافة للمقالات المنشورة في عدد من المجلات الغَربية. للمزيد أنظر: نجيب العقيقي، **المستشرقون**، ج02، ط05، دار المعارف، القاهرة- مصر، 2006م، ص 463.

[2] **رودي بارت Roudi Paret (1901 -1983م)**: مستشرق ألماني متخصص في الدراسات العربية متحصل على درجة الدكتوراه والتأهيل الجامعي من جامعة توبجن الألمانية. عين مدرسا مساعدا بذات الجامعة وأستاذ كرسي سنة 1941م في علوم الإسلام والساميات، لينظم للعمل العسكري في ذات السنة. من أبرز دراساته ترجمة القرآن الكريم للغة الألمانية، بالإضافة لكتابه الخاص بالدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية. للمزيد أنظر: بدوي، المرجع السابق، ص ص62 -63.

[3] **دوجا Gustave Dugat (1824 - 1894م)**: مُستشرق فرنسي ومدرس لتَاريخ وجغرافيا الشعوب الإسلامية بمدرسة اللُغات الشرقية، نشط في مجال التأليف فألف كِتاب "Histoire des Orientalistes de l'Europe" المترجم للغة العَربية تحت مسمى تَاريخ المُستشرقين في أوروبا من القَرن الثاني عشر حتى القَرن التَّاسع عشر، وكذا كِتاب "تَاريخ الفلاسفة والمتكلمين المُسلِمين من 632 إلى 1258م. للمزيد أنظر: بدوي، المرجع السَّابق، ص253.

[4] فوزي، المرجع السَّابق، ص ص30 -31. أنظر أيضا: يوهان فوك، **تَاريخ حَركة**..، المرجع السَّابق، ص17.

[5] **جربرت دي أورلياك أو البابا سلفستر الثاني Sylvestre2 (Gerbert) (930 -1003م)**: أسقف ومُستشرق فرنسي تقلد منصب بابوية كنيسة روما الكاثوليكية. وعُدَّ أول حبر فرنسي متقن للغة العَربية ولعدد من العلوم العَربية، وأول من أمر بإنشاء مدرستين لتعليم اللغة العَربية بروما. ألف في الرياضيات، وكتب مائة وتسعة وأربعين رسالة وجمعها في كِتاب تحت مسمى "الرسائل" تحدث فيها عن الوضع السياسي في عصره. للمزيد أنظر: بدوي، المرجع السَّابق، ص ص178 -179. أنظر أيضا: علي بن إبراهيم الحمد النملة، **المُستشرقون والتَّنصير -دراسة للعَلاقَة بين ظاهرتين مع نماذج من المُستشرقين المنصرين**، ط01، التوبة، الرياض -المملكة العَربية السعودية، 1998م، ص ص94 -95.

علم الفلك العَربية، ثم مع "**جيرار دي الكريمونا Gerardus Cremonensis**"[2] الذي بَرزَ في أواخر القَرن الثاني عشر وتمكن من ترجمة سبعين كِتابا عربيا للغة اللاتينية.[3]

استَمر التَوجُّه نَحو الدِراسَات العَربية عَلى هذه الشاكلة مطلع القَرن الثالث عشر، وذلك ببُروز المُستشرق الإنجلِيزي "**روجير بيكون Roger Bacon**" [4] بدعوته القائمة عَلى طلب العلم والسعي وراءه في بلاد الإسلام قاطبة بعد أن بدأت بوادر إخفاق الحروب الصليبية تبدوا جليا. ولهذا الأَخير مقولة مشهورة بين جُموعِ البَاحثين والمُستشرقين يبين فيها ضرورة تعلم اللغة العَربية ودَورها في تَحقيقِ أهدَاف الغَرب. كان قد قال فيها: { عَجبتُ مِمن يُريد دِراسَة الفَلسفَة ولا يَعرِفُ اللُّغة العَربية، ورُبمَا اضطرَّهُ هَدَفُ تَنصِير المُسلِمِين إلى أهمِيَّة تَعلُّم اللُّغة العَربية باعتِبار أنَّها الطَريقَة الوحِيدَة لتَوسِيع رُقعَةِ العَالَم الغَربِي، وتَنصِير المُسلِمين}.[5]

مع مَطلع القَرن الرَّابع عشر دخل الاستشراق مرحلة جديدة أكثر انتظاما ورَسمِية، بعد أن أكَّد مجمع فيينا الكنسي عَلى أفكار "**روجير بيكون Roger Bacon**" وصَادق

---

[1] **دو ألفونسوا**: طبيب إسباني من أصول يهودية، تمكن عام 1156م من ترجمة المؤلفات العَربية الخَاصَّة بعلم الفلك للغة اللاتينية وقدم في ذَات الوَقت معلومات عن العَرب والمُسلِمين وعد هو الأول في ذلك. للمزيد أنظر: إبراهيم الحيدري، **صورة الشرق في عيون الغرب -دراسة للأطماع الأجنبية في العالم العربي**، ط01، دار الساقي، بيروت -لبنان، 1996م، ص21.

[2] **جيرار دي الكريمونا Gerard de Gremona(1114 -1187م)**: راهب إيطالي متضلع في اللغة العَربية، قصد طليطلة عازما عَلى ترجمة المؤلفات المتواجدة بها فتمكن من ترجمة سبعٍ وثمانينَ مصنفا في تخصصات مختلفة كالطب، الفلسفة، الرياضيات وغيرها. للمزيد أنظر: نجيب العقيقي، **المستشرقون**، ج01، ط04، دار المعارف، القاهرة -مصر، د.ت، ص 115.

[3] الحيدري، المرجع السَّابق، ص 21.

[4] **روجر بيكون Roger Bacon (1214 - 1294م)**: مستشرق وراهب بريطاني دارس للطب وحائز على درجة الدكتوراه في اللاهوت، دعا إلى تعليم اللغات الشرقية بالجامعات الأوروبية، خلف كتبا وتآليف عديدة من بينها "موجز الدراسات الفلسفية". للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السابق، ج01، ص 120.

[5] منذر معاليقي، **الاستشراق في الميزان**، ط01، المكتب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص ص117 -118.

عليها بإصدار قرار سنة 1312م، يقضي بتعليم اللغة العَربية من خِلال إنشاء كراسي للُغات الشَّرقية في عدد من الجَامِعات الأوروبية كباريس، أكسفورد، الجَامعَة البابوية، ... وغيرها.[1]

خلاصة القَول هُنا؛ أنَّ أورُوبا خِلال فَترة العصور الوسطى عاشَت مَرحلة من التَّخلف والجَهل لم يَكن لها فيها مَصادر تَستَنِد إليها في بحثها عن المَعرِفة، لِذلِك وجراء احتكاكها بالمُسلِمين بدأت تفيق من سباتها وتبحث عن طرق للتعلم فقرأت مؤلفات المُسلِمين وقَامَت بترجمتها للغتها ،وأرسلت البعثات صَوبَ مُختَلف البلدان الإسلامية، الأمر الذي سَاهمَ في تغيير فكرها وحضارتها نَحو الأفضل.[2]

لكن من الضروري هُنا أنَّ نشير إلى شيء مهم مفاده أن الكَنيسَة الأوروبية وجَراء خَوفِها وخَشيتها من تأثير الإسلام جنَّدت قواتها للكِتابة عنه وإِظهاره بصورة مُشَوهَة لتنفر المُسلِمين والأوروبيين منه وتمنعهم من اعتناقه. وهو ما دَفع بالبَاحثين للقول بأنَّ استشراق هذه الفَترة ماهو إلا "**أسلوب مواجَهة فردية للإسلام**"، هدفه الرئيس يتجلى في نشر المَسيحِيَّة في الشَّرق وتَنصِير المُسلِمين، مع السَّعي الحَثيث لإقنَاعِهم ببطلان دينهم استنادا إلى أفكَار كَانت قد أُخِذَت من الدِّين الإسلامي وشُوهت للطعن فيه.[3]

ثانيا -الاستشراق خِلال الفَترة الحَديثة

كان لفتح القسطنطينية عام 857هـ/ 1453م، ولتوسع العُثمانيين في أورُوبا الشَّرقية ووصولهم إلى حدود فيينا دَور كَبير في ازدياد روح التعصُب الدِّيني عند الغَرب المَسيحِي، وفي

[1] الشرقاوي، المرجع السَّابق، ص ص30 -31. أنظر أيضا: زقزوق، المرجع السَّابق، ص 25.

[2] محمد قطب، **المُستشرقون والإسلام**، ط01، مكتبة وهبة، القاهرة - مِصر، 1999م، ص 13.

[3] الشرقاوي، المرجع السَّابق، ص37.

ازدياد الدِراسَات الاستشراقية الرامية إلى دِراسة الإسلام والبَحث فيه للرد عَلى المُسلِمين ومواجهته في حَدِّ ذَاتِه والوقوف في وجه تَوسعاته المتزايدة.[1]

كما كان كذلِك للأوضاع التي شَهِدتها أورُوبا مطلع العصور الحَدِيثة، من كشوفات جغرافية سَاهمَت في ازدهار وثراء أورُوبا، ومن صراع داخلي راغب في التخلص من الفِكر والسَّيطرة الكنسية، وما انجر عنه من تطور علمي وفكري سَاهمَ بدَوره في بُروز النهضة ومن ثم حَركة الإصلاح الدِّيني، دَور كَبير في تَوجُّه الأوروبيين نَحو كتبهم الدِّينية كمحاولة لدراستها وفهمها وإِعادَة النَظر فيها. ليَتوجهوا عَقِب ذلك صَوبَ الدِراسَات العبرية، ثم العَربية فالإسلامية، لتشمل مع مرور الزَّمن مُختَلف الأديان واللُغات والثَّقافات. بغية إِحيَاء الثَقافة الأوروبية الكَلاسيكية ومن ثم إخضَاع المُسلِمين وخلق شعور النقص فيهم.[2]

رغم كل المساعي التي قام بها مستشرقو هذه الفَترة والتي قبلها، وكذا في ظل الازدياد الذي يشَهده هذا الأَخير لم يتمكن المُستشرقون من توحيد أهدَافهم لخِدمَة الكَنيسَة أو الاستِعمار إلا بحلول القَرن الثامن عشر. القَرن الذي أَضحَى فيه الاستشراق **حَركة منظمة** ذَات غايات ومَناهِج محددة. وفي ذَات الوَقت ضعفت فيه الدولة العثمانيَّة وكثرت الأطماع الأوروبية حول ممتلكاتها، بعد أن حرصت وتمكنت عَلى مدى سنين من حجب أنظار الغَرب عن مُختَلف المنَاطِق التَّابعة لَها خُوفا من طائل الاستِعمار.[3]

---

[1] وصف "**غوستاف لوبون Gustave Le Bon**" الأثر الذي خلفه سيطرة العُثمانيين عَلى القسطنطينية في قلوبهم فقال: {بَعد استِيلاء العُثمانيين عَلى الأسِتَانة يُذلوننا بحَضَارتهم السَّامِية السَّاحِقَة. لَقَد تَرَاكمَت الأوهَامُ المَورُوثَة المُتسلطَة عَلَينا، والنَّقمَة عَلى الإسلام وأشيَاعِه عِدَّة قُرُونٍ حَتى أَصبَحَت جُزءًا مِن نِظَامنَا}. للمزيد أنظر: علي حسن الخربوطلي، **المُستشرقون والتَاريخ الإسلامي**، د.ط، الهيئة المِصرية العامة للكِتاب، مِصر، 1988م، ص39.

[2] محمد الدعمي، **الاستشراق الاستجابة الثقافية الغَربية للتَاريخ العَربي الإسلامي**، ط02، مركز دراسات الوِحدَة العَربية، بيروت – لبنان، 2008م، ص52.

[3] تضاربت الآراء حول تَحدِيد الفَترة المهمة والرَسمِية للاستشراق، فهُناك من حدد القَرن الثامن عشر كبداية له وأرجع ذلك لجهود العلماء والمؤرخين الذين رافقوا "**نابليون بونابرت Napoléon Bonaparte**" في حملته على مصر والتي خلصت بفك

مما لا شك فيه أنَّ استشراق هذه الفَترة قد اتخذ صورا عَدِيدة، أهمها إنشاء الجمعيات التي تعنى بمُختَلف الدِراسَات الاستشراقية. والتي كان الاحتِلال وراء إنشائِها بغية التعرف أكثر عَلى الدُول التي يحكمونها مع دِراسة شؤونها دِراسة مستفيضة حتى يكون الحُكم عليها حكما دقيقا. من أمثال: "**الجمعيَّة الآسيوية The Asiatic Society**" البريطانية المؤسسة سنة 1720م. بالإِضافَة لتأسيسهم للمدارس التي تعنى باللغات الشرقية عَلى غِرار "**مدرسة اللُغات الشَّرقية الحية**" التي أسست بباريس عام 1795م.[1]

ثالثا - الاستشراق خِلال القَرن التَّاسع عشر وبعده

شَهِدت الدِراسَات الاستشراقية خِلال القَرن التَّاسع عشر أو كما سمي بقرن "**النهضة الاستشراقية**"[2] تطورا وازدياداً ملحوظا، مع اصطباغ العَدِيد منها بالمَوضُوعيَّة والدقة العِلمية. دون أن نَنسى أنَّ الهدف من ورائها كان اكتشاف الشَّرق بدلا من هدف الفَترة السَّابقة المتمثل

رموز حجر رشيد وكتاب "وصف مِصر Description de l'Egypte". وهناك رأي آخر في هذا يبين أن انطلاقة القَرن الثامن عشر مردها للجهود المبذولة في القَرن السابق له، الذي عرف اهتماما كَبيرا باللغة العَربية وما كتب بها وترجمتها للغة اللاتينية، هذا الذي كان يعني الإهتمام بما حُفِظَ فيها من كتب ومؤلفات ونصوص لا باللغة نفسها. للمزيد أنظر: عبد المجيد دياب، **تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره**، ط02، دار المعارف، القاهرة - مصر، 1993م، ص ص182 -183. أنظر أيضا: سوزان مارشاند، **الاستشراق الألماني في زمن الإمبراطورية**، تر وتق، رضوان السيد، ج01، ط01، المركز القومي للترجمة، مِصر، 2021م، ص 30. أنظر أيضا:

Robert Irwin, **For Lust of Knowing The Orientalists and their Enemies**, 1 pub, penguin group, London, England, 2003, p 87.

[1] محمد الدهان محمد، **قوى الشر المتحالفة الاستشراق - التبشير - الاستعمار وموقفها من الإسلام والمسلمين**، ط02، دار الوفاء، القاهرة -مصر، 1988م، ص ص72 -73.

[2] من خلال الإطلاع على الكتابات التاريخية المستعملة لهذا المصطلح يتراود على ذهن الباحث عدد من الأسئلة المتعلقة به، كأصل هذا المصطلح ومن هي أولى الشخصيات التي أطلقته، وهل يصح استعماله أم لا؟ ثم هل للاستشراق نهضة ونكسة؟ وهل النهضة الاستشراقية هذه تستوفي شروط النهضة؟ وهل هي مشابهة للنهضة الأوروبية على سبيل المثال، لها عوامل مساعدة على بروزها ونتائج إيجابية قد ترتبت عليها وقيود قد تحرر منها؟ أم هو مجرد استخدام للكلمات العربية فأوجدوا مصطلحا المراد به كثرة الدراسات الاستشراقية في القرن التاسع عشر دون غيره.

في إحياء الثَّقافة الأوروبية الكلاسيكية، فضلا عن اصطباغ الاستشراق فيها بالصفة العِلمية وأَضحَى أغلب مستشرقيه ممولين من الحُكومَات الأوروبية نضير الحصول عَلى دِراسَاتهم.[1]

أسفرت مساعيهم في الأَخير عن فك رموز الكتابات الهيروغليفية، المسمارية والسنسكريتية، كما ألقت الضوء عَلى الحضَارات الشَّرقية القديمة. وفي ذَات الفَترة سَعَى المُستشرقون كذلِك إلى التركيز عَلى الإسلام كمحاولة جديدة لفهمه، مع البَحث المستمر عن معارف، وثائق ومخطوطَات جديدة تخص الأمم الشَّرقية، دون أن يغفلوا عن إصدار الكُتب ذَات العَلاقَة بالحَضارة العَربية والإسلامية. ومع هذا ورُغم كل ما وصل له الاستشراق خِلال هذا القَرن ظل هُناك عدد من المُستشرقين لم يتنصلوا من روح التعصُب الدِّيني القديمة.[2]

من جَانبٍ آخر، ومُنذ أواخرِ القَرنِ الثامن عشر ضَعُفت قَبضة الدولة العثمانيَّة عَلى وِلاياتها وبَرزَت معها الأطماع الاستِعماريَّة بِشكل جلي، ما سَاهمَ في حُدوث تقاربٍ بين الاستشراق والاستِعمار استَمر من مطلع القَرن التَّاسع عشر ولِغَاية العقد الرَّابع من القَرن العِشرين، والذي بَرزَ كنَتيجَة لقِيام الدُول الاستِعماريَّة بتقريب المُستشرقين منها وحِرصها عَلى مصاحبة عدد منهم لحملاتها مع انتداب آخرين كمستشارين سياسيين أو ضُبَاط عسكريين، حتى يتسنى لها الظفر بدِراسَاتهم المُختَلفة ورسم خططها واستراتيجياتها الاحتِلالية. وللعلم بعد تمكن الدُول الأوروبية من فرض سيطرتها عَلى مناطق عَدِيدة من الشَّرق، ازدادت الرَّحلات والدِراسَات الاستشراقية أكثر فأكثر وازدادت معها عَمليات نقل الآثار والتراث الشَّرقي بحجة الحماية، ليظل قابعا في مُختَلف المتاحف والمكتبات الأوروبية والأمريكية لِغَاية الساعة.[3]

---

[1] الدعمي، المرجع السَّابق، ص ص51 -52.

[2] نفسه، ص ص53 -54، ص60.

[3] الخربوطلي، المرجع السابق، ص ص25 -42. أنظر أيضا: النملة، **كنه**.، المرجع السَّابق، ص ص52 -53.

جراء هذا تزايدت الدِراسَات الاستشراقية أكثر وتطور الاستشراق حتى أَضحَى فرعا من فروع البَحث، بَرزَت فيه مؤسسات مهنية ومَراكِز بحثية هَامة. وكَثُرت فيه التراجم والبُحوث الأكاديمية، وجَاءت أغلب الدراسات قَيِّمة وَوِفق أسسٍ ومنهَجية عِلمية. ومع ذلك كله سنبتعد عن التَّعميم في الحَدِيث وهذا بعد أن ظلت كِتابات عددٍ منهم تحوي في طياتها تعصبا قديما وانحيازا لعدم تمكن أصحَابها من الحياد عن ذلك.[1]

من الضروري أن ننوه كذلِك إلى أنَّ النشاط الاستشراقي خِلال هذا القَرن قد شَهِد تنظيما ملحوظا مقارنة بالقرون الماضية، فقد واصلت الدُول في تأسيسها للمدارس، الجمعيات والمجلات التي تستوعب أبحاث المُستشرقين ودِراسَاتهم. وبرزت المؤتمرات الاستشراقية للعيان كنشاط استشراقي أساسي منذ عام 1873م، يتم عَقدُها بشكل دَوري كل ثلاث سنوات، بهدفِ جمعِ المُستَشرقين من مُختَلف المنَاطِق للتنسيق بين جهودهم، تبادل الخبرات ومناقشة آخر التطورات العِلمية، السِياسيَّة والتَنصِيريَّة.[2]

مع نِهاية القَرن التَّاسع عَشر وبِدايةِ القَرن العشرين قرر عدد من المُستشرقين من مُختَلف الدُول الغربية التَنصل من الاستشراق الذي سَبَق هذه الفَترة ووصفوه **بعصر جاهلية الغربيين**، وذَهبَوا إلى تبرئة أنفسهم منه إن صح القَول بعد أن تأكَّدوا من كونه ذو مساعٍ وأهدَاف استِعماريَّة وتَنصِيريَّة. وصمموا عَلى التَوجُّه صَوبَ انتِهاج المنهَجية العِلمية في كِتاباتهم، الأمر الذي دَفعَ بالعَدِيد من البَاحثين إلى القَول بأن القَرن العِشرين هو البداية الفعلية "**للاستِشراق العلمي**" أو كما سماه بَعض المُستشرقين بـ "**مرحلة النَظرة الوَاقِعية**".[3]

---

[1] لوكمان، المرجع السَّابق، ص ص129 -130. أنظر أيضا: الخربوطلي، المرجع السَّابق، ص 43.

[2] الشرقاوي، المرجع السَّابق، ص ص31 -32. أنظر أيضا: الدهان، المرجع السَّابق، ص ص72 -73. يوسف أسعد داغر، **"حول مؤتمر المُستشرقين الدُولي الرَّابع والعشرين"**، الأديب، ع12، لبنان، 01 ديسمبر 1957م، ص 23.

[3] هُناك فئة كَبيرة من البَاحثين العَرب ومن الدراسين لحَركة الاستشراق التي رفضت الفِكرَة القائِلَة بعِلمية الاستشراق، وبانتِهاج هذا الأَخير للمنهَجية العِلمية في الأَبحَاث. وهذا استِناداً إلى مجموعة من الأفكار مفادها أنه ليس إلا حَركة

من أمثالِ المُستشرقين "**ريتشارد ساذرن Richard Southern**"[1] الذي قال عنه: {لا يَجِبُ عَلينَا أن نَنتَظِر من تِلكَ الفَترَة أن يَتِّم فِيها نَقد الإسلام بروحٍ حُرة غَير مُقَيَّدة وعِلمِية وأكاديمِيَّة وبِمبادِئ وتَقَاليدَ إنسَانِيَّة}. وكذا "**ويليام جونز Jones William**"[2] الذي بيَّنَ في أحدِ خطاباته رفضهُ وعدم رضاه عن استخدم مُصطلح "شرقي" واختار بدلا عنه مصطلح "آسيوي"، وأكد أنَّ السبب الأساسي وراء رفضِه هذا يكمنُ في نسبية المصطلح الأول وعدم تقديمه لأشياء جديدة ومميزة عند الأوروبيين كونه يعكس بالنسبة لهم -الآخر -فقط.[3]

وكذا المُستشرقة الرومانية "**ناديا أنجيليسكو Nadia Anghelescu**"[4] التي كَانت تتهرب وترفض تسميتها بالمُستشرقة، وهذا على حد قولها بِسَببِ نَظرة العَرب للمُستشرق وما

استِعماريَّة منظمة ومدعمة ماليا من قبل الحُكومَات الأروربية. وأنَّ الصورة الحسنة البارزة في دِراساتِهم عن الإسلام هدفها إبراز فِكرَة نزاهة الفكر الغَربي وخلق نوع من التفاهم بين المُسلِمين والأوروبيين. لذلك كان لزاما عَلى البَاحثين دِراسة وتقييم أعمال المُستشرقين لمعرفة الهدف الحقيقي من وراء دِراساتِهم. للمزيد أنظر: سعد الدِّين السيد صالح، **احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام**، ط01، مكتبة التابعين، القاهرة - مِصر، 1998م، ص ص109 -110.

[1] **ريتشارد ساذرن Richard Souther (1912 -2001م)**: مُستشرق بريطاني، محاضر جامعي ومُؤرخ لتَاريخ العصور الوسطى، درس عَلى يد ثلة من المُستشرقين من أمثَال "موريس بوكاي" الفِرنسي. عَمِل في مجال التَدريسثم انضم للجيش البريطاني برتبة ضابط متدرب، فملازم ومن ثم "قائد" ليتم عقبها ضمه لقسم الاستخبارات السِياسيَّة بلندن. للمزيد أنظر:
Alexander Murray, **Southern Richard William 1912- 2001**, "The British Academy", V120, UK, 30 May 2019, pp 413, 424- 430.

[2] **ويليام جونز William Jones (1746 -1794م)**: مُستشرق، شاعر، رياضي ومن كبار القضاة والمحامين البريطانيين. خريج جامعة أكسفورد، متقن لعدد من اللُغات الشرقية واللُغات القديمة كالعَربية، الفارسية، العبرية، السنسكريتية وحتى الصينية. تقلد خِلالِ فَترة شبابه وظائف عديدة وراقية فعين مفوضا، ومن ثم قاضيا بالمحكمة العليا بالهند، أسس الجمعيَّة الآسيوية للبنغال عام 1784م وتولى رئاستها، كما اشتهر بكونه أب الدراسات الهندية في أوروبا. من بين أبرز أعماله وآثاره تأسِيسِه للجمعيَّة الآسيوية للبنغال وتوليه رئاستها لغاية وفاته، تأليفه وترجمته لعدد من الكتب عَلى غِرار كِتابه: "قواعد اللغة الفارسية" و" أخلاق العَرب قبل عصر محمد". للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص ص47 -48.

[3] Madhu Benoit, **Sir William Jones et la représentation de l'inde**, Ellug – Université Stendhal, Grenoble, 2011, p13.

[4] **ناديا أنجيليسكو Nadia Anghelescu**: مُستشرقة رومانية وأستَاذة اللغويات بجامعة بوخارست، متخصصة في اللسانيات العَربية والأنثروبولوجيا. رفضت أن يطلق عليها مُصطلح مُستشرقة وفضلت بدلا عنه مُصطلح "مستعربة". للمزيد أنظر:

يُضمِرونه للاستِشراق في ذَات الوَقت. دون أن نغفل عن المستشرق الأمريكي **"جون إسبوزيتو John Esposito"**[1] الذي قَال:{ يَجِبُ الفَصلُ تَماما بَينَ الاستشراق الجَدِيدِ والاستشراق المَاضِي لِهذَا السَبب: فَكَم يَحمِلُ اسمُ المُستَشرِقِ مِن أُمورٍ تُقلِلُ مِن شَأنِهِ بحيثُ إنني لا أَرضَى بأن يُطلَقَ عَليَّ اسمُ مُستَشرِق...، بَل تُنَادُونَنِي باسمِ العَالِمِ المُتخَصِصِ في الإسلام "Islamist"}.[2]

دون أن نَغفل عن إبداء رأي المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**"[3] الذي رفض في إحدى المقابلات التي قام بها أن يتسمى بمُستشرق، وبَيَّن فيها كرهه لهذا المُصطلح باعتباره

Artur Lakatos, **"Arab Identity And CultureThrough Romanian Eyes"**, Journal for the study of Religions and Ideologies, V09, N25, Romania, 2010, p 200.

[1] **جون إسبوزيتو John Esposito:** مستشرق أمريكي معاصر وذو أصول إيطالية، من مواليد مدينة نيويورك لعام 1940م. أستاذ في الشؤون الدولية والأديان، ورئيس للعديد من الهيئات التي تهتم بالشرق الأوسط والإسلام، ورئيس تحرير موسوعة أكسفورد الموسومة "بالعالم الإسلامي المعاصر". للمزيد أنظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة، **الاستشراق والدراسات الإسلامية مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم**، ط01، مكتبة التوبة، الرياض -المملكة العربية السعودية، 1998م، ص132. أنظر أيضا:

John Esposito, **The Straight Path**, 03 edi, Oxford University Press, New York- US, 2005, P i (interface)

[2] علي بن إبراهيم النملة، **الشرق والغَرب مُنطلِقات العلاقات ومحدداتها**، ط03، بيسان، المملكة العَربية السعودية، 2010م، ص ص152، 154.

[3] **برنارد لويس Bernard Lewis (1916 -2018م)**: مستشرق بريطاني أمريكي ذو أصول يهودية، متخصص في تاريخ الإسلام، الدولة العثمانية والشرق الأوسط، ذو دراية واسعة باللغات وبطرق الكتابة التاريخية الجديدة. متحصل على درجة الدكتوراه من جامعة لندن عام 1939م عن دراسة أجراها عن أصول الإسماعيلية. نشط في مجالات عديدة تنوعت بين التأليف، كتابة المقالات، إلقاء المحاضرات وإجراء المقابلات والمناظرات، ويمكن أن نقول أنَّ من أبرز أعماله تأليفه للكتب المعالجة للتاريخ الإسلامي والعثماني وتاريخ الشرق الأوسط التي لقيت قبولا واسعا في العالم وترجمة لأزيد عن عشرين لغة. والتي فاقت الثلاثين كتابا من بينها: كتابه الموسوم بـ" The Arabs in History" الذي نشره عام 1950م، وكذا كتاب "The Emergence of Modern Turkey" الذي نشره عام 1961م، بالإضافة لكتاب آخر نشره عقب هذا بسنتين يصب في تاريخ الدولة العثمانية بعنوان " Istanbul and the Civilisation of the Ottoman Empire". للمزيد أنظر:

Martin Kramer : Bernard Lewis, **"Encyclopedia of Historians and Historical Writing"**, v01, London, 1999, pp 719- 720. See as well : Carole Hillenbrandm : **"Bernard Lewis 31 May 1916- 19 May2018"**, Biographical Memoirs of Fellows of the Britich Academy, V19, Britich Academy, UK, 2020, p 233.

مُصطلحا منتهي الصلاحية وغير دقيق، وفَضَّل أن يلقب بالمُؤرخ المختص في مجال الشَّرق الأدنى. كما دعا من خِلالها إلى رَمي مُصطلح الاستشراق في مزبلة التَّاريخ، لما علق بهذا الأَخير من شوائب وصفات غير لائقة، ولكنه مع ذلك بين أنَّ مزابل التَّاريخ أماكن غير نهائية وغير مضمونة وما رُمي فيها يُمكن أن يَعود مرة أخرى. لِذلِك كله سَعَى هو والمُستشرقين خِلال الفَترة المعاصرة إلى التَّخلي عن استعمال هذا المُصطلح بصفة رَسمِية، وهذا في مؤتمر المُستشرقين التَّاسع والعشرين الذي عقد بباريس عام 1973م/ 1394هـ.[1]

لتضيق عقبها دائرة الاستشراق منذ النصف الثاني من القَرن العشرين، بعد تَمكنِ دول الشَّرق من نيلِ استقلالها وقِيامها بإغلاقِ أبوابها في وجهِ المُستشرقين. الأمر الذي دفعَ بهم نحو البَحث عن مجال وميدان جديد للدِراسة بعيدا عن الميدان العَربي، فتوجهوا صَوبَ البلدان غير العَربية في كل من آسيا وإفريقيا والتي لا يزال أغلبها في أول طريق الحَضارة. فضلا عن تغييره لمنهجيَّتِه وأساليبه بعد أفول المؤسسات التقليدية وتوجهه نحو دِراسة المنَاطِق والدِراسَات الإقليمية والقطرية "**Erea Studies**"، مع البحث في مجال الدِراسَات السِياسيَّة والاقتِصادية عوضا عن الدِراسَات الدِّينية، والسعي الحثيث إلى نقل الثَّقافة الأوروبية نَحو الشَّرق بدلا من مواجَهة التأثير الإسلامي عَلى المُجتَمعات الغَربية.[2]

---

[1] نفسه، ص ص154 -155. أنظر أيضا: **العَرب والإسلام والغَرب والظُرُوف الراهنة مقابلة مع برنارد لويس**، أسرة تحرير التسامح، موقع الحوار اليوم. http://www.alhiwartoday.net/node/1310 .

[2] الخربوطلي، المرجع السَّابق، ص ص48 -51. أنظر أيضا: زكاري، المرجع السَّابق، ص174. أنظر أيضا: محمد خليفة حسن، **أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر**، ط01، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2000م، ص ص91 - 95. أنظر أيضا: إسماعيل أحمد عمايرة، **المُستشرقون وتَاريخ صلتهم بالعَربية**، ط02، دار حنين، عمان - الأردن، 1992م، ص ص56، 58.

III. مَدارِس الاستشراق

إنَّ المطلع على الكتابات التَّاريخية الدارِسة للاستِشراق يلحَظُ نوعين مِن التصنِيفات الخاصة بالمدارِس، فالأول هو الأسهل والأشهَر يعتمِدُ على تقسيمِهَا وِفقًا لأسماءِ الدول. أما الثاني وهو الأصعب كونه يحدد المدارس وفق انتماء رُوادها وأهدَافهم، يصعُب وِفقًا له تَحدِيد خصائِص المدرسة أو حتى ضبط روادها لتداخل المواضيع التي تطرقوا لها بالبحث والمعالجة.[1]

أولا - المَدرَسة الاستشراقية الفِرنسية

هي من بين أبرز وأقدم المَدارِس الاستشراقية وأكثرها باعا في الدِراسَات والبُحوث التي تُعنى بالشَّرق، ومرد هذا للعلاقات الفِرنسية القديمة مع الشَّرق عامة ومع العالمين الإسلامي والعَربي عَلى وجه الخصوص. وإذا أردنا أن نضبط وقتا محددا لبدايات الاهتِمام

[1] بالحديث عن التصنيف الأخير القائم على تحديد المدارس وفق انتماء رُوادها وأهدَافهم، فإنه يصعب وفقا له تَحدِيد خصائص المدرسة أو حتى ضبط مُستشرقيها بشكل دقيق لتداخل المواضيع التي تطرقوا لها بالبحث والمعالجة. بناء عليه المدارس ثلاثة فئات: الأولى هي **مدرسة الاستِشراق الدِّيني التَنصِيري** العاكسة لمرحلة نشأة الاستِشراق في كنف الكَنيسَة، روادها إما من القساوسة والرهبان الذين عكفوا عَلى دِراسة الإسلام ومن ثم محاربته ومواجهته، أو ممن تعاون معها أو استغلت دراساتهم من طرف الكنيسة. أما الثانية فهي **مدرسة الاستِشراق السياسي الاستِعماري** العاكسة للتنافس الحضاري بين الشَّرق والغَرب وللعلاقات القائمة بينهما، برزت بسبب تخوف الأوروبيين من انتقال الحَضارة الإسلامية نَحو الغَرب ورغبتهم في وضع حد للأمر، خاصة بعد تخلفهم وازدهارها منذ أواخر القَرن السَّابع للميلاد ولِغَاية حرب ليبانتو. لذلك خصصت الحُكومَات الأوروبية أماكن محددة لمُختَلف الأنشطة الاستِشراقية، وكلفت عددا ليس بهين من المُستشرقين بمهام محددة وأدرجت بَعضهم في سفارتها الخَارجية ممن لهم القدرة عَلى التعامل السياسي مع إجادتهم للغة تِلكَ المَنطِقة وأشرَكت آخرين في العمل الاستِعماري. في حين كانت آخر مدرسة في هذا التقسيم تخص **مدرسة الاستِشراق العلمي** التي تعكس توجه المُستشرقين نَحو الاستزادة من العلوم والبَحث عن الحكمة ومُختَلف ضروب المَعرِفة، وكذا نَحو انتِهاج المنهَجية العِلمية في أبحَاثِهم ودِراسَاتهم المُختَلفة. للمزيد أنظر: زماني، المرجع السابق، ص ص156 -158، 169 وما بعدها. أنظر أيضا: روبن بدول، **الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**، تر، عبد الله آدم نصيف، د.ط، د.د، الرياض، 1989م، ص ص54 -62. أنظر أيضا: عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، **روايات غَربية عن رحلات في شبه الجزيرة العَربية 1500 -1840**، ج01، ط01، دار الساقي، بيروت -لبنان، 2013م، ص 108 -110.

الفِرنسي بالدِراسَات العَربية والإسلامية يُمكن أن نقول أنها تعود للقرن الثاني عشر للميلاد بعد أن أوفدت هذه الأَخيرة طلابها صَوبَ الأندلس بهدَف الاستفادة من علوم العَرب ودِراسَاتهم الفلسفية والطبية، من أمثَال الراهب "**جربرت دي أورلياك de Oraliac Gerbert**" و"**بطرس المحترم Petrus Venerabilis, Pierre le Venerable**"[1].

الجدير بالذِّكر هُنا أنَّ هذه المَدرَسة أنشأت ومنذ وقت مبكر أقساما خَاصة بالدِراسَات العَربية والإسلامية، كراسي ومَراكِز للُغات الشَّرقية في عدد من المَعاهِد والجَامِعات الفِرنسية، مثل "**قسم الدراسَات العَربية والإسلامية**" المؤسس في عام 1248م بجَامعَة باريس. هذا فَضلاً عن جمعها لمُختَلف المخطوطَات والآثار العَربية والإسلامية من كتب، أختام ومسكوكات ووضعها بمُختَلف المتاحف والمكتبات الفِرنسية. وللعلم فإنَّ مكتبة باريس الوطنية لوحدها تحوي أزيد من سبعة آلاف مخطوط عربي وآثار مُختَلفة.[2]

تطورت الدِراسَات الاستشراقية بهذه المَدرَسة وأخذت منحى جديد منذ القَرن السادس عشر بعد أن نَشأت علاقات حَسنة بين الدولة العثمانيَّة وفِرنسا، وتم بذلك إرسَال وفد فرنسي إلى الشَّرق برئاسة المُستشرق "**غليوم بوستل Guillaume Postel**"[3] لشراء وجمع مُختَلف

---

[1] محمد فاروق النبهان، **الاستشراق تعريفه ومَدارِسه وآثاره**، د.ط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط -المملكة المغَربية، 2012م، ص 22 -23.

[2] زماني، المرجع السَّابق، ص 297 -298.

[3] **غليوم بوستل Guillaume Postel (1505 -1581م)**: مستشرق فرنسي، أجاد العديد من اللغات الشرقية والغربية كالعربية، التركية، السريانية، اللاتينية، اليونانية، الإيطالية، الاسبانية والبرتغالية. الأمر الذي جعل ملك فرنسا "فرانسوا الأول" يرسله للشرق ويلحقه بالسفارة الفرنسية المتواجدة بالدولة العثمانية بهدف شراء المخطوطات الشرقية على اختلاف أنواعها. عُين أستاذًا للغة العربية واليونانية والعبرية لكنه لم يستمر في هذا العمل فقد توجه نحو الدولة العثمانية ودرس بها اللغة العثمانية وتضلع فيها إلى جانب اللغة العربية، ليعود عقبها لبلده ويعين كأستاذ للرياضيات بجامعة باريس عام 1551م، ثم عين بعد سنة من ذلك كأستاذ للعربية واليونانية بجامعة فيينا. من أبرز مؤلفاته: "Arabia Grammatica"، "جمهورية الترك"، "وصف القاهرة". للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السابق، ج01، ص ص158 -159. أنظر أيضا: بدوي، المرجع السابق، ص ص135 -138.

المخطوطَات الشَّرقية ومن ثم نقلها للغرب، فوضع بذلك هذا الأَخير الدعائم الأولى للاستِشراق وللدِراسَات الإسلامية في فِرنسا والغَرب ككل.[1]

ليأخُذَ الطابع العلمي للاستِشراق الفِرنسي في البُروز مُنذ أواخِرِ القَرن الثامِن عشر بعد أن تم فصلُه عن سَيطرةِ الفِكر اللاهوتي والكنسي من جِهة، وبعد إنشاء فِرنسا للمؤسسات الاستشراقية مثل "**المَدرَسة التطبيقية للدِراسَات العليا**" و"**College de france**" المنشأتين في ستينات القَرن الثامن عشر. بالإِضافَة "**لمدرسة اللُغات الشَّرقية الحية**" المنشأة عام 1795م بباريس، والتي كان لها الدَور البَارِز والريادي في تطوير الدِراسَات الاستشراقية الفِرنسية أكثر فأكثر، وفي ربط هذه الدِراسَات بالاستِعمار عن طريق تزويد الحملات الاستِعماريَّة -كالحَملَة الفِرنسية عَلى مِصر - بالمتَرجمِين ومُختَلف العُلماء المتخصصين.[2]

مما لا شك فيه أنَّ فِرنسا كغيرها من الدُول الأوروبية لم تخرج عن النطاق العام للاستِشراق، فقد قَامَت هي الأخرى بإنشاء المعاهد، الجمعيات والمجلات المستوعبة لدراسات المستشرقين وأبحاثهم من جهة، ووجهت أنظارها الاستِعماريَّة صَوبَ القارة الإفريقية خِلال القَرن التَّاسع عشر، وسخرت لتَحقيقِ ذلك عددا من المُستشرقين للاستفادة من دِراسَاتهم ومُختَلف أبحَاثِهم، وجعلت بَعضهم كجزء مكمل وممهد لتَحقيقِ الأهدَاف الاستِعماريَّة. ولعل أبرز مثال يُجسد التعاون بين الاستشراق والاحتِلال الفِرنسي يظهر في مساعي الراهب

[1] عبد المتعال محمد الجبري، **الاستشراق وجه الاستعمار الفكري**، ط01، مكتبة وهبة، مصر، 1995م، ص131. أنظر أيضا:

Robert Irwin, **For Lust of Knowing The Orientalists and their Enemies**, 1 pub, penguin group, London- England, 2003, p67.

[2] نفسه، ص 53. أنظر أيضا: بنسالم حميش، **العَرب والإسلام في مرايا الاستشراق**، ط01، دار الشروق، مِصر، 2011م، ص37.

الفرنسي "**شارل دي فوكو Charles de Foucauld**"[1] الذي أرسل عام 1883م نَحو جنوب الجزائر لدِراسة المَنطِقة دِراسة دقيقة ومستفيضة تشمل دِراسة المُجتَمع ولُغاته، ليتم احتلال الجنوب الجزائري عقبها بثلاث وعشرين سنة ويكون هو الممهد لاحتلالها.[2]

لا يفوتنا أن ننوه هنا أنَّ رواد هذه المدرسة ركزوا في دراساتهم على الجانب الديني، وسعوا منذ البدايات الأولى لهذه المَدرَسة إلى نشر الكاثوليكية في الشَّرق ومُنافسةِ المذاهب المَسيحِية الأخرى. اهتموا كذلِك حَسبَ إجمَاع البَاحثين بالدِراسَات التَّاريخية والجغرافية للشرق في الفترات السابقة للإسلام، وباللغة العَربية وكل ما له عَلاقَة بها من فِقه، نَحو وآداب وخلفوا في ذلك أبحاثا ومؤلفات جمة. فَضلاً عن توجههم منذ النصف الأول من القَرن العشرين للاهتمام باللهجات العَربية العَامَية خَاصة المغاربية منها. والذي جَاء كمشروع استعماري اقترحتهُ فِرنسا وسعت لتطبيقه عَلى أرض الوَاقِع بغية القضاء عَلى الوِحدَة العَربية وزيادة التفرقة بين العَرب.[3]

---

[1] **شارل دي فوكو Charles de Foucauld (1858 -1916م):** اسمه الكامل "شارل أوجين دو فوكو Charles Eugène de Foucauld" منصر وعسكري فرنسي أرسل إلى الجزائر كملازم عام 1880م، لكنه ما لبث أن استقال من العمل العسكري بعد سنتين من ذلك. وبِسَببِ إعجابه بطبيعة الجزائر ورغبته في اكتشاف المغرب القريب منها والمجهول عند الأوروبيين فقصد هذا الأخير بعد تحضير طويل مع مرشد يدله عَلى الطريق واستقر به مدة من الزَّمن وما لبث أن عاد لبلده عام 1900م، ليقصد الجزائر عام 1901م ويتوجه نَحو "بني عباس" في الصحراء الجزائرية، ليزور عام 1904م الطوارق القاطنين بقلب الصحراء رغبة في تنصيرهم، قتل هذا الأَخير مع نِهاية عام 1916م. للمزيد أنظر:

René Bazin, **Charles De Foucauld Explorateur du Maroc Ermite Au Sahara**, Plon- Nourrit, Paris, 1921, pp 06, 18, 20, 49, 202. See as well : Association Famille Spirituelle Charles de Foucauld, **"Biographie de Charles de Foucauld"**, 03-10-2024, 12 :38, https://www.charlesdefoucauld.org/fr/biographie.php

[2] حميش، المرجع السَّابق، ص 52. أنظر أيضا: النبهان، المرجع السَّابق، ص 27.

[3] سالم الحاج ساسي، **نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية**، ج01، ط01، دار المدار الإسلامي، بيروت - لبنان، 2002م، ص ص109 -116.

انطلاقا من الفِكرة القائِلَة بأنَّ المَدرَسة الاستشراقية الفِرنسية كَانت في طليعة المَدارِس الاستشراقية، فلهذه الأَخيرة عددٌ لا يستهان به من الرُواد الذين عكفوا عَلى دِراسة الشَّرق من جَمِيع مناحيه، فاستهل بَعضهم الطريق وأكمل آخرون المسار، ويمكن أن نذكر منهم كلا من: "**جان سوفاجييه J، Sauvaget**"[1]، "**روبير مانتران R. Mantran**"[2]، "**هنري لورانس Henry Lawrence**"[3]، "**إتيان دينيه Dinet, Etienne**"[4].

[1] **جان سوفاجييه J،Sauvaget (1901 -1950م):** مُستشرق فرنسي ومحاضر، أجاد إلى جَانب لغته الأم العَدِيد من اللُغات الشَّرقية كالتركية، الفَارسِية والعَربية. من بين أبرز أعماله: مقاله "مسرد للآثار الإسلامية في مدينة حلب" والمنشور بمَجلَّة الدِراسَات الإسلامية، وكتاب "مصادر دِراسة التَّاريخ الإسلامي"... للمزيد أنظر: كارين صادر، "**جان سوفاجييه المُستشرق الفِرنسي الذي عاش حلم حلب (1901 -1950م)**"، آفاق المَعرِفة، ع 508، جانفي 2006م، سوريا، ص ص301 -303.

[2] **روبير مانتران R. Mantran (1917 -1999م):** مُستشرق وأستَاذ بجَامعَة إكس بروفانس، متحصل عَلى شهادة الدِراسَات العليا للتَاريخ وعَلى درجة الدكتوراه في الآداب من جَامعَة السوربون.. خلف دراسات وكتب عَدِيدة منها كتاب "تَاريخ الدولة العثمانيَّة". للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السَّابق، ج01، ص ص364 -365.

[3] **هنري لورانس Henry Lawrence:** مُستشرق فرنسي من مواليد عام1954م، خلف مؤلفات عَدِيدة عن الشَّرق منها: "Campagnes d'égypte et de Syrie de Napoléon Bonaparte". للمزيد أنظر: هنري لورانس، **الأزمات الشرقية - المسألة الشرقية واللعبة الكبرى (1768 -1914م)**، تر، بشير السباعي، ط01، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مِصر، 2018م، ص ص298 -304.

[4] **دينيه Dinet, Etienne (1861- 1929م):** مُستشرق ومصور فرنسي ارتبط بشكل وثيق "بجمعية الرسامين المستشرقين الجزائريين Société des Peintres Orientalistes Algériens"، اعتنق الإسلام عام 1927م بالجامع الجديد بمدينة الجزائر وتسمى بناصر الدِّين دينيه، ليتوجه عقبها بسنة واحدة لأداء مناسك الحج. من بين أبرز آثاره كِتاب "أشعة من نور الإسلام"... فضلا عن اللوحات القيمة القابعة بالمتاحف الفِرنسية والتي تعكس صور الصحراء الجزائرية وحياتها. للمزيد أنظر: ناصر الدِّين دينيه، **أشعة خاصة بنور الإسلام**، د.ط، المطبعة السلفية، مِصر، 1929م، ص ص07 - 09. أنظر أيضا:
Hélène Gill, **The Language of Franch Orientalist Painting**, The Edwin Mellen Press, UK, 2003, pp103- 105, 109.

ثانيا - المَدرَسة الاستشراقية الألمانية

يعود الاهتِمام الألماني الجاد بالدِراسَات العَربية الإسلامية إلى أواخر القَرن الخامس عشر وبدايات القَرن السادس عشر، جاء كنتيجة لاهتمامهم بالمخطوطَات العَربية عَلى غِرار تِلكَ التي أوفدها "**غليوم بوستل Postel**" لألمانيا، ولقِيامهم بإعداد تراجم للكتب المقدسة للغة اللاتينية. ليتزايد الاهتمام بالاستشراق خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر فتم تأسيس المطابع، والتشجيع على تعليم اللغات السامية.[1]

تجدر الإشارة هنا، أنَّهُ وخِلال هذه الفترة لم تولِ هذه المدرسة اللغة والدِراسَات العثمانيَّة أي اهتمام إذا ما قورن الأمر بالدِراسَات العَربية، ومردُّ هذا للصِّراع الذي كان قائما بين النمسا والدولة العثمانيَّة نتيجة لتوسعات هذه الأَخيرة عَلى حِساب الأراضي النمساوية. ولكن ومع توقف الفتوحات العثمانيَّة عند أسوار فيينا عام 1683م وتراجع الدولة العثمانيَّة وتغير مكَانتها، ومع قِيام علاقات قوية بينهما خِلال فَترة أواخر الحُكم العُثماني توجه المُستشرقون نَحو هذه الدِراسات والبحث فيها وفي دين هذه الدولة بكل أريحية.[2]

توالت الدِراسَات الاستشراقية بالمَدرَسة الألمانية وسارت في ذلك عَلى خطى المدرستين الفِرنسية والإنجلِيزية، فأنشأت الجمعيات، المجلات، المعاهد، المتاحف والمَدارِس كـ**الجمعيَّة الشَّرقية الألمانية للدِراسَات الإسلامية** المنشأة عام 1845م ومجلتها الموسومة بـ"**عالم الإسلام**"، بالإضافة لمتحف الفن الإسلامي وكذا مدرسة اللُغات الشَّرقية المنشأة في برلين سنة 1887م.[3]

الجدير بالذِّكر هُنا أنَّ هذه الدِراسَات ظلت مرتبطة بالفِكر اللاهوتي لغاية القرن التَّاسع عشر الذي شَهِدت فيه أغلب المَدارِس الاستشراقية توجها علميا وانفصالا عنه. بفضل

---

[1] يوهان فوك، **تَاريخ حَركة..**، المرجع السَّابق، ص ص55 -56. أنظر أيضا: المطوري، المقال السَّابق، ص 193.

[2] يوهان فوك، **تَاريخ حركة..**، المرجع السَّابق، ص ص94، 96، 97 -98.

[3] العقيقي، المرجع السابق، ج02، ص 341. أنظر أيضا: المطوري، المقال السَّابق، ص 201.

ترابط العلاقات الألمانية بالشَّرق من جهة وتوحيد الألمانيتين من جهة أخرى واستعمار هذه الأَخيرة لعدد من المنَاطِق الإفريقية، وكذا نتيجة لجهود عدد منهم المتمثِّلَة في الترحال صَوبَ الشَّرق وتدوين مشاهداتهم عنه، فَضلاً عن إقامة مؤسسات استشراقية في كل من بيروت، القاهرة، العاصمتين العثمانيَّة والألمانية، الأمر الذي أحدث نقلة نوعية في كِتابات المُستشرقين الألمان وجعل بها نسبة كَبيرة من الدقة رغم كينونتها العلمانية. [1]

لا يفوتنا أن ننوه هنا أنَّ هذه المَدرَسة عُنيت بالدِراسَات العَربية والإسلامية، الآثار، الفنون وبالقضايا الحَدِيثة للعالمين العَربي والإسلامي، فترجم مُستشرقوها المؤلفات والمصادر العَربية واهتموا بجمع المخطوطَات القيمة ومن ثم فهرستها وترجمتها للُغاتهم.[2] وللعلم فقد كان لها كغيرها عدد من الرواد يمكن أن نذكر منهم: **"جوزيف بورجشتال Hammer-Joseph"**[3]، **"كارل جوتليب يفاندر Karl Gottlieb pfander"**[4]، **"إجناتس جولد تسهير Ignác Goldziher"** [1]، و**"هلموت ريتر Ritter Hellmut"**[2].

---

[1] أمجد أحمد سليمان، **"الاستشراق والتغلغل الألماني في الدَّولَة العُثمانية دراسة في وظائف وأدوار الاستشراق الألماني في الربع الأَخير من القَرن التَّاسع عشر"**، دراسات للعلوم الإنسانية والاجتِماعية، مج46، ع01، 2019م، الأردن، ص360. للمزيد أنظر: رضوان السيد، **المُستشرقون الألمان النشوء والتأثير والمصائر**، ط02، دار المدار الإسلامي، بيروت -لبنان، 2016م، ص 34.

أنظر أيضا:

James Herman, **Carl Heinrich Becker and the making of the modern orient**, Thesis, Georgia State University, USA, 2014, p 01.

[2] ساسي الحاج، المرجع السَّابق، ص ص130 -135. للمزيد أنظر: جحا ميشال، **"الدراسات العَربية والإسلامية في أوروبا"**، مرا، يحي حمود، مجلة الإنماء العَربي للعلوم الإنسانية، ع 31، جانفي، السنة الخامسة، بيروت، 1981م، ص 186.

[3] **جوزيف فون هامر برجشتال Joseph Von Hammer Purgstall (1774 - 1856م)**: مستشرق نمساوي أجاد خلال حياته عشرة لغات فهما وكتابة كالعربية، الفارسية والعثمانية. ما دفع بحكومته لتعيينه كمترجم بالأستانة ثم بمصر، لتجعله بعدها قنصلا ومستشارا للحكومة النمساوية. خلف عددا من الكتب والمقالات منها: كتابه "تاريخ الدولة العثمانية". للمزيد أنظر: يحي مراد، **معجم أسماء المستشرقين**، د.ط، كتب عربية، د.د، د.ت، ص ص1073 -1075.

[4] **كارل جو تليب يفاندر Karl Gottlieb pfander (1803 -1865م)**: أستاذ لاهوت، قس ومناظر ألماني وصاحب كتاب "ميزان الحق". زاول دراسته الجامعية بكلية بازل الألمانية، حاضر عن القرآن ودرس اللغة العربية، ليسعى عقب تخرجه إلى تنصير

ثالثا - المَدرَسة الاستشراقية الأمريكية

ورثت أمريكا عن أورُوبا أغلب مُستشرقيها الذين هاجروا نَحوها عقب الاستِقلال، بالإِضافَة لكامل أدبياتها الخَاصة بالشَّرق، من تراجم للقرآن الكريم ومؤلفات تخص التَّاريخ العَربي وغيرها. ما جعل أغلب البَاحثين ينبُذون الفِكرة القائِلَة بأنَّ الدِراسَات الاستشراقية الأمريكية قد بدأت بداية جديدة من الصفر ويؤكدون أنها بدأت من تجربة أوروبية.[3]

بالعودة للقرن الثامن عشر وبالضبط لتاريخ استقلال أمريكا نجد أنَّ الشرق لم يكن معروفا عند الأمريكيين سوى بشكل قليل، وذلك عن طريق ما قرأوه من كتاب ألف ليلة وليلة ومن نسخة الكتاب المقدس "للملك جيمس The King James"، فضلا عن ذلك فالإسلام لم يجسد في الإدراك الأمريكي سوى تلك العقيدة الشريرة والهمجية، لتزداد هذه الأوصاف وتكثر بحلول القرن التاسع عشر مع كثرة معرفتهم بالشرق. ولعل أول دِراسة

المسلمين وإيصال الإنجيل لهم فقام برحلات نحو بغداد، الهند والدولة العثمانية، وقد أفضت به إحدى رحلاته إلى الدخول في مناظرة مع الشيخ الهندي "رحمة الله الكيرانوي" بمدينة أكبر أباد كانت الغلبة فيها للشيخ رحمة الله. للمزيد أنظر:
Clinton Bennett, **The Legacy of Karl Gottlieb Pfander**," International Bulletin of Missionary Research", V20, UK, April 1996, p p76- 77.

[1] **إجناتس جولد زيهر Ignaz Goldziher (1850 -1921م)**: مستشرق وأستاذ للغات السامية يهودي الأصل، أخذ الدراسات الشرقية ودرجة الدكتوراه على يد المستشرق الألماني فليشر، ليعين عقبها كمدرس مساعد ببودابست، غير أنه لم يستمر في ذلك مدة طويلة فقد أرسل في بعثة دراسية خارج بلده، فتوجه لفيينا وعمل بها، ثم نحو ليدن، ثم توجه للشرق وأقام بالقاهرة وزار سوريا وفلسطين. ألف عددا من الكتب والدراسات والأبحاث من بينها: " العقيدة والشريعة في الإسلام". للمزيد أنظر: مصطفى عبد المعبود، **موسوعة المستشرقين اليهود**، ط01، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة -مصر، 2021م، ص73 -77.

[2] **هلموت ريتر Ritter Hellmut (1892 -1971م)**: مُستشرق ألماني أدى خدمته العسكرية خِلال فَترة الحَرب العالمية الأولى بالدولة العثمانيَّة، تقلد خِلال حياته العَدِيد من المنَاصِب فقد أشرف عَلى معهد الآثار الألماني المتواجد بإستنبول لثلاثين سنة، وعين عميدا لكلية الآداب بجَامعَة فرانكفورت. للمزيد أنظر: صلاح الدين المنجد، **المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية**، ج01، ط01، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان، 1978م، ص ص185 -186.

[3] الدعمي، المرجع السَّابق، ص 126.

استشراقية بَرزَت في أمريكا عن الإسلام كَانت عبارة عن كِتاب صدر سنة 1830م من طرف أحد رجال الدِّين يحمل عنوان "حياة محمد".[1]

لتُوسع أمريكا اتصَالاتها بالشرق بمطلعِ القرنِ التاسعِ عشر أينَ أرسلت مُنصريها صوبَ العَالم العُثماني المُجسد للشَّرق آنذاك ووسَّعت بِحلولِ سبعينياتِ هذا القَرن حدود التجارة معه، فضلا عن تأسيسها به لعدد من المدارس والجامعات كمؤسستي التعليم العالي التي أسست إحداهما خارج العاصمة العثمانية استنبول والثانية ببيروت والمعروفة بالكلية السورية البروتستانتية واللتان نَشرت من خلالهما أمريكا أفكارها في الوسط العثماني.[2]

هذا ويبرز الاهتِمام الأمريكي بالشرق من خِلال عمليات التنقيب الأثري بالمَشرِقِ العَربي، كالبعثة المُرسلة إلى سُوريَا ما بين عَامَي 1899 -1900م، وتِلكَ المرسلة إلى العِراق، إيران، فِلسطِين وتُركيا. والتي خلص أغلبها إلى إعداد مجمُوعة من الدِراسَات في هذا المَجال، وجعلت في ذَات الوَقت الفرد الأمريكي يرغب في زيارة المَشرِقِ العَربي. فكان من نتاج ذلك أن بَرزَت كِتابات الحجيج والرَحالَة، أمثَال "**واشنطن إرفنغ Washington Irving**"[3] التي عُدَّت كِتابات استشراقية أمريكية خالصة كبديل لتِلكَ التي كَانت ترد إليهم من أورُوبا.[4]

الجدير بالذِّكر هُنا أنَّ الاستشراق الأمريكي بَرزَ بِشكل رسمي خِلال القَرن التَّاسع عشر بعد تأسيس "**الجمعيَّة الشَّرقية الأمريكية**" عام 1842م المهتمة بالدِراسَات الاستشراقية

---

[1] Douglas Little, **American Orientalism – The United State and The Middle East Since 1945**, The University of Nprth Carolina Press, US, 2002, pp11- 14.

[2] Ibid. أنظر أيضا : الدعمي، المرجع السابق، ص ص126، 133. أنظر أيضا: العقيقي، **المستشرقون**، ج03، ط04، دار المعارف، القاهرة -مصر، 2006م، ص ص118 -119.

[3] **واشنطن إرفنج Washington Erving (1783 -1859م)**: مُؤرخ أمريكي ووزير مفوض في إسبانيا ما بين (1842 - 1846م)، صُنف في فئة المُستشرقين المنصفين للحَضارة العَربية والشرقية. للمزيد أنظر: واشنطن إيرفينغ، **الحمراء**، تر، هاني يحي نصري، ط01، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1996م، ص ص11 -12.

[4] الدعمي، المرجع السَّابق، ص 128. للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السَّابق، ج03، ص ص128 -129.

وبمُختَلف أنشطة المُستشرقين. وقد اختلف البَاحثون في تحديد المؤسس الحقيقي للاستشراق الأمريكي، فهناك من أكد أنَّ "**اللورد سالزبيري Lord Salisbury**"[1] هو أب الدِراسَات الاستشراقية الأمريكية، في حين بين آخرون أنَّ المُستشرق "**وتني Whitney**"[2] هو المؤسس الحقيقي للاستِشراق الأمريكي الجاد والبارز خِلال القَرن العشرين.[3]

مما لا شك فيه أنَّ دِراسة أمريكا لتَاريخ الشَّرق واهتمامها به جعلها تحذو حذو كل من فِرنسا وإنجلترا في هذا المَجال، فأنشأت المدارس، المكتبات، المتاحف، الجمعيات، المجلات والصحف التي تعنى بمثل هذه الدِراسَات. فضلا عن توجهها نَحو تدريس لغات الشرق الأوسط، طبع الكُتب وترجمتها، إرسال البعثات العلمية صوبه مع نشر دِراسَات متتالية عن كل ما يخصه.[4]

من جَانب آخر، ومع اضمحلال الإمبراطوريات الاستِعماريَّة القديمة وتغير السِياسَة الأمريكية خِلال القَرن العشرين خَاصة بعد الحَرب العالمية الثانية، زاد الاهتِمام الأمريكي بالشَّرق وزادت معه الدِراسَات الاستشراقية وبَرزَ معه المُستشرقون أصحَاب المطامح السِياسيَّة والاستِعماريَّة بكِتاباتهم المغرضة والمسيئة للدين الإسلامي والمخوفة منه، والساعين في ذَات الوَقت إلى تنفيذ المصالح الأمريكية.[5]

---

[1] **اللورد سالزبيري Lord Salisbury (1830 -1903م):** سياسي بريطاني شغل وظائف عديدة في الوزارة، فعين وزيرا لشؤون الهند فوزيرا للخارجية، كما تمكن من تشكيل ثلاث وزارات عَلى التوالي ليستقيل عقبها ويبتعد عن العمل السياسي. للمزيد أنظر: منير عبود جديع، **"سياسة اللورد سالزبيري حيال المسألة الشرقية 1895 -1896م"**، مجلة الأستَاذ، ع206، مج02، القاهرة، 2013م، ص 96

[2] **وتني Whitney (1827 -1894م):** مُستشرق أمريكي متقن للُغات الشرقية وبَاحث فيها، ألف كِتابا عن اللغة السنسكريتية وأصولها تحت مسمى "قواعد اللغة السنسكريتية". للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السَّابق، ج03، ص 132.

[3] الدعمي، المرجع السَّابق، ص ص132 -133.

[4] العقيقي، المرجع السَّابق، ج03، ص ص121 -130,

[5] الدعمي، المرجع السَّابق، ص ص130 -135.

فضلا عن توجهها وباقتراح من علماء الأنثروبولوجيا منذ هذا القرن نحو توليد الصور الاستشراقية المجسدة للشرق ونشرها في أكثر المجلات انتشارا في العالم والمعروفة بمجلة "**ناشيونال جيوغرافيك National Geographic**" والتي بانتشارها الواسع تمكنت أمريكا من تجسيد سياستها وموقفها من الشرق.[1]

لتتوجه أمريكا عقب كثرة هذه الدِراسَات نَحو استِغلالها لتنفيذ مآربها وتَحقيقِ أهدَافها الاستِعماريَّة وفق ما أسمته بـ "**Cultural Relations Policy** سِياسَة العلاقات الثقافية"، القائمة عَلى جمع المطبوعات والمصنفات المميزة في لُغات الشَّرق ومن ثم فحصها وفهمها فهما دقيقا بغية التعرف أكثر عَلى القوى المناوئة للفكر والسِياسَة الأمريكيين. فَضلاً عن توجهه نَحو التخصص مع بُروز الدِراسَات الميدانية الهَادِفة لدِراسة المُجتَمعات الإسلامية دِراسة مستفيضة شاملة لكل المناحي وهادفة للوصول لنَتائِج دقيقة.[2]

تعدد رواد هذه المدرسة وتنوعوا بين رحالة، ضباط، منصرين وأساتذةَ ساهمَوا بكِتاباتهم في الكشف عن جوانب عَدِيدة من الحياة في الشَّرق، من أمثال: "**ماري ميلز باتريك Mary Mills Patrick** "[3]، "**لويل توماس Lowell Thomas**"[4]، "**صمويل زويمر S .Zewemer**"[1] و"**بول هاريسون Paul Harrison**"[2] وغيرهم كثير.

---

[1] Douglas Little, Op cit, pp 10 - 11.

[2] الشرقاوي، المرجع السَّابق، ص ص10، 11 -12.

[3] **"ماري ميلز باتريك Mary Mills Patrick (1850 -1940م):** دكتورة في الفلسفة والحقوق والآداب، معلمة ومديرة للمدرسة الأمريكية المتواجدة باستنبول. قدمت للدَّولة العثمانيَّة ضمن البعثة التَنصِيريَّة القادمة للشرق وهي في عمر الحادي والعشرين سنة. في أواخر عهد السُّلطَان عبد المجيد، من مؤلفاتها: "صفحات من تَاريخ تُركيا الاجتِماعي والسياسي والإسلامي". للمزيد أنظر: ماري ميلز باتريك، **صفحات من تَاريخ تركيا الاجتِماعي والسياسي والإسلامي**، ط01، مؤسسة عز الدِّين، بيروت، لبنان، 1986م، ص07.

[4] **لويل توماس Lowell Thomas:** كاتب ورَحالَة وصحفي ومذيع أمريكي، أصدر أكثر من خمسين كِتاب حول رحلاته ومغامراته، أبرزها كِتاب "With Lawrence in Arabia "، الذي ترجم وأصدر تحت عنوان "مغامرات مع لورنس في جَزِيرة

IV. المدرَسة الاستشراقية البريطَانية

أولا - النشأة والتأصيل

يُمكن القَول أنَّ صلات بريطَانيا بالشَّرق كَانت قوية، ومساعيها الاستِعماريَّة المبكرة التي دفعتها لتوجيه أنظارها صَوبَ قارة آسيا جعلتها تقيم في البداية علاقات وثيقة الصلة بكل من الشَّرقين الأدنى والأقصى، وبالتَحدِيد بمَنطِقة الخليج، العِراق، فِلسطِين وبلاد الشام، بالإِضافَة للهند. الأمر الذي انعكس عَلى الدِراسَات الاستشراقية في بريطانيا فقد توجه مُستشرقوها نَحو دِراسة هذه المنَاطِق التي شكلت حيزا خصبا لهم، وهو ما يفسر في ذَات الوَقت كثرة الدِراسَات حول هذه المنَاطِق إذا ما قورنت بمناطق أخرى.[3]

بداية، وإذا أردنا تَحدِيد البدايات الأولى لظهور الاستشراق البريطاني يُمكن أن نقول -حَسبَ ما أجمع عليه البَاحثين - أنَّهُ يعود لفَترة أواسط العصور الوسطى التي شَهِدت توجها إنجليزيا صَوبَ الأندلس للاستفادة من علومها ونيل العلم عَلى يد علمائها ومُختَلف أساتذتها. ولعل من بين أبرز الشَّخصِيات التي قصدت المَنطِقة خِلال القَرنين الحادي عشر والثاني عشر

العَرب ". للمزيد أنظر: لويل توماس، **مغامرات مع لورنس في جزيرة العَرب قصة الثورة العَربية الكبرى 1918 -1916م**، تر، أحمد إيبش، ط01، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العَربية المتحدة، 2013م، ص 08.

[1] **صمويل زويمر S .Zewemer (1867 -1952م) :** رئيس المنصرين في الشرق الأوسط، من آثاره: كتاب "بلاد العرب منذ الإسلام"، و"المسلمون اليوم"... كما تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي مع مستشرق آخر، والتي ضمت صفحاتها عددا من الدراسات الاستشراقية. للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السابق، ج03، ص 138.

[2] **بول هاريسون Paul Harrison (1883 -1962م):** طبيب أمريكي قدم إلى شبه الجزيرة العربية في بعثة تنصيرية بدأت سنة 1894م، وقد جاب الجنوب الشرقي من جزيرة العرب "عمان" ونقل مشاهداته في كتابه الموسوم "رحلة طبيب في الجزيرة العربية". للمزيد أنظر: النملة، **الاستشراق والدراسات...**، المرجع السابق، ص 154.

[3] النبهان، المرجع السَّابق، ص ص26 -27.

نجد "**روبرت أوف تشستر Robert of Chster**"[1]، وكذا "**أدلارد أوف باث Adelard of Bath**"[2] الذي كان من أوائل الإنجليز الذين تعلموا اللغة العَربية، وتمكن بفضل اتقانه لها من ترجمة الكُتب الخَاصة بالرياضيات والفلك للغة اللاتينية، بالإِضافَة لـ "**دانيال أوف مورلي Danial of Morely**"[3] الذي أبدى خِلال حياته سخطه من الجَامِعات الأوروبية فتوجه كسابقيه نَحو الأندلس وتمكنوا جَمِيعا من ترجمة الكُتب ونقلها لبريطَانيا.[4]

كما وفد إليها من طليطلة وصقلية عدد من الشَّخصِيات المُختَلفة الأصول والجنسيات المشبعة بالثَّقافة الأندلسية، والدَّارِسَة كذلِك في الجَامِعات الإسلامية في كل من صقلية

---

[1] **روبرت أوف تشستر Robert of Chster (1041 -1148م)**: راهب وقس بريطاني، متقن للغة العَربية فهما وكِتابة، دارس للرياضيات وعلوم الفلك. تمكن من إعداد أول ترجمة للقرآن الكريم للغة اللاتينية مستعينا بعربيين، ليقوم عقبها بترجمة عدد من الكتب العَربية في مجال بحثه وتخصصه "الفلك، الرياضيات والكيمياء". للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السَّابق، ج01، ص 113.

[2] **أدلارد أوف باث Adelard of Bath (1070 -1135م)**: مُستشرق ومنصر بريطاني، منخرط في سلك الرهبانية البندكتية المنسوبة لأقدم جماعة تنصيرية التابعة للقديس بندكت. زار الأندلس وسوريا وتمكن من تعلم اللغة العَربية والعلوم الإسلامية. ليعود عقبها لبلده ويشرع في العمل كمعلم للأمير "هنري" الذي عرف بعد توليه للعرش "بالملك هنري الثاني". ونتيجة لإتقانه للغة العَربية تمكن من ترجمة عدد من الكتب العَربية كتِلكَ التي تخص الخوارزمي وإقليدس. كما ألف كِتابا تحت عنوان "المسائل الطبيعية". وللعلم آثار هذا الأَخير وحَسبَ ما يذكره البَاحثون لا يظهر فيها التَّنصير بشكل مباشر. للمزيد أنظر: مازن بن صلاح المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات الفِكرية في التَاريخ الإسلامي – دِراسة تطبيقية عَلى كِتابات برنارد لويس**، د.ط، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 1995م، ص 27. أنظر أيضا: النملة، **المُستشرقون والتَّنصير...**، المرجع السَّابق، ص 51. أنظر أيضا: ساسي الحاج، المرجع السَّابق، ص43. أنظر أيضا: العقيقي، المرجع السَّابق، ج01، ص 111.

[3] **دانيال أوف مورلي Danial of Morely (1170 -1190م)**: منصر ومن طلائع المُستشرقين، زاول دراسته في لندن بأكسفورد وبباريس، ليتوجه عقبها صَوبَ الأندلس بِسَببِ سخطه من الجَامِعات الأوروبية وبهدف الاستزادة من العلم. ليعود عقب انتهاء دِراساتِه وبحثه صَوبَ بلده الأم "إنجلترا" رفقة العَديد من المصنفات، والآثار. للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السَّابق، ج01، ص ص114 - 115. أنظر أيضا: النملة، **المُستشرقون والتَّنصير**، المرجع السَّابق، ص 91.

[4] المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات**، المرجع السَّابق، ص 27. أنظر أيضا: زناتي، المرجع السَّابق، ص 96. أنظر أيضا: يعقوب فرام منصور، **"تطور الاستشراق الانكليزي"**، مجلة المَعرِفة، ع63، سوريا، 1967م، ص 93.

والأندلس، عَلى غِرار اليَهودي "**إبراهيم بن عزرا**"[1] الذي زار لندن عام 1157م وتمكن من أن يعمل بها في مجال التَدريس مدة من الزَّمن. بالإِضافَة لـ "**ميخائيل سكوت Michael Scot**"[2] الذي بَرزَ نجمه بالكُتب التي ترجمها للغته، وقد حذا في هذا المَجال حذو المُستشرق "**أدلارد أوف باث Adelard of Bath**" السَّابق الذِّكر، بل وتمكن من إعداد جيل جديد من المُستشرقين ومن الفلاسفة والأدباء من أمثَال "**روجير بيكون Roger Bacon**".[3]

هذا فَضلاً عن أنَّ أفضل إنجاز بريطاني في هذا المَجال وخِلال هذه الفَترة يَتمثَّل في إعداد ترجمة للقرآن الكريم من طرف المُستشرق والراهب البريطاني "**روبرت أوف كيتون Robert of Ketton**"[4] بالتعاون مع غيره وتحت إشراف "**بطرس المحترم Petrus Venerabilis**

---

[1] **إبراهيم بن عزرا (1092 -1167م):** اسمه الكامل "إبراهيم بن مائير ابن عزرا" حاخام يهودي، فيلسوف وشاعر، من مواليد إمارة سرقسطة. تعلم ودرس بالأندلس، وتنقل عبر عديد البلدان فكان له أثر بارز في التعليم في كل من إيطاليا، إنجلترا وجنوب فِرنسا. برع في الشعر والكِتابة في سنين حياته الأولى، ليتوجه نَحو دِراسة التوراة فكان هو أول من تفطن للأخطاء الموجودة في الأسفار الخمسة، وأدرك أنها من تأليف أناس مجهولين بعيدين كل البعد عن النبي موسى عليه السلام غير أنه لم يتمكن من الإفصاح عن ذلك. للمزيد أنظر: شيرين كمال محمد علي، **مفهوم المفارقة في فلسفة إبراهام بن عزرا (1092م -1167م)**، "الدَوريات المِصرية"، مج 05، ع01، مِصر، 2019م، ص 29. أنظر أيضا: إسبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، تر وتق، حسن حنفي، مرا، فؤاد زكريا، ط01، دار التنوير، بيروت، 2005م، ص258.

[2] **ميخائيل سكوت Michael Scot (1175 -1236م):** أو العالم الرياضي، راهب أسكتلندي، دارس بكل من أكسفورد وجامعة باريس ومتضلع في اللغة العَربية. زار طليطلة وانكب عَلى ترجمة وتصنيف الكتب والمؤلفات المتواجدة بها، فترجم كِتابي "الحيوان" و"السماء والعالم" لأرسطو، وكذا كِتاب "خلاصة الفلسفة " لابن رشد. فضلا عن تأليفه عددا من الكتب في مجال التنجيم والكيمياء. للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السَّابق، ج01، ص ص116 -117.

[3] الجبري، المرجع السَّابق، ص 185.

[4] **روبرت أوف كيتون Robert of Ketton (1141 -1157م):** مُستشرق وراهب بريطاني، قام بإعداد ترجمة للقرآن الكريم للغة اللاتينية عام 1143م بغية تَحويل المُسلِمين للمسيحية. وظلت ولغاية القَرن الخامس عشر أول ترجمة لاتينية قياسية للقرآن. للمزيد أنظر:

Zwemer Samuel M, **"Translations of the Koran"**, The Moslem World, V05, N03, July 1915, p247. see as well : Tristan Vigliano, "**Le Coran des Latins – un impossible décentrement les deux cas exemplaires de Robert de Ketton et Jean de Ségovie"**, Réforme Humanism Renaissance, N78, 2014, p 138.

Pierre le Venerable " السَّابق الذِّكر.[1] ولكن مع ذلك كله لم تشكل هذه الإنجازات والبعثات العِلمية تيارًا موحدًا يُمكن أن نسميه بحَركة استشراقية أو بالاستشراق البريطاني. فقد كان نشاطا فرديا وظل كذلِك حتى مع احتضان الكَنيسَة لمثل هذه الدِراسَات وتشجيعها وإنشائها لكراسي اللُغات بمُختَلف المُدن الأوروبية منذ مطلع القَرن الرَّابع عشر.[2]

بمرور الزَّمن تزايد الاهتِمام البريطاني بالشَّرق، وظل عَلى حالته الأولى فرديا غير موحد حتى حلول القَرن السَّابع عشر الذي حدثت فيه نقلة نوعية في الدِراسَات الاستشراقية البريطَانية، واعتبره البَعض القرن الذهبي الأول للاستشراق البريطاني والبِداية الفعلية له خاصة بعد إنشاء كرسي الدِراسَات العَربية بجَامعَة "**كمبردج Cambridge**"، ومن ثم بمختلف الجَامِعات البريطَانية.[3]

بِمُوجَب هذا الأمر تكونت ببريطَانيا وتشكلت النواة الأولى للمدرسة الاستشراقية، ليتطور الأمر أكثر فأكثر بعد قِيامها بإنشاء قسم للدِراسَات الشَّرقية ثم العَربية والإسلامية منذ عام 1636م، جعلته -أي قسم الدِراسَات الشَّرقية - تحت إشراف كَبير أساقفة "لود" والذي ما لبث أن أخذ اسمه وعرف بكرسي لود. ليتوالى إنشاء كراسي للُغات وأخرى للدِراسَات الإسلامية في مُختَلف الجَامِعات البريطَانية، وأتبعتها بإنشاء مَدارِس وكليات تابعة لها في مُختَلف البلاد العَربية والإسلامية، بالهند وحتى باكستان.[4]

---

[1] Robert Irwin, Op cit, p26.

[2] المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات**، المرجع السَّابق، ص 28.

[3] هُناك اختلاف وقع فيه البَاحثون العَرب يخص التَاريخ الرسمي لإنشاء أولى كراسي الدراسات العَربية، فلم يتمكنوا من تَحديد السنة الفعلية لذلك، فمنهم من أرجعها لعَامَي 1623م -يخص جامعة كامبردج - و1626م تَاريخ إنشاء كرسي الدراسات العَربية الخاص بجامعة أكسفورد، ومنهم من ذهب إلى القول بأن التَاريخ الفعلي لإنشاء الكراسي في الجامعتين السَّابقتي الذِّكر يعود لعَامَي 1631م، و1632م. للمزيد أنظر: الساموك، المرجع السَّابق، ص 106. أنظر أيضا:
Robert Irwin, Op cit, p87.

[4] النبهان، المرجع السَّابق، ص 27.

لعل من بين أبرز المُستشرقين الذين بَرزُوا خِلال هذه الفَترة بنشاطهم الواسع في تعليم اللغة العَربية والاهتِمام بها وبمُختَلف الأمور التي تخص الشَّرق نجد: المُستشرق "**ويليام بدويل William Bedwell**"[1]، وكذا "**إدوارد بوكوك Pococke Edward**"[2] الذي عين عام 1636م كأول أستَاذ للغة العَربية بجَامعَة أكسفورد واستُهل معه الاستشراق الأكاديمي البريطاني. بالإضافَة لـ "**سيمون أوكلي Simon Ockley** "[3] الذي كان هو الآخر من أساتذة اللغة العَربية الأوائل بجَامعَة كامبردج، ومن المسَاهمين في تطور الدِراسَات العَربية والإسلامية ببريطَانيا. لتتطور هذه الدِراسَات وتزداد ويزداد معها الاهتِمام البريطاني بالشَّرق، ويظهر خِلال هذا القَرن والذي يليه عدد من المُستشرقين الراغبين في دِراسة الشَّرق ومعرفته أكثر، من أمثَال: "**إدموند كاستل Edmund Castel** "[4]، "**جورج سيل George Sale**" [5] وغيرهم كثير.[6]

---

[1] **ويليام بدويل William Bedwell** (1561 -1632م): مستشرق، منصر وأستاذ لغة عربية بريطاني، معروف بكونه رائد الدراسات الشرقية والعربية البريطانية وواضع أسسها. من أبرز آثاره: ترجمته لرسائل القديس يوحنا من العربية للاتينية وكذا المعجم العربي الذي يقع في سبعة أجزاء. للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السابق، ج02، ص ص39 -40.

[2] **إدوارد بوكوك Edward Pococke (1604 -1691م)**: مُستشرق وقس بمدينة حلب مابين عامي 1630م ولغاية 1635م، مكنته إقَامَته بهذه الأخيرة من إتقان اللغة العَربية وفتحت له المَجال ليصبح بعد عودته لبلده أول أستَاذ للغة العَربية بجامعة أكسفورد عام 1636م. من بين كتبه:" لمع من تَاريخ العَرب". للمزيد أنظر: بدوي، المرجع السَّابق، ص ص139 -140.

[3] **سيمون أوكلى Simon Ockley (1678 -1720م)**: مستشرق وقس بريطاني دارس للغة العربية والعبرية، ومتحصل على درجة الماجيستار في الآداب من جامعة أكسفورد. كلفته بريطانيا سنة 1714م بترجمة الوثائق الرسمية الواردة من المغرب بغية عقد معاهدة بين البلدين والتي تمت في شهر جويلية من ذات السنة. من أبرز أعماله تأليفه لكتاب " The Conquest of syria, Persia and Egypt by the Saracens". للمزيد أنظر: مراد يحيى، المرجع السابق، ص ص173 -174.

[4] **إدموند كاستل Edmund Castel (1606 -1685م)**: مُستشرق بريطاني، كاهن، راع لكاتدرائية كَانتربرى وأستَاذ لغة عربية بجامعة Cambridge. صنف معجما بسبع لُغات يخص اللُغات السامية وأنفق عليه جام ثروته ما جعله يعاني من ويلات الفقر إلى أن عين كاهنا للملك عام 1666م. للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص ص42 -43.

[5] **جورج سيل George Sale (1697 -1736م)**: مُستشرق بريطاني متقن للغة العَربية، اهتم بالإسلام وعني به حتى وصف بأنه نصف مسلم، ترجم القرآن الكريم للغة الإنجليزية واشتهر بها. للمزيد أنظر: بدوي، المرجع السَّابق، ص ص358 -359.

[6] المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات**، المرجع السَّابق، ص 28.

كما لا يَفُوتُنا أن نُنَوه هُنا، أنه ومنذ أواخر القَرن الثامن عشر وفي سِياق الاهتِمام بالدِراسَات الاستشراقية وبالشَّرق تمكنت جَامعَة "أكسفورد Oxford" من إنشاء وتجهيز مطبعة عربية لنشر مُختَلف المؤلفات والكُتب وعدد من المخطوطَات المهمة والقيمة التي كان لها دَور كَبير في إثراء الأدب الإنجلِيزي ووسمه بالصبغة الشَّرقية.[1]

لم تتوقف الدِراسَات الاستشراقية في هذه المَدرَسة عند هذا القَرن بل تطورت أكثر فأكثر، ففي فَترة القَرن التَّاسع عشر الذي وافق ما سمي بفَترة النهضة الاستشراقية أضحت بريطَانيا أعظم قوة استِعماريَّة في العالم، وشَهِدت الحَركة الاستشراقية بها تغيُرًا من ناحية الدوافِع والأهدَاف التي يصبوا إليها. وذلك بعد بُروز الاستشراق السياسي وتكريس العَدِيد من المُستشرقين أنفسهم لتَحقيقِ الأهدَاف الاستِعماريَّة البريطَانية. كما تزايد الاهتِمام البريطاني بالشَّرق من ناحية جمع المخطوطَات ومُختَلف الآثار العَربية والإسلامية والشَّرقية عَلى العموم، وضعت جَمِيعها بمكتبة المتحف البريطاني بلندن، بالأخص بعد سيطرت هذه الأَخيرة عَلى أجزاء شاسعة من العالم الإسلامي ومن الشَّرق ككل.[2]

هذا فَضلاً عن بُروزه بشكل أكثر تنظيما منذ هذه الفَترة وذلك بعد تأسيس بريطَانيا للجمعيات التي تعنى بالدِراسَات الاستشراقية من أمثَال: "**جمعيَّة البنغال الآسيوية الملكية Royal Asiatic Society of Bengal**" المؤسسة سنة 1784م، بالإِضافَة للجمعيَّة التي تهتم بجمع مُختَلف مخطوطَات الشَّرق والمسماة "**بالجمعيَّة الملكية الآسيوية Royal Asiatic Society**" المؤسسة سنة 1824م. والتي كان لها دَور كَبير في تنظيم الاستشراق البريطاني تنظيما علميا ذو أهدَاف ومساع تَنصِيريَّة وسِياسيَّة.[3]

[1] الجبري، المرجع السابق، ص 186.

[2] المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات**، المرجع السَّابق، ص 30

[3] الجبري، المرجع السَّابق، ص 186. أنظر أيضا: بدوي، المرجع السَّابق، ص 188. أنظر أيضا:

لم يقتصر الاستشراق البريطاني خلال هذا القرن على الجانبين البحثي والعلمي فقط، بل كان لعدد من رواد هذه المدرسة اهتمامات بالرسم لتصوير الشرق والتعريف به عند الغرب، الشرق الذي كان عثمانيا محضا بالنسبة لهم شاملا لمركز الدولة والولايات. وبالحديث عن الدولة العثمانية محط الدراسة فقد عكست اللوحات الاستشراقية واقع الحياة فيها، كتلك التي ضمت صورا لعدد من مدنها وولاياتها كالعاصمة إستنبول[1]، القاهرة وكذا القدس، فضلا عن تلك الصور الخاصة بأماكن مختلفة منها ومناظر طبيعية، ما جعلها مألوفة عند الغرب. ولكن المثير للانتباه هنا أنَّ أغلب هذه الصور واللوحات عُدَّت صورا مشوهة لهذا العالم، فلم تبرز الحقيقة التي كان عليها والشاملة للأماكن والمجتمعات باعتبار أنَّ أنماطها تنتقل من فنان لآخر، فضلا عن اعتمادهم لرسومات بعض.[2]

تجدر الإشارة هنا، أنَّ عددا من الرسامين الذين قصدوا الشرق كان هدفهم الأول يتجسد في تصوير الأماكن المقدسة وعدد من المواقع الأخرى ذات الأهمية الدينية بالنسبة لهم، ولكن سرعان ما تغيرت اهتماماتهم فور وصولهم وتوسعت. ليُجسدوا في لوحاتهم المختلفة صورا للمناظر الطبيعية، المساجد، الأسواق، السكان، النساء... وغير ذلك.[3]

ويمكن أن نذكر هنا كلا من الرسامين المستشرقين "**جون فريديرك لويس John Frederick Lewis**"[4] و"**ديفيد روبرت David Roberts**"[1] اللذان تمكنا من زيارة الشرق

Madhu Benoit, **Sir William Jones et la représentation de l'inde**, Ellug – Université Stendhal, Grenoble, 2011, pp11 – 12.

[1] أنظر الملحق الأول والملحق الثاني، ص ص310 - 311.

[2] Nicholas Tromans et al, **The Lure of East : British Orientalist Painting**, 01 Pub, Yale University Press, New Haven, US, 2008, pp10,11, 14.

[3] Ibid, p 17.

[4] **جون فريديرك لويس John Frederick Lewis (1805 -1876م)**: مستشرق ورسام بريطاني زار مصر خلال ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وذلك بعد سفره عبر إيطاليا، اليونان، الدولة العثمانية فالقاهرة، وأقام بها عقدا من الزمن. مكنته

خلال القرن التاسع عشر، فقصدا المغرب في ثلاثينياته ثم مصر فالأماكن المقدسة بين عامي 1838م -1839م، وتمكن لويس من الإقامة بمصر عقدا كاملا منذ تاريخ قدومه لها. وقدم الآخر مطبوعات وصور عن رحلته تلك عُدت فيما بعد رؤى جديدة لأماكن شرقية كانت معروفة باللفظ فقط، فضلا عن أنه عُد بأعماله وصوره المختلفة أول رسام بريطاني متميز في تصوير الشرق.[2]

بالإضافة للمستشرق الرسام **"توماس فيليبس Thomas Phillips"**[3] الذي تمكن من زيارة مركز الحكم ما بين عامي 1809 -1811م بعد قدومه للدولة عن طريق البلقان، وقيامه بزيارة اليونان، إزمير والعاصمة إستنبول. الأمر الذي أفضى به إلى تدوين هذا الطريق والذي أسماه بالطريق الكلاسيكي الموصل لقلب الدولة العثمانية في الدليل المعنون بـ: **" The Ionian Islands, Greece, Turkey, Asia Minor, and Constantinople"**.[4]

تأسيسا عَلى ما سبق؛ يذكر البَاحثون في مجال الاستشراق البريطاني أنه وفي ظل تزايد الأطماع البريطَانية في الشَّرق العَربي، وكذا بعد اتحاد الاستِعمار والاستشراق أَضحَى هذا الأَخير أداة تستغل في يد الأول. فلأجل تَحقيقِ الأهدَاف الاستِعماريَّة البريطَانية ركز

إقامته تلك من رسم وإنتاج ستمائة لوحة زيتية تصور الشرق بمواضيعه المختلفة الحريم، المساجد، مخيمات الصحراء... للمزيد أنظر: Ibid, p 211.

[1] **ديفيد روبرت David Roberts (1796 -1864م):** مستشرق ورسام بريطاني من أصول أسكتلندية، قام بسلسلة من الرحلات فزار إسبانيا ثم طنجة في ثلاثينيات القرن التاسع عشر بالضبط مابين عامي 1832 -1833م. ليقوم عقبها بزيارة مصر، الجزيرة العربية، بلاد الشام والأراضي المقدسة بفلسطين بغية اكتشاف المواقع الأثرية المذكورة في التوراة، مكنته زياراته تلك من إنتاج عدد جم من الرسومات واللوحات نشرت في رحلته الموسومة بـ: " Views in The Holy Land, Syria, Idumea, Arabia, Egypt and Nubia". للمزيد أنظر: Ibid, p 212.

[2] Ibid, p10, 14, 19.

[3] **توماس فيليبس Thomas Phillips (1770- 1845م):** مستشرق ورسام بريطاني دارس بالأكاديمية الملكية بلندن، مشهور بالرسم على الزجاج، أنتج عددا هائلا من الرسومات واللوحات لشخصيات مختلفة. للمزيد أنظر: Ibid, p 212.

[4] Ibid, p 10.

المُستشرقون عَلى دِراسة الفرق والطوائِف دِراسة مستفيضة وعَلى إبراز أفضال اليَهود عَلى العَرب، مع ازدراء تَاريخ العَرب وحضارتهم والإساءة إليهما، لتستغل في الأَخير من طرف الحُكومة البريطَانية لنشر الفرقة بين العَرب وتجزئتهم وتَحقيقِ مطالبها في ذَات الوَقت.[1]

نَاهيك عن أنَّ الحُكومة البريطَانية وشركاتها كشركة الهند الشَّرقية[2] استغلوا الاستشراق واستثمروا فيه إن صح القَول، فقد جعلت من المُستشرقين عُمَالا للاستعمار فمنهم من سلك طريق الرهبنة، السلك الدبلوماسي وحتى العمل العسكري، وقدموا لها في الأَخير أبحَاثهم المُختَلفة عن مناطق الشَّرق والتي بدَورها مَسَّت وعالجت مُختَلف جوانبه ومجالاته. فعَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر: جعلت المُستشرق "**برشارد W – Bercherd**"[3] قنصلا بريطَانيا في تونس، وعينت المُستشرق "**كلود لويس جيمس C. L. James**"[4] كمقيم وممثل للشركة

---

[1] الساموك، المرجع السَّابق، ص 106.

[2] **شركة الهند الشرقية**: منظمة تجارية وسِياسيَّة بريطانية، بَرَزت كمشروع تجاري صغير نتيجة لجهود عدد من التجار الانجليز، ليتحصلوا عقبها عَلى ميثاق ملكي بريطاني عام 1600م مكنهم من احتكار التجارة في مُختَلف مناطق المحيط الهادي وآسيا. فاهتموا بادئ الأمر بتجارة التوابل ثم تجارة الأقمشة، الشاي والخزف، لتتحول بحلول القَرن الثامن عشر واندلاع الحرب بين كل من فِرنسا وبريطَانيا وما طال الهند جراء ذلك لقوة عسكرية، فسيطرت عَلى إقليم البنغال وشرعت في الاستحواذ والسَّيطرة عَلى مناطق مُختَلفة من الهند. وجراء تخوف البرلمان البريطاني من زيادة نُفوذِها جردت من شؤونها السِياسيَّة والعسكرية وجعلت تحت إشراف مفوضي البرلمان البريطاني بالهند عام 1784م، ثم قللت عَمِلياتها التجارية ليتم انهاء الاحتكار نهائيا باسم قانون الميثاق لعام 1833 ولكنها مع ذلك ظلت مستمرة في دَورها ومهامها الاحتِلالية لغاية حلها عام 1858م. للمزيد أنظر: مارجريت ماكبيس، **"نبذة تَاريخية عن شركة الهند الشرقية الإنجلِيزية 1600 – 1858"**، مكتبة قطر الرقمية، 13 أوت 2014م. (Margaret Makepeace, 'نبذة تَاريخية عن شركة الهند الشرقية الإنجلِيزية ١٦٠٠ – ١٨٥٨', مكتبة قطر الرقمية <https://www.qdl.qa/العَربية/نبذة -تَاريخية -عن -شركة -الهند -الشرقية -الإنجلِيزية - ١٦٠٠ -١٨٥٨>)

[3] **برشارد W – Bercherd**: مُستشرق سياسي وقنصل بريطاني في تونس، صاحب كِتاب "الإسلام والإصلاح". للمزيد أنظر: نذير حمدان، **مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون**، ط01، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1988م، ص 56.

[4] **كلود لويس جيمس C. L. James (1787 -1821م)**: مُستشرق بريطاني ولد بفِرنسا ثم انتقل في سنوات حياته الأولى صَوبَ إنجلترا، تعلم في صغره اللغتين اليونانية واللاتينية فالعَربية وأتقنهم جَمِيعا فهما وكِتابة، ليواصل تعلمه للُغات الشرقية

ببغداد، وأرسلت "**إدوارد هنري بالمر Edward Henry Palmer**"[1] لإجراء دِراسة عن صحراء سيناء وفِلسطِين، ثم أوفدوه بعد أن حقق نَتائِج مُرضية في المهمة الأولى صَوبَ مِصر خِلال فَترة الثَّورَة العُرابية بهدَف تأليبِ بدو سيناء. وأرسلت القس والمُستشرق "**إدوارد بوكوك Edward Pococke**" إلى حلب وسُوريَا وجَعلت منه قسيسا مقيما بالمَنطِقة مع التجار البريطانيين. كل هذا وذاك بهدَف تَحقيقِ مساعيها الاحتِلالية، الاقتِصادية والسِياسيَّة بالشَّرق.[2]

ليتزايد تنظيم الاستشراق خِلال القَرن العشرين بعد أن حقق نَتائِج بارزة، وشَهِد اتساعا في نطاقه وتزايدًا في رُواده وعدد مؤسساته. ففي هذا القَرن بالذَات تمكنت بريطَانيا من تأسيس عدد من المَعاهِد، المَدارِس والمَراكِز البَحثية التي تُعنى بالدِراسَات والأَبحَاث الاستشراقية، عَلى غِرار "**مدرسة الدِراسَات الشَّرقية والإفريقية**" بلندن التي تكونت من عدد من الشَّخصِيات البريطَانية ذَات الدوافِع الاستِعماريَّة من أمثَال "**اللورد كرومر Evelyn**

إلى أن تمكن من تعلم اللغة العبرية، الفارسية والعُثمانية. مكنه علمه باللُغات الشرقية وإتقانه لها من التنقل بأريحية في الشرق بين العاصمة العُثمانية إستنبول، فمِصر، الخليج ودمشق، ومن تعيينه كممثل لشركة الهند الشرقية ومن ثم كمقيم ببغداد. الأمر الذي فسح له المَجال للترحال وتدوين مشاهداته، ليخلص في الأَخير لوضع مؤلف يضم مشاهدات وملاحظات عن العراق وكردستان وإيران خلال فَترة إقَامَته بهذه المَنطِقَة، ترجم تحت عنوان "رحلة رايس في العراق عام 1820م" أو "رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق عام 1820م إلى بغداد، كردستان، إيران". للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص 50. أنظر أيضا: كلوديوس جيمس ريج، **رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق عام 1820 إلى بغداد -كردستان -إيران**، تر، اللواء بهاء الدِّين نوري، ط01، الدار العَربية للموسوعات، بيروت -لبنان، 2008م، ص ص05 -19.

[1] **إدوارد هنري بالمر Edward Henry Palmer (1840 -1882م)**: مُستشرق بريطاني، أستَاذ، ومراسل صحفي للعديد من الصحف الشرقية، يجيد استعمال عدد من اللُغات الشرقية كالفارسية، الأوردية والعَربية. عَمِل في فهرسة المخطوطات العَربية بعدد من الكليات، وكمستكشف لحساب الهيئة المسماة "بهيئة استكشاف فِلسطِين" بَاحثا عن رحلات بني إسرائيل فيها. ليرسل عقب تحقيقه لنتائج إيجابية في مهمة الاستكشاف صَوبَ مِصر لتأليب البدو ضد الثورة العرابية وفصلهم عنها وضمهم لصف بريطَانيا. انتهت مهمته هذه بقتله عَلى يد بدو سيناء عام 1882م. من أبرز مؤلفاته: كِتاب التصوف الشرقي، وكِتاب موجز جغرافية الكِتاب المقدس وغيرها. للمزيد أنظر: الساموك، المرجع السَّابق، ص ص168 -169.

[2] الساموك، المرجع السَّابق، ص ص106 -107.

Baring Cromer"[1] ووزير خارجية بريطَانيا "**جورج كيرزون George Curzon**"[2] الذي اعتبر هذه المَدرَسة من الضروريات الواجب تواجدها الدائم في بريطَانيا.[3]

علاوة عَلى ذلك، توجهت بريطَانيا نَحو تأسيس المكاتب العَربية بمستعمراتها خِلال فَترة الحَرب العالمية الأولى وأدمجت فيهم المُستشرقين، العسكريين ورجال المخابرات. هادفة من وراء ذلك إلى التحكم في المَنطِقة وإدارتها عن كثب والاتصال كذلِك بمُختَلف شيوخ القبائل وتأليبهم عَلى الدولة العثمانيَّة. من أمثَال المكتب العَربي في القاهرة الذي أسس سنة 1915م، بالإِضافَة لمكتب البصرة الذي كان المُستشرق "**هاري سانت جون بريدجر فيليبي Harry St. John Bridger Philipy**"[4] فيه من الشَّخصِيات المشهورة والذي لا يقل درجة عن سابقه.[1]

---

[1] **إيفلين بارنج Evelyn Baring (1841 -1917م):** دبلوماسي وقنصل بريطاني معروف باسم إيفلين بارنج إيرل كرومر الأول، حكم بريطَانيا كوكيل لمدة أربع وعشرين سنة ما بين عَامَي (1907لمح1883م)، تدرب في الأكاديمية العسكرية الملكية ثم التحق بكلية الأركان وتخرج منها الأول عَلى دفعته. ليوجه للعمل بالمكتب الحربي غير أن العمل العسكري لم يرق له فعين نائبا للملك في الهند. ثم عين للعمل في لجنة الدِّين العام المِصرية ومن ثم مراقبا بريطَانيا للديون فقنصلا وعميلا بمِصر. له كِتاب تحت عنوان: مِصر الحديثة. للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص67. أنظر أيضا:

Afaf Lutfi al-Sayyid Marsot, **Evelyn Baring- 1st earl of Cromer**, Encyclopaedia Britannica, 26 Feb 2024. https://www.britannica.com/biography/Evelyn-Baring-1st-Earl-of-Cromer

[2] **جورج ناثانيال كيرزون George Nathaniel Curzon(1898 -1925م):** سياسي بريطاني، مستشار جامعة أكسفورد، نائب الملك في الهند ما بين عَامَي 1898 -1905م، ووزير خارجية بريطَانيا في الفَترة الممتدة من عام 1919م إلى 1924م. حقق نجاحا باهرا في حكم الهند كما لعب دَورا كَبيرا في صنع السياسة البريطَانية. للمزيد أنظر:

Encyclopaedia Britannica, Leonard Modley, **"Lord Curzon British Foreign Secretary"**, 03- 10- 2024, 18 :20. https://www.britannica.com/place/British-Empire

[3] المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات**، المرجع السَّابق، ص 32.

[4] **هاري سانت جون بريدجر فيليبي Harry St. John Bridger Philipy (1885 -1960م):** أستَاذ ومُستشرق خريج جامعة أكسفورد، سخر نفسه لخِدمَة الأهدَاف الاستِعماريَّة البريطَانية، فعَمِل كمستشار بريطاني بوزارة الداخلية في العراق، وانتدب رئيسا للجهاز السري للانتداب البريطاني عَلى فِلسطِين، ورئيسا للبعثات البريطَانية الموجهة للجزيرة العَربية والأردن، كما عَمِل كمستشار للمملكة العَربية السعودية، ومن ثم انتدب كأستَاذ زائر في الجامعة الأمريكية ببيروت،

بالإضافَة لِذلِك وخِلال فَترة الحَرب العالمية الثانية أَسَّسَت الحُكومة البريطَانية بلبنان "**مركز الشَّرق الأوسط للدِراسَات العَربية**" الهادف لدِراسة اللغة العَربية أكثر فأكثر والاهتِمام بها، نَاهيك عن تخصيصها لمبالغ طائلة لإرسَال الطلبة والأساتذة صَوبَ البلدان العَربية. هذا فَضلاً عن احتِضان مُختَلف الجَامِعات البريطَانية لعدد من النشاطات العِلمية ذَات العَلاقَة بالاستشراق وذلك منذ النَّصف الثاني من القَرن العشرين.[2]

هذا فَضلاً عن تزايد الاهتِمام البريطاني بالشَّرق خِلال ذَات الفَترة وتركيز الحُكومة البريطَانية والمُستشرقين عَلى الاهتِمام بجوانب محددة في دِراسة الشَّرق، والمتمثِّلَة في دِراسة التَّاريخ كونه يسَاهم في معرفة طبائع الشعوب وأحداث الدُول، وبالترجمة حتى يتسنى لهم نقل المعارف الشَّرقية للُغاتهم، وكذا بالعلوم الاجتِماعية ومُختَلف العلوم الخَاصة بالشعوب الشَّرقية حتى يتسنى لهم النجاح في التجارة التسويقيَّة في المَنطِقة، وباللغة كذلِك فهي السبيل الوحيد لإنجاح كل ذلك.[3]

زار هذا الأَخير عددا من البلدان العَربية والإسلامية وجمع في خضم ذلك معلومات عديدة عنها شاملة لمُختَلف الميادين السِياسيَّة، الاجتِماعية وحتى الطبوغرافية، كما مكنته زيارته تِلكَ من الالتقاء بعدد من المُستشرقين البريطانيين من أمثَال: "Lowrance of Arabia لورانس العَرب"، "غيرترود بيل Gertrude Bell" وكذا "ديفيد جورج هوجارث David George Hogarth" وغيرهم كثير. ليفضي به الأمر في الأَخير إلى ترك دينه واعتناق الإسلام. خلف هذا المُستشرق عددا هائلا من الكتب والدراسات والمقالات من أمثَال كِتابه الموسوم بـ "Arabian Days"، "قلب الجزيرة العَربية"، "حاج في الجزيرة العَربية" و"جزيرة العَرب في عهد الوهابيين".... وغيرها. للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص116. أنظر أيضا: حمدان، المرجع السَّابق، ص ص43 -46، 54. أنظر أيضا: عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، **روايات غَربية عن رحلات في شبه الجزيرة العَربية**، ج03، ط01، دار الساقي، بيروت - لبنان، 2013م، ص 232.

[1] الفيومي، المرجع السَّابق، ص ص115 -116.

[2] الساموك، المنهج السَّابق، ص ص108 -110.

[3] المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات**، المرجع السَّابق، ص ص33 -34.

علاوة عَلى ذلك كله، وحَسبَ ما أملته الكتابات والأَبحَاث التَّاريخية أنَّ الاستشراق المعاصر يختلف اختلافا كُلياً عن الاستشراق الذي سَبَقه، فبغض النَظر عن تغير المُصطلحات من الاستشراق إلى الدِراسَات الإقليمية أو حتى الدِراسَات العَربية والإسلامية شَهِد تغيرات أخرى. كان في طليعتها التوجه نَحو التَّخصُص في الدِراسَات والابتعاد عن العام منها، بالإِضافَة للاستعانة بالبَاحثين والأساتذة الشَّرقيين في القِيام بمثل هذه الدِراسَات خَاصة الدَّارسين والمتواجدين بمُختَلف الجَامِعات الغَربية. وبإسقَاط الأمر عَلى الاستشراق البريطاني نجد أنَّ الحُكومة البريطَانية خصصت في إطار دَعمها للاستِشراق أموالا طائلة للجَامِعات ومُختَلف مَراكِز البُحوث المهتمة به، خَاصة المَراكِز الموسومة بمَراكِز التفكير " Think Tanks" التي تُقدم وتقترح دِراسَات وأبحاث عَلى الحُكومة لتنفيذها في الأمور المُتعلِّقة بالسِياسَة الخَارجِية. [1]

ثانيا - خصائص الاستشراق البريطاني

هذا ولعل من أبرز مميزات وخصائص هذه المَدرَسة الدقة، الجدية، العمق والشمولية في مُعالجَة ودِراسة الأحدَاث. كما يغلب عليها طابع الهدوء والعقلانية والغموض، والرَغبَة في تَحقيقِ الأهدَاف بِشكل خفي، دون أن نغفل عن صبر رُوادها في الحصول عَلى النَتائِج.[2] إِضافَة إلى ذلك كله، يُمكن القَول أنَّ الميزة الأَساسِية التي امتاز بها الاستشراق البريطاني تتمثل في عدم اقتصارها عَلى فَترة ومكان محددين، وفي معالجته ودراسته لجَمِيع موارد المَعرِفة الشَّرقية من علوم، لُغات، آداب، فنون، عقائد وتَاريخ... وغيرها. ومرد هذا لعَلاقَة بريطَانيا

[1] مازن بن صلاح مطبقاني، "**الاستشراق المعاصر وأثره في ظاهرة التطاول عَلى الإسلام**"، مجلة البيان، القدس، 2007م.
http://saaid.org/Doat/mazin/56.htm

[2] سمايلوفيتش، المرجع السَّابق، ص 223.

القوية بالشَّرق وضخم مصالحها فيه إذا ما قورنت بغيرها. هذا فَضلاً عن تركيزها عَلى اللغة العَربية واهتمامها بها لتَحقيقِ مصالحها الاقتِصادية والسِياسيَّة الاستِعماريَّة في المَنطِقة.[1]

بالإِضافَة لسيطرة الهدف الدِّيني والتَنصِيري عَلى مُختَلف الدِراسَات الاستشراقية، ويُمكن أن نستدل في هذا بقول أحد المُستشرقين البريطانيين: { وخِلال القَرنين السَادس عشر والسَّابع عشر، وكما في العُصورِ الوسطى ظَلَّ الهدفُ التَنصِيري دَافعًا مُهما للدِراسَات العَربية...}.[2] هذا علاوة عَلى أنَّ المُستشرق البريطاني يميل إلى التخصص إما في المنَاطِق كالدِراسَات الهندية ولُغاتها أو الإفريقية أو حتى الصينية، وإما يتخصص في نوع محدد من الدِراسَات كالدِراسَات المُتعلِّقة باللغة، الأدب، الفن، الآثار أو الحَضارة الإسلامية مبتعدا بذلك عن التشعب والتعدد.[3]

منذ أواخر القَرن السادس عشر ظَهرَت في الاستشراق البريطاني صفة جديدة ألا وهي الصفة الاقتِصادية بالتَحدِيد منذ عام 1581م بعد أن تم تأسيس "**شركة الشَّرق اللندنية The Levant Company of London**" التي عكفت منذ تأسيسها عَلى مد النفوذ البريطاني في مناطق مُختَلفة من الشَّرق. فسَاهمَت في بُروز صفة جديدة أخرى ألا وهي الصفة السِياسيَّة والاستِعماريَّة، هذه الصفة التي ما لبثت أن بَرزَت بِشكل كَبير بعد تحول الشركة السَّابقة الذِّكر إلى "**شركة الهند الشَّرقية**" عام 1750م وتوليها بسط النفوذ البريطاني عَلى الهند، وقد استَمرت هذه الصفة ملازمة للاستِشراق البريطاني حتى القَرن التَّاسع عشر.[4]

---

[1] لوكمان زكاري، **تاريخ الاستشراق وسياساته الصراع على تفسير الشرق الأوسط**، تر، يونس شريف، ط01، دار الشروق، مصر، 2007م، ص 136. أنظر أيضا: ساسي الحاج، المرجع السَّابق، ص ص128، 143.

[2] المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات**، المرجع السَّابق، ص ص37 -38.

[3] ساسي الحاج، المرجع السَّابق، ص 129.

[4] المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات..**، المرجع السَّابق، ص41.

مع سيطرة بريطَانيا عَلى الهند والشَّرق الأوسط امتاز الاستشراق البريطاني بميزة جديدة تتمثل في "تَحقيقِ المصالح السِياسيَّة والاستِعماريَّة" للحكومة البريطَانية، فازدهر هذا النوع من الدِراسَات وشملت المنطقتين السَّابقتي الذِّكر، وأهملت الشمال الإفريقي جراء وقوعه تحت نير الاحتِلال الفِرنسي فكَانت بذلك دِراسَاته من نصيب المَدرَسة الاستشراقية الفِرنسية. من جَانب آخر اتصف الاستشراق البريطاني كذلِك بصفة التعالي والنَظرة الفوقية القائمة عَلى إبراز الغَرب بمظهر المتفوق والشَّرق المتخلف، هذا علاوة عَلى صفة التَحلِيل والتخصص في الدِراسَات بدل التوسع والخوض في ميادين شتى. [1]

ثالثا - رُواد المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية

- **إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy (1812 -1878م):** مُستشرق بريطاني، مُؤرخ، رئيس قضاة وأستَاذ تَاريخ بجَامعَة لندن متحصل عَلى لقب فارس في عام 1860م. خلف عددا من الكُتب في مجال التَّاريخ والأدب من أمثَال: " The Fifteen Decisive Battles "، "History of the Ottoman Turks"، " The Rise and Progress of the English Constitution" و" Imperial and Colonial Institutions of the British Empire" وغيرهم كثير. [2]
- **ويليام رايت William Wright (1830 -1889م):** مُستشرق وأستَاذ لغة عربية بجامعتي لندن وكمبريدج، متحصل عَلى درجة الدكتوراه الشرفية من جَامعَة ليدن، متعلم للُغات السامية واللُغات القديمة كاللغة السريانية والسنسكريتية. بحث في المخطوطَات وأمهات الكُتب ودرسها وحقق عددا منها، من أمثَال كِتاب "رحلة ابن جبير"، وكِتاب

[1] نفسه، ص ص45 -47. أنظر أيضا: ساسي الحاج، المرجع السَّابق، ص 129.

[2] Bibliotheque Nationale de France, **"Creasy, Edward Shepherd (1812- 1878) forme Internationale",** 13- 12- 2024, 22:12 **(**https://catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb123152676).

"الكامل" للمبرد. وتمكن كذلِك من تأليف كِتاب في نَحو اللغة العَربية سماه " Arabic Grammar".[1]

- **إدوارد هنري بالمر Henri Palmer (1840 -1883م):** -الملقب بالشيخ عبد الله - مُستشرق، صحفي، محام، مترجم وأستَاذ لغة عربية بجَامعَة Cambridge، تعلم عددا من اللُغات الشَّرقية والأوروبية وأتقنها كالعَربية، الفَارسِية، الأوردية، الفِرنسية والإيطالية. وقد أرسلته جمعيَّة البَحث عن الآثار الفِلسطِينية بصحبة السير "**ريتشارد فرنسيس بيرتون Richard Francis Burton**" عام1863م إلى الشَّرق، فجاب صحراء سيناء والتيه واتصل بالبدو، وزار لبنان ودِمشق ليعود عقبها لبلده ويزاول مهامه المعتادة فيها. غير أنه عاد مرة أخرى للشرق بعد نشوب الثَّورَة العرابية عام 1882م بمهمة جديدة كلف بها، كان الهدف من ورائها الاتصال بشيوخ البدو وتأليبهم ضدها لكنه لقي حتفه هُناك. خلف بالمر مؤلفات وكتب عَدِيدة منها ما يصب في مجال الأدب من شعر وقواعد مثل كِتابه الموسوم بـ "قواعد اللغة العَربية"، "معجم اللغة الفَارسِية"، ومنها ما يصب في مجال التَّاريخ ككتبه المعنونة بـ"رحلة في شبه جَزِيرة سيناء"، "تَاريخ القدس"، بالإِضافَة لـ "فهرس المخطوطَات العَربية والفَارسِية والتركية".[2]
- **مرجوليوث، د. س Margoliouth, D. S (1858 -1940م):** مُستشرق بريطاني أتقن اللغة العَربية وبرع فيها فهما وكِتابة الأمر الذي جعله يعد من أشهر أساتذتها. تقلد عددا من المناصب كرئاسة تَحرِير مَجلَّة الجمعيَّة الملكية الآسيوية، انتخب عضوا في عدد من الجمعيات والمجامع العِلمية. نشط في مجال ترجمة الكُتب وتَحقيقِها وفهرسة

[1] بدوي، المرجع السَّابق، ص 273.

[2] نفسه، ص 65. أنظر أيضا: عبد القهار داود عبد الله العالي، **الاستشراق والدراسات الإسلامية**، ط01، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، 2001م، ص 99.

المخطوطَات. له في مَجلَّة الجمعيَّة الملكية الآسيوية عددا ليس بهين من الأَبحَاث، فعَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر "الخِلافة " و"جنوب الجَزِيرة العَربية والإسلام".[1]

- **د. جورج هوجارث David George Hogarth (1862 -1927م):** مُستشرق، وعالم من علماء الآثار، قصد الشَّرق للتنقيب والاستكشاف فزار كريت، قبرص، سُوريَا ومِصر. ترأس خِلال فَترة الحَرب العالمية الأولى أحد المكاتب العَربية بالقاهرة، وشغل مَنصِب ممثل خَاص للمندوب السامي البريطاني بمِصر. خلف كتبا عَدِيدة من بينها: "البَاحث الجائل" و"الشَّرق القديم"، فَضلاً عن أنَّ له أزيد عن ست وخمسين دِراسة وبحثا.[2]
- **أرنولد، السير توماس Arnold, Sir Thomas (1864 -1930م):** مُستشرق بريطاني قضى سنوات عَدِيدة بالهند للتَدريس في جَامِعاتها أو كمساعد لأمين مكتبة ديوان الهند. شغل هذا الأَخير بمدرسة اللُغات الشَّرقية كرسي الأستَاذية في قسم الدِراسَات العَربية عام 1904م، ليعين عقبها كعميد لها بالتَحدِيد عام 1921م. تمكن خِلال النصف الأول من القَرن العشرين من زيارة مِصر والمحاضرة بجَامِعاتها باعتباره من الشَّخصِيات المضطلعة فيه والتي كتبت عن هذا التَّاريخ بإنصاف ومصداقية تامة. من بين أبرز مؤلفاته: كِتابه الموسوم بـ "الدعوة إلى الإسلام"، "الخِلافة".[3]
- **غيرترود مارغريت لوثيان بيل Gertrude Margaret Lowthian, Bell (1868 - 1926م):** مُستشرقة، رَحالَة، عالمة آثار، مستكشفة بريطانية مسؤولة عن إنشاء حدود دول الشَّرق الأوسط عقب الحَرب العالمية الأولى. ألحقت بقسم الاستِخبارَات العسكرية البريطَانية بالقاهرة عام 1915م، وبالمكتب العَربي بالعِراق كضَابط عام 1916م. أجادت إلى جَانب لغتها الأم أربعة لُغات هي الفِرنسية، الألمانية، الفَارسِية والعَربية، الأمر الذي

[1] مراد يحي، المرجع السَّابق، ص ص1036 -1038م. أنظر أيضا: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص78.

[2] ديفيد جورج هوجارث، **اختراق الجزيرة العَربية**، تر، صبري محمد محسن، مرا وتق، جمال زكريا قاسم، ط02، المركز القومي للترجمة، القاهرة -مِصر، 2009م، ص ص20، 23، 25 -26.

[3] مراد يحي، المرجع السَّابق، ص ص148 -149.

أتاح لها ومكنها من زيارة عدد من البلدان العَربية كالجزائر، مِصر، سُوريَا والعِراق. ومن أن تظفر بمَنصِب "مترجمة" في السفارات البريطَانية المتواجدة بها، فعينت عام 1915م كمترجمة بالسفارة البريطَانية بمِصر، ثم بالبصرة وبغداد عَلى التوالي ما بين عَامَي (1916 - 1917م). ونتيجة لتواجدها بالعِراق خِلال فَترة الحَرب العالمية الأولى ساعدت في التنقيب عن الآثار بالمَنطِقة وتمكنت من تأليف كِتاب عن المَنطِقة ترجم للغة العَربية تحت عنوان "فصول من تَاريخ العِراق القريب" وهذا إلى جَانب كِتاب "سُوريَا"، وكِتاب "عرب العِراق"... وغيرها من الكُتب والدِراسَات.[1]

- **هـ. سانت. ج. بريدجر فيليبي Harry St. John Bridger Philipy (1885 - 1960م):** أستَاذ ومُستشرق سبق ذكره سخر نفسه لخِدمَة الأهدَاف الاستِعماريَّة البريطَانية.[2]
- **أرنولد جوزيف توينبي Arnold Joseph Toynbee (1889 -1975م):** مُستشرق بريطاني، أستَاذ الدِراسَات البيزنطية واليونانية الحَدِيثة، مدرس للتَاريخ القديم وعامل في قسم المخابرات بوزارة الخَارجية البريطَانية. تمكن خِلال حياته من أن يحوز ويشغل عددا من الوظائف فإلى جانب ما سبق عين كمدير للأبحاث الأجنبية بالمعهد الملكي للشؤون الدُولية وكمدير لقسم الأَبحَاث بوزارة الخارجية. كما تمكن من أن ينتج ويؤلف عددا من الكُتب في التَّاريخ وحول الأديان وعن الغَرب كذلِك، عَلى غِرار كِتابه الموسوم بـ"فلسفة التَّاريخ"، وكِتابه "Turkey: A Past and a Future"، وكذا " A

---

[1] الكيالي، **الموسوعة السياسية**، ج01، ط02، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، 1985م، ص 549. أنظر أيضا: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص ص95 -96. أنظر أيضا:

Barbara Brothers, Julia Gergits, **Dictionary of Literary Biography- British Travel Writers 1876-1909**, V174, Gale Research International Limited, United Kingdom, 1997, pp03- 04.
See as well: Middle East Centre Archive, St Antony's College, University of Oxford, GB 165 0023, Bell Gertrude Margaret Lowthian (1868-1926) Traveller, Archaeologist and Government Officialm, 1966. (http://archiveshub.jisc.ac.uk/data/gb165-0023)

[2] العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص 116. أنظر أيضا: حمدان، المرجع السَّابق، ص ص43 -46، 54. أنظر أيضا: عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، المرجع السابق، ج03، ص 232.

Contributor, The Non-Arab Territories of the " وكِتابه "Study of History Ottoman Empire since the Armistice of the 30th October, 1918 " وغيرها كثير.[1]

- **هاملتون جب Alexander Roskeen Gibb Hamilton (1895 -1971م):** مُستشرق، محاضر، أستَاذ لغة عربية، مدير مركز دِراسَات الشَّرق الأوسط وعضو من أعضاء المجمع العلمي العَربي في دِمشق، من مواليد مدينة الإسكندرية المِصرية. كان قد درس العبرية، الآرامية واللغة العَربية التي برع فيها خطابة وكِتابة، ارتحل إلى الشَّرق فزار المغرب الأقصى، مِصر، فِلسطِين، سُوريَا ولبنان واجتمع خِلال زياراته تِلكَ بكبار الأدباء العَرب وقرأ مؤلفاتهم. صنف هذا المُستشرق عدد من الكُتب فله "اتجاه الإسلام"، وله كذلِك كِتاب في الآداب العَربية العصرية، وله "فتوح العَرب في آسيا الوسطى وعلاقتها الأولى ببلاد الصين"، "تَاريخ الحملات الصليبية"، "الاتجاهات الحَدِيثة في الإسلام"، وبمساعدة غيره له "المُجتَمع الإسلامي والغَرب" و"دِراسَات في الحَضارة الإسلامية"، بالإضافَة لنشره للعَدِيد من الترجمات الخَاصة بعدد من الكُتب العَربية أو لمقاطع منها، فَضلاً عن العَدِيد من المقَالات والبُحوث المَنشُورة في مجلات تعنى بالدِراسَات الاستشراقية كمقاله الموسوم ب"الإسلام إلى أين".[2]
- **كليفورد إدموند بوزورث Clifford Edmund Bosworth (1928 -2015م):** مُستشرق ومُؤرخ للشرق الأوسط الإسلامي، دارس لعدد من اللُغات الشَّرقية كاللغة العَربية، الفَارسية والتركية. متحصل عَلى درجة الدكتوراه عام 1961م عن دِراسة أجراها حول انتقال الشَّرق الإسلامي من الحُكم الغَزنَوِي للحُكم السلجوقي أو بشكل

[1] Encyclopaedia Britannica, **"Arnold J. Toynbee "**, 18 Oct 2023, 08 :00. (https://www.britannica.com/biography/Arnold-J-Toynbee).

[2] العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص ص129 -131. أنظر أيضا: بدوي، المرجع السَّابق، ص ص174 -175. أنظر أيضا: ألبرت حوراني، "**هاملتون جب انجازات مُستشرق**"، تر، سلام فوزي، مجلة الإنماء العَربي للعلوم الانسانية، ع32، أفريل - يونيو1983م، بيروت، ص ص373 -374، 376، 378.

أدق "transition from Ghaznavid to Seljuq rule in the Islamic East". خَلَّفَ كُتبا ودِراسَات غزيرة في التَّاريخين الإسلامي والأفغاني، ألف عددا منها لوحده وأخرى بالإشتراك مع غيره مثل كِتابه الموسوم بـ "The Islamic Dynasties"، وكِتاب " The Legacy of Islam" الذي كتبه بالإشتراك مع المُستشرق شاخت. [1]

- **ريفيلين هيلين آن Rivlin Helen Anne, B:** مُستشرقة، بَاحثة وأستَاذة بريطانية. متحصلة عَلى درجة الدكتوراه من جَامعَة "أكسفورد Oxford" وعَلى العَدِيد من ألقاب الشرف من مُختَلف الجهات والمؤسسات البريطَانية. خلفت كتبا ومقالات عَدِيدة تخص التَّاريخ الحَدِيث من أمثَال كِتابها الموسوم بـ"السِياسَة الزراعية عَلى عهد محمد علي في مِصر"، "الاقتصاد والإدارة في مِصر في مستهل القَرن التَّاسع عشر"، "دار الوثائق في قصر عابدين في القاهرة" بالإِضافَة لعدد من المقَالات المَنشُورة في دائرة المعارف الإسلامية ودائرة المعارف البريطَانية وكذا بصحيفة الشَّرق الأوسط، مثل مقالها المعنون بـ "الضَريبَة في أثناء الحُكم العُثماني بمِصر"، و"محمد علي باشا"... وغيرها من الدِراسَات، هذا فَضلاً عن نقد عدد من الكُتب الخَاصة بالمُستشرقين.[2]
- **هارولد باون Harold Bowen**: مُستشرق، أستَاذ وأكاديمي بريطاني، ألف بالإشتراك مع المُستشرق هاملتون جب الكتاب المشهور والمعروف بالمُجتَمع الإسلامي والغَرب في مجلدين كان الأول منهما بعنوان: "المُجتَمع الإسلامي والغَرب: دِراسة لتأثير الحَضارة الغَربية عَلى الثَقافة الإسلامية في الشَّرق الأدنى - Islamic Society and the West : a Study of the impact of Western Civilization on the Muslem Culture in the Near East "، أما الثاني فخصصاه للحديث عن هذا المُجتَمع خِلال القَرن الثامن عشر

[1] Michael O'Neal, **"Clifford Edmund Bosworth an Updated Bibliography"**, The Journal of Middle East Medievalists, V23, N01, 2015, USA, PP 179, 183, 187.
Arezou Azad, "**Clifford Edmund Bosworth"**, The Journal of Middle East Medievalists, V23, N01, 2015, USA, PP 167- 171.

[2] العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص 159.

وكان تحت عنوان: "المُجتَمع الإسلامي في القَرن الثامن عشر - Islamic Society in the Eighteenth Century". له كذلِك كتب ومحاضرات أخرى تعالج تَاريخ صقلية، إسبانيا، الدولة العثمانيَّة وكذا الفتح الإسلامي للشمال الإفريقي وإسبانيا.[1]

بالإِضافَة للمُستشرقين المُؤرخين والأساتذة السَّابقي الذِّكر، كان لمدرسة الاستشراق البريطاني رُواد رَحالَة، ضُبَاط، دبلوماسيون ومُنصِّرون. قصدوا الشرق وكتبوا عنه، فنجد إلى جانب كل من **"ويليام بدويل William Bedwell"**، **"سيمون أوكلي Simon Ockley"**، **"أدلارد أوف باث Adelard of Bath"** شخصيات ناشطة في مجال التنصير من أمثال:

- **إدوارد بوكوك الأب Ed. Pococke (1604 -1691م):** مُستشرق، أستَاذ كرسي وقس بريطاني، متحصل عَلى درجة الماجيستار في الآداب. تعلم اللغة العَربية وأخذها عَلى يد المُستشرق **"ويليام بدويل William Bedwell"**، الأمر الذي مكنه من زيارة مدينة حلب عام 1630م والإقامة بها خمس سنوات كاملة. وللعلم سمحت له هذه الزيارة بإتقان اللغة العَربية خطابة وكِتابة، وباقتناء عدد من المخطوطَات والمؤلفات القيمة التي عاد بها لبلده، مع شجرة من التين قام بغرسها بإنجلترا لتضحى حاليا أقدم شجرة بالمَنطِقة. أشرف عَلى المطبعة التي أنشأتها جَامعَة أكسفورد وعَلى طبع الكُتب والمخطوطَات بها، عاد بوكوك الأب مرة أخرى للشرق بحثا عن المخطوطَات وتمكن من الإقامة بالأستانة من عام 1637 ولِغَاية 1640م. من أبرز آثاره وأعماله جمعه لـ420 مخطوطا، إلى جَانب نشره للعَدِيد من الداسات والأَبحَاث والكُتب المترجمة والمؤلفات مثل مؤلفه الموسوم بـ "طبيعة اللغة العَربية والأدب العَربي".[2]

[1] Middle East Centre Archive, St Antony's College, University of Oxford, GB1650033, Harold Bowen Collection, 1957. (http://archiveshub.jisc.ac.uk/data/gb165-0033)

[2] العقيقي، المرجع السابق، ج02، ص ص41 -42.

❖ **وليم جيفورد بالجريف William Gifford Palgrave (1826 -1888م):** مُستشرق ومُنصِّر بريطاني، من الرهبانية اليسوعية أو الجزويت في لبنان، اشتغل بالتَنصِير، الدبلوماسية، والتجسس فارتحل إلى الجَزِيرة العَربية بهدَف تَنصِير المُسلِمين، لكنه طرد منها بعد أن كشف أمره. من آثاره: "رحلتي إلى أواسط وشرقي الجَزِيرة العَربية".[1]

❖ **آن بلنت Anne Blunt (1837 -1917م):** مُستشرقة، رَحالَة ومُنصِّرة بريطانية، ارتحلت رفقة زوجها صَوبَ الشَّرق للخليج العَربي والجَزِيرة العَربية، وسَاهمَت بنشاطها في الحملات التَنصِيريَّة في المَنطِقة، من مؤلفاتها: "الحج إلى نجد".[2]

❖ **أندرسون، ج، ن، د J. N. D. Anderson (ق20م):** مُستشرق ومُنصِّر إنجليزي ومحاضر بجَامعَة لندن في الشريعة الإسلامية. ومن الشَّخصِيات الشديدة العداء والكراهية للإسلام، من آثاره: "العالم الإسلامي" الذي أورد فيه كل اعتراضات ضد النبي صلى الله عليه وسلم.[3]

أما فيما يخص المستشرقين من فئة الرَحالَة، الضُبَاط والدبلوماسيين فنجد:

❖ **الليدي ماري وورتلي مونتاجو Lady Mary Wortley Montagu (1689 -1762م):** مُستشرقة، كاتبة بريطانية وزوجة السفير البريطاني والقنصل العام لبلاد الشام **"إدوارد وورتليE. Wortley"** الذي قصد الدولة العثمانيَّة خِلال فَترة حرب الدولة العثمانيَّة والنمسا بغية تهدئة الأوضاع وإقناع العُثمانيين للتوصل إلى اتفاق مع النمسا، وقيل أنَّهُ قدم الدولة للعمل في السفارة البريطانية بموجب العلاقات التجارية بين الدولتين. أجادت هذه المُستشرقة اللغة اللاتينية، اللغة الإيطالية، اللغة العثمانيَّة والرسم. وتمكنت من

---

[1] النملة، **المُستشرقون والتَّنصير**، المرجع السَّابق، ص61.

[2] نفسه، ص66. أنظر أيضا: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص64.

[3] عبد اللطيف الطيباوي، **المستشرقون الناطقون بالإنجليزية دراسة نقدية**، تر، قاسم السامرائي، إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ط، المملكة العَربية السعودية، 1991م، ص42. أنظر أيضا: النملة، **المُستشرقون والتَّنصير**، المرجع السَّابق، ص 56.

زيارة الدولة العثمانيَّة بين عَامَي 1717 -1718م رفقة زوجها السفير واستقرت بالعاصمة بقصر مطل عَلى القَرن الذهبي من جهة الشمال فكان منَظر العاصمة من خِلاله سببا دفع بها لكِتابة رسائلها التي تحوي انطباعاتها حول المَنطِقة. للعلم فقد فتح لها استقبال السُّلطَان العُثماني ومن قبله صدره الأعظم لزوجها السفير **"إدوارد وورتلي E. Wortley"** الباب لخوض حياة جديدة تمكنت فيها من رؤية النسوة وحياة العُثمانيات عَلى طبيعتها. وللعلم تأثرت هذه الأخيرة بنساء الدولة وتمكنت من نقل الأزياء العثمانية إلى إنجلترا فأدخلت بذلك الزي العثماني إلى عالم الموضة الإنجليزية، من قفطان مرصع بالجواهر وموشح حتى بالذهب، عمائم ومشابك.[1]

- **جون انتس John Antes:** مُستشرق ورَحالَة بريطاني من أصول ألمانية من مواليد عام 1741م، قصد مِصر خِلال القَرن التَّاسع عشر للالتحاق برفاقه في البعثة التَنصِيريَّة المواوية "Moravian" للقِيام بعَمِل تَنصِيري بالحبشة، لكنه تخلف عنها بِسَببِ مرضه بالملاريا ثم ما لبث أن ألغى الفِكرة بعد أن قص عليه رفيقه أحداث الرحلة المرعبة واكتفى بالإقامة في مِصر وتعلم اللغة العَربية وتأليف كِتاب عن عادات سكانها وتقاليدهم. وقد كان هذا تحت طلب بريطاني لِذلِك وقبل صدور هذا الكتاب وجهت بريطَانيا أول حَملَة عسكرية لاحتلال مِصر هي حَملَة فريزر.[2]

---

[1] Robert Halsband, **The Life of Lady Mary Wortley Montagu**, Oxford University Press -Amen House, London, 1956, pp 06- 07, 74. See as well: Lewis Gibbs, **The Admirable Lady Mary –The Life and Times of Lady Mary Wortley Montagu (1689- 1762)**, J. M. Dent and Sons Ltd, Great Britain -London, 1949, pp 116- 120. See as well : Lisa Lowe, **Critical Terrains - French and British Orientalisms**, 01 Pub, Cornell University Press, London, 1991, Pp 35- 36 .See as well :

لين ثورنتون، **النساء في لوحات المستشرقين**، تر، مروان سعد الدين، ط01، دار المدى، دمشق -سوريا، 2007م، ص ص09 - 10.

[2] جون انتيس، **مذكرات رحالة عن المِصريين وعاداتهم وتقاليدهم في الربع الأَخير من القَرن الثامن عشر من خلال وصف الرحالة جون انتيس (1782لمح1770)**، تر وتع، أحمد علي الناصري، د.ط، المجلس الأعَلى للثقافة، مِصر، 1997م، ص ص16، 25.

❖ **جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt (1784 -1817م):** رَحالَة ومُستشرق سويسري الأصل، دارس بعدد من الجَامِعات الألمانية، متقن للغة الإنجلِيزية واللغة العَربية. قصد لندن مطلع القَرن التَّاسع عشر بحثا عن العمل، بالتَحدِيد عام 1805م، فتمكن من إقامة علاقات مع إحدى المؤسسات البريطَانية التي تسعَى لتطوير العمل في استكشاف القارة الإفريقية ليحظى منها بمنحة لمدة سنة كاملة. وفي ظل اهتمام بريطَانيا بمِصر وظفته عام 1809م في مهنة قائمة عَلى معرفة ما يحدث فيها، ما مكنه من تطوير لغته العَربية وتحسينها ومن زيارة عدد من مناطق الشَّرق كدِمشق، حلب، القاهرة، سيناء وجدة. وللعلم فإنه قد أتم نشاطه هذا وهو منتحل لاسم عربي هو "ابراهيم بن عبد الله" ومدع بأنه شامي الأصل. تمكن هذا المُستشرق من الالتقاء بمحمد علي باشا[1] وابنه اللذان منحاه المال لتغطية بَعض من نفقاته خَاصة بعد أن أفلس وعانى من ضائقة مالية حادة. وبالحَدِيث عن إنجازاته العِلمية نجد أنَّ رحلاته وزياراته مكنته من تدوين ملاحظات ومعلومات عَدِيدة عما شَهِده بتِلكَ المنَاطِق فجَاءت كتبه تحت عناوين مُختَلفة عَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر: "رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان" وكِتاب"Notes on the Bedouins and Wahabys".[2]

---

[1] **محمد علي (1849لمح1769م)**: شخصية عثمانية ألبانية الأصل، تولى حكم مِصر لمدة ثلاث وأربعين ما بين عامي 1805م - 1848م، تمكن خِلالِها من القضاء عَلى المماليك في مذبحة القلعة عام 1811م. ليشرع عقبها في تأسِيسِ مِصر الحديثة فنظم الجيش واستعان بالخبرات الأوروبية في هذا المَجال، أقام المصانع، احتكر التجارة، وأرسل البعثات العِلمية لأوروبا. وقد تمكن من مواجهة الوهابيين بطلب من السلطان محمود الثاني، ومن مساندته كذلِك في حربه ضد اليونان وهذا شريطة جعل بلاد الشام تحت حكمه لكن رفض السلطان لهذا الأمر وامتناع محمد علي عن مساعدة الدَّولَة العُثمانية جعل العلاقات تتأزم بين الطرفين، لتنتهي في الأَخير بتوسع ابنه إبراهيم باشا عَلى حساب بلاد الشام. وللعلم انتهت هذه الأَخيرة بتدخل أوروبي انجر عنه عقد معاهدة لندن عام 1840م وجعل مِصر تحت حكم أسرة محمد علي، مع تخفيض في عدد الجيش. للمزيد أنظر: الكيالي، **موسوعة**...، المرجع السَّابق، ج06، ص ص92 - 93.

[2] العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص 52. للمزيد أنظر: جاكلين بيرين، **إكتشاف جزيرة العَرب خمسة قرون من المغامرة والعلم**، تر، قدري قلعجي، تق، الشيخ حمد الجاسم، د.ط، دار الكاتب العَربي، د.ت، ص ص216 -217.

❖ **إدوارد وليم لين Edward William Lane(1801 -1876م):** هو ابن قس بريطاني يدعي "ثيوفيلوس لين Theophilus Lane"، مستشرق يلقب بمنصور أفندي ويعرف بالمعجمي "The Lexicographer"، قدم مِصر خِلال القَرن التَّاسع عشر وأقام بها مدة من الزَّمن بهدَف دِراسة اللغة العَربية بالتَحدِيد ما بين عَامَي 1825م و1828م. عكف خِلال فَترة إقَامَته بالقاهرة عَلى دِراسة حياة الناس وواقع المُجتَمع المِصري، فتزيا بالزي المِصري وتلقب بمنصور أفندي حتى يتمكن من إجراء أبحاثه بأريحية. ليعود عقب انقضاء المدة إلى بلده ويشرع في تأليف كِتابه تحت مسمى "عادات المِصريين المحدثين وتقاليدهم" والذي نُشر لصالح "جمعية نشر المعرفة المفيدة **The Society for The Diffusion of Useful Knowledge**"، واعتَمدَت عليه بريطَانيا خِلال تحضيرها لاحتلال مِصر. خلف إدوارد لين مؤلفات أخرى فله إلى جَانب ما سَبَق ذكره كِتاب موسوم بـ "الحياة العَربية في القرون الوسطى"، بالإِضافَة لكِتاب آخر لا يزال مخطوطا بالمتحف البريطاني أورد فيه رسومات عَدِيدة عن مِصر تعالج وتعكس الأزياء فيها، الموسيقى، الرسم وغير ذلك.[1]

❖ **ألكسندر وليام كينغلك Alexander William Kinglake (1809 -1891م):** مُستشرق، مُؤرخ، رَحالَة وعضو برلمان بريطاني، حبه للترحال جعله يتوجه لزيارة كل

---

[1] تَجدُر الإشارة هُنا إلى أن المُستشرق البريطاني الأمريكي **"برنارد لويس Bernard Lewis"** ذكر في إحدى كِتاباته أن اهتمام هذا المُستشرق الرَحالَة بالدِراسَات العَربية كان من خلفية ودافع علمي بحت. للمزيد أنظر: يعقوب فرام منصور، المقال السَّابق، ص 104. أنظر أيضا: عبد الفتاح نعوم، "**مسَاهمَة الاستشراق الأنغلو -أمريكي في صعود دِراسة المناطق**"، تبين للدراسات الفِكرية والثقافية، ع09، مج 03، قطر، 2014م، ص 11. أنظر أيضا: المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات**، المرجع السَّابق، ص31. أنظر كذلِك: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص ص54 -55. أنظر أيضا: جورج سلستي، "**المُستشرق الكَبير العلامة "إدوارد وليم لين" مؤلف "مد القاموس" بالعَربية والإنجلِيزية 1801 -1876**"، العَربي، ع118، الكويت، سبتمبر 1968م، ص 50. أنظر أيضا:

Nicholas Tromans et al, Op cit, p 14. See as well : A. J. Arberry, **Oriental Essays –Portraits of Seven Scholars**, 01 pub, Ruskin House, London, 1960, p 87.see as well : Stanley Lane Poole, **Life of Edward William Lane**, Gilbert and Rivington, London, p 10.

من فِرنسا، سويسرا، الشَّرق وشمال إفريقيا، فَضلاً عن أنه زار الدولة العثمانيَّة عام 1834م وطاف بأنحائها، وزار الجزائر عام 1845م بغرض متابعة الحملات العسكرية الفِرنسية. زياراته ورحلاته العَدِيدة مكنته من تأليف عدد من الكُتب والمقَالات التي طرح في بَعضها الصورة التي جسدها الشَّرق خِلال فَترة تواجده به، كما عالج في أحد مقالاته قَضِيَّة العلاقات العثمانيَّة الأوروبية وغيرها من المواضيع.[1]

- **جورج فورستر سادلير George Forster Sadleir (1798 -1859م):** مُستشرق، قائد في سلاح المشاة وممثل لشركة الهند الشَّرقية لعام 1820م. قصد الجَزِيرة العَربية خِلال القَرن التَّاسع عشر كمبعوث للقِيام بمهمة كان قد كلفه بها الحاكم البريطاني في الهند، والمتمثِّلَة في حشد القوات المحلية من آل بوسعيد بمسقط بغية الإطاحة بالقبائل المهددة للملاحة في الخليج ولمصالح شركة الهند الشَّرقية. وكذا بمهمة الالتقاء بابن "محمد علي" وتهنئته عَلى نجاحه في حربه ضد الوَهَّابيين وتقديم المساعدة له في حال أراد ذلك، والاشتراك معه ضد الجواسميين المهددين للملاحة غير أن هذا الأَخير رفض هذا الطلب ما دفع به إلى العودة للهند.[2]
- **توماس إدوارد لورانس Thomas Edward Lawrence (1888 -1935م):** مُستشرق، ضابط سياسي وعالم آثار دارس بجامعة أكسفورد. دفعه حبه للآثار وللاستكشاف إلى التوجه نَحو سُوريَا عام 1909م والتنقل بين مُختَلف مدنها. ليعود إلى بلده بعد عام من ذلك ويقدم رسالته الخَاصة بالقلاع الصليبية لجَامعَة أكسفورد والتي نال بفضلها مرتبة

[1] Middle East Centre Archive, St Antony's College, Cambridge University Library, GB 12 MS Add. 7633, Alexander William Kinglake Letters and Papers. http://archiveshub.jisc.ac.uk/data/gb12-msadd.7633

See as well : Gerald de Gaury, **The Life of Alexander Kinglake 1809- 1891**, 01 Pub, Routledge and Kegan Paul, London, 1972, pp26- 27.

[2] جورج فورستر سادلير، **مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العَربية خلال عام 1819م**، تر، أنس الرفاعي، تق، عباس منصور، د.ط، الهيئة المِصرية للكِتاب، مِصر، 2013م، ص ص03 -04. أنظر أيضا: هوجارث، المرجع السَّابق، ص 139. أنظر أيضا:

Edwards. F.M, **"George Forster Sadleir (1789- 1895) of the 47th Regt The First European to cross Arabia"**, Journal of The Royal Central Asian Society, V44, 1957, p38.

الشرف الأولى ودرجة البكالوريوس. لم تتوقف رحلات هذا الأَخير هُنا فقد تمكن عقبها من الظفر بمنحة دراسية لأربعة أعوام صَوبَ سُوريَا بهدَف التنقيب عن الآثار والإطلاع عن أحوال المَنطِقة العَربية عن كثب والتي كَانت تنبؤ بحدوث حرب عالمية. انخرط عقبها في صفوف الجيش وانضم عام 1916م للثورة العَربية وارتبط عمله بها بعد أن أوكِلَت له مهمة رسم خرائط سيناء. من بين أبرز كتبه: "أعمدة الحُكم السبعة"، و"ثورة في الصحراء العَربية".[1]

- **توماس برترام سيدني Thomas, B. S (1892 -1950م):** مُستشرق وعسكري بريطاني، التحق عام 1908م بالجيش فعَمِل في جيش العِراق، وكمستشار مالي في مسقط وبالمكتب السياسي. تمكن هذا الأَخير -كأول شخصية - من اجتياز صحراء الربع الخالي بين سنتي 1930 -1931م. ليتوقف عقبها عن العمل العسكري وينكب عَلى الكتابة، الأمر الذي جعله ينجز عددا من الأعمال بين الترجمة والتأليف. من بينها: كِتاب "الجَزِيرة العَربية السعيدة"، "الربع الخالي"، وكذا مقال موسوم ب"لهجات الجَزِيرة العَربية" الذي نشر في مَجلَّة الجمعيَّة الملكية الآسيوية.[2]
- **جون باجوت غلوب Sir John B , Glubb (1897 -1986م):** مُستشرق وضَابط بريطاني، خريج الكلية الحَربية، اشتغل برتبة لواء في كل من العِراق عام 1925م والأردن ما بين عَامَي 1938 و 1956م. له مؤلفات جمة منها: "قصة الفيلق العَربي"، "جندي مع العَرب" وكذا "الفتوح العَربية الكبرى في القَرن السَّابع عشر".[3]
- **ستانلي لين بول Stanley Lane Poole (1854 -1931م):** مُستشرق، أستاذ وعالم آثار بريطاني، أخ المُستشرق وعالم الآثار **"ريجينالد ستيوارت بول Reginald Stuart**

---

[1] توماس إدوارد لورانس، **أسرار لورانس العَرب**، تر، سامي حجازي، مرا، فؤاد فراج، ط01، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2009م، ص ص10 -19، 26. أنظر أيضا: عبد الغني إبراهيم، المرجع السابق، ج03، ص ص226 -227.

[2] مراد يحي، المرجع السَّابق، ص ص360 -361.

[3] العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص ص132 -133.

Poole" وابن أخ المُستشرق "**إدوارد وليم لين Edward William Lane**". عَمِل بالمتحف البريطاني ما بين عَامَي 1874 -1892م الأمر الذي مكنه من وضع فهارس عَدِيدة من أمثال "فهرس النقود الشَّرقية في المتحف البريطاني" في عشر مجلدات. ليتوجه عقبها نَحو مِصر بحثا عن الآثار المِصرية. خلف هذا المُستشرق أعمالا كثيرة تنوعت بين التأليف والفهرسة عَلى غِرار كتبه الموسومة بـ "Arte of the Saracens in Egypt"، " History of Egypt in the Middle Ages"، "The Story of Cairo" وغيرها كثير. [1]

- **ستيفن هيمسلي لونكريك Stephen Hemsley Longrigg (1893 -1979م):** مُستشرق بريطاني متحصل عَلى درجة الماجيستار، شارك إلى جَانب بلده في الحَربين العالميتين الأولى والثانية، عَمِل في الإدارة البريطَانية في العِراق وشغل كذلِك مَنصِب مفتش عام للإيرادات. وقد مكنته إقَامَته الطويلة بالشَّرق الأوسط من تأليف عدد من الكُتب ذَات العَلاقَة بها، عَلى غِرار كِتابيه "أربعة قرون من العِراق الحَدِيث" و"تَاريخ العِراق تحت حكم الإمبراطورية العثمانيَّة"، وعدد من الكُتب والمقَالات الأخرى.[2]
- **هارولد فيتون جاكوب Harold Jacob. F :** مُستشرق، ضَابط، وعقيد بريطاني. شغل وظائف عَدِيدة أين عَمِل كمساعد أول للمقيم بعدن، وكيل سياسي لذَات المَنطِقة، بالإضافَة لكونه قد عين في مَنصِب كَبير المستشارين السياسيين خِلال فَترة الحَرب العالمية الأولى. من بين أبرز مؤلفاته: "العطور العَربية"، "ملوك العَرب" وغيرها.[3]

---

[1] ستانلي لين بول، **سيرة القاهرة**، تر، حسن إبراهيم حسن وآخرون، تق، أيمن فؤاد سيد، د.ط، المركز القومي للترجمة، 2011م، ص ص05 -06.

[2] Archives Hub, Royal Asiatic Society Archives, GB 891 RAS BMM /13, 1969- Brigadier Stephen Hemsley Longrigg, 1969. (https://archiveshub.jisc.ac.uk/search/archives/7690ac8e-544e-3f7f-9f71-88f7be33a7dc?component=00a23258-a678-34f7-a8ed-9ddc2351d32f).

أنظر أيضا: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص ص127 -128.

[3] Harold F. Jacob, **Kings of Arabia -The Rise and Set of the Turkish Sovranty in The Arabian Peninsula**, Southampton Times Limited, London, 1923, P 295.

❖ **سير ويليام جيمس ريدهاوس Sir James W, Redhouse (1811 -1892م):** مُستشرق، مترجم بوزارة الخَارجِية البريطَانية ورسام لدى الدولة العثمانيَّة بعد أن ألحق بالبحرية العثمانيَّة عام 1840م. تمكن بفضل إقَامَته فيها من إجادة لغتها وتصنيف معجم تركي إنجليزي.[1]

❖ **سير أرنولد تالبوت ويلسون Sir Arnold Talbot Wilson (1884 -1940م):** مُستشرق، قنصل، ومستشار سياسي بريطاني في الخليج الفارسي، عَمِل في جيش الهند، وفي الشَّرطة الحَربية وفي القوات الجوية. يجيد ثلاث لُغات هندية إلى جَانب العَربية والفَارسِية وعدد من اللُغات الأوروبية. من بين أبرز أعماله: "الخليج الفارسي"، "ما بين النهرين من 1917 إلى 1920م"، وله كذلِك "الشَّرق الأوسط" و "قناة السويس".[2]

❖ **برنارد لويس Bernard Lewis (1916 -2018م):** مُستشرق بريطاني أمريكي معاصر من أصول يهودية. أستَاذ ومحاضر ذو توجه سياسي، له باع كَبير في الدِراسَات الاستشراقية الشَّرقية والإفريقية عَلى حد سَواء. متحصل عَلى دبلوم الدِراسَات السامية من جَامعَة باريس، وعَلى درجة الدكتوراه من جَامعَة لندن. عَمِل كمحاضر في عدد من الجَامِعات الغربية كمدرسة الدِراسَات الشَّرقية والإفريقية بجامعة لندن، وكذا جَامعَة برنستون الأمريكية. ليتقلد مع مطلع القَرن الواحد والعشرين العَدِيد من المنَاصِب فعَمِل مستشارًا للإدارة الأمريكية، ومستشارًا لبنجامين نتانياهو، وكذا لنائب الرئيس بوش، وللرئيس بوش الابن. له مؤلفات جمة في التَّاريخ الإسلامي أبرزها: " The Arabes in History"، "تَاريخ اهتمام الانجليز بالعلوم العَربية"، أما بالنسبة للمقالات فقد نشر في عدد من المجلات التي تعنى بالدِراسَات الاستشراقية كمَجلَّة التَّاريخ الاقتصادي، ومَجلَّة

[1] العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص57.

[2] نفسه، ص 115.

الجمعيَّة الملكية الآسيوية وبغيرهما عدد هائلا من الأَبحَاث والدِراسَات، منها: "التنظيم الاقتصادي"، "جغرافية الشَّرق الأوسط"، "من تَاريخ شمال إفريقيا" وغيرها...[1]

- **هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges (1764 -1847م):** مُستشرق، دبلوماسي، سفير بريطاني ووزير مفوض في البلاط الفارسي. متقن للغة الفَارسِية. عَمِل في كل من الهند وشركة الهند الشَّرقية.[2]
- **لويس بلي Lewis Pelly (1825 -1892م):** مُستشرق ومقيم بريطاني بالخليج، انضم لشركة الهند الشَّرقية خِلال النصف الأول من القَرن التَّاسع عشر، كما أمضى حياته المهنية بالخِدمَة في الهند، بلاد فارس وساحل الخليج وتمكن من زيارة مُختَلف مَناطِقهم ومدنهم والترحال بينهم بما في ذلك الرياض، عمان وأفغانستان .[3]
- **جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury (1897 -1984م):** مُستشرق، دبلوماسي، مصور، ضَابِط ووكيل سياسي بريطاني في الكويت، متعلم للغة العَربية ومتقن لها، زار بطلب من الحُكومة البريطَانية شبه الجَزِيرة العَربية وتزيا بلباس العَرب خوفا من القتل، فَضلاً عن أنه أقام علاقات مع ابن سعود كجزء من مهمته وقد سمح له تواجده بالمَنطِقة لإدارة الأمور السِياسيَّة والاستخباراتية البريطَانية المضادة. من أعماله: " Faisal King of Saudi Arabia"، "Rulers of Mecca"، "Review of the Anizah Tribe".[4]

---

[1] علي بن إبراهيم الحمد النملة، **الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغَرب**، ط02، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2015م، ص ص25 -26. أنظر أيضا: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص ص143 -145.

[2] John Perry, **"Brydges Harford Jones"**, Encyclopaedia Iranica, V05, pp 488- 489. Available Online at (https://www.iranicaonline.org/articles/brydges-sir-harford-jones)

[3] Karen Stapley, **"A Portrait of Sir Lewis Pelly"**, Qatar Digital Library, 2014. (https://www.qdl.qa/en/portrait-sir-lewis-pelly).

[4] Andrew Doig, Lt. Col Gerald de Gaury MC 1897- 1984, Kemptown Estate Histories, 22 April 1869. (https://www.kemptownestatehistories.com/sussex-square/house-histories/18)

في نِهاية هذا الطَّرح، كان لزاما علينا اختيار عدد من المُستشرقين البريطانيين وفق ما يلائم المدة الزَّمنية محط الدِراسة، لِذلِك قمنا بانتقاء عدد منهم من بين كل فئة، مع الأخذ بالاعتبار أهمية هذا المُستشرق، دَوره في السِياسَة البريطَانية، كِتاباته ودِراسَاته حول التَّاريخ العُثماني. فوقع اختيارنا عَلى كل من: المُستشرقين "**إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy**"، "**ديفيد جورج هوجارث David George Hogarth**"، "**أرنولد، السير توماس Arnold, Sir Thomas**"، "**غيرترود مارغريت لوثيان بيل Gertrude Margaret Lowthian , Bell**"، "**أرنولد جوزيف توينبيArnold Joseph Toynbee** "، "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**"، "**هارولد باون Bowen Harold**" و"**هاري سانت جون بريدجر فيليبي Harry St. John Bridger Philipy**" وإن كان هذا الأَخير ضَابِطا وأستَاذا في ذَات الوَقت.[1]

بالإِضافَة لكل من المُنصِّرين "**وليم جيفورد بالجريف William Gifford Palgrave**" و "**آن بلنتAnne Blunt**".[2] أما الرَحالَة فوقع اختيارنا عَلى كل من "**الليدي ماري وورتلي مونتاجو Lady Mary Wortley Montagu**"، "**جون انتس John Antes**"، "**جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt**"، "**إدوارد وليم لينEdward William Lane**" و"**ألكسندر وليام كينغلك Alexander William Kinglake**".[3]

دون أن نَنسى فئة الضُبَاط التي اخترنا منها كلا من: "**جورج فورستر سادلير George Forster Sadleir**"، "**توماس إدوارد لورانس Thomas Edward Lawrence**"، "**جون باجوت غلوب Sir John B, Glubb**"، "**ستانلي لين بول Stanley Lane Poole**"، "**ستيفن هيمسلي لونكريك Stephen Hemsley Longrigg** "، " **هارولد فيتون جاكوب Harold**

[1] أنظر الملحق الثالث، ص312.

[2] أنظر الملحق الرابع، ص313.

[3] أنظر الملحق الخامس، ص314.

Jacob. F".[1] أما الدبلوماسيون فهم كل من: "**هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges**"، "**لويس بليLewis Pelly** " و"**جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury**".[2] هذا إلى جَانب رائد المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية "**برنارد لويس Bernard Lewis**" المنُدرِج ضمن فئة الأساتذة، والذي لا يندرج ضمن مدة الدِراسة الزَّمنية المحددة، لكن وجب علينا اختياره والاعتماد عَلى كِتاباته لأهميتها.

[1] أنظر الملحق السادس، ص 315.

[2] أنظر الملحق السابع، ص316.

خلاصة الفصل

في ختام هذا الفصل واستنادا إلى ما سَبَق ذكره؛ لا بُد من القَول أنَّ الاستشراق ماهو إلا حَركة فِكرية، أو بالأحرى حقل معرفي ضخم بَرزَ بجهود فرنسية بريطانية ثم ما لبث أن شمل الغَرب بأكمله، هادف إلى دِراسة الشَّرق من جَمِيع جوانبه ومناحيه. ارتبطت نشأته بادئ الأمر بالوازع الدِّيني المَسيحِي فأجريت مُختَلف دِراسَاته في الكنائس والأديرة وبجهود رهبان وقسيسين، ثم ما لبث أن تطور ليخدم المصالح والسِياسَة الغَربية. وقد اضطلع فيه عدد من الرُواد وعكفوا عليه وتفرغوا له وأنشئت في سَبيلِ إنجاحه وتطويره مَدارِس، مؤسسات، جمعيات ومجلات لتستوعب مُختَلف أبحاثه ودِراسَاته.

هذا ولعل المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية كَانت ولا تزال من بين أبرز وأقدم المَدارِس الاستشراقية، اهتمت بالشَّرق من جَمِيع جوانبه تحقيقا لمساعي بريطَانيا الاستِعماريَّة. أين أرسلت مُستشرقيها عَلى اختلاف وظائفهم ومستوياتهم صَوبَه من ضُبَاط، دبلُوماسيين، مستشارين سياسيين، رَحالَة، مُنصِّرين، مُؤرخين وأساتذة درسوا الشَّرق، كتبوا عنه، جمعوا المخطوطَات، الآثار وأنجزوا مُختَلف المهام التي أوكِلَت لهم حين إيفادهم نَحوه.

لا بُد من الإشارة والتَّنبيهِ هُنا إلى فِكرَة مهمة مَفادُها أنه ورغم كبر هذا الحقل المعرفي وتعدد مَدارِسه واختلافها وطول مدته الزَّمنية كونه قد ظهر منذ فترات مبكرة، لا يزال بَاحثي الشَّرق واقعين في اختلافات ثلاث: يَتمثَّل الاختلاف الأول من بينهم في عدم القدرة عَلى تَحدِيد مفهوم أساسي موحد وشامل للاستِشراق. وهو ما يقودنا للاختلاف الثاني والمتمثل في عدم مقدرتهم عَلى ضبط مفهوم خَاص بـ "المُستشرق" يتيح للبَاحثين في هذا المَجال معرفتهم وتمييزهم عن غيرهم. ولعل هذا الأمر إن تم سيكون إِضافَة كَبيرة لمجال الاستشراق وكذا الاستغراب فيما بعده كونه ينزع شرف الدِراسة والمحاولة ممن لم تتوفر فيه الشُروط.

في حين كان الاختلاف الثالث والأَخير يتجسد في عدم مقدرة البَاحثين الشَّرقيين في الفصل في قَضِيَّة مصداقية الاستشراق وأكاديميته، وكونه علم ذو منهج دقيق يُمكن للبَاحث استقاء المَعلُومَات منه. والذي قد لا يتم بشكل كامل بِسَببِ عدم مصداقية أغلب المُستشرقين وانتِهاجهم لمَناهِج غير صَحيحة، فَضلاً عن نقلهم للشاذ والخطأ من الرِوايَات. ولكن مع ذلك كله؛ يظل هذا الحقل المعرفي مصدرا خصبا وهاما للدِراسَات التَّاريخية، يُمكننا من معرفة الصورة التي جسدها الغَرب عن الشَّرق ومواقفه ومساعيه ومُختَلف أهدَافه منه والتي لا بُد من الإحاطة والإلمام بها حتى نتمكن من تجسيد صورة متكاملة عن مُختَلف الوقَائِع التَّاريخية.

الفصل الثاني

القضايا السِياسيَّة في كتابات المَدرَسة الاستِشراقية البريطَانية

I. الشرعية الدِّينية والسياسيَّة
II. ظاهرة النفوذ المحلي في الدولة العثمانيَّة من خلال الكتابات الاستشراقية
III. عَلاقَة الدولة العثمانيَّة بأورُوبا برؤية استشراقية

تعرض عدد من رُواد مدرسة الاستشراق البريطاني للقضايا السِياسيَّة العثمانيَّة بالبَحث في حيثياتها وتفاصيلها المُختَلفة ومعالجتها باعتبارها جزءا من تَاريخ دولة شرقية، مخلفين في ذلك كِتابات عَدِيدة، متنوعة وغزيرة تحوي في طياتها آراءهم ومُلاحظَاتِهم حولها وعددا كَبيرا من المُغالطَات والأفكَار الاستشراقية المشوهة لهذا التَّاريخ والمُجحِفة له. لِذلِك كان لا بُد من إِثَارَة الانتباه لها، مقارنتها بع بَعض وتَحلِيلها استنادا إلى ما وَرد في كتابات التَّاريخ العُثماني المحلية لمعرفتها وتنبيه القراء لها ولمعرفة السِياسَة البريطَانية المنتهجة خِلال تِلكَ الفَترة.

I. الشرعية الدِّينية والسِياسيَّة

أولا - الخِلافة في الدولة العثمانيَّة بنَظرة استشراقية

أَثارَت قَضِيَّة الخِلافة جَدلا واسعا في الوسطين العَربي والغَربي عَلى حد سَواء، فخاضت فيها الأقلام وتباينت بين مبرز لرأيه بتحيزٍ كامل وبين ساع لإبراز هذا المَوضُوع بمَوضُوعيَّة مطلقة، لكن قبل الخوض في غمارها وإبرازِ آراء المُستشرقين فيها لا بُد من عرض جَمِيع حيثياتها. نستهل الأمر بالحديث عن مفهومها، فالخِلافة في اللغة تأتي من خلف الشخص أي جَاء بعده وكان خليفته.[1] ويُقصد بها كمعنى اصطِلاحِي الولاية العامة عَلى جَمِيع أمور الأمة، وهي كذلِك خِلافة شخصٍ من الأشخَاص للرسول صلى اللّه عليه وسلم في رئاسة أمور الدِّين والدنيا، أو هي كما عرفها السيد **"محمد رشيد رضا"**[2] رئاسة الحُكومة الإسلامية الجَامعَة لمصالح الدِّين والدنيا.[1]

---

[1] أحمد بن عبد اللّه القلقشندي، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، تح، عبد الستار أحمد فراج، ج01، ط01، عالم الكتب، بيروت، 1964م، ص 08. للمزيد أنظر: عبد الستار أحمد فراج، "**الخلافة والإمارة والإمامة في الإسلام**"، مجلة العَربي، ع101، الكويت، 01 أفريل 1967م، ص127.

[2] **محمد رشيد رضا (1865 -1935م)**: اسمه الكامل محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدِّين بن محمد بهاء الدِّين بن منلا علي خليفة القلموني. رجل من رجال الإصلاح، حفظ القرآن الكريم، درس النَحو والصرف والحساب، أتقن إلى جَانِبِ لغته الأم العَربية اللغة التركية. قصد منذ فَترة شبابه عددا من المُدن العَربية والغَربية بالإِضافَة للعاصمة العُثمانية في

وقد قام الإمام **"أبو حامد الغزالي"**[2] بشرحها في كِتاباته كنَظريَّة فقهية، فكَانت حَسبَ ذكره قائمة عَلى أخذ البيعة من أصحَاب الحل والعقد "الشوكة" ومخضِعَة لها نِظَام السَّلطَنة. وهو ما يبرز بِشكل أدق في قوله: {الوِلايةُ لا تتبعُ إلا الشَّوكَة فَمن بَايعهُ صَاحِبُ الشَّوكَة فهو الخَليفَة، ومن استَبد بالشَّوكَة ومُطيعٌ للخَلِيفَة في أَصلِ الخطبةِ والسِّكة فَهو سُلطَانٌ نافِذُ الحُكمِ والقَضاءِ في أقطَارِ الأرضِ ولاية نَافذةَ الأحكَام}.[3]

بالحَدِيث عن نَظرة المُستشرقين البريطانيين لمَوضُوع الخِلافة، نجد عددا لا يُستَهانُ به منهم قد كتب عن هذا المَوضُوع وحلله وناقش أفكاره، فهذا المُستشرق **"توماس آرنولد ووكر Sir Thomas Arnold Walker"** يرى بأنَّ الخِلافة ماهي إلا مؤسسة سِياسيَّة وليدة زمنها، غريبة عن العَرب ولم تكن في ذَات الوَقت إحياءً لما قَبلها. لها ألقابٌ مُتعلقة بها عَلى

رحلات إصلاحية أو زيارات عائلية. وللعلم نبغ في الكِتابات النثرية والشعرية منذ صباه ما جعله يؤلف عددا من الكتب والمقالات القيمة والتي لا يستهان بها من أمثال كِتابه الموسوم بالخلافة، الوهابيون والحجاز والوحي المحمدي. إلى جَانِبِ إنشائه لمجلة المنار ذَات الخمسة والثلاثين مجلدا. للمزيد أنظر: إبراهيم أحمد العدوى، **رشيد رضا الإمام المجاهد**، د.ط، المؤسسة المِصرية العامة، مِصر، د.ت، ص ص19 -29. أنظر أيضا: خير الدين الزركلي، **الأعلام -قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج06، ط15، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، 2002م، ص 126.

[1] محمد رشيد رضا، **الخلافة**، د.ط، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مِصر، 2015م، ص 14. للمزيد أنظر: سعد الدِّين التفتازاني، **شرح المقاصد**، تح، عبد الرحمن عميرة، ج05، ط02، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1998م، ص ص232 -234. أنظر أيضا: رشدي عليان، "**الخلافة والأمامة في الإسلام بحث موضوعي في رئاسة الدَّولَة مقارنا بآراء المذاهب الإسلامية**"، مجلة الآداب، ع18، جامعة بغداد، العراق، 01 جانفي 1974م، ص155.

[2] **أبو حامد الغزالي (1058 -1111م)**: فيلسوف ومتصوف ملقب بحجة الإسلام. اسمه الكامل الطوسي محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، وقد قيل في تسميته بالغزالي احتمالين اثنين كان الأول نسبة لصناعة الغزل، أما الثاني فقيل نسبة لقرية من قرى طوس وتدعى غزالة. له عدد قيم من المؤلفات فاق المائة عدد في مُختَلف صنوف العلوم في الفقه، التصوف والفلسفة... وغيرها من أمثال: إحياء علوم الدِّين، أسرار الحج، معارج القدس في أحوال النفس، منهاج العابدين، تهافت الفلاسفة، مقاصد الفلاسفة، الاقتصاد في الاعتقاد. للمزيد أنظر: الزركلي، **الأعلام**...، المرجع السَّابق، ج07، ص 22.

[3] مجموعة مؤلفين، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ج07، ط02، دار ذَات السلاسل، الكويت، 1986م، ص 116. للمزيد أنظر: أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدِّين**، ج02، د.ط، مكتبة كرياطة فوترا، إندونيسيا، د.ت، ص 139.

غِرار لقبي "أمير المؤمِنين"، "الإمام" ولقب "الخَلِيفَة". تمتع فيها هذا اللقب الأَخير -أي لقب الخَليفَة - بسُلطَة هائلة استمدها من عظمة الدولة الإسلامية التي أسماها بالإمبراطورية. وقد كان استعماله دالا حَسبَ رأيه عَلى الاتصال بين الخَليفَة والرسول من جِهة، وموجِبا طاعة المُسلِمين له من جِهة ثانية. في حين كان لقب أمير المؤمنين دالا عَلى تبجيل وتعظيم دنيوي لمَنصِب الخَليفَة من جِهة ومبرزا أنَّ الخَليفَة هو السَّيد الأعَلى للدَّولة من جِهة أخرى، أما لَقب الإمام الذي ارتبَط بها فَقَد كان ناتجًا عن الوظِيفَة الدِّينيَّة له باعتبَاره مُرشدًا للمُسلِمين وجَمِيعهم في نَظره ألقابٌ خصَّت الخُلفَاء الأوائِل.[1]

في حين نجد أنَّ للمُستشرق "**هاملتون جبHamilton Gibb**" رأي آخر في الخِلافة، فقد أكَّد في كِتاباته أنَّ نَظريَّة الخِلافة السَّابقة الذِّكر نَظريَّة **خطأ** مُستنِداً في تَبرِير رأيه إلى سببين اثنين هما عَلى التوالي: عدمُ وجودِ مبدأ في الخِلافة مُجمعٍ عَلى قَبوله بِسَببِ التطورات التي حصلت في هذه النَظريَّة والتي جَاء بها العُلماء والفُقهَاء لمواكبة التطورات والأحدَاث الحاصلة، مع اختلاف معنى الخِلافة الحقيقي عن صيغ الفُقهَاء.[2] ومن خِلال الإطلاع عَلى كِتابات هذا المُستشرق نجد أنه قد اعتَمدَ في تَحلِيل نَظريَّة الخِلافة عَلى أمرين اثنين هما: الوَاقِع الذي مَرَّ به العالم الإسلامي بالدرجة الأولى، وعَلى اجتهادات الفُقهَاء والعُلماء التي كَانت آنذاك تسعَى لإيجَادِ صِيغٍ تُواكبُ وقتهُم المعاش.

بمرور الزَّمن تأثرت الخِلافة حَسبَ المُستشرق "**توماس آرنولد وولكر Sir Walker Thomas Arnold**" بالأحدَاث والوقَائِع التَّاريخية التي مر بها العالَم الإسلامي، فالخِلافة بالنسبة له خِلافة الثَّلاثين سَنة الأولى أما ما تَلاها فهُو حُكمٌ أضحت فِيه الخِلافة تَابعةٌ لأسَر

[1] توماس آرنولد وولكر، **الخلافة تَاريخ الحَضارة الإسلامية حتى آخر العهد العُثماني**، تر، محمد شكري العزاوي، غانم النقاش، ط01، الوراق للنشر، بغداد، 2016م، ص ص15، 28، 33، 38.

[2] هاملتون جب، ستانفورد شاو، وليام بولك، **دراسات في حَضارة الإسلام**، تر، إحسان عباس وآخرون، ط03، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، ص ص185 -195.

مُستقلَّة ومُجرد وظيفة انتخابية. ثم استُغِلت من قبل أشخَاص كثر انتحلوها وادعوا أنهم خُلفَاء وأئمة وأمراءٌ للمؤمنين، لتختفي هذه الأخيرة بجَمِيع مظاهرها مع نِهاية الحُكم العباسي وتضحى مجرد اسم متداول.[1]

وهو ذَات الأمر الذي أكَّده المُستشرق "**هاملتون جبHamilton Gibb**" في كِتاباته واتفق معه عَلى القَول بعد تَحلِيلٍ مطول لهذه النَظريَّة بأنَّ الخِلافة استَمرت لمدة ثلاثين سنة فقط وما تلاها لم يكن سوى إمامة تلقبت من باب التعظيم والإجلال بألقاب الخِلافة. وأشَار كذلِك إلى فِكرَة مَفادُها أنَّ العُثمانيين وإن تَلقَّبُوا بهذه الألقَاب فهم لم يَستَخدِموا الألفاظ الخَاصة والدَّقِيقَة للخِلافة عَلى غِرار لقب "أمير المؤمنين".[2]

بالعودة للسِياق التَّاريخي للقَضِيَّة، أجمع العُلماء عَلى القَول بأنَّ للخليفة شُروط عَدِيدة يجب توفرها فيه كأن يكون شَخصًا قُرشيًا، مُسلِمًا، ذَكرًا، سَلِيمًا، حُرًا، عَاقِلا، مُكلَّفًا، مُجتَهدًا، شُجاعًا، عَادلاً وذو رَأي. وهو ما أُجمِل في كِتاب المقاصد في القَول التالي: {التَّكلِيف، والحُرية والذُكُورة والعَدالَة وذلك ظَاهِر، وزاد الجُمهور الشَجاعَة ليُقِيم الحُدود ويُقاوِم الخُصوم، والاجتِهاد ليقوم بمصالح الدِّين، وإصابة الرأي ليقوم الأمور، وكونه قُرشيا لقوله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قُريش، الوِلاية من قُريش قدموا قريشا ولا تقدموها}.[3]

---

[1] آرنولد وولكر، المرجع السَّابق، ص ص25، 27، 39، 54، 66.

[2] تأكيد المستشرقين على الفكرة القائلة بأن الخلافة خلافة الثلاثين سنة الأولى فقط يقود الباحث نحو وضع احتمالات حولها، فإذا كانت الخلافة نظرية خطأ، وحكم منتحل ومستغل ولا أساس له من الصحة ويقتصر على الثلاثين سنة الأولى من ظهوره فقط، إذا فالدول التي حكمت ما بعد تلك المدة استنادا إليها بما فيهم الدولة العثمانية فحكمها لا أساس له من الصحة. وبالتالي فالتأكيد على المدة وعلى عدم استخدام ألقاب الخلافة الدقيقة يقود نحو نفي الخلافة العثمانية وصحتها، ابرازهم بمظهر المنتحل لها، فمنع استعمالها واستبدالها ليتم فصلها في نهاية المطاف. للمزيد أنظر: جب، شاو، **دراسات**...، المرجع السَّابق، ص ص190 -191.

[3] التفتازاني، المصدر السَّابق، ج02، ص 243.

ووضحه كذلِك الماوردي[1] في كِتاباته بقوله: { وأمَّا أهل الإمَامة فالشرُوط المُعتَبَرَة فِيهم سَبعة: أحدُها العَدَالة عَلى شُروطها الجَامِعَة، والثَّانِي: العِلمُ المؤدِّي إلى الاجتِهَاد في النَّوازِلِ والأحكَام، والثَّالِث: سَلامَة الحَواس من السَّمعِ والبَصَرِ واللِّسَان ليصِّحَ مَعَهَا مُبَاشَرة مَا يُدركُ بها، والرَّابع: سَلامَة الأعضَاءِ من نَقصٍ يَمنَعُ من استِيفَاء الحَركَة وسُرعَة النُهُوض، والخَامسُ: الرَّأي المُفضِي إلى سِياسَة الرعِيَّة وتَدبيرِ المَصَالِح، والسَّادس: الشَجاعَة والنَّجدَة المُؤدِّية إلى حِماية البيضة وجِهاد العدو، والسَّابع: النَّسب، وهو أن يَكون من قُريش...}. [2]

بالعودة لكتب المُستشرقين البريطانيين الذين عَالجُوا هذه القَضِيَّة وكتبوا عنها، نجد أنَّ بَعضا منهم قد عددوا ذَات الشُروط السَّابقة الذِّكر، وتوجهوا عقبها نَحو الحَديث عن شُروط خلعه. عَلى غِرار المُستشرقين "**هاملتون جب Alexander Roskeen Gibb Hamilton**" و"**هارولد باون Bowen H**" اللذان أكَّدا أنَّ الفُقهَاء والعُلماء الذينَ نَظَّمُوا هذه الشُروط ووَضعوا قَوانِين الخِلافة كَانُوا مُقيَّدِين بالشَّريعَة الإسلامية، فَضلاً عن ذَلِك فَشُروط خَلعِ الخَليفَة قَد دَفعَت بكلَيهما إلى القَول بأنَّ النَظريَّة أضحَت مُجرد لَفظَةٍ عَاكسةٍ لفِكرَة **الانفِرادِ بالسُلطَة**. وهو ما يَبدوا جلِياً في قَولهما: {...بأنَّ غِيابَ الرَّقَابَة عَلى أعمَالِ الخَليفَة الاستِبدَاديَّة إلا بِواسِطَة الثَّورَة، قَد حَوَّلَت نَظريَّة الفُقهَاء مِن عَقدٍ تُنائِي الجَانب إلى مُجرَّدِ لَفظَةٍ أَكادِيميَّة تَعنِي الإنفِرَاد المُطلَق بالسُلطَة الذي لا يَحُدُّ مِنه سِوى القِيام بثَورَةٍ مُسلَّحة}.[3]

---

[1] **أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (972 –1058م)**: قاض وفقيه شافعي، دارس للحديث، الفقه والتفسير وبارع فيه، مشهور بالسفر الدبلوماسي بين الدَّولَة العباسية والبويهية، وكذا بين البويهيين والسلاجقة. خلف هذا الأخير كتبا عديدة في السياسة، التفسير، الفقه والاجتماع. للمزيد أنظر: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدِّينية**، تح، أحمد مبارك البغدادي، ط01، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م، ص 39.

[2] نفسه، ص05. أنظر أيضا: رشيد رضا، المصدر السَّابق، ص 21.

[3] هاملتون جب، هارولد باون، **المُجتَمع الإسلامي والغَرب**، تر، أحمد إيبش، ج01، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات العَربية المتحدة، 2012م، ص 78.

وهو ذَات الأمر الذي أكَّده "**توماس آرنولد وولكر Sir Thomas Arnold Walker**" في كِتابه ولكن بطرح مُختَلف عن سابقيه، فقد ذكر بأن تَحدِيد أصل الخَليفَة واقتصاره عَلى أن يَكون قُرشيا، مع شَرطِ التزام الرعية له بالطاعَة في حَال العدل والظُّلم شرطان يضعان قوة الخِلافة غير المحدودة بيد شَخصٍ وَاحد ويَجعلان مِنهَا **حُكمًا استِبداديًا**.[1]

ليتوجه عقبها بطرحه إلى أبعد من الحديث عن طبيعة هذا النظام، نحو فصله عن المسلمين وربطه بالحضارة الفارسية مستندا في تبرير رأيه إلى الفكرة القائلة بأنَّ المجتمع الإسلامي لم يعرف وجود أي نظام سياسي أو أي شكل من أشكال المؤسسات السياسية قبل الإسلام، وبالتالي فالأمر مأخوذ من الحضارة الفارسية السابقة لهم.[2]

بإسقاط هذا الأمر عَلى الدولة العثمانيَّة، نجد أنَّ مَوضُوع الخِلافة الذي رُبط ظهوره بالسُّلطَان "سليم الأول"[3] بعد سيطرته عَلى مِصر والحِجاز وانتقال الخِلافة له من آخر خليفة عباسي تواجد بمِصر آنذاك حَسبَ الحادثة التَّاريخية المشهورة، مَوضُوع نفت صحته الكتابات التَّاريخية الحَدِيثة وأكَّدت عدم ذكرها في المصادر التَّاريخية الموافقة لعصره وحتى تِلكَ التي كُتبت بعده، وذَهبَت للقَول بأنها ظَهرَت ولأسباب عَدِيدة ما بعد عهد السُّلطَان "سليم الأول".[4]

---

[1] آرنولد وولكر، المرجع السَّابق، ص 44.

[2] Thomas W. Arnold, **The Caliphate**, Oxford University Press, London, 1924, p 48.

[3] **سليم الأول (1512 –1520م/918 –926هـ)**: هو تاسع سلطان عثماني، قام خلال الفَترة الأولى من توليه للحكم بالقضاء عَلى إخوته وأولادهم بعد أن نازعه بعضهم عَلى الحكم، ليتوجه عقبها نَحو فرض سيطرته عَلى المناطق العَربية بدءا من عام 1514م فدان له المشرق والمغرب العربيين والحجاز. للمزيد أنظر: عزتلو يوسف بك آصاف، **تَاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن**، تق، محمد زينهم محمد عزب، ط01، مكتبة مدبولي، القاهرة، مِصر، 1995م، ص ص56 –59.

[4] حاجي خليفة، **تَاريخ ملوك آل عثمان – فذلكة أقوال الأخيار في علم التَّاريخ والأخبار**، تح، تق، سيد محمد السيد، د.ط، د.د، د.ب، د.ت، ص ص232 –257. أنظر أيضا: مرعي بن يوسف الكرمي، **نزهة الناظرين في تَاريخ من ولى مِصر من الخلفاء والسلاطين**، تح، أميرة فهد محمد دبابسة، د.ط، د.د، د.ب، د.ت، ص ص245 –252. أنظر أيضا: ابن زنبل الرمال، **آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العُثماني**، تح، عبد المنعم عامر، ط02، الهيئة المِصرية العامة للكِتاب، مِصر، 1998م.

ذُكر هذا الأمر كذلك في كتابات "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**" فهو لم يُسلِّم بصحتها، وبيَّنَ أنها حادثة ضعيفة مختَلقة وفي ذَات الوَقت لا تنزِعُ من العُثمانيين حق الإمامة ولا حَق التَّسمي بألقاب الخِلافة كدَار الإمَامة ودَار الخِلافة.[1]

كما وَضَّح هذا الأَخير رفقة المُستشرق "**هارولد باون Bowen. H**" رأيهما في مَوضُوع اختيار الخَليفَة السَّابق الذِّكر، فذكرا أنَّ الدولة العثمانيَّة أو السَّلطَنة العثمانيَّة كَانت وريثَة سِنينٍ من التَقَالِيد ونُظم الحُكم القديمة الخَاصة بالعَرب، اليونان والفرس. فتأثَّرت بذلِك أفكَارهم المُتعلِّقة بالحُكم في ظل بقاء طَبيعَتِه الأَساسِية كما هي.[2]

وهي ذَات الفِكرة التي تحدث عنها المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" أين ذكر أنَّ نِظَام الحُكم في الدولة العثمانيَّة اختلط بنظم الدُول التي احتكت بها كالفَارسِية، اليونانية والبيزنطية، فتغير بفعلها وبفعل عوامل أخرى لِذلِك لم يطبق في شكله القائم عَلى الاختيار -الشورى- بل ظل نَظريا بحتا وتوالت بدلا عنه أسر وسلالات عَدِيدة في الحُكم.[3]

هذا القَول دفع بالبَاحث "**مازن بن صلاح المطبقاني**"[4] للقول بأن هذا المُستشرق يسعى من خِلال كلامه إلى نفي الأصالة عن النُّظم السِياسيَّة العثمانيَّة مع التأكيد بأنها مزيج أو خليط من النُّظم الفَارسِية، العَربية والبيزنطية -دون أن يقدم دليلا ملموسا عن هذه النُّظم-. وأنَّ دولة كالدولة العثمانيَّة استَمر بقاؤها لمدة لا تقل عن ستة قرون لا بُد لها من أن

---

[1] جب، شاو، المرجع السَّابق، ص 191.

[2] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج01، المرجع السَّابق، ص 75.

[3] برنارد لويس، **استنبول وحَضارة الخلافة الإسلامية**، تع، رضوان سيد علي، ط02، الدار السعودية للنشر والتوزيع، المملكة العَربية السعودية، 1982م، ص ص59، 63، 66، 70.

[4] **مازن بن صلاح المطبقاني:** أستاذ، مفكر، مترجم وكاتب سعودي من مواليد عام 1950م، متحصل على درجة الدكتوراه من قسم الاستشراق بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، له عدد من الكتابات والمقالات والأبحاث المنشورة في مجالي الإستشراق والتاريخ على العموم. للمزيد أنظر: المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات...**، المرجع السابق، ص615.

توجد نِظَاما سياسيا خَاصا بها.[1] ويُمكن بناء عَلى هذا التَحلِيل أن نُدرِج كذلِك المُستشرقين السَّابقي الذِّكر "**هاملتون جب Alexander Roskeen Gibb Hamilton** " و"**هارولد باون Bowen. H**" ضِمنه فهو كذلِك ينطبق عَلى كليهما، وهذا طبعا بناء عَلى الطَّرح الذي قدماه حول نَظريَّة الخِلافة وقد تم ذِكره سَابقا.

من جَانب آخر، توجه بَعض المُستشرقين إلى أبعد من الحَدِيث عن نَظريَّة الخِلافة، تَاريخها، تطورها وشُروطها، نَحو إسقاط هذا الأمر عَلى الدولة العثمانيَّة لمعرفة طبيعة النِظَام القائم فيها أهو نِظَام خِلافة أم سلطنة. وهو ما توجه إليه المُستشرقين "**هاملتون جب Alexander Roskeen Gibb Hamilton**" و"**هارولد باون Bowen. H**" فذكرا أنَّه وبالنَظر لواقع الدولة نُدرك أنَّه لا وجود لعقد بين الحَاكم والمحكُوم -أي لنِظَام الخِلافة - ولكن هُناك مجمُوعة من الحقوق المكتسبة عنوة والمحافظ عليها بالقُوة، لِذلِك لم يعد يبرز الخَليفَة كحاكم للبلاد ولكن كسُلطَان وقصد بذلك بأنه صاحب سُلطَة زمنية أو "باديشاه".[2]

نَاهيك عن ذلك، فالخِلافة في نَظرهما قد فقدت معناها وسلطتها منذ القَرن العاشر وشرع عقبها الفُقهَاء في البَحث عن حلول لتسيير الوَضع ومجاراته، وهذا كله حسبهما خوفا من الوقوع في الإثم. لِذلِك قدَّم الخُلفَاء وثيقة رَسمِية للسُلطَان -الحاكم الزَّمني - فكسبوا

[1] نفسه، ص ص339 -340.

[2] بالإطلاع على كتابات المستشرقين السابقي الذكر نلاحظ إثارة لعدد من الأفكار الرافضة لفكرة الخلافة من الأساس والراغبة في تشويهها إن صح القول، فدائما ما تثار الأسئلة التشكيكية حول بعض الثوابث في الحكم المستند للشريعة الإسلامية كمسألة خلع الحاكم، وبالتالي ضرب ثوابت هذا النظام. فضلا عن أنهم منحوا العثمانيين حق التسمي بالألقاب الخاصة بهذا النظام فقط وجعلوا من دولة قد تضحى لتكون خلافة مجرد إمامة فقط، ليتوجهوا عقبها نحو نزع الألقاب من العثمانيين وتجريدهم منها بطريقة عرض فلسفية، قادتهم في الأخير إلى ربط الحكم العثماني بالفارسي والذي يبدوا جليا في جعل السلطان باديشاها وبالتالي إبعاد الفرد الشرقي عن الأمور المتعلقة بالدين وربطها بالحضارات القديمة. للمزيد أنظر: جب، باون، **المُجتَمع**...، ج01، المرجع السَّابق، ص ص80 -81.

بذلك الشرعية لحكومتهم المستندة في الإدارة للقوة العسكرية فخضعت السَّلطَنة للخِلافة بعد أن أقحمت ضِمن النَظريَّة الفقهية للحكومة، لتضحى بعد مدة من الزَّمن مرادفة لها.[1]

لكن ما يراد التَّنبيهِ والإشارة له هُنا أنَّ السُّلطَان لم يلقب بلقب الخَليفَة أو الإمام بمعناه الدقيق وإن لقب بذلك بَعض السلاطِين العُثمانيين فقد كان ذلك حَسبَ هاذين المُستشرقين دلالة عَلى **الاختلاف بينه وبين حُكام المغول الهمجيين**. وكَانت النتيجة التي توصل إليها كليهما أن العُثمانيين وإن كَانُوا أكثر الحكام التزاما بقَوانِين الشريعة[2] إلا أنَّ سُلطَة الحَاكم ونُفوذه ومفهوم المُلك عندهم لم يَتأثر بالأفكَار الإسلامية إلا بنسبٍ قَلِيلة.[3]

---

[1] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج01، المرجع السَّابق، ص ص80 -81.

[2] فيما يخص مسألة التزام العُثمانيين بالشريعة الإسلامية واتِبَاعها ذكر المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" أن للإسلام مكانة قيمة في الدَّولَة العُثمانية وبين العُثمانيين، فهم لم يُجبروا عَلى اعتناقه وارتبطوا به حتى **فقدوا معنى القومية** وحملوا لواءه وسعوا للذود عنه منذ السنين الأولى لظهور الدَّولَة، وتمكنوا من فرض حكم إسلامي عَلى مناطق شاسعة من أوروبا. واعتمدوا في تسيير شؤون شعوبها عَلى سياسة التسامح الدِّيني التي كَانت في نظر هذا المُستشرق سياسة جعلت رعاياها يعيشون في أمن وسلام، لكنها في ذَات الوَقت عزلتهم عن بقية شعوبها وأنقصت من حريتهم في الاختلاط، ومنعتهم من تقلد مناصب راقية في الدَّولَة ومن المسَاهمَة في الحياة. وقد جعل كلامه هذا البَاحث "**مازن بن صلاح المطبقاني**" يقول بأن كلامه يعكس مدحا ظاهريا للخلافة والدَّولَة العُثمانية وطعنا ضمنيا وانتقاصا خفيا لها ولسياستها. للمزيد أنظر: برنارد لويس، **ظهور تركيا الحديثة**، تر، قاسم عبده قاسم، سامية محمد، ط01، المركز القومي للترجمة، القاهرة -مِصر، 2016م، ص ص20، 30، 32 -34. أنظر أيضا: المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات**...، المرجع السَّابق، ص ص334، 336.
بالنظر لكلام هذا المُستشرق نجد أن هُناك بعضا من اللبس، ومحاولة لخلط الأمور عَلى القارئ، حتى أنه لا يتمكن من إدراك هذا الأمر منذ الوهلة الأولى، ومرد هذا إن صح القول للمناهج التي يتبعها المُستشرقون في دِراساتِهم. بشكل أدق وبالتركيز عَلى العبارات الأولى لقوله نجد أنَّ العُثمانيين حقا كانوا من بين الشعوب المحبة للدين الإسلامي والمطبقة لشرائعه بشكل دقيق ومنتظم، وهذا الأمر صحيح، ولكن ومع مواصلة القراءة نجد أن المُستشرق قد أدرج لفظا حديثا برز خلال القَرن التَّاسع عشر مع فكر ذو أصول تَاريخية متجذرة ألا وهي لفظة القومية. متناسيا أن هذه اللفظة لم تكن موجودة في الفكر الإسلامي بمعناها الحديث والمعاصر بل كَانت هُناك فِكرَة الوِحدَة الإسلامية التي يكتسب منها الفرد قوميته. نَاهيك عن أنَّ الإسلام لا يُفقد أي شعب هذه الفِكرَة.

[3] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج01، ص ص84 -86.

بالنَظر للكِتابات التَّاريخية المحلية عن هذه القَضِيَّة نجد أنَّ **"الإمام الغزالي"** قد قدم في كِتاباته شرحا مستفيضا لهذا الأمر في قوله المعروف: {إنَّ الوِلايَة لا تَتَّبع إلا الشَّوكَة فَمَن بَايعَه صَاحبُ الشَّوكَة فَهو الخَليفَة ومن استَبدَّ بالشَّوكَة ومُطيعٌ للخَليفَة في أمرِ الخطبَة والسِّكة فهو سُلطَان نافِذ الحُكم والقَضاء في أقطَارِ الأرضِ ولاية نَافِذة الأحكَام}.[1] ولعل هذه الفِكرة هي التي أراد أن يوصلها كلا المُستشرقين السَّابقين للقارئ بعد أن بينا أن العُثمانيين أخذوا حقهم في الحُكم وحافظوا عليه بالقُوة لِذلِك بَرزُوا كسلاطين لا كخُلفَاء -ومن استبد بالشوكة ومطيع للخليفة... فهو سُلطَان -.

في ذَات السِياق، وبِسَببِ تواجد آخر الخُلفَاء العباسيين في مِصر خِلال العهد المملوكي مُنح المماليك حَسبَ رأي المُستشرق "**توماس آرنولد وولكر Sir Thomas Arnold Walker**" شرعية الحُكم رغم عدم نيل هؤلاء الخُلفَاء أي امتياز خِلال تواجدهم بالمَنطِقة. فاختلفت بذلك فِكرَة نيل الخِلافة بينهم وبين العُثمانيين بعد أن أخذت الخِلافة منحى جديدا معهم، إذ لم يعد هُناك أي داع لطلبها من آخر خليفة عباسي، فَضلاً عن أنه رَأَى أنَّ شرط الانتساب لقريش لم يعد له أي داع كون أنَّ السُّلطَان العُثماني -الخَليفَة - يعتبر نفسه خلفا للنبي ويستمد سلطته من اللّه مُستنِداً في كسب شرعية هذا الأمر إلى الآيات القرآنية.[2]

نَاهيك عن أنَّ أمرَ التنازُلِ الوارد في الكُتب كان حَسبَ هذا الأَخير أمرا غير صَحيح وغير وارد ومسألة نقل الخِلافة مجرد إدعاء، وقد استند في تَبرِير رأيه إلى عدد من الأَسبَاب هي كالتالي: أولا أنَّ السُّلطَان "سليم الأول" لم يجعل من اصطلاح "الخَليفَة" لقبا له بل كان قد تَسَمَّى به أجدَادُه من قبله وتسمى به هو قبل السَّيطرة عَلى مِصر. ثانيا: اعتاد هذا السُّلطَان أن يطلق عليه هذا اللقب في أشكال عَدِيدة "كيَدِ الخِلافة اليمنى"، "شجرة روضة الخِلافة الباسقة" مذ كان أميرا وهو أمر طبيعي في نَظره. ثالثا: إبقاؤه على عملته المستعملة وعدم

[1] أبو حامد الغزالي، المصدر السَّابق، ج02، ص 139.

[2] آرنولد وولكر، المرجع السَّابق، ص ص83، 85، 109 -111.

صكه لعملة أخرى، فضلا عن عدم ورود هذا الأمر في المصادر التي وافقت فَترة حكمه ولا في الرسالة التي بعث بها لابنه سليمان يعلمه فيها بأخبار الحَملَة وهو ما يعكس في نَظره عدم اهتمام هذا الأَخير بأمرها وانشغاله بتوسيع رقعته الجغرافية، نَاهيك عن أنَّ اللقب الذي كان يتردد ذكره في الخطبة كان لقب "السُّلطَان" لا "الخَليفَة".[1]

وأشَار كذلِك إلى فِكرَة استعمال ألقاب الخِلافة وبين أنها لم تستعمَل في الوسط العُثماني بِشكل منتظم فقد استُخدِم لقب "خليفة" أكثر من لقبي "أمير المؤمنين" و"إمام"، كما أشَار إلى أنَّ كل سُلطَان كان ينتحل لنفسه لقبا أعظم من غيره، ويبحث عمن يدعم مَنصِبه. هذا فَضلاً عن اصطِلاح المتزلفين للسُلطَة والمتملقين هذه الألقاب لحكام عصرهم، وفق ما أسماه **بـرِقة اللغة السياسيَّة** فكان بذلك اغتصابا لمركز الخَليفَة الأصلي.[2]

ولعل هذه الفِكرة تدفع بالبَاحث للتساؤل والتشكيك في تَحلِيلات هذا المُستشرق فكيف لخِلافة انتهت بمرور الثلاثين سنة الأولى من ظهورها أن تغتصب في ظل وجودها كمجرد فِكرَة أو بالأحرى في ظل تغيرها لإمامة أو حكم خاضع للخِلافة.

مع حلول القَرن الثامن عشر تغير الوَضع، وبَرزَت تحديات جديدة في الدولة العثمانيَّة جعلت من سلاطينها يتوجهون عن قصد إلى التلقب بلقب "الخلفية" لتَحقيقِ أغراض سِياسيَّة خارجية تمثلت في تبيين الرابط بين الدولة ورعاياها المسلمين في الدُول المَسيحِية، وهو ما بَرزَ بِشكل واضح في مُعاهَدة "كوتشوك قينارجة 21 -07 -1774م" المبرمة مع روسيا.[3]

[1] نفسه، ص ص115 -117، 121 -124، 129.

[2] نفسه، ص ص101، 109 -111.

[3] محمد ضياء الدِّين الريس، **تَاريخ الشرق العَربي والخلافة العُثمانية أثناء الدَور الأَخير للخلافة 1774 -1924**، ج01، مكتبة نهضة مِصر، مِصر، 1950م، ص 18.

بين هُنا المُستشرق **"توماس آرنولد وولكر Sir Thomas Arnold Walker"** أنَّ اتباع هذه السِياسيَّة كان من قبيل الاعتراف بالسُّلطَان العُثماني ممثلا للسُلطَة الدِّينية الإسلامية في الممالك والدُول المَسيحِية من باب اتباع **السِياسيَّة الروسية**، وأكَّد أنَّ انتِشار هذه الأفكَار من باب اتِبَاع الفِكر المَسيحِي **اللاهوتي** ليس له أي أساس من الصحة وهذا راجع للاختلافات الواضحة والشاسعة بين الدينين.[1]

لتأخذ الخِلافة منحى آخر خِلال القَرن التَّاسع عشر بالتَحدِيد مع السُّلطَان "عبد الحميد الثاني"[2] أين أضحت حَسبَ ذكر المُستشرق **"توماس آرنولد وولكر Sir Walker Thomas Arnold"** تمثل **حقا عثمانيا**. فقد شَرَّعَ "عبد الحميد الثاني" هذا الأمر في دستور 1876م،[3] وسَعَى إلى الحُصولِ عَلى اعتراف من الدُول المجاورة رَغبَة في توحيد المُسلِمين تحت لواء الدولة العثمانيَّة للذود عنها ومواجَهة الأخطار الأوروبية المحدقة والمحيطة بها. لكنَّهُ لم يلقَ القبول اللازم لِذلِك لأسباب عَدِيدة أرجعها هذا المُستشرق إلى جَهلِ الرُّسُل العُثمانيين الذين

---

[1] آرنولد وولكر، المرجع السَّابق، ص ص139 -145.

[2] **عبد الحميد الثاني (1876 -1909م/ 1293 -1327هـ)**: هو السلطان العُثماني الرَّابع والثلاثون ابن السلطان عبد المجيد الأول، تولى الحكم لمدة ثلاث وثلاثين سنة تمكن خلالها من إِحدَاث تغيرات عديدة في دولته فقد أعلن الدستور فور توليه الحكم بالتَحدِيد في الثالث والعشرين ديسمبر لعام 1876م ليتم تعليق العمل به بعد سنتين من ذلك بالتَحدِيد في الرَّابع عشر من شهر فيفري لعام 1878م. كما تواصلت في عهده الحرب العُثمانية الروسية وانتهت إحداها بعقد الإتفاقية المعروفة بـ "سان ستيفانو"، دون أن نَنسى المسألة الأرمينية التي بَرَزت في عهده، والمساعي اليَهودية لشراء فِلسطِين منه، فضلا عن ازدياد نفوذ الاتحاديين الذين تمكنوا في نِهاية المطاف من خلعه عن سدة الحكم في السابع والعشرين من شهر أفريل لعام 1909م، ومصادرة أمواله وممتلكاته ومن ثم نفيه إلى سالونيك. للمزيد أنظر: آصاف، المصدر السَّابق، ص ص128 -139.

[3] قضية الخلافة مع السلطان عبد الحميد الثاني عادت بصيغة رسمية وأوردت ضمن دستور الدولة الصادر عام 1876م في المادة الثالثة منه: { إنَّ السَلطنة السنيَّة هِي بمنزِلةِ الخِلافَة الإسلامِيَّة الكُبرى وهِي عَائدةً بمقتضَى الأُصولِ القَديمة إلى أَكبرِ الأَولادِ مِن سُلالَةِ آلِ عُثمَان} وبالتالِي يَفرِضُ هَذا الأمر ويَشمَلُ جَميعَ مَناطِقِ الدَّولَةِ العُثمَانِيَّة دُونَ استِثناء والذي أَكدَتهُ المَادة الأولى مِنَ القَانونِ الأسَاسي والقَائلة: { إنَّ الدولَة العُثمَانِيَّة تَشمَلُ الممالِكَ والخُططَ الحَاضِرة والوِلاياتِ المُمتَازة وهِي كَجِسمٍ وَاحدٍ لا تَقبلُ الانقِسامَ أبدًا لأيةِ عِلَّة كَانت}. للمزيد أنظر: **القانون الأساسي**، المطبعة الأدبية، بيروت، 1908م، ص04.

وُجِّهُوا لهذه الدُول باللُغات المحلية، ورَفضِ المُفكرِين السياسيين لسياسته، فَضلاً عن انتِشار فِكرَة النسب القرشي التي اصطدمت وسِياسَة هذا السُّلطَان.[1]

لِذلِك باءت سياسَتُه الهَادِفة لإحياء الخِلافة بالفشل، بِسَببِ الظُّلم الذي مارسه هذا السُّلطَان القاسي والطاغية وإدراك الشعب أنَّ هذا السُّلطَان ليس سوى عقبة أمام إقامة حكم دستوري ناجح حَسبَ ما أملته كِتابات المُستشرق "**توماس آرنولد وولكر Sir Thomas Arnold Walker**".[2]

من جَانب آخر، وفي ظل ما شَهِدته الدولة العثمانيَّة من أوضاع متردية ومن انتِشار لمظاهر التغريب وتدخل أجنبي في شؤونها الداخلية، تدخلت بريطَانيا في مسألة الخِلافة العثمانيَّة فأبدت هي الأخرى رأيها فيها بعد أن بَرزَت الأفكَار المشكِّكَة في صِحَّة الخِلافة العثمانيَّة والمنادية بإعادتها للعَرَب استنادا إلى الشَّرط القُرشِي. فحَسبَ ما ورد في كِتابات المُستشرق "**هارولد فيتون جاكوب Harold Jacob. F**" أنَّه رَأَى هو وحكومته أنَّ الهند هي المكان الأساسي الذي يجب أن تقوم فيه خِلافة إسلامية معتبرا إياها محور العالم الإسلامي آنذاك، لِذلِك فتَحقيقُ هذا لا يخدمه قِيام أية خِلافة عربية.[3]

وقد أكَّد هذا الأمر المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" في كِتاباته وبين أنَّ بُروز هذه الفِكرة في الوسط العُثماني والعَربي في ظل اهتمام مسلمي الهند بالخِلافة كان

[1] آرنولد وولكر، المرجع السَّابق، ص ص146 -147. أنظر أيضا: سعيد بن سعد سفر الغامدي، **موقف المعارضة من المشرق العَربي من حكم السلطان عبد الحميد الثاني (الشام ومِصر) 1292 -1327هـ/ 1876 -1909م**، ط01، مكتبة التوبة، المملكة العَربية السعودية، 1992م، ص ص101 -103، 111.

[2] آرنولد وولكر، المرجع السَّابق، ص 148.

[3] هارولد فيتون جاكوب، **ملوك شبه الجزيرة العَربية**، تر، أحمد المضواحي، د.ط، دار العودة، بيروت، 1983م، ص 316.

سببا رئيسا ومباشرا وراء إلغائها.[1] ولعل هذا القَول هو الذي استَنَدت عليه بريطَانيا للسَّيطَرة عَلى المَنطِقة العَربية حتى تَمنَع قِيام أي خِلافة فيها وتُسهِّل إقَامَتها في الهند كبرى مُستعمرَاتِها.

بالبَحث عن الموقف البريطاني من الخِلافة، نجد أنَّ الحُكومة البريطَانية كَانت معارضة لفِكرَة الخِلافة العثمانيَّة ساعية إلى عدم تحققها عَلى أرض الوَاقِع، وهو ما يبدو من خِلال سعيها الحثيث للدعوة لإقامة خِلافة إسلامية في كبرى مستعمراتها -الهند - أو إقامة خِلافة عربية بدل خِلافة عُثمَانية تَقومُ عَلى فصلِ الخِلافة عن السَّلطَنة العثمانيَّة. فكَانت حَسبَ ما ورد في عدد من الوثائق القابعة في الأرشيف البريطاني السبب وراء بُروز فِكرَة النسب القرشي التي أثارها "الشريف حسين"[2] بعد اتصالاته مع الساسة الإنجليز.[3]

لِذلِك وبعد الأحدَاث الحاسمة التي جرت في الربع الأول من القَرن العشرين من دُخول للدَّولة العثمانيَّة الحَرب العالمية الأولى وخروجها منهزمة منها، تقرر إلغَاء الخِلافة بشكل نهائي. هذا الذي تم وِفق مَرحلتين أساسيَّتَين تم في الأولى مِنهُما فَصلها عن السَّلطَنة في شهر نوفمبر من عام 1922م، وذلك بعد قِيام "مصطفى كمال أتاتورك"[4] بعزل السُّلطَان "وحيد

---

[1] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص 319.

[2] **الشريف حسين بن علي (1854 -1931م):** ملك الحجاز ومؤسس الأسرة الهاشمية بالعراق والأردن، من الأشراف الهاشميين، وهو والد كل من الملك فيصل والملكين عبد الله وعلي. ولد باستنبول ثم ما لبث أن انتقل للحجاز، لكنه أُبعِدَ عنها ونفي للعاصمة العُثمانية وعين بها عضوا في مجلس الشورى. توترت علاقته بالدَّولَة العُثمانية بِسَببِ السياسة التي اتبعها الإتحاديون في المَنطِقَة العَربية، ما زاد من نقمتهم ضدها مع نمو الرَّغبة في الاستقلال عنها فانتهزت بريطَانيا الفرصة وتقربت منه ووعدته بإقامة دولة تضم الحجاز والمشرق العَربي في حال انضمامه لصفها وضد العُثمانيين، وبعد أن تم هذا الأمر وانتهت الحرب أخلفت بريطَانيا بوعودها. للمزيد أنظر: الكيالي، **موسوعة**...، المرجع السَّابق، ج02، ص 542.

[3] موفق بني المرجة، **صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية**، د.د، صقر الخليج للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الكويت، 1984م، ص ص363 -365. نقلا عن: الوثيقة رقم 2486 حول الخلافة العَربية، وثائق دار المحفوظات البريطَانية.

[4] **مصطفى كمال أتاتورك (1881 -1938م)**: ضابط عثماني وأول رئيس للجمهورية التركية، من أصول ألبانية وقيل يهودية. انضم إلى جمعية الوطن الثائرة ضد الحكم الحميدي، وشرع في كِتابة المقالات وإلقاء الخطابات الحماسية. وفي ظل ازدياد

الدِّين"[1] عن سُدة الحُكم وجعله خليفة دون سُلطَة أي خليفة روحيا، ليتبعها بإلغَاء الخِلافة بشكل تام في الثالث من شهر مارس لعام 1924م مع إقامة الجمهورية التركية.[2]

أرجع المُستشرق "**توماس آرنولد وولكر Sir Thomas Arnold Walker**" قِيام العُثمانيين بهذا الأمر لسببين اثنين كان الأول منهما يَتمثَّل في تخوف الأتراك منها ومن استبداد السلاطِين والحكام بمُوجَبها كما كان الحال قبل هذا، أما الثاني فتناقضها مع متطلبات الحُكم الدستوري.[3]

في حين كان للمُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" رأي آخر في هذا، فكمال

نشاطها أوقف السلطان عبد الحميد الثاني عَملها وزجه في السجن ثم نقل للخِدمَة العسكرية بدمشق. غير أنه فر منها إلى سالونيك. ولكن انكشاف أمره جعله يعود إليها لينقذ من الأخذ للسجن بشهادة بعض من أصدقائه بأنه كان متواجدا فيها طيلة مدة غيابه. انضم للاتحاديين وشارك في الإنقلاب ضد السلطان. للمزيد أنظر: حسان حلاق، **موقف الدَّولَة العُثمانية من الحَركة الصهيونية 1897 -1909**، دار الأحد (البحري اخوان)، بيروت، 1978م، ص 30. أنظر أيضا: هـ. س. أرمسترونج، **الذئب الأغبر مصطفى كمال**، د.ط، دار الهلال، مِصر، 1952م، ص12، ص ص20 -29. أنظر أيضا: أندرو مانجو، **أتاتورك -السيرة الذَاتية لمؤسس تركيا الحديثة**، تر، عمر سعيد الأيوبي، ط01، دائرة الثقافة والسياحة، أبو ظبي، 2018م، ص ص45، 53 -54.

[1] **محمد السادس وحيد الدِّين (1918 -1922م/ 1336 -1341هـ)**: هو السلطان السادس والثلاثين للدُّولة العُثمانية، تولى الحكم لمدة أربع سنوات، شَهِدت خلالها دولته هزيمة في الحرب العالمية الأولى، فقدانا للمناطق العَربية وتهديدا أوروبيا للأناضول، فضلا عن عقد معاهدة موندروس وسيطرة اليونان عَلى إزمير. تم في عهده اعتراف البرلمان بالميثاق الملي أو الوطني الذي وضعت من خلاله حدود الدَّولَة وحددت حقوق الأقليات ووضعية المضائق، واحتل الحلفاء العاصمة بشكل رسمي لتشديد الخناق عَلى السلطان وقطع سبل الإتصال مع الأناضول، كما أجبرت الدَّولَة العُثمانية خلال عهده عَلى توقيع معاهدة سيفر 10 أوت 1920م للمزيد أنظر: صالح كولن، **سلاطين الدَّولَة العُثمانية**، تح، أجير أشيوك، تر، منى جمال الدِّين، مرا، أديب إبراهيم الدباغ، بهاء الدِّين نعمة الله، ط01، دار النيل، القاهرة -مِصر، 2014م، ص ص342 -350.

[2] أنور الجندي، **تَاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين**، د.ط، دار العلوم للطباعة، القاهرة -مِصر، د.ت، ص 93.

[3] آرنولد وولكر، المرجع السَّابق، ص ص150 -151.

أتاتورك كان مُخطِطًا ومُصمِمًا للقِيام بإلغَاء الخِلافة أو كما سماها لويس -**بتحطيم الخِلافة** - ومُتفقاُ مع خُصومِه الراغبين في إلغائها، كونها تمثل حلقة ربط بين الإسلام والماضي. لِذلِك قام بإلغائها وأجرى تغييرات شاملة في الدولة فألغى مَنصِب شيخ الإسلام والمحاكم الشرعية، وأغلق المَدارِس الدِّينية فكَانت بذلك حَسبَ هذا المُستشرق تغييرات درامية عكست وعبرت عن تغيير قسري وإجباري من حَضارة[1] لأخرى لشعب أو أمة بسائِرها. فَضلاً عن أنَّ كل ما قام به أتاتورك في سَبيلِ إقامة جمهورية تركية من فصلٍ للسَّلطنَة عن الخِلافة ومن ثم إلغَائِها بشكل نهائي وما انجر عنها من أعمال قَائِمة عَلى تَغيير العُملَة والعاصمة لم يكن سوى إقرارا وتأكيدا عَلى الانفِصَال عن الماضي بشكل نهائي وتكملة منطقية في مساعي إلغَاء السَّلطَنة. [2]

[1] ولكن مايجب التأكيد عليه هُنا أن استعمال هذا المُستشرق للفظة الحَضارة فيما سَبَق لم يقصد استعماله بمعناه الحقيقي، فقد أكَّد عن أنَّ الحَضارة ليست سوى حَضارة العالم الحديث -الغَرب -الذي أضحت الجمهورية التركية جزءا منه. للمزيد أنظر: لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص 323.

[2] في نهاية هذه القضية لابد من الإشارة لفكرة مهمة متعلقة بالسياسة البريطانية المتبعة، فقد سعت هذه الأخيرة إلى إلغاء الخلافة بشكل نهائي ونزعها من العثمانيين المسيطرين على جل العالم الإسلامي، من خلال اتباعها لعدد من المراحل فقامت باستغلالها بادئ الأمر وفق ما يخدم مصالحها الاستعمارية وهو ما ينعكس في توجهها للسلطان عبد المجيد الأول لكتابة عريضة يحث فيها مسلمي الهند على وقف الحرب القائمة ضد بريطانيا. لتقوم في خضم استغلال السلطان عبد الحميد الثاني لها بإذاعة فكرة النسب القرشي وضرورة جعل الخلافة خلافة عربية، ولعل توجهها نحو العرب هنا لسهولة خداعهم، ضعفهم وإدراكها لعدم مقدرتهم على مواجهتها. ثم سعت جاهدة عقبها إلى جعلها في الهند كبرى مستعمراتها لتقوم في نهاية المطاف بإلغائها بشكل نهائي. ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هنا، ما فائدة الكتابات الاستشراقية في الحديث عن هذا الأمر، وما سبب تأكيدها لنفس لأفكار رغم طول المدة الزمنية الفاصلة بين المستشرقين؟ ويمكن أن نقول أنَّ الكتابات الاستشراقية كانت تسير جنبا إلى جنب مع السياسة البريطانية ووفق ما يخدمها، فسعيها إلى تطبيق سياستها الاستعمارية قد يخلق لها فئة مضادة من الشعب البريطاني، وبالتالي قد تثير تلك السياسة الرأي العام وتسوقه عكسها، لذلك جاءت الكتابات الاستشراقية المختلفة كتبا كانت أم مقالات متشابهة ومؤكدة لما يتماشى وسياستها ومعالجة لتلك الأفكار بطريقة فلسفية دقيقة، وهو مايبرز في كتابات المستشرقين السابقي الذكر. للمزيد أنظر: نفسه، ص ص316 -323.

ثانيا - صورة السُّلطَان عبد الحميد الثاني في الكتابات الاستشراقية

منذ ظهور الدولة العثمانيَّة عَلى مسرح الأحدَاث التَّاريخية والدُولية خِلال القَرن الرَّابع عشر وحتى فَترة سقوطها وقِيام الجمهورية التركية بدلا عنها، توالى عَلى حكمها ست وثلاثون سُلطَانا مُختَلفي الصفات والشَّخصِيات وذوو أصل واحد. منهم القوي والضعيف وفيهم كذلِك الحكيم والسفيه وصاحب الشَّخصِية السلطوية والمتَحكـَم فيه. فأثر كل واحد منهم عَلى سيرورة الحُكم ووضع الدولة حَسبَ شخصيته. فهذا القَرن التَّاسع عشر محل الدِراسة شَهِد بُروز شخصيات وسلاطين عثمانيين أكفاء وذوو خبرة سِياسيَّة، أثروا بشخصيتهم تِلكَ عَلى وضع الدولة فانتعشت الحياة فيها من جديد بعد ركودٍ دام سنوات.

بِداية، وقبل الحَدِيث عن نَظرة المُستشرقين البريطانيين للسُلطَان "عبد الحميد الثاني" كان لا بُد من معرفة نَظرتهم لنِظَام الحُكم العُثماني. وعلنا نستهل هذا الأمر بنَظرة رائد المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية المُستشرق **"برنارد لويس Bernard Lewis"** الذي عالج في كِتاباته جذور نِظَام الحُكم العُثماني وكيفية بُروزه. أكَّد فيها أنَّ السُّلطَان هو رأس هذا النِظَام المستمد من الشريعة الإسلامية، شَهِد تطورا بمرور الزَّمن حتى بَرزَ بالشكل الذي كان عليه. امتزجت فيه النُّظم العثمانيَّة بنظم الدُول التي جاورتها واحتكت بها كالدولة السلجوقية، البيزنطية، اليونانية والفَارسِية.[1] فنفى بذلك كما ذُكر سَابِقا بحديثه هذا الأصالة عن النِظَام العُثماني وأكَّد أنه مستمد وخليط من أنظمة أخرى.

وقد تدرج هذا المُستشرق في حديثه عن مَنصِب السُّلطَان بالحَدِيث عن الألقاب التي اصطلحت عليه وتسمى بها، فذكر أنهم تلقبوا بألقاب عَدِيدة قبل لقب "السُّلطَان"، عَلى غِرار لقب "الغازي"، " أمير الغازين" أو "أمير الثغور". ليتغير هذا اللقب بمرور الزَّمن وتوسع الرُقعة الجغرافية للدَّولة، فبرز لقب "سُلطَان الروم" أي سُلطَان الأناضول بعد تمكنهم من فرض

[1] لويس، **استنبول** ...، المرجع السَّابق، ص ص59، 63.

سيطرتهم على الأناضول وظل ساري المفعول حتى بعد سيطرتهم عَلى الروملي باعتبارها جزءا من بلاد الروم. وقد كان هذا اللقب بالنسبة لهذا المُستشرق ذا مدلول محدد إقليميا ومحدود ليبرز عقبها لقب واصطلاح جديد هو "السُّلطَان"، "سُلطَان المُسلِمين" أو "بادشاه الإسلام" الذي ارتقى إليه العُثمانيون بعد سيطرتهم عَلى المَشرِقِ والمغرب العَربيين.[1]

نَاهيك عن أنه شَهِد بُروز قانون جديد لم يسبق أن عُرف قبل فَترة الدولة العثمانيَّة استَمر العمل به منذُ فتحِ القسطنطينية لمدة قرن ونصف من الزَّمن، أجاز قتل السُّلطَان لإخوته درءا للفوضى. وهو الذي جعل هذا المُستشرق يصف فقهاء الدولة العثمانيَّة الذين أيدوا هذا القانون وأوجدوا له سندا شرعيا من القرآن بالفُقهَاء **المتواطئين**. فَضلاً عن أن هذا المُستشرق حَمَّل هذا القانون مسؤولية ضعف سلاطين القَرن السَّابع عشر وفسادهم. ومع تخفيف حدته شرع السلاطِين الأكفاء في الظهور خِلال القَرن الثامن عشر. [2]

من خِلال الإطلاع عَلى كِتابات بَعض من المُستشرقين البريطانيين الذين تحدثوا عن نِظَام الحُكم العُثماني نجد أنهم يحاولون من وراء طرحهم إبعاد ونفي الأصالة عنه، من خلال تأكيدهم عَلى أنه نِظَام متوارث بجَمِيع أسسه وخصائصه عن الدُول السَّابقة للحُكم العُثماني التي بدَورها أخذتها عن الدولة الساسانية[3]. فالأسماء مأخوذة من هذه الدُول والأسس التي قام عليها كذلِك، حتى الختم العُثماني الذي اعتاد السلاطِين وضعه في وثائقهم الرَسمِية والمعروف

[1] لويس، **استنبول** ...، المرجع السَّابق، ص ص61 -67.

[2] نفسه، ص ص72 -74.

[3] **الدَّولَة الساسانية:** هي نسبة لجدها الأول "ساسان" هذا الذي تذكره المراجع التَاريخية بكونه كان كاهنا لمعبد النار في الأسرة البارازنجية الفارسية، عُين حفيده كقائد عسكري لإقليم فارس، فخرج عَلى الملك الفارسي رفقة والده وقتله واستولى عَلى الحكم. ثم مالبث أن وسع من نفوذه وسلطته عَلى حساب الأقاليم المجاورة ليؤسس سلالة حاكمة جديدة هي الأسرة الساسانية. للمزيد أنظر: مفيد رائف محمود العابد، **معالم تَاريخ الدَّولَة الساسانية (عصر الأكاسرة) 651لمح226م**، ط01، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، 1999م، ص 39.

بالطغراء لم يكن عثمانيا حَسبَ ذكر المُستشرقين بل كان مأخوذا عن السلاجقة. وهذا أمر تداوله مستشرقو القَرنين التَّاسع عشر والعشرين نقلا عمن سبقهم.

عَلى غِرار ما أورده المُستشرقين **"هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb"** و**"هارولد باون Bowen. H"** في كِتابهما، فذكرا أن النِظَام العُثماني نِظَام تقليدي موروث عن نظم الدُول التي سَبَقت الوجود العُثماني من أمثَال النِظَام الفارسي، البيزنطي، السلجوقي وحتى الغزنوي. أدمجت هذه النُّظم مع النِظَام الإسلامي في دولة جديدة وأكثر تنظيما لتعطي نِظَاما غير قاس وغير متعسف وعَمِلي في ذَات الوَقت.[1]

بالعودة لسِياق هذا المَوضُوع، تمكن بَعض المُستشرقين البريطانيين من دِراسة فترات حكم بَعض من السلاطِين العُثمانيين ومعالجتها، وكان لسلاطين القَرن التَّاسع عشر وشخصياته نصيب من ذلك فهم حَسبَ ما ورد في كتب المُستشرق **"برنارد لويس Bernard Lewis"** سلاطين أكفاء بَرزَوا بعد فَترة من الركود ومن تولي سلاطين ضعاف سدة الحُكم لمدة لا تقل عن قرنين من الزَّمن.[2]

ولعل من بين أبرز سلاطين هذا القَرن الذين حضوا بنصيب وافر في تلك الكتابات نجد "السُّلطَان عبد الحميد الثاني". الذي حكم الدولة العثمانيَّة لما يقارب ثلاثا وثلاثين سنة عرف بذكائه الشديد ومهاراته المتعددة، فهو سُلطَان ذو دراية ومعرفة ببَعض من اللُغات الأجنبية كالفِرنسية، الفَارسِية والعَربية. شاعر وموسيقي وصاحب ذاكرة قوية. تولى الحُكم منذ عام

[1] جب، باون، **المُجتَمع...**، المرجع السَّابق، ج01، ص ص91، 179 -199، 287.

[2] لويس، **استنبول**...، المرجع السَّابق، ص 74.

1876م ولِغَاية 1909م تمكن خِلالها من إحداث تغييرات عَدِيدة في الدولة وفي سِياسَة الحُكم اعتمادا عَلى الدهاء السياسي ما جعل فَترة حكمه سابقة ومُختَلفة عن غيرها. [1]

استهل حكمه بإعلانه للدستور -القانون الأساسي أو المشرُوطية -في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر لعام 1876م والذي استَمر العمل به لما يقارب السنتين. كما وجه أنظاره نَحو الملل والطوائِف كمحاولة منه للتقليل من التدخلات والتلميحات الأوروبية بشأنها وبشأن المذابح، فعَيَّن بَعضا من الشَّخصِيات الأرمينية في المجلس النيابي ورفض التدخل الأجنبي في شؤون دولته الداخلية.[2]

نَاهيك عن أنه توجه نَحو الاهتِمام بالعَرب والمُسلِمين جَمِيعا من خِلال الاهتِمام بالجَامعَة الإسلامية وحمل لوائها والدعوة لها بغية لم شملهم تحت لواء الخِلافة للذود عن الدولة العثمانيَّة. فوجَّه دعاته لمُختَلف البلدان، قرب منه عددا من زعماء العَرب وتمكن من الإصلاح بين السنة والشيعة وإزالة الفوارق بينهم، والتف حوله العَرب، الفرس والعُثمانيون غير أن سياسته هذه لم تحقق النَتائِج المرجوة منها.[3]

هذا الأمر كان قد وضحه المُستشرق **"جون باجوت غلوب Sir John B, Glubb "** في كِتاباته وعلق عليه بقوله أن توجيه هذا السُّلطَان أنظاره صَوبَ المنَاطِق العَربية مرده لعدد العَرب الهائل وللتمردات الكثيرة التي شَهِدتها مناطق البلقان وفُقدان الدولة العثمانيَّة في ذَات الوَقت عددا منها، ولرَغبَة هذا الأَخير في حشدهم لصفه بالاعتماد عَلى العاطفة الدِّينية.

---

[1] سيف الله آرباحي، **السلطان عبد الحميد الثاني مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية**، تح، أجير أشيوك، مرا، ياوز آجار، ط01، دار النيل للطباعة والنشر، مِصر، 2011م، ص ص18 -20

[2] رفيق شاكر النتشة، **السلطان عبد الحميد الثاني وفِلسطِين - السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين**، ط03، المؤسسة العَربية للدراسات والنشر، الأردن، 1991م، ص ص51 -53.

[3] أنور الجندي، **تصحيح أكبر خطأ في تَاريخ الإسلام الحديث -السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية**، ط01، دار ابن زيدون، بيروت -لبنان، 1407هـ، ص ص98 -101.

ولكن مع ذلك لم تحقق هذه السِياسَة النَتائِج المرجوة منها خَاصة وأن هذه المنَاطِق كَانت مهمشة حَسبَ ذكر هذا الأَخير مع توجه هذه الشعوب نَحو الاهتِمام بأنفسهم ومَناطِقهم في ظل بُروز الفِكر القومي العَربي.[1]

في حين كان للمُستشرق "**أرنولد توينبي Arnold Toynbee**" رأي آخر في سِياسَة السُّلطَان الإسلامية، فقد قام بربطها بالصِّراع بين الإسلام والمَسيحية معيدا إياها لجذور الصِّراع الأول بين الشَّرق والغَرب القائم عَلى الدِّين فذكر أن تجميع هذا السُّلطَان للمسلمين تحت راية واحدة ليس الهدف من ورائه سوى القِيام بهجوم مضاد لهجمات العالم الغَربي.[2]

كما توجه المُستشرق "**توماس آرنولد وولكر Sir Thomas Arnold Walker**" إلى القَول بأن فشل هذه السِياسة الإسلامية الهَادِفة إلى إحياء الخِلافة يعود لسِياسَة السُّلطَان عبد الحميد الثاني القاسي، الطاغية ولما مارسه من ظلم وتعسف في حق الشعب العُثماني ولإدراك هذا الأَخير للوضع وبأن هذا السُّلطَان ليس سوى عقبة أمام إقامة حكم دستوري ناجح.[3]

بالعودة للحديث عن سِياسَة هذا، إنجازاته وما شَهِدته الدولة العثمانيَّة خِلال فَترة حكمه، نجد أنه قد وجه نَظره نَحو إصلاح الاختلالات التي مست وطالت مُختَلف جوانب الحياة آنذاك. فعَمِل عَلى إجراء إصلاحات عَدِيدة في جَانب التعلِيم قَامَت عَلى اعتماد منهج تعليمي حديث، زيادة عدد المَدارِس والمَعاهِد وإدخال التعلِيم المهني والزراعي. فَضلاً عن تِلكَ الإصلاحات الموجهة نَحو الجَانب العسكري والتي كَانت بتعاون عثماني ألماني. والتي وإن أنعشت الوَضع القائم إلا أنَّها زادت من حدته في الجَانب المالي ومن جَانب فُقدان التوازن بين

[1] John Bagot Glubb, **A Short History of the Arab Peoples**, Barnes and Noble Books, USA, 1995, pp252- 253

[2] محمد حرب، **السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العُثمانيين الكبار**، ط01، دار القلم، بيروت، 1990م، ص05.

[3] آرنولد وولكر، المرجع السَّابق، ص 148.

الخريجين والوظائف المتوفرة في الدولة ما جعل هذه الأَخيرة تسعَى نَحو التوجه للاقتراض من الدُول الأجنبية، والذي بدَوره سَاهمَ في ازدياد روح التذمر والمعارضة في الوسط العُثماني. [1]

دون أن نَنسى مشروع سكة الحديد الخَاصة ببغداد الذي علق العمل عليه بعد تضارب المصالح الدُولية حول إنجازه، وكذا مشروع سكة حديد الحِجاز الذي أنجزه بغية تَحقيقِ عدد من الأهدَاف الحقيقية والخفية من إحياء للخِلافة الإسلامية، تسهيل الدعوة والترويج لها، فَضلاً عن تَحقيقِ أغراض دنيوية من نقل للحجيج وسيطرة عَلى المنَاطِق العَربية، وتسهيل في السفر ونقل للجند نَحو مُختَلف المنَاطِق لتأمينها ولمنع حدوث أي ثَورَات بها. [2]

كَانت هذه الإصلاحات جَمِيعا في منظور **"برنارد لويس Bernard Lewis"** باعثة للحرية والحداثة وخطوة سابقة في عهدها. وهي وإن استغلت في الحَرب عَلى غِرار خطوط السكك الحديدية والتلغراف إلا أنها كَانت خطوة أكثر طموحا في العالم الإسلامي كله.[3]

أما فيما يخص طرق إدارة الدولة العثمانيَّة وتسييرها، فقد اعتَمدَ السُّلطَان عَلى الدهاء السياسي في سَبيلِ إصلاح الوَضع، فغيَّرَ رؤساء الوزراء كل ما سنحت له الفُرصَة، عزل الولاة الذين ثبتت عليهم تهم الفساد الإداري من جمع للثروات وأخذ للرشاوي، بث الجواسيس في مُختَلف أنحاء الدولة لمعرفة ما يحاك ضده، شدد الرقابة عَلى المُجتَمع، منع نشر الكُتب والمطبوعات التي قد تمس بالجَانب الفِكري للمجتمع. وقد صَرَّح في مُذكراته عن السبب الرئيس الذي دفعه للقِيام بكل هذا والمتمثل في لجوء عدد من الشَّخصِيات العثمانيَّة لأورُوبا

1 عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسيَّة 1891 -1908م**، ط02، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م، ص54. أنظر أيضا: حرب، المرجع السَّابق، ص ص105 -106. أنظر أيضا: يوسف حسين يوسف عمر، **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 -1909م**، أطروحة ماجيستار في التَاريخ الحديث والمعاصر، الأردن، 2000م، ص 22.

[2] الغامدي، المرجع السَّابق، ص ص114 -126. أنظر أيضا: عبد الحميد الثاني، المصدر السَّابق، ص67.

[3] لويس، **ظهور...**، المرجع السَّابق، ص ص228، 231 -235.

سخطا عَلى الوَضع وبحجة الحماية، الاختلاف الفِكري بين الغَرب والمُجتَمع العُثماني، فَضلاً عن التخوف من الفساد الفِكري.[1]

هذا الأمر علق عليه المُستشرقون البريطانيون وخلفوا فيه آراء متباينة، فقد ورد في كِتابات المُستشرق **"برنارد لويس Bernard Lewis"** أنَّ السِياسَة التي انتهَجها هذا السُّلطَان سِياسَة قمعية، تعسفية، قلصت الحريات، فرضت رقابات صارمة وسخيفة وسَاهمَت في ذَات الوَقت في انتِشار روح التذمر والسخط في الوسط العُثماني.[2] نَاهيك عن أنَّ الرقابة التي فُرضت في عهده عَلى الكتابة والطِّباعة تنم عن عدم وجود فكر سياسي البتة حَسبَ ما أملته كِتابات هذا المُستشرق، وهو ما أثر عَلى وضع المثقف العُثماني فقد ألزمه وأجبره هذا الأمر عَلى التوجه نَحو الكتابات الأدبية والثقافية ولكنه مع ذلك سَاهمَ في تطور التَّاريخ العُثماني حتى عدت فَترة هذا السُّلطَان من فترات التطور السريعة.[3]

مع ذلك كله، ومن خِلال الإطلاع عَلى بَعض من كِتابات المُستشرق **"برنارد لويس Bernard Lewis"** حول السُّلطَان "عبد الحميد الثاني" نجد أنه سَعَى من خِلال طرحه المقتضب إلى إيصال بَعض الأفكَار غير اللائقة للقارئ حوله، عَلى غِرار تِلكَ الفِكرة القائِلَة بأن الشَّخصِيات العثمانيَّة الراغبة في الوصول إلى منَاصِب عليا في الدولة لم يكن لها مجال سوى التزلف لهذا السُّلطَان ومحاباته، أو حتى إصدار بَعض الكتابات عنه وعن مدى أحقِّيَتِه في الخِلافة وفي تولي الحُكم.[4]

محاولا القَول والتأكيد عَلى أنَّ أصحَاب المنَاصِب العليا في عهده لم يكونوا لائقين بتِلكَ الوظائف من جِهة، وأنَّ هُناك شخصيات عَدِيدة هُمشت في تِلكَ الفَترة ولم يتسن لها

[1] عبد الحميد الثاني، المصدر السَّابق، ص ص80 -81، 92، 99، 102.

[2] برنارد لويس، **ظهور...**، المرجع السَّابق، ص ص228، 231، 232، 235.

[3] نفسه، ص ص236 -237.

[4] نفسه.

الوصول إلى مراتب عليا ومرموقة. ولعل الفِكرة الأَخيرة هي ذَات الفِكرة القائِلَة بأن الدولة العثمانيَّة لم تسمح للمسيحيين بتولي منَاصِب عليا في الدولة ولا بالتجند في صفوف الجيش الإنكشاري والتي ما فتئ هذا الأَخير عن إثارتها في كِتاباته.

لقد كان لفَترة حكم السُّلطَان "عبد الحميد الثاني" صدى ووقع كَبير في التَّاريخ العُثماني كله، عرفت بُروزا وتطورا سريعا في نشاط الاتحاديين الأتراك الذين سيطروا عَلى مقاليد الحُكم، وتدخلوا في شؤون الدولة السِياسيَّة الداخلية منها والخَارجِية، فَضلاً عن نشاطهم السري المتواصل في أورُوبا والهادف إلى القضاء عَلى النِظَام الحميدي. وهذا كله في ظل رَغبَة هذا الأَخير أي السُّلطَان "عبد الحميد الثاني" في القضاء عليهم.[1]

هذا الأمر وإن كان محاولة دفاعية من السُّلطَان "عبد الحميد الثاني" عن عرشه، وسعيا منه للقضاء عَلى بؤر التوتر في دولته للنهوض بها وأحقيته في ذلك، إلا أنها لم تكن سِياسَة مرغوبا بها في الكتابات الاستشراقية البريطَانية فهي الأخرى لم تسلم من المعارضة. فعَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر: ذكر المُستشرق **"برنارد لويس Bernard Lewis"** أن مساعي هذا السُّلطَان الهَادِفة إلى القضاء عَلى هذه الحَركة وجهوده القائمة عَلى الجوسسة، القَمع، الاعتقال، وشراء الذمم في سَبيلِ تَحقيقِ ذلك كَانت سِياسَة مهينة وغير شريفة لِذلِك باءت بالفشل.[2] فضلا عن ذلك فإذا كانت سياسة هذا السلطان مهينة وغير شريفة رغم أحقيته في الدفاع عن عرشه، ماذا يمكن القول حول سياسة الاتحاديين ومساعيهم.

إِضافَة إلى هذا، لقي هذا السُّلطَان أوصافا مُشينَة وذَماً دائما في كِتابات المُستشرقين البريطانيين، فهذا رائد المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية **"برنارد لويس Bernard Lewis"** وفي

---

[1] عبد الحميد الثاني، المصدر السَّابق، ص ص25، 46. أنظر أيضا: نادية ياسين عبد، **الإتحاديون دراسة تَاريخية في جذورهم الاجتِماعية وطروحاتهم الفِكرية أواخر القَرن التَّاسع عشر -1908**، تق، هاشم صالح التكريتي، ط01، صفحات، دمشق، 2014م، ص 172.

[2] لويس، **ظهور...**، المرجع السَّابق، ص 252.

خِضَمِّ حديثه عن الوقَائِع التي شَهِدتها الدولة العثمانيَّة خِلال فَترة هذا السُّلطَان ذكر أنه ورغم كل ما قام به، رغم سياسته ذَات الوجهين المتشددة والمسيطرة وتِلكَ الهَادِفة للتوجه نَحو الأخذ عن الغَرب ما يلائم الدولة، ورغم كونه سُلطَانا ساعيا للتحديث ونشيطا إلا أنه رجعي، أعمى، لا يقبل **المساومة**، غير قابل للأفكار الدستورية وتِلكَ الخَاصة بالحرية والمساواة.[1]

من باب التَّنبيهِ هُنا، فإنَّ نشاط الاتحاديين قد زاد خلال أواخر عهد السلطان "عبد الحميد الثاني" خاصة في ظل تردي أوضاع الدولة، أين قاموا بالضغط عليه من أجل إعادة العمل بالدستور وصعدوا للجبال تحت قيادة "نيازي بك"[2] وانضمت لهم وحدات من الجيش وشرعوا في حرب العصابات واغتالوا بعضا من رجاله ليُنفذ هذا الأخير مطلبهم ويقوم بإعلان الدستور في 24 جويلية لعام 1908م.[3]

وقد أكَّد "**برنارد لويس Bernard Lewis**" في هذه الحادثة أن بُذُورَ هَذِه الثَّورَة وأَساسُها عَائِد لِعددٍ مِن الأَسبَاب، كَانَ في طَليعَتِها انتِشار الأفكَار الفِرنسِيَّة المُتعلِّقة بالحُرية في الوَسطِ العُثمَانِي خِلال القَرنِ الثَّامِن عَشر، والتي مَا لبِثَت أن رُبِطَت بالتَّطورِ والتَّقدُمِ الحَاصِل عِندَ الغَرب. تَأثِير الإصلاحَات التي مَسَّت الجَانب التعلِيمي عَلى فِكرِ الشَّبَابِ العُثمَاني المُثَقَّف خَاصة مَن توجه نَحوَ السَّفَرِ لأورُوبا ونَحو تَعلُّمِ اللُغات الأوروبية، والذي عَدَّهُ

---

[1] لويس، **ظهور...**، المرجع السَّابق، ص 225.

[2] **نيازي بك (1891 –1950م)**: ضابط مِصري من أعضاء جمعيَّة الاتحاد والترقي ومن المشاركين في ثورة 1908م، تولى عددا من المناصب العسكرية فعين بادئ الأمر في الكلية الحربية كمكَبير للمعلمين العسكريين، ثم جعل قائدا لها، ثم رئيسا لمجلس إدارة مجلة الجيش. فر قبل إعلان ثورة 1908م من الجيش العُثماني بكمية لا بأس بها من العتاد العسكري والمال ولحقه عقبها بعض الضباط. تمكن من ترجمة كِتاب للجنرال الألماني فون درجولتز والموسوم بـ" فن إدارة الحرب". للمزيد أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج02، المرجع السَّابق، ص ص162 –163. أنظر أيضا: ارنست رامزور، **تركية الفتاة وثورة 1908**، تر، صالح أحمد العلي، تق ومرا، نقولا زيادة، د.ط، مؤسسة فونكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1960م، ص ص122، 132، 148.

[3] ياسين عبد، المرجع السَّابق، ص ص295 –303.

هذا الأَخِير مَنفَذا لانتِقَالِ الفِكرِ الغَربِي للدَّولَة العثمانيَّة وسَبباً وَجيهاً لاندِلاعِ الثَّورَة. دُونَ أن نَغفَلَ عن كِتَاباتِ بَعضٍ مِنَ الشَّخصِيَّاتِ العثمانيَّة المَرمُوقَة حَولَ أورُوبا كَكِتاباتِ الأُدباءِ والسُفراءِ التي جَسَّدَتِ الفُروقَ الجَوهرِيَّة بَين هذه الأخيرة والدولة العثمانيَّة، بالإِضافَة لما احتَوت عَليهِ بُنودُ التَّنظيمَات العثمانيَّة.[1]

تم عقب ثورة 1908م إجراء الانتخابات البرلمانية بعد ثلاثين سنة من توقفها، والتي عرفت فوز الاتحاديين بغالبية المقاعد فسيطروا بذلك عَلى الحُكومة العثمانيَّة ووسعوا من نفوذهم في أنحاء الدولة مقابل ضعف وتراجع نفوذ القصر والسُّلطَان. ليتدهور الأمر بين أعضاء البرلمان المشكل من الاتحاديين والمعارضة انتهى بصراع سياسي داخلي ومن ثم عصيان مسلح وقع في 12 أفريل لعام 1909م. لتشهد العاصمة عقبها وقوع مذبحة ضد الاتحاديين سَاهمَت في مقتل عشرين شخصا منهم، مع فرار البقية وتمكنهم من تنظيم حَملَة عسكرية وُجه جيشها نَحو العاصمة العثمانيَّة بغية حماية الدستور، وتمكنوا بِمُوجَبها من دُخول العاصمة والسَّيطرة عليها دون مقاومة تذكر مع عزل السُّلطَان عن سدة الحُكم وتعيين "محمد رشاد" بدلا عنه.[2]

توجه الاتحاديون عقب سيطرتهم عَلى القصر نَحو نفي السُّلطَان "عبد الحميد الثاني" إلى سالونيك أو **المَنفَى المُخزِي** حَسبَ وصفِ المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**"، ونَحوَ فَرضِ سَيطَرتِهم ودَعائِمِ حُكمِهم في الدولة العثمانيَّة، من خِلال إحداث مجمُوعة مِنَ التَّغييرَاتِ فيها طُبِّقَت بَعدَ سَنِّ عَددٍ مِنَ القَوانِين كَتِلكَ الخَاصَّة بالجَمعِيَّاتِ والتِّي تَمنَعُ استِعمَالَ أَسمَاء جَمعِيَّاتٍ عِرقِيَّة، بالإِضَافَة للقَوانِين الخَاصَّة بِمَنعِ التَّسَلُّحِ وقَوانِينِ التَّجنِيد.[3]

وقد وصف المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" ما حدث **بالثَّورَة الدستورية** أزالت فَترة الاستبداد والطغيان، وقد استخدَم في وصفها لفظة شروق الفجر كدلالة عَلى تغير

[1] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص ص167 -181.

[2] زوركر، المرجع السابق، ص ص146 -150.

[3] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص ص269 -270.

الحال من الظلام إلى الفجر ومن الاستبداد للحرية. وأن كل ما دون الاتحاد والترقي ونشاطها وحشي، رجعي ومحدود، وأنَّ ما قدَّمتهُ هذه الأَخيرة للدَّولة وما قامت به خلاص ومنقذ لها.[1]

اتبع الاتحاديون خِلال فَترة حكمهم سِياسَة خَاصة قائمة عَلى تطبيق مركزية صارمة في الوسط العُثماني مع قمع للرعايا المَسيحِيين وتتريك مُختَلف الرعَايَا والوِلايات العثمانيَّة، فَضلاً عن سعيهم نَحو فرض اللغة العثمانيَّة عَلى مُختَلف الوِلايات. هذا بغض النَظر عن أنهم عاملوا أعضاء المعارضة بكل قسوة ووحشية.[2] وقد استَمر هذا الأمر حتى عام 1918م فكَانت بذلك في نَظر المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" حُكومَة دِيكتَاتُورِيَّة عَسكَرِيَّة وَاقِعَة تَحتَ هَيمَنَةِ رِجَالٍ ثَلاث هُم عَلى التَّوَالي "أَنوَر"، "طلعَت" و "جَمال بَاشَا".[3]

فكان الأول وحَسبَ ما أملته كِتابات هذا المُستَشرِق "بَطل الحُريَة" في نَظر العُثمانيين، أما الثَّانِي فَكَانَ حَسبَ نَظره أَقدَرَ القَادة الثَّلاث، رَجلٌ ذُو ذَكاءٍ حَادٍ، عَنِيف إذا دَعَتِ الضَّرُورَة، لا عَلاقَة لَهُ بالتعصُب والحِقد. أمَّا "جَمال بَاشا" فَكانَ مُختَلِفاً عَن كِلَيهمَا فَهُو شُجاعٌ، حَادُ الطِّبَاعِ، مُنغَمِسٌ في الملذَّاتِ، مُتعصِّبٌ ومُنعَدِمُ الرَّحمَة، ورَغمَ كُلِّ مَا قَامَ به إلا أنَّهُ كَان في نَظَرِ هَذا الأَخِيرِ مَسؤُولا ومَعرُوفاً بِكفَاءتِه المِهنِيَّة العَالِية.[4]

فَضلاً عن ذلك كله؛ استصعب هذا المُستشرق أمر الحُكم عليهم والفصل في مسألة تخوينهم وقَضِيَّة خدمتهم للدَّولة العثمانيَّة، من خِلال أعمالهم وما قاموا به خِلال فَترة سيطرتهم عَلى الحُكم. فكان هذا في نَظره من الصعوبة بمكان ومن الاستحالة إن صح القَول الحُكم

[1] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص ص254 -269.

[2] نفسه، ص 271.

[3] نفسه، ص277.

[4] نفسه، ص ص277 -278.

عليهم وعلَى مدى إخلاصهم للدَّولة من خِلال تصريحات ووعود قادتها، وفي ذَات الوَقت لم يكن ممكنا في نَظر العُثمانيين أن يوصفوا بالخيانة.[1]

كما ذهب إلى القول بأنَّ التَّارِيخ قَد حَكَم عَلَيهم حُكماً قَاسِياً، فوُجِّهَت لَهُمُ التُّهَم، ولامَهُم عَلى ما عَاشته الدولة مِن أَوضاعٍ مُضطَرِبة وكَثرَةٍ للحُرُوب فَضلاً عَنِ العُنفِ والقَمع وتَدخُلِ الجَيشِ في الحُكمِ. وأنَّ فَترَةَ حُكمِهِم المُمتَدَّة مِن عَام 1908م ولِغَاية عام 1918م كَانَت سِجِلاً أَسوداً في التَّارِيخ. وأكَّدَ في ذَات الوَقت أنَّهُ وبالرَّغمِ مِن وَحشِيَّة مَا قَامُوا به وقَسَاوَتِهِم في التَّعَامُلِ مَع رَعَايَا الدولة، ورُغمَ كَونِ عَمَلِهِم مُحبِطاً ومُتهَوِراً في عَدِيد المَرَّات إلا أنَّهُ مَهَّدَ الطَّرِيقَ لبُرُوزِ تُركيا الحَدِيثة.[2]

في ختام هذه القَضِيَّة، لابد من التَّنبِيهِ للأفكارِ التي يَسعى هذا المُستشرق إلى إيصَالها للقارِئ من جِهة وتأكيدِها وإبرَازها بأنها حَقيقة فَاعلة من جِهة أخرى. كان في طليعَتها فِكرَة أن كُلَّ ما هو نَاتج عن الدولة العثمانيَّة وبجهود عُثمَانية خالصة ذو أصلٍ غَربي أي منقولٍ عن الغَرب أو مُقتبَسٌ مِنه، وكل ما للغربِ يَدٌ فيه من تدخل في شؤون الحُكم تحريض داخلي للطوائف والملل العثمانيَّة واضطرابات وتمردات داخلية عثماني خالص ونابع عن رَغبَة بالغة في التخلص من هذا الحُكم.

إضافَة إلى ما سَبَق ذكره، وبالإطلاع عَلى الأوصَاف التي طَالت مُختَلف الشَّخصِيات العثمانيَّة يتبادر إلى ذهن البَاحث أسئلة عَدِيدة كان في طليعتها معرفة الأساس الذي بنيت عليه مُختَلف هذه الأوصاف أَمِن مُلاحظاتٍ ومُشاهداتٍ عَينِيَّة لِصاحِبها، أم نَقلا عَن كُتبٍ تَاريخية ومَصادِر وكِتابات استشراقية، ومعرفة السبب وراء إصدارها. وبإسقاط الأمر عَلى المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" لا السُّلطَان "عبد الحميد الثاني" حظي بأوصاف

[1] لويس، **ظهور**...، المرجع السابق، ص 267.

[2] نفسه، ص 279.

لائقة من قِبلِه ولا من سَاهمَ في خلعه، هذا بغض النَظر عن أنه لم يكن شاهد عيان للوضع واعتماده في الوصف كان عَلى كِتابات استشراقية سابقة وعدد قليل من المصادر العثمانيَّة، فَضلاً عن أن إبداء الرأي في الكتابات التَّاريخية أمرٌ وجبَ التخلي عليه كونه يفقد الكتابات قيمتها، لِذلِك كان من الواجب عدم الأخذ بعين الاعتبار مُختَلف هذه الأوصاف.

ثالثا - شخصيات من القَرن التَّاسع عشر بنَظرة استشراقية – مدحت باشا

يعد مدحت باشا من شخصيات القَرن التَّاسع عشر العثمانيَّة، سُمي بأب الأحرار أو أب الدستور. اسمه الكامل أحمد شفيق ولُقِّبَ بالحافظ لحفظه لكِتاب اللّه وسمي حَسبَ ما جرت عليه العادة العثمانيَّة الشهيرة باسم ثان هو مدحت بعد تعلمه لخط الديوان الهمايوني. صَدرٌ أعظم ومن رجال السِياسَة العُثمانيين، أجاد إلى جَانب لغته الأم كلا من اللغة العَربية، الفَارسِية والفِرنسية. تدرج في عدد من المنَاصِب السِياسيَّة منذ فَترة شبابه، فاستهلها بالعمل ضمن الكتبة سَواء في مركز الحُكم -استنبول - أو الوِلايات كدِمشق، ليرقى عقبها في سلم الوظائف بِسَببِ النجاح الذي حققه في عدد من المهام التي أوكِلَت له في كل من البلقان وبورصة. ليشغل عقبها مَنصِب وال عثماني عَلى ولاية الدانوب، ونتيجة لتطبيقه المحكم لنِظَام الولاية وكذا الأعمال التي أنجزها فيها من تَأسِيس للبنوك الزراعية، صناعة الباخرات، بناء المستشفيات وما شَهِدته المَنطِقة خِلال فَترة حكمه لها عين واليا عَلى بغداد عام 1869م.[1]

باعتبار أنه كان من شخصيات العِراق فقد كتب عنه المُستشرق والضَابِط البريطاني "**ستيفن هيمسلي لونكريك Stephen Hemsley Longrigg**" الذي وجه للعَمِل في إحدى شركات النفط بالعِراق، فذكر أن لهذا الأَخير صيت واسع في الوسط العِراقي، معروف

[1] مدحت باشا، **مذكرات**، تع، يوسف كمال بك حتاته، ط01، مطبعة هندية، مِصر، د.ت، ص ص04 -10. أنظر أيضا: ستيفن هيمسلي لونكريك، **أربعة قرون من تَاريخ العراق الحديث**، تع، جعفر خياط، ط06، مكتبة اليقظة العَربية، العراق، 1985م، ص ص358 -359. أنظر أيضا: جرجي زيدان، **"أشهر الحوادث وأعظم الرجال -مدحت باشا أبو الأحرار"**، مجلة الهلال، م17، ج04، (01 يناير 1909م/ 08 ذي الحجة 1326هـ)، ص ص195 -198.

بحبه للإصلاح والتجديد، شخص كَثير الثقة بالتجديد، وفي ذَات الوَقت قليل الثَقافة، مولع ومفضل للأمور الخلابة عَلى العقلانية.[1]

كما هو معروف أنَّ "مدحت باشا" تمكن من تولي مَنصِب الصدارة العظمى عقب انتهاء مدة ولايته عَلى بغداد وسَعَى عقبها نَحو إحداث بَعض من التغييرات في الدولة، فرَأَى أنَّه من الضروري إِلغَاء بَعض من الوِلايات عَلى غِرار ولاية "مرعش"[2]، وأعطى الأوامر بإتمام "مَجلَّة الأحكام العدلية"[3] بِسَببِ ما حظيت به من تقدير في الوسط العُثماني وخارجه، غير أنه لم يستمر في هذا المَنصِب مدة طويلة من الزَّمن فسرعان ما عزل منه وعين آخر بدلا عنه.[4]

ليتولى هذا المَنصِب للمرة الثانية فَترة حكم السُّلطَان "عبد الحميد الثاني"، فعَمِل عَلى إعلان القانون الأساسي وإجراء بَعض من الإصلاحات في الدولة، غير أن فَترة صدارته لم تدم طويلا فقد نفي خارج الدولة بِسَببِ شُكوكٍ طالته من السُّلطَان. وقد وضح في مذكراته موقفه من هذا الأمر فذَكر أن شكوك السُّلطَان التي بُنيت عَلى أقوال سمعها جواسيسه حول تعينه رئيسا للجمهورية العثمانيَّة غير مسؤول عنها، معتبرا نفسه مصلحا لأوضاع الدولة بدرجة ما، لذلك نَفَّذ أمر السُّلطَان القاضي بالنفي.[5]

---

[1] هيمسلي لونكريك، نفسه، ص 359.

[2] **مرعش**: مدينة تَاريخية عثمانية عريقة، تقع حاليا في الوسط الجنوبي لتركيا وغرب دياربكر. للمزيد أنظر: عبد الحكيم العفيفي، **موسوعة 1000 مدينة إسلامية**، ط01، أوراق شرقية، بيروت -لبنان، 2000م، ص ص455 -456.

[3] **مجلة الأحكام العدلية**: هي المرجع الأعَلى للقضاء في الدَّولَة العُثمانية، صدرت ما بين عَامَي (1869 -1876م/ 1285 - 1293هـ) في مدة تزيد عن سبع سنوات بعد أن أدركت الدَّولَة ضرورة وجود دستور وقانون مدني خاص بها. تضم 1851 مادة اقتصرت جَمِيعها عَلى المذهب الحنفي. للمزيدأنظر: أحمد جودت باشا، **مجلة الأحكام العدلية -فقه المعاملات في المذهب الحنفي**، ط01، دار ابن حزم، بيروت -لبنان، 2004م، ص ص38 -49.

[4] ماجدة مخلوف، **تحولات الفكر والسياسة في التَاريخ العُثماني -رؤية أحمد جودت باشا في تقريره إلى السلطان عبد الحميد الثاني**، ط01، دار الآفاق العَربية، القاهرة، مِصر، 2009م، ص ص129 -130

[5] مدحت باشا، المصدر السَّابق، ص ص29 -31.

بناء عَلى هذا، ومن خِلال الإطلاع عَلى كِتابات المُستشرقين البريطانيين التي كتبت حول هذه الشَّخصِية نجد هُناك نوعا من التَّقليل والرفض لما جَاءت به من أعمال وإصلاحات، فهذا المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" لم ينل إعلان الدستور العُثماني استحسانه فقد ذكر أن الطَريقَة التي أعلن بها -في المؤتمر - لم تكن لائقة، وأَثارَت نقاشات عَدِيدة في الوسطين العُثماني والأوروبي عَلى حد سَواء، فَضلاً عن أنَّه لا يعكس أي رَغبَة عُثمَانية في التغيير أو الإصلاح وكان مُجرَّد تظاهر وتحايل أمام الدُول الغَربية وعليها.[1]

نَاهيك عن مُحاولات هذا المُستشرق المتكررة لطرح فِكرَة الدَور والقدرة البريطَانية في تسيير شؤون الدولة العثمانيَّة الداخلية عن طريق شخصياتها الأَساسِية، وذوو المنَاصِب الحسَّاسَة فيها مع التركيز عليها. وهو ما يبدو جليا في تأكيده عَلى أن لمدحت باشا اتصالات مع الحُكومة البريطَانية، مكنته من الالتقاء بالسفير البريطاني المتواجد بالعاصمة العثمانيَّة خِلال أواخر القَرن التَّاسع عشر، وأَتاحت له الفُرصَة لكي يشرح له مبتغاه وهدف جماعته المتمثل في إعلان الدستور، وهذا بالضَّبط في عام 1875م. فأرشده هذا الأَخير إلى القِيام ببَعض الخطوات لتَحقيقِ ذلك والتي كَانت كالتالي: أولا السَّيطرة عَلى السُّلطَان، ثم التخلص من النِظَام الطبقي والعرقي والدِّيني، مع تطبيق اللامركزية.[2]

في حين كان للمُستشرق والضَابط البريطاني "**ستيفن هيمسلي لونكريك Stephen Hemsley Longrigg**" رأي وطرح آخر في هذا، فقد أجرى مقارنة بين إنجازات مدحت باشا الخَاصة ببَعض من الوِلايات العثمانيَّة الوَاقِعة في الروملي وإنجازاته ومشاريعه الإصلاحية في بغداد. فرَأَى أن الأولى وإن حققت نَتائِج عظمى في ولاية الدانوب عَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر إلا أنها لم تحقق في بغداد نَتائِج كَبيرة، مُستنِداً في ذلك إلى فِكرَة أن ولاية بغداد لم تكن متطورة لحد كَبير لِذلِك فالآثار الإيجابية الطفيفة التي خلفتها هذه الأعمال كَانت ذَات تأثير

[1] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص 202.

[2] نفسه، ص ص201 -202.

حسن عليها فقط. لكنها مع ذلك كله لا تبعث بهذا المُستشرق للثناء عليه. أضف إلى ذلك، عدم تَحقيقِها لنَتائِج كَبيرة تنم في نَظره عن ثَقافة ناقصة، عكس تِلكَ المشاريع التي جَاءت لِتُكمِّل أعمال ما قبله من أبنية ومنشآت كَانت قد أضافت الكَثير لبغداد. فَضلاً عن أنها رَسَّخَت اسمه وذكره في المَنطِقة بكونه الشخص المهذب والمبتدع.[1]

خُلاصة القَول، وبالإطلاع عَلى كِتابات المُستشرقين وآراءهم وانطباعاتهم حول بعض من قضايا التَّاريخ العُثماني السِياسيَّة وحول شخصياته المشهورة يُلاحِظ البَاحث محاولاتهم المتكررة للتقليل من هذا التَّاريخ وشخصياته وإبرازهم بصور مُشينَة وغير لائقة. فلا الأنظمة التي سير بها العُثمانيون دولتهم جديدة وأصيلة ولا السلاطِين ولا حتى شخصيات الدولة المرموقة ذوو قدرة عَلى تسيير الوَضع. فهم إما ناقِصُوا خبرة وغير أكفاء أو لبريطَانيا دَور في تسييرهم وإبراز طرق العمل لهم.

[1] هيمسلي لونكريك، المرجع السَّابق، ص ص359 -360.

II.ظاهرة النفوذ المحلي في الدولة العثمانيَّة من خلال الكتابات الاستشراقية

منذ مطلع القَرن السادس عشر تمكنت الدولة العثمانيَّة من ضم المنَاطِق العَربية تحت لوائها، وتم إِعادَة ترتيب الأوضاع وشؤون الحُكم فيها مع اتخاذ عدد من الإجراءات التي تتوافق وطبيعة المَنطِقة. فعين السُّلطَان واليا عَلى كل مَنطِقة قام بفتحها والمثير للانتباه هُنا أن هذا الأَخير لم يكن غريبا عن المَنطِقة بل من الشَّخصِيات التي ساعدته في دُخولها وفرض السَّيطرة العثمانيَّة عليها. غير أنَّ التمرُدات التي كَانت تبرز ولا تنتهي إلا بتحريك جيش عثماني لإخمادها جعل السلاطِين العُثمانيين يغيرون من سياستهم تجاهها.[1] ولعل من أبرز التمرُدات التي شَهِدتها المَنطِقة العَربية، وكَانت محط جَدل بين جُموعِ المُستشرقين نجد:

أولا - تمردات بلاد الشام

شَهِدت الدولة العثمانيَّة عددا من الحَركات الانفِصَاليَّة في المَنطِقة العَربية منذ السنوات والقرون الأولى لانضوائها تحت الحُكم العُثماني، عَلى غِرار جنوب بلاد الشام الذي شَهِد خِلال النصف الثاني من القَرن الثامن عشر بُروز شخصية محلية سعت وبكل ما تملك للانفصال عن الدولة العثمانيَّة، بعد أن تمكنت من أن تحظى بالسيادة الإسمية عَلى المَنطِقة من سلاطين آل عثمان ألا وهو "ظاهر العمر"[2]. [3]

---

[1] أحمد الصفصافي المرسي، **الدَّولَة العُثمانية والولايات العَربية**، دارة الملك عبد العزيز، مج08، ع04، أفريل 1983م، ص ص74 -75.

[2] **ظاهر العمر (1695 -1782م)**: عينته الدَّولَة العُثمانية في بادئ الأمر ملتزما عَلى كل من صيدا، يافا، حيفا، الرملة، نابلس وصفد، ثم ما لبثت أن اعترفت به حاكما عَلى طبرية وصفد. قام عقب فرض سيطرته عَلى هذه المناطق وقوي حكمه فيها بمحاولة للإنفصال عن الدَّولَة العُثمانية ما جعل هذه الأَخيرة تتصدى له ولكن عدم فشلها في ذلك ألزمها بالإعتراف به حاكما عَلى المناطق السَّابقة الذِّكر إلى حين تمكنها من القضاء عليه عام 1782م. أنظر أيضا: الكيالي، المرجع السَّابق، ج03، ص 794.

[3] أحمد زكريا الشلق، **العَرب والدَّولَة العُثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516 -1916**، ط01، مِصر العَربية للنشر والتوزيع، القاهرة -مِصر، 2002م، ص 78.

تمكن هذا الأَخير منذ عام 1733م من أن تعترف به الدولة العثمانيَّة حاكما عَلى طبرية وصفد، ليشرع عقبها في توسيع نفوذه عَلى حِساب المنَاطِق المجاورة لهما، وتمكن من تحسين علاقته بالدولة جرَّاء انتظامه في دفع الضرائب، كما حظي في ذَات الوَقت بتأييد بَعض من رجال البلاط ما ساعده على تقوية سلطته. لكن تغير أوضاع الدولة للأسوء جعلته يغير موقفه تجاهها من الولاء إلى العداء، فتحالف مع والي مصر "علي بك الكَبير"[1] الذي كان هو الآخر يطمح إلى السيطرة على مصر وبلاد الشام والانفصال بهما عن الدولة العثمانية.[2]

وقد توجه المُستشرقان "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**" و "**هارولد باون Bowen. H**" في كِتاباتهما نَحو تَحدِيد الأَسبَاب الموصلة إلى قِيام هذه

---

[1] **علي بك الكَبير:** حاكم مملوكي مِصري، تولى حكم مِصر منذ عام 1763م بنفوذ من أشياعه، وطمح بعدها إلى الاستقلال بها عن الحكم العُثماني مستغلا فَترة الحرب العُثمانية الروسية التي دارت رحاها عام 1768م، فقام بعزل الوالي العُثماني، امتنع عن دفع الخراج، ضرب العُملَة باسمه ووسع نفوذه عَلى حساب مناطق عديدة. انتهى الأمر بمقتله عام 1773م وعودة مِصر للحكم العُثماني مجددا. بالحديث عن فَترة حكمه لِمصر توجه الرحالة الإنجليزي "**James Bruce**" إلى الحديث عنها ومقارنتها مع فَترة حكم "ظاهر العمر" لبلاد الشام. أين وصف فَترة حكم "ظاهر العمر" بالحكم المشوش وذو السلطات المتعددة عكس حكم حليفه لِمصر. وهو ما يبدوا جليا في قوله: {ولِحُسنِ الحظِ عِندما كُنت بالقَاهرة لم أصادِف ذلك النوع المُشوش مِن الحُكومَات بل كَان حُكمُ عَلي بك الشهير يَحكمُ بنفسه أو بواسِطة عُماله}. ولكن بالعودة للكِتابات التَاريخية التي عالجت هذا الأمر نجد هُناك نوعا من التناقض في ذلك، كون أنها تؤكد أن حكم "علي بك " لِمصر لم يكن مرحبا به في الوسط المِصري، بسَببِ سخط الشعب عَلى حكمه وكرههم لما فيه من سلبيات كثيرة. ومرد ذلك حَسبَ ذكرهم لعدة أسباب أهمها عدم إشراك الشعب في المشاريع والتطلعات، فضلا عن فشله في تحقيق مشاريعه مع غياب الشَّخصِيات ذَات الرأي السديد في حكومته واعتماده عَلى التنجيم. كل هذه الأمور جعلت المِصريين يتخذون منه موقفا سلبيا فلم يدافعوا عنه عندما ثار عليه مملوكه وانهار حكمه بمقتله. للمزيد أنظر: محمد رفعت رمضان، **علي بك الكَبير**، د.ط، دار الفكر العَربي، القاهرة -مِصر، 1950م، ص 208. أنظر أيضا: أنور زقلمه، **ثورة علي بك الكَبير 1768م**، د.ط، مكتبة الأنجلو المِصرية، مِصر، د.ت، ص ص05 -06. أنظر أيضا:

James Bruce, **Travels to Discover the Source of the Nile**, V01, Printed by J. Ruthven, London, 2017, p80.

[2] مصطفى الصفوي القلعاوي، **صفوة الزمان فيمن تولى عَلى مِصر من أمير وسلطان**، تح، محمد عمر عبد العزيز عمر، د.ط، دار المَعرِفة الجامعية، الإسكندرية -مِصر، 2006م، ص ص93 -96. أنظر أيضا: عبد الكريم رافق، **بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت**، ط01، دمشق، 1967م، ص ص343 -350.

الشَّخصِيات المحلية بحَركات انفِصَاليَّة عن الدولة العثمانيَّة، سَواء حَركة "ظاهر العمر" وحليفه "علي بك الكَبير" أو حَركة "أحمد باشا الجزار"[1] التي سيلي ذكرها فيما يلي من الوريقات. فأرجعاها إلى سِياسَة هاته الشَّخصِيات في تطوير المَنطِقة والتي استُهلت بتأسيس جيوش جديدة، والذي بدوره فتح الباب أمام بُروز أزمة حَقِيقيَّة مُتعلِّقَة بإعالة هذه القوات ودفع أجورها، ما دفعهم إلى ابتِزاز الشعوب وفرض ضرائب ورسوم مُختَلفة وجديدة عليهم، مع احتكار البضائع وابتزاز التجار المُسلِمين وغيرهم عَلى حد سَواء. بغض النَظر عن الأَسبَاب المعهودة للاضطرابات في المَناطِق العَربية والمتمثِّلَة في استِغلال ظروف الدولة العثمانيَّة كتِلكَ التي صادفها ظاهر العمر والمتمثِّلَة في الصِّراع المتواصل مع أورُوبا، وكذا الصِّراع بين السُلطَة المركزية المجسدة في شخصية الباشا العُثماني والقوات المحلية الطموحة، بالإِضافَة لسخط الإنكشارية وكرههم للانضباط فَضلاً عن فَوضَويَّة القبائل العَربية.[2]

في حين أكد المستشرق **"إدوارد شيفرد كيرسيEdward Shepherd Creasy"** أن السبب الرئيس في ظهور هذه التمردات يتمثل في سوء حكم الدولة العثمانية لهذه المناطق أو كما سماه **بالحُكم الهَمَجِي للفَوضَى السياسيَّة**.[3]

بالعودة لسِياق المَوضُوع، اتصل "ظاهر العمر" بـ "علي بك الكَبير" وتحالفا ضد العُثمانيين، فأيد هذا الأخير "ظاهر العمر" بحَملَة عسكرية لمواجهة حملة والي دمشق وتمكنا من ردها، وأجرى في ذَات الوَقت اتصالات مع الأسطول الروسي القابع في البحر الأبيض

---

[1] **أحمد باشا الجزار (ت 1219هـ/ 1804م)**: شخصية عثمانية من أصول بوسنية معروف بالجزار. قدم مِصر خلال النصف الثاني من القَرن الثامن عشر وعَمِل لمدة من الزَّمن في خِدمَة واليها علي بك الكَبير، غير أنه مالبث أن فر منها قاصدا بلاد الشام بعد أن قتل سيده وقيل هرب من مِصر خوفا من مكر سيده، فاستقر بعكا ثم قصد العاصمة العُثمانية فعين واليا عَلى صيدا ثم مالبث أن أطاح بحكم الشهابيين في عكا وحصنها وتولاها عقب وفاة ظاهر العمر. للمزيد أنظر: نفسه، ص 94. أنظر أيضا: عبد الرحمن الجبرتي، **عجاب الآثار في التراجم والأخبار**، ج01، د.ط، المطبعة العامرة، مِصر، 1322هـ، ص 309. للمزيد أنظر: محمد كرد علي، **خطط الشام**، ج03، ط03، مكتبة النوري، دمشق، 1983م، ص 20.

[2] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج01، المرجع السَّابق، ص ص323، 325 -327.

[3] كيرسي، المرجع السَّابق، ص ص394 -396.

المتوسط قبالة الشواطئ الشامية. ليتبعها بحَملَة عسكرية أخرى جعلها تحت قيادة مملوكه "أبو الذهب" بغية السيطرة على دِمشق لكنها باءت بالفشل. ومرد هذا لسببين اثنين هما مغادرة "أبو الذهب" المَنطِقة وانقلابه عَلى سيده "علي بك الكَبير" الذي بدوره فر نَحو حليفه ببلاد الشام، وكذا إلى الحَملَة العثمانيَّة المرسلة لتدعيم سُلطَة والي دِمشق في المَنطِقة ومواجَهة المتمردين.[1]

تَجدُر الإشارة هنا إلى رأي المُستشرق البريطاني **"ستانلي لين بول Stanley Lane Poole"** في "محمد بك " المشهور بأبي الذهب، هذا الذي كان الأقرب لسيده "علي بك الكَبير" كونه جنديا عظيما أبلى شَجاعَة وبلاء حسنا في حروبه وفي ذَات الوَقت شخصٌ كَريمٌ ذو خُلقٍ حَسنٍ مَحبوبٍ من الشعب. وقد رَأَى هذا المُستشرق أن الدولة العثمانيَّة كَانت حَكيمة حين قَلدته ومنحته زمام السُلطَة نتيجة للأمن الذي شَهِدته مِصر خِلالها وللإنجازات التي قام بها.[2]

كما هو معلوم، انتهى الأمر بمواجَهة بين الطرفين أسفرت عن رد حَملَة "ظاهر العمر" وحليفه ووفاة "علي بك الكَبير"، الأمر الذي جَعل هذا الأَخيرَ يُوقِفُ الحَرب ويسعى للحصول عَلى عفو السُّلطَان الذي في ظل انشغاله بالحَرب الروسية عفا عنه مؤقتا وعَيَّنهُ حاكما عَلى كل من صيدا، عكا، حيفا، يافا، صفد ونابلس. ليتوجه بعد انتهاء حروبه مع روسيا نحو مواجهتهم وتمكن من ذلك وأعاد المنطقة للتبعية العثمانية.[3]

استنادا إلى ما تم ذكره بين المُستشرق **"إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy"** في كِتاباته أن مساعي السُّلطَان العُثماني للقضاء عَلى حَركات التمرد هذه وعَلى الشَّخصِيات التي قَامَت بها لم تكن إلا تأكيدا لسلطته وسيطرته عَلى هذه المنَاطِق، معتمدا

---

[1] الشلق، المرجع السَّابق، ص ص79 -80.

[2] ستانلي لين بول، **سيرة القاهرة**، حسن ابراهيم حسن، علي ابراهيم حسن، الواد حليم، ط02، مكتبة النهضة المِصرية، مِصر، د.ت، ص ص251 -252.

[3] الشلق، المرجع السَّابق، ص 80. أنظر أيضا: علي عبد المنعم شعيب، **التدخل الأجنبي في شؤون العَرب في التَاريخ الحديث والمعاصر**، ط01، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2005م، ص 33. أنظر أيضا: أنيس، المرجع السابق، ص158.

في ذلك عَلى وسائل عَدِيدة لم تكن حَسبَ رأيه في المستوى المطلوب. من بينها الجيش العُثماني الذي لم يكن مؤهلا لمواجَهة المتمردين المحلين أو حتى الغزاة الأجَانب عَلى حد قوله "النِّظَام العَسكَرِي للإمبرَاطُوريَّة كَان رَثًّا للغاية" فهو لم يتلق أي تعليم حول استخدام الأسلحة الحَدِيثة، فَضلاً عن أن العسكري كان يسلح نفسه بنفسه وكل يحارب كيفما يشاء .[1]

لم تستب الأوضاع بِشكل نهائي في مَنطِقة فِلسطِين وجنوب بلاد الشام، فما لبث أن ظَهرَ "أحمد باشا الجزار" وسعى للانفِصَال عن الحُكم العُثماني بعد أن حظي بمَنصِب وال عثماني عَلى ولاية صيدا عام 1776م وذاع صيته ونال مكانة وحظوة كَبيرين جراء تصديه لتوسعات الحَملَة الفِرنسية عَلى حِساب بلاد الشام عام 1799م.[2]

وقد ذكر هُنا المُستشرق "**إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy**" في وصفه أنه كان من بين أقوى رعايا الدولة العثمانيَّة المُسلِمين فقد تجاهل حكم السُّلطَان، أعدم رسله، رفض دفع الضَّرائِب وتوسع عَلى حِساب المنَاطِق المجاورة لعكا بوحشية جعلته يلقب بالجزار. سَاهمَ تمرده هذا رفقة التمرُدات التي شَهِدتها الوِلايات العَربية والأوروبية في التَّقليل من سُلطَة السُّلطَان "سليم الثالث"[3] وجعلتها غير معترف بها حتى اعترافا اسميا.[4]

---

[1] كيرسي، المرجع السَّابق، ص ص397، 399.

[2] في قضية طرد الحَملَة الفِرنسية الموجِهة لبلاد الشام ومواجهتها يذكر كرد علي في كِتابه خطط الشام عكس مايرد في الكِتابات التَاريخية، فالجزار حَسبَ هذا الأَخير لم يكن هو الذي واجه الحَملَة الفِرنسية ولا هو الذي طردها من بلاد الشام، بل ظن نفسه كذلِك. للمزيد أنظر: محمد كرد علي، المصدر السَّابق، ص18. أنظر أيضا: فاضل بيات، **الدَّولَة العُثمانية في المَجال العَربي**، ط01، مركز دراسات الوِحدَة العَربية، بيروت -لبنان، 2007م، ص 230. أنظر أيضا: الشلق، المرجع السَّابق، ص 81.

[3] **السلطان سليم الثالث (1761 -1808م)**: -جهاندار - هو السلطان العُثماني الثامن والعشرين، حكم الدَّولَة العُثمانية لثمانية عشر سنة من عام 1789م ولغاية عام 1807م، شَهِدت فيها أحداثا عديدة من بروز للاصلاحات وفق النموذج الأوروبي، استَمرار للحروب العُثمانية الروسية والعُثمانية النمساوية، وبُروز للإضطرابات الاجتِماعية والسياسيَّة في الأناضول والتي سَاهمَت في ازدياد الهِجرة نَحو العاصمة، بالإِضافَة للحَملَة الفِرنسية عَلى مِصر (1801لمح1798م). للمزيد أنظر: كولن، المرجع السَّابق، ص ص258 -264.

[4] كيرسي، المرجع السَّابق، ص 394.

في حين كان هذا الأَخير في نَظر المُستشرقين "**هاملتون جب Alexander Roskeen Gibb Hamilton**" و "**هارولد باون Bowen. H**" شخصية محلية قَامَت عَلى أنقاض شخصية "ظاهر العمر" وحركتها الانفِصَاليَّة، لملم إرثه الإداري والمادي وعَمِل عَلى تطوير منهجه.[1]

وفي سياق آخر، وصف المستشرق "**إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy**" في كتاباته حالة سكان الوِلايات العثمانيَّة خِلالها بالشَّقاء والمعاناة وشبهها إلى حد بعيد بما عانت منه انجلترا منذ ألفي سنة تقريبا من محصلي الضَّرائِب والولاة. وبين أنها كَانت سبباً لازدياد الضُّعف في الدولة، وأن سوء حكم هذه الأخيرة هو الدافع لبروزها، وأنَّها ساهمت مجتمعة في التَّقليل من سُلطَة السُّلطَان.[2]

ثانيا - الحَركة الوهابية

إلى جَانب الحَركات السَّابقة الذِّكر شَهِدت الدولة العثمانيَّة مع أواخر القَرن الثامن عشر حَركة انفِصَاليَّة أخرى بمنطِقة الحِجاز والمعروفة بالحَركة الوهابية. سميت بهذا الاسم نسبة لصاحبها "محمد بن عبد الوهاب"[3]، هذا الذي درس مذَهبَ أبي حنيفة النعمان وأخذ عن عُلمَائه، بَرعَ في الشَّريعَة وتَفسير القرآن، تنقل بين الحواضر العِلمية وأخذ العلم من أساتذتها إلى أن أفضى به الأمر إلى إنشاء حَركة مستقلة لها أتباعُها، تلامِيذُها ومُريدُوها.[4]

---

[1] جب، باون، **المُجتَمع...**، ج01، المرجع السَّابق، ص 316.

[2] كيرسي، المرجع السَّابق، ص ص394 -396.

[3] **محمد بن عبد الوهاب**: من مواليد مدينة الدرعية، وقيل مدينة العينية في العارض. درس الشريعة وتفقه فيها، ودرس كذلِك مذهب الحنفية واتبعه، أدى فريضة الحج وزار المدينة المنورة. ليشرع بعد العودة لمدينته في بث دعوته منها وانتقل عقبها للمدن الأخرى في الحجاز. تحالف مع أمير الدرعية محمد بن سعود وضمه لصفه ما زاد من أتباع هذه الحَركة ومن رقعتها الجغرافية أكثر فأكثر. للمزيد أنظر: حسين بن غنام، **تَاريخ نجد**، تح، ناصر الدِّين الأسد، ط04، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1994م، ص ص81 -82. أنظر أيضا: عويضة بن متيريك الجهني، **نجد قبل الوهابية**، تر، إحسان زكي، ط01، جسور للترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 2016م، ص ص239 -240. أنظر أيضا: آن بلنت، **الحج إلى نجد**، تر، صبري محمد حسن، تق، رؤوف عباس حامد، ج02، المركز القومي للترجمة، مِصر، 2007م، ص 231.

[4] محمد فريد بك المحامي، **تَاريخ الدَّولَة العلية العُثمانية**، تح، إحسان حقي، ط01، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981م، ص 404. أنظر أيضا:

سَعَى هذا الأخير بحركته نَحو إصلاح الوَضع الدِّيني بالمنطقة، ليذيع صيته بعد اتحاده مع آل سعود وبالتَحدِيد مع أمير الدرعية[1] "محمد بن سعود"[2] هذا الذي وصفته المُستشرقة البريطَانية "**آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt**" بالرجل الطَّمُوح نَتيجة لتوسعاتِه ولِسيطرتِه عَلى مُدنٍ عَدِيدةٍ بالحِجاز. وللعلم عَمِل آل سعود عَلى توسيع نفوذ هذه الحَركة من خِلال الترويج لها ونشر تعاليمها بالمنَاطِق المجاورة، مع اقتطاعها من الدولة العثمانيَّة تمهيدا لتأسيس دولتهم. حتى تمكنوا من دُخول الحِجاز وفرض سيطرتهم عليها وعَلى الحرمين الشريفين وهو ما أقلق الدولة العثمانيَّة وجعلها تهرع نَحو مواجهتهم والحد من نفوذهم.[3]

بالحَدِيث عن نشأة هذه الحركة يَذكُر المُستشرق "**هاري سانت جون بريدجر فيلبي Harry St. John Bridger Phillby**" في كتاباته سبب بُروز هذه الحَركة، ويُرجِعُها لسياسَة الحكم العثمانيَّة المتبعة في المَناطِق العربية مُعتبرا إيها المُساهِم الفِعلي في بُروز وانتِشار روح الاستِيَاء والتَّذمُر في المنَاطِق التابعة لها وسببا في بُروز مثل هذه الحَركات.[4]

وقد بين في ذات السِياق كل من المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" والمُستشرق الرحالة "**جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt**" أنَّ "محمد بن عبد الوَّهَاب" ومن خِلال حركته هذه يَسعَى إلى تَحقِيق أمرين اثنين هما: العودة إلى الإسلام الصَحيح، وتعيين

John Bagot Glubb, **War In The Desert**, Hodder and Stoughton, London, 1960, pp 42

[1] **الدرعية:** مدينة قديمة تقع غرب مدينة الرياض، يعود بناؤها للقرن التاسع للهجرة، اشتهرت بسبب انتشار الحركة الوهابية واستقرار الأسرة السعودية الأولى بها. للمزيد أنظر: العفيفي، المرجع السابق، ص 230.

[2] **محمد بن سعود**: اسمه الكامل محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان، من قبيلة المسالخ. تولى الحكم بعد وفاة سعود وتمكن خلال فَترة حكمه من التحالف مع محمد بن عبد الوهاب. ليشرع عقبها في الترويج لحركته والدعوة لها. للمزيد أنظر: سعود بن هذلول، **تَاريخ ملوك آل سعود**، تق، محمد العبودي، ط01، مطابع الرياض، المملكة العَربية السعودية، 1961م، ص 06. أنظر أيضا: Ibid.

[3] أنظر أيضا: آن بلنت، المرجع السَّابق، ج02، ص 233. أنظر أيضا: شكيب أرسلان، **خلاصة تَاريخ الدَّولَة العُثمانية**، تع ومرا، أحمد المنزلاوى، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، مِصر، 2019م، ص 254.

[4] هاري سنت جون فيلبي، **تَاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية**، تع، عمر الديراوي، المكتبة الأهلية، بيروت، د.ت، ص 160.

قائِدٍ للأمة أو كما سمياه {تَنصِيب القَائِد الدِّيني والسياسي للأمة}. وأكَّدا أنَّ مَبادئَه هذه لم تكن مبادِئ دينٍ جَديد بل موجَّهَة فقط لإصلاح المفاسِد ونَشرِ الدِّين الصَّحيح بَين البَدو خَاصة وأن هؤلاء كَانُوا غير مبالين بأحكامه الصَحيحة، وجَعلِهم والعَرب يَتَّبِعُون تَعالِيمَه اتِباعًا دَقيقًا، مع إِعَادتِهم للحَالة التي كَانُوا عَليها يَومَ كان النَّبي عَلى قَيدِ الحَياة.[1]

وعَلى سَبيلِ الإشارة هُنا، اصطلح المُستشرق الأَخير اسما جديدا عَلى الحَركة الوهابية، فهي في نَظره "عِبارَة عَن أَرستُقرَاطِيَّة تَجيء عَائِلَةُ سَعُود عَلى رَأسِهَا"، وهي كذلِك بعد ازدِيادِ نُفوذِها وتَوسُعاتِها "كُومِنُولث بَدَوِي" كان فيه حُكمُ صَاحِبها حُكماً حُراً.[2] كما كَانت في نَظر المُستَشرق **"لويس بلي Lewis Pelly"** تَحالُف وتَكتُّل عَددٍ مِن القَبائِل المُخضَعَة، قَائِم عَلى فِكرَةٍ دِينِيَّة ومُتقيِّد بتَعالِيمَ رَجعِيَّة ومُضجِرة ظَهرَت في القَرن السَّابع للمِيلاد. [3]

وعَلى النَّقيضِ من هذا القَول، كَانت الحَركة الوهابية في نَظر المُستشرق **"هاري سانت جون بريدجر فيلبي Harry St. John Bridger Phillby"** قِيَادَة مُستَنِدَة إِلى مَبَادِئ دِينِيَّة وأَخلاقِيَّة وتَعَالِيم سَامِية ما جَعَلها تَفُوزُ باحتِرَام الشَّعبِ وتَقدِيرِه، وقَد أَدَّى انهِيَارها في فَترَةٍ مِن الفَترات إلى عَودَة العَرب للبَربَريَّة التي كَانُوا عَليهَا قَبلَ ظُهورِها.[4]

من جَانب آخر، وضَّحَت المُستشرقة **"آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt"** في كِتاباتها الأهدَاف الرئيسة لحَركة "محمد بن عبد الوهاب" وقد أجمعتها في الأهدَاف السَّابقة الذِّكر. بل وأدرجت إلى جَانبها فِكرَة رفض السُلطَة العثمانيَّة أو سُلطَة أي خِلافة

---

[1] برنارد لويس، **أزمة الإسلام الحرب الأقدس والإرهاب المُدنس**، تر، حازم مالك محسن، ط01، دار ومكتبة عدنان، العراق، 2013م، ص129. أنظر أيضا: جون لويس بوركهارت، **ملاحظات عن البدو والوهابيين**، تر، صبري محمد حسن، مرا، محمد صابر عرب، ج02، ط01، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مِصر، 2007م، ص ص61، 63، 72 -73.

[2] بوركهارت، نفسه، ص 73. أنظر أيضا:

John Lewis Burckhardt, **Notes On The Bedouins And Wahabys**, The Association for Promoting The Discovery of The Interior Of Africa, V02, London, 1831, pp 118- 119.

[3] لويس بلي، **رحلة إلى الرياض**، تر وتح، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، عويضة بن متيريك حامد الجهني، ط01، مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العَربية السعودية، 1991م، ص ص106، 108.

[4] فيلبي، **تَاريخ نجد**، المرجع السَّابق، ص 163.

أُخرَى وكَانَت حَسبَها من الصِّفَات والأهدَافِ الأَساسِيَّة لِهذِه الحَرَكة.[1]

وهو ما ذَهبَ إليه كذلِك المُستشرق **"هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges"** حين ذَكَر أن الوَهَّابِيين عَدُّوا مُمَارسَات العُثمانِيين في المَنطِقة من مَظاهِر الفَساد التي تَتنَافى وتَعالِيم الدِّينِ ما جَعلَهُم سَاخِطِين ورَافِضين لحُكمِهم.[2] فَضلاً عن أنه ذَهبَ إلى أبعد من الحَدِيث عن أهدَاف هذه الحَركة، نَحو معرفة السبب الرئيس وراء تَخوُّف العُثمانيين مِنها وتَوجُّههم نَحو القَضاءِ عَليها بشتَّى الطرُقِ، ليَخلُص في الأَخِير إلى القَول بأنَّ هَذَا التَّخوُف رَاجِعٌ ونَابِعٌ مِن سَببينِ اثنَين هُمَا مَعرِفَة الوُلَّاةِ والسلاطِين العُثمَانيين بِصِحَّة هَذه الحَركَة وصِحَّة مَبادِئِها باعتِبَارِ أنَّهَا قَائِمَة ومُتَّفقَة مَع ما وَردَ في القُرآنِ الكَرِيم، وكَذا كَونَها سَتُجَرِّدُ السُّلطَان من مكَانَتِه الدِّينِيَّة كخَلِيفَة أو كَزعِيمٍ رُوحِي للمُسلِمِين فيفقِدَ بذلِك شَرعِيَّة الحُكم.[3]

بالعودة للسِياق التَّاريخي للحَركة، تَمكن الوَهَّابِيون من توسيع مناطق نفوذهم خارج الدرعية وذلِك بسيطَرتِهم عَلى المنَاطِق والقبائل المجاورة لها.[4] هذا الأمر دفع بالمُستشرقة **"آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt"** إلى القَول بأن نجاح الوَهَّابِيين في توسِيع رُقعتهم وتَمكُنهم من فَرضِ سَيطَرَتِهم عَلى مُدنٍ عَدِيدة مَردُّه للحَملَة الفِرنسية عَلى مِصر التي سَاهمَت بطَريقَة أو بأخرى في تفكيك الدولة العثمانيَّة وكذا إلى الخطر الأوروبي المحدق بها.[5]

---

[1] بلنت، المرجع السَّابق، ج02، ص 232. أنظر أيضا:

Anne Blunt, **A Pilgrimage To Nejd**, V02, John Murray, London, 1881, p 271.

[2] هرفرد جونز بريدجز، **موجز لتَاريخ الوهابي**، تر، عويضة بن متيريك الجهني، ط01، دارة الملك عبد العزيز، الرياض - المملكة العَربية السعودية، 2005م، ص 71.

[3] نفسه، ص ص72 -73.

[4] يلماز أوزتونا، **تَاريخ الدَّولَة العُثمانية**، مج01، تر، عدنان محمود سلمان، مرا، محمود الأنصاري، ط01، مؤسسة فيصل للتمويل، استنبول، 1988م، ص 653. أنظر أيضا: أكمل الدِّين إحسان أوغلى، **الدَّولَة العُثمانية تَاريخ وحَضارة**، ج02، تع، صالح سعداوي، مركز الأَبحَاث للتَاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استنبول -تركيا، 1999م، ص 372.

[5] بلنت، المرجع السَّابق، ج02، ص237.

في ظل تزايد النفوذ الوهابي، ومع سيطرتهم عَلى مُختَلف القبائل العَربية والمنَاطِق المجاورة للدرعية عَلى غِرار نجد، العينية، مكة والمدينة وغيرهما. سَعَى شريف مكة إلى مواجهتهم والحد من توسعاتهم مستعينا بالقبائل العَربية الموالية له فوجه ثلاث حملات عَلى نَجد بُغيَة القَضاءِ عَلى الحَركة ما بين عَامَي 1790م و1798م، غير أنه لم يتمكن من ذلك.[1]

كما سَيَّر العُثمَانيون كذلِك حَملَة عسكرية برية بقيادة سكرتير الوالي العُثماني عام 1798م من بغداد صَوبَ الأحساء هَادِفَة من ورَائِها إلى القَضَاءِ عَلى الوَهَّابيين، والحدِّ من تَوسُّعَاتِهم المتزايدة في المَنطِقة. فتمكنت من السَّيطرة عَلى قسم كَبير من مدينة الأحساء، وفشلت بالمقابل في دُخول مدن أخرى كونها كَانت عَلى درجة كَبيرة من التحصن. الأمر الذي جعل الحَملَة تعود أدراجها صَوبَ الشمال، غير أن اعتراض ابن الأمير محمد بن سعود لها جعلهما عَلى وشك الدُخول في صراع طويل توقف بِسَببِ تدخل شيوخ العَرب، وانتهى الأمر بانسحاب الجنود العُثمانيين صَوبَ البصرة وسيطرة الوَهَّابيين مرة أخرى عَلى الأحساء مع محاولة منهم لاسترضاء الوالي العُثماني بالمَنطِقة.[2] وهو ما زاد من قوة الوَهَّابيين ومن شُهرَتهم، حَسبَ ما أملته كِتابات المُستشرقة "**آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt**" وجَعل مِنهم حُكُومة نِظَامية ذَات إِدَارة مَركزِيَّة، وجَيشٍ نِظَامِي، تَدفَعُ الضَّرائِب بدلا من الإتَاوة.[3]

نَظرا لعدم نجاح هذه الحَملَة استعانت الدولة العثمانيَّة للقضاء عليهم بوالي مِصر "محمد علي" هذا الأَخير الذي اشترط عليها ترقيته لرتبة بكلربك، وتم له ذلك عام 1805م.[4] وقد ذكر المُستشرق الرحالة "**جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt**" في كِتاباته أن الدولة العثمانيَّة من باب تحميس وتشجيع هذا الأَخير وعدته بجعل باشوية دِمشق لأحد أولاده

[1] أوزتونا، المرجع السَّابق، ج01، ص 654. أنظر أيضا: حسن بن جمال بن أحمد الريكي، **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب**، تح، عبد الله صالح العثيمين، د.ط، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العَربية السعودية، 2005م، ص168 -171.

[2] بلنت، المرجع السَّابق، ج02، ص 233.

[3] نفسه، ص 234.

[4] أوزتونا، المرجع السَّابق، ج01، ص 654.

بعد أن يُتِم سيطرته عَلى مكة والمدينة. وقد كان هذا الأمر حَسبَ ذكره طُموحا سَعَى إليه هذا الأَخير منذ البداية حتى يَتَسنَّى له الظَّفر بمكانةٍ مرموقةٍ بين سَائرِ الوُلاة والباشوات العُثمانيين، وحتى يُضفي عَلى اسمه الشهرة فلا تعترِضُ الدولة عَلى مطالِبهِ المُستقبَلِيَّة.[1]

سير هذا الأَخير حَملَة عَسكَرِّية للقضاء عَلى الوَهَّابِيين وجعلها تحت قيادة ابنه "طوسون باشا"[2] وأرفق مع الحَملَة عالمان من علماء مِصر كان من بينهما السيد "رفاعة رافع الطهطاوي"[3] بغية إجراء نِقاشات مع الوَهَّابِيين حول ما حملته حركتهم من أفكار. في حين بقي هو -أي محمد علي -في مِصر بِسَببِ عدم استتباب الأمور فيها وعدم تمكنه من فرض سيطرته عليها بِشكل نهائي وتخوفه من فُقدانها. تمكن طوسون باشا من مواجَهة الوَهَّابِيين وإِعادَة المدينة المُنوَّرَة للحُكم العُثماني مُجدداً بعد عددٍ مِن الحُروب والمُواجهاتِ المتتالِية وبَعد دَعمٍ من وَالِده بالمؤَنِ والأَموالِ وشِراء الذِمم. لتَمنَحهُ الدولة عام 1812م نظير خَدمَاته ومَساعِيه لاسترداد المَنطِقة رُتبَة بَاشا وتقوم بتعيينه حاكِماً عَلى جدة.[4]

---

[1] بوركهارت، **ملاحظات عن البدو والوهابيين**، تر، صبري محمد حسن، مرا، محمد صابر عرب، ج02، ط01، المركز القومي للترجمة، مصر، 2007م، ص 129.

[2] **طوسون باشا**: وصفه المُستشرق جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury بالشخص المتسلط والمتقلب المزاج. للمزيد أنظر: جيرالد دي غاوري، **حكام مكة**، تر، محمد شهاب، مرا، محمد علي سويد، ط01، مكتبة مدبولي، مِصر، 2000م، ص 235.

[3] **رفاعة رافع الطهطاوي (1801 -1873م)**: مدرس، كاتب، مترجم، ومن رجال الإصلاح المِصريين. من مواليد مدينة طهطا المِصرية، حافظ للقرآن ودارس له ولمُختَلف علومه. أرسله والي مِصر "محمد علي باشا" ضمن بعثة عِلمية صَوبَ العاصمة الفِرنسية باريس عام 1826م بغية دِراسة العلوم الحديثة. فاستهواه ما فيها من نهضة وتقدم وعزم عَلى الكِتابة عنها، فتعلم اللغة الفِرنسية وتمكن من إتقانها الأمر الذي فتح له باب الترجمة. ثم مالبث أن ألف كِتابه الموسوم بـ: تخليص الإبريز في تلخيص باريز وضَمَّنَ فيه ماشهده بالعاصمة الفِرنسية خلال فَترة تواجده بها. للمزيد أنظر: حسين فوزي النجار، **أعلام العَرب - رفاعة الطهطاوي رائد وإمام نهضة**، د.ط، الدار المِصرية للتأليف والترجمة، مِصر، د.ت، ص ص55 -75. أنظرأيضا: إبراهيم عبده، **أعلام الصحافة العَربية**، ط01، مكتبة الأداب، القاهرة، مِصر، 1944م، ص ص40 -41.

[4] المحامي، المرجع السَّابق، ص 408. أنظر أيضا: بوركهارت، **ملاحظات**...، المرجع السَّابق، ج02، ص ص131 -132، 139، 141. أنظر أيضا: دي غاوري المرجع السَّابق، ص 230. أنظر أيضا: بريدجز، المرجع السَّابق، ص 145.

وقد أَرجَعَت المُستَشرِقَة "**آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt**" سببَ نَجاحِ هذه الحَملَة واستِسلامِ "عبد اللّه بن سعود"[1] لسَببين اثنَين تَمثَّل الأول مِنهُما في فُقدانِ هَذا الأَخِير للأمنِ في نَجد، أمَّا الثَّانِي فتمثَّلَ في رَفضِ البَدوِ للحُكم الوَهَّابِي رَفضا مُطلَقًا، فوَقَفُوا إلى جَانب العُثمانيين لسَببٍ واحدٍ حَدَّدَتهُ هذه الأخيرة في رَفضِهِم للتّشَدُدِ الدِّيني وتَمسُّكِهِم بمورُوثَاتِهم.[2]

في حين أرجع المُستشرق "**هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges**" سبب الفشل لسببين اثنين هما: توقيع "عبد اللّه ابن سعود" لمُعاهَدة الاستِسلام، وفُتورِ هِمَّتِه رُغم انتِصَاره عَلى العُثمَانيين في مواجَهاتٍ عَدِيدة فلم ينتهِز تِلكَ الفُرص للقضاء عليهم رُغم مَقدِرتِه.[3] كما بين كذلِك أن عدم قُدرته عَلى اتخَاذ القَرارِ المُناسِب والتَّصَرُف الصَّائِب، وافتِقَاره للفِطنَة والبَصِيرَة والمَشُورَة والحَصَافَة السِياسِيَّة كَانَت سبباً وجيها لما لقيه آنذاك.[4]

بالعَودَة للسِياق التَّاريخي للأحدَاث، وبعد تمكن محمد علي من فَرضِ وتَرسِيخِ سيطرَتِه وسُلطَتِه عَلى مِصر والقَضاءِ عَلى المَمالِيك توجه صَوبَ مكة لفرض سيطرته عليها، الأمر الذي دَفع بالمُستشرقين "**جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury**" و"**جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt**" للقول بأن تغيب محمد علي عن الحَرب كما ذُكر سَابقا، ورغبته في تَحقيقِ النصر والظفر بمزايا الفوز عَلى الوَهَّابيين وإِعادَة مكة والمدينة للحُكم العُثماني، فَضلاً عن الأوامر السُّلطَانية التي أمرته بأن يكون عَلى رأس قواته في الحِجاز كانت كَفيلة بجعله يتوجه نحو مسرح الأحداث.[5]

---

[1] **عبد الله بن سعود**: تولى الحكم عام 1814م ولم تدم مدة حكمه أزيد عن أربع سنوات، قام خلالها بمواجهة الحملات العُثمانية الموجهة للقضاء عَلى الوهابيين والتي كلف بها ابن محمد علي إبراهيم باشا، وكَانت نهايتها استسلام عبد اللّه بن سعود ونقله رفقة عائلته لمِصر ومن ثم للأستانة التي قتل فيها. للمزيد أنظر: بن هذلول، المرجع السَّابق، ص 14.

[2] آن بلنت، المرجع السَّابق، ج02، ص 234، 238.

[3] بريدجز، المرجع السَّابق، ص 271.

[4] نفسه، ص ص269 -270.

[5] بوركهارت، **ملاحظات**...، المرجع السَّابق، ج02، ص ص147، 165. أنظر أيضا: دي غاوري، المرجع السَّابق، ص 259.

فبناء عَلى هذا زار مكة وتمكن من الالتقاء بشريفها "الشريف غالب"[1] والتفاوض معه وإجراء القسم عَلى مساعدة بَعضهما البَعض وسلامة حياتهما. ليشرع عقبها في ترميم الحرمين الشريفين، توزيع الصدقات وتقديم الهدايا للعلماء. ثم توجه نَحو مواجَهة الوَهَّابِيين في مَراكِزهم، غير أن تقاعس الشريف غالب في عدد من المرات عن مساعدته جعل محمد علي وحَسبَ ما أملته كِتابات المُستشرق "**جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt**" يقتنع أن استَمرار الشريف غالب في السَّيطرة عَلى الحِجاز لن يهيئ له الفُرصَة في نجاح عملياته العسكرية. لِذلِك استند إلى المرسوم السُّلطَاني القاضي بالتصَرفِ في أَمرِ الشريف غالب وِفقَ الطَريقَة التي يَراها مُناسِبة وقام بأسره.[2]

هذا التصرف لم يكن بالأمر الجديد في نَظر المُستشرق "**جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt**" فالخيانة وعدم الالتزام بالقسم من سلوك العُثمانيين. وهو ما يبدوا جليا في قوله التالي: {.... في هَذِه المُنَاسَبَة أَقسَمَا عَلى القُرآنِ بِألا يَتَسبَّبَ أَحَدُهُمَا فِي القِيَامِ بِشَيء يَتَعَارضُ مَعَ مَصلَحةِ وسَلامَةِ وحَياةِ الآخَر... هَذَا القَسَم أكَّدَه الرَّجُلانِ عَلى المَلأ بَعد عِدَّةِ أَسَابِيعَ فِي المَسجِد الحَرَام، وذَلِك بِناءً عَلى رَغبَة صَريحَةٍ مِنَ الشَّرِيف غَالِب الذِّي لَم يَتَعلَّم أَنَّ القَسَم لا يَلتَزِمُ بِهِ عُثمَانِي فِي أَيِّ وَقتٍ مِن الأَوقَات..}.[3]

---

[1] **الشريف غالب**: أمير من أمراء مكة واسمه الكامل غالب بن مساعد، تولى الإمارة عام 1788م وشهد عهده فيها بُروز الحَركة الوهابية وازدياد نُفوذِها، ونظر لعدم قدرته عَلى مواجهتهم قام بإرسَال رسالة للسلطان العُثماني عام 1796م يطلب فيها النجدة منه، غير أن انشغال الدَّولَة بخطر الحَملَة الفِرنسية عَلى مِصر منعها من توجيه نظرها للحجاز وتقديم المساعدة. وهو مادفع به لعقد صلح مع الأمير الوهابي، غير أن هذا الأمر لم يدم طويلا فسرعان ما دخل في صراع طويل معهم أفضى في النِهاية إلى سيطرة الوهابيين عَلى مكة. وإلى تسيير العُثمانيين للحملات العسكرية لمواجهتهم خوفا من فقدان المَنطِقَة والذي ذكر في متن الدِراسة. وللعلم كَانت نِهاية الشريف غالب بأن أرسل كأسير للعاصمة العُثمانية وتخصيص بيت له في سلانيك كَانت وفاته فيه عام 1817م. للمزيد أنظر: إسماعيل حقي جارشلي، **أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العُثماني**، تر، خليل علي مراد، ط01، الدار العَربية للموسوعات، بيروت -لبنان، 2003م، ص ص193 -201.

[2] بوركهارت، **ملاحظات**...، المرجع السَّابق، ج02، ص ص147 -150.

[3] نفسه، ص ص147 -148.

وفي قوله كذلِك: {... لَم يَكُن السُّلُوك الخَائِن الذي أتَاهُ الأَترَاك في المَدِينَة (المُنوَّرَة) من الحِكمَة في شَيء... والتي وَسَمت الاسمَ " تُركي" بالخِزي والعَار فِي سَائِر أَنحَاء الحِجاز}.[1] وكذا في قوله: { ثَبُتَ لَنَا أنَّ خَوفَ الحَاكِم التُّركِي مِن أَقَلِّ الخَسَائِر التي يُمكِن أَن تَلحَق به يُمكِن أَن تَمنَعهُ مِن مُراعَاة المَصلَحة العَّامَة بِعَينِ الاعتِبَار، هَذا يَعنِي أَنَّ نَظر الحَاكِمِ التُركِي لا يُمكِنُ أَن يَمتَدَّ مُطلقاً أَبعَد مِن مَصَالِحِه الخَاصَّة وأنَّهُ عَلى استِعدَادٍ للتَّضحِيَة بِمَصَالِح مَلِيكِه (سَيِّدِه) ورَفَاهِيَّةِ رَعَايَاهُ في سَبيلِ الحُصُولِ عَلى مَزَايَا مَالِيَّةٍ تَافِهَة}.[2]

في حين اندَهش المُستشرق "**هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges**" من ذلك، بِسَببِ عدم توقعه بأن يضع كليهما الثقة في التعهد المقدم، ولا اتحاد الطرفَين مع بَعض ضِدَّ الوَهَّابيين أو كما سماهُم "بالمُصلِحِين". وأكَّد أنه لم يتمكن من فَهمِ تصرُّفِ "الشريف غالب" حين وضع الثِّقة في العُثمانيين، بل وبين في موضع آخر من كِتاباته أن هذا الأَخير لم يعتقد أن "محمد علي" سيقوم بحنث القسم خَاصة وأنه شخص مسلم مدرك لقيمته.[3]

فَضلاً عن ذلك كله، فالشريف غالب كان في نَظر المُستشرق "**جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt**" شخصًا جَشِعًا، مَاكرًا ومُراوِغًا في تَعامُلِه مع البَدو وهو ما أَهَّلَهُ لِحُكمِ المَنطِقَة. كما بَيَّن أنَّ محمد علي كان مُخطِئا في تَصرُّفه مع الشَّريف غَالب فهو لم يكن صَديقا للعُثمانِيين وفي ذَات الوَقت كَرِهَ هَيمنَة الوَهَّابيين وسَعَى لإضعَافِ كِلا الطَّرَفينِ حتى يَكُونَ هُو المُستَفيدَ من كل ذلك. وقد أكَّد هذا الأمر المُستشرق والضابط "**جيرالد دي غاوريGerald de Gaury**" في كِتاباته حين ذكر أن الشريف عَمِل منذ البداية عَلى اختِيارِ الطَّرَفِ الأضعَف لكنه تَريَّثَ عقبها بهدَف إِضعافِ كِلا الطَّرَفينِ ويَقومَ بِمُواجَهتِهما وإبعَادِهِما عَن المَنطِقة.[4]

---

[1] بوركهارت، **ملاحظات**...، المرجع السَّابق، ج02، ص 142.

[2] نفسه، ص 128.

[3] بريدجز، المرجع السَّابق، ص ص127، 123، 147، 152.

[4] بوركهارت، **ملاحظات**...، المرجع السَّابق، ج02، ص ص155 -156. أنظر أيضا: دي غاوري، المرجع السَّابق، ص 232.

سير محمد علي عام 1816م حَملَة أخرى تحت قيادة ابنه "إبراهيم باشا"[1] بغية مواجَهة الوَهَّابيين مرة أخرى، تمكن خِلالها من السَّيطرة عَلى مدينة الرس، عنيزة[2]، والدرعية بعد أن دخل في مشادات وحرب مع عبد الله بن سعود وجنوح هذا الأَخير للتفاوض مع إبراهيم باشا، ومن ثم تم القبض عليه وإرسَاله للعاصمة العثمانيَّة وإِعادَة الأملاك والتُّحَف التي استولوا عليها خِلال سيطرتهم عَلى المدينة، لينتهي أمره بمقتله فور وصوله للعاصمة العثمانيَّة عام 1818م.[3]

مع تطور الأحدَاث في شبه الجَزِيرة العَربية، وباعتبار للمصالح البريطَانية في المَنطِقة سعت هذه الأَخيرة إلى التقرب من "إبراهيم باشا" عن طريق إرسَال ضُبَاطها ومُستشرقيها القابعين في الجَزِيرة العَربية له بغية تقديم المساعدات لمواجَهة الوَهَّابيين في حال طلب ذلك. بغية الاتحاد معه ضد القبائل العَربية المهددة للملاحة والتجارة البريطَانية ومصالح شركة الهند الشَّرقية في الخليج. وكذا بهدَف إبقاء المَنطِقة تحت السَّيطرة العثمانيَّة. وهذا ما يظهر في الرسالة[4] التي وجهها السكريتير الأول للحكومة البريطَانية في الهند للمُستشرق والضَابط البريطاني **"جورج فورستر سادلير George Forster Sadleir"**، والتي وإن تَضَمنت عبارات تبرز سعي بريطَانيا لتقديم مساعدات لإبراهيم باشا فهي في ذَات الوَقت بينت هدف هذا

---

[1] **إبراهيم باشا (1785 -1838م)**: هو الابن الأكبر لوالي مِصر محمد علي، متقن للغة العُثمانية، العَربية والفارسية. تولى خلال حياته مناصب عديدة فقد عين دفتردارا عام 1807م، وتولى حكم الصعيد، وقيادة الجيش المِصري، وحكم مِصر عام 1848م. تمكن هذا الأَخير من مواجة المماليك في مِصر، والوهابيين في الحجاز، وكذا اليونانيين. فضلا عن أنه سَعَى إلى السَّيطرة عَلى بلاد الشام تنفيذا لسياسة والده والتي عرفت في التَاريخ باسم المسألة المِصرية. تجدر الإشارة هُنا إلى أوصاف بعض المُستشرقين له، فقد ذكروا في كِتاباتهم أن إبراهيم باشا لم يكن ابن محمد علي الحقيقي وأنه رغم كونه شخصا جريئا كان مدمنا عَلى الخمر، واللهو وذو تصرفات عنيفة وقاسية. للمزيد أنظر: الكيالي، المرجع السَّابق، ج01، ص17. أنظر أيضا: فورستر سادلير، المرجع السابق، ص ص137 -138.

[2] **عنيزة:** مدينة تجارية تقع في الوقت الراهن وسط المملكة العربية السعودية وتربط بين مختلف مدنها الأخرى. للمزيد أنظر: العفيفي، المرجع السابق، ص 346

[3] المحامي، المرجع السَّابق، ص 409. أنظر أيضا: أيوب صبري، **تَاريخ الوهابيين**، تر، مسعد بن سويلم الشامان، د.ط، دار ترجمان حقيقت، د.ب، د.ت، ص 87.

[4] أنظر الملحق الثامن ص ص317 - 320.

المُستشرق المتمثل في جمع كل ما يُمكنه من معلومات حول طبيعة المَنطِقة، مصادرها، مدنها وكل ماله أهمية وعَلاقَة بها. [1]

بالإضافَة لتقديم التهاني له في نجاحه في حروبه ضد الوَهَّابيين، وهو ما يبرز في قوله: {... مقَدِّمًا لَكُم أَحرَّ التَهَانِي لِنجَاحَاتِكم الرَّائِعة التي كَانَت شَاهِدا عَلى حَيَويَّة وسُرعَة إِجرَاءاتِكُم في تَحطِيمِ النفُوذِ الوَّهَابِي وعَلى بَسَالَة جُنُودِكُم}. وكذا في قوله: {سُرِرتُ لَدَى اطلاعِي عَلى المَعلُومَات التي وَصَلتنِي مُؤخرا عَن النَّجَاح الرَّائِع للقُوَّاتِ المُسَلَّحَة التَّابِعَة للإمبرَاطُورِيَّة العثمانيَّة حَسبَ التَّوجيهِ الخَاص لِسَعَادتِكُم..... كُلِّي شَوقٌ إِلى تَهنِئَتِكُم عَلى الجُرأَة المُتَّقِدَة والتَّصمِيمِ الثَّابِت اللَّذَينِ تَميَّزَ بِهِمَا جَيشُكُم في مَسِيرِه بِهذَا الشَّكلِ المُبَكِّر والمُشرِف الذي أَسفَر عَن النتِيجَة التي تَدعُو إلى الفَخر...}. [2]

وقد تحدث عن هذه القضية المُستشرق **"هاري سانت جون بريدجر فيلبي Harry St. John Bridger Phillby"** في كِتاباته، وبيَّن فِيها سَبب تَواجُد المُستَشرِق **"جورج فورستر سادلير George Forster Sadleir"** في الحِجاز خِلال تِلكَ الفَترة. فبينَّ أنَّ هذِه المَنطِقَة قَد حظيت باهتمامٍ كَبير من طَرفِ بريطَانيا ما جَعلَها تُرسِل عملاءها للبحث عن مناطق ومنافذ للتوسع عَلى حِسابها، وقد كان هذا هو هدف المُستشرق سادلير وسبب تواجده في الحِجاز. فَضلاً عن ذلك وباعتبار أن من مصلحتها أن تبقى مَنطِقة الحِجاز تابعة للدَّولة العثمانيَّة سيرت بريطَانيا حَملَة عسكرية صَوبَ القطيف[3] تأييدا لحَملَة كان قد أرسلها "ابراهيم باشا" صَوبَ ذَات المَنطِقة لجمع مُمتَلكَات آل سعود والسَّيطرة عَلى المَنطِقة في ذَات الوَقت. [4]

بالعودة للكِتابات الاستشراقية، نجد أن "عبد اللّه ابن سعود" في نَظر المُستشرقين **"وليم جيفورد بالجريف William Gifford Palgrave"** و**"جون لويس بوركهارت Jean Louis**

---

[1] سادلير، المرجع السَّابق، ص 158.

[2] نفسه، ص ص162، 160.

[3] **القطيف:** مدينة قديمة تقع بالقرب من الخليج العربي بمنطقة الإحساء. للمزيد أنظر: يحى الشامي، **موسوعة المدن العربية والإسلامية**، ط01، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، 1993م، ص40.

[4] فيليبي، **تَاريخ نجد ودعوة..**، المرجع السَّابق، ص ص164 -165.

Burckhardt" كان شخصًا طَائِشًا، مُتهورًا، طَاغِيًا، قَاسِيًا، غَادِرًا، مُتكبِرًا ومُتعَصِّبًا كأولئِك الذينَ وُلِدُوا في قُصُورِ السُلطَة. ورغم وراثته للشَجاعَة وقُوَّةِ الشَّخصِيَّة مِن وَالِده إلا أنَّهُ لم يَعرِف كَيفِيَّةَ إِدَارَة مَصالِح القَبائِل الخَاضِعَة لَهُ مِن النَّاحِيَة السِياسيَّة. ما جَعلَهُ شَخصِيَّة مَكرُوهَة من رَعِيَّتِه.[1]

بوفاة هذا الأَخير وسيطرة إبراهيم باشا عَلى الحِجاز انتهى الحُكم الوهابي الأول وعادت المَنطِقة للحُكم العُثمَاني كمقاطعة تابعة لِمصر وظلَّت عَلى هذه الشَّاكِلَة لمدة ثَلاثٍ وعشرين سنة. تعاطف فيها سُكان المُدن مع "إبراهيم باشا" وقبلوا حكمه ورأو فيه حَسبَ ذكر المُستشرقة "**آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt**" المخلص من الحُكم الوهابي. غير أن الحاميات العثمانيَّة التي تركت في المَنطِقة وتصرفاتها غير اللائقة في حق السكان جعلتهم يَتمرَّدُون عَلى الحُكم ويقومون في عَامَي 1822م و1823م بإعدادِ مَذبَحةٍ للقوات العثمانيَّة تلتها انتفاضة تحت قيادة "تركي بن سعود"[2] أسفرت عن طرد ما تبقى منهم وإِعادَة تأسيس الأسرة مع الاعتراف به كأمير من طرف قبائل وسط الجَزِيرة العَربية، ودفع للإتاوات لوالي مِصر.[3]

وقد أرجع كل من المُستشرق "**جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury**"، "**جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt**" و"**هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges**" سبب نجاح العُثمانيين وفشل الوَهَّابيين لطَريقَة المواجهات العسكرية التي طبقها الوهابيون في عَدِيد المرات والتي كَانت سببا في نجاحهم في البداية، غير أن غيابها في المعارك الأَخيرة جعلت المَنطِقة تعود مجددا للحُكم العُثماني. وقد كَانت هذه الطَريقَة حَسبَ ذكره

---

[1] وليم جيفورد بالجريف، **وسط الجزيرة العَربية وشرقها**، تر، صبري محمد حسن، مج02، د.ط، المجلس الأعَلى للثقافة، مِصر، 2001م، ص ص50، 52، 56. أنظر أيضا: جون لويس بوركهارت، **ملاحظات**...، المرجع السَّابق، ج02، ص 168.

[2] **تركي بن سعود**: هو ابن عبد الله بن محمد بن سعود دخل قبل توليه للحكم في صراع مع أبناء عمومته، ليجعل عقب توطيه لدعائم حكمه من الرياض مقرا له، تواصلت خلال عهده سلسة الحروب مع الدَّولَة العُثمانية، والتي سارت بين فرار لتركي وسيطة للعثمانيين عَلى المَنطِقَة وعودة للحكم وفرض سيطرته عَلى المُدن مرة أخرى، لينتهي أمره بمقتله عَلى يد أحد أبناء عمومته. للمزيد أنظر: بن هذلول، المرجع السَّابق، ص18.

[3] بلنت، المرجع السَّابق، ج02، 242.

وصية سعود لابنه عبد الله والمتمثِّلَة في الابتعاد عن مواجَهة العُثمانيين في السهول المفتوحة، بل وأكَّد أنه لو التزم الوهابيون بتعاليمه لضمنوا سيطرتهم عَلى الحِجاز.[1]

قبل أن نتم مَوضُوع الحَركة الوهابية لا بد من الإشارة إلى عَمِل كان من بين أبرز الأعمال التي قام بها "إبراهيم باشا" عقب انتهاء مهمته في الحِجاز. تهافت المُستشرقون للحديث عنه وإبراز آرائهم فيه، والذي تمثل في عقد مؤتمر إن صح القَول بإحدى مساجد الدرعية حضره بدعوة منه عدد من علماء الوهابية وأساتذة الشريعة مع عدد من علماء الدِّين المِصريين. وتم فيه التفاوض والتناقش حول مسائل دينية وفقهية مُختَلفة انتهى فيه الأمر بقتل جَمِيع علماء نجد وأساتذتها. بالإِضافَة لقِيامه بإلقاء القبض عَلى "عبد الله بن سعود" وجزء كَبير من أسرته ومن ثم العودة لمِصر مع عدد كَبير من كبار أعيان الحِجاز. وقد بين المُستشرق **"وليم جيفورد بالجريف William Gifford Palgrave"** هدف "إبراهيم باشا" من وراء ذلك، والمتمثل في إعداد جيل جديد لنجد ذو تعليم ورأي أفضل من سابقه، فيكون بذلك حَسبَ هذا الأَخير هو من مهد الطريق للحجاز للتقدم والاستَمرار. غير أن هذا الأمر لم يحدث فقد استَمر الفِكر الوهابي حتى مع الشَّخصِيات والأعيان الجدد.[2]

كما أكَّد ذَات المُستشرق أن التصرف والسِياسَة التي طبقها ابن محمد علي "إبراهيم باشا" عَلى أقل تقدير تصرف سليم وحكيم، واستند في ذلك إلى الفِكرة القائِلَة بأن التَسامُح مع الجماهير يكون من قبيل الصواب والحكمة، ولكن التَسامُح مع المُتعصِّبين والمُسيئِين رُبَّمَا يَكُونُ من قَبِيلِ الصَّوابِ ولَكِنَّهُ لَيسَ مِن قَبِيلِ الحِكمة.[3]

كما كان لسِياسَة "إبراهيم باشا" في خَوضِ الحَرب مع الوَهَّابيين وإنقاذه لجيشه من الهلاك وخروجه بمظهر المنتصر منها دَور في وصف المُستشرقة **"آن بلنت Anne Isabella Noel**

---

[1] بوركهارت، **ملاحظات**...، المرجع السَّابق، ج02، ص 167. أنظر أيضا: بريدجز، المرجع السَّابق، ص 270.

[2] بالجريف، المرجع السَّابق، ج02، ص 70. أنظر أيضا:

William Gifford Palgrave, **Narrative Of A Year 's Journey Through Central And Eastern Arabia (1862-1863)**, V02, Macmillan And Co, London, 1865, pp 58-59.

[3] بالجريف، المرجع السَّابق، ج02، ص ص68 -69. أنظر أيضا: Ibid, p59.

Blunt" له بالشَجاعَة وهو ما يظهر في قولها: {واقِعُ الأمرِ أنَّ شَجاعَة إبراهِيم بَاشَا الشَّخصِيَّة النَّادِرَة والقُدوَة الحَسنَة التي كَان عَليها هَذا الرَّجُل هما اللَّذَانِ أنقَذَا الجَيش مِن كَارِثَةٍ مُحقَّقَة}.[1] وفي وصف المُستشرق **"هارفرد جونز بريدجز Harford Jones Brydges"** له بالحصَافَة، الشَجاعَة والذَّكَاء مع القُدرَة عَلى التَّعَامُل مع الجُنُود وتَسيير الأُمور. والتي غطَّت حَسبَ هذا المُستشرق عن أخطائه.[2] فَضلاً عن أنه حظي في كِتابات المُستشرق **"ديفيد جورج هوجارث David George Hogarth"** بوصف مُختَلف عن سَابقه، فهو في نَظره "مُسلِمٌ لِيبرَالي" كوالِدِه يَحمِلُ الصِّفَاتِ الحَسنَة والسَّيِّئَة في ذَاتِ الوَقت، فهُو الجَريء، كَثيرُ الشَّك، القَاسِي المَغرُور، غَيرُ المُبَالي والمُنظَّم والصَّبُور.[3]

لم يقدر للحُكم الوهابي المتحالف مع آل سعود أن ينتهي بمجرد اعتلاء "تركي بن سعود" عرش الحُكم، فقد تم اغتيال هذا الأَخير من طرف أحد أقربائه الذي أعدم بيد "فيصل ابن تركي"[4] هذا الذي رفض وامتنع عن دفع الإتاوة لمِصر. الأمر الذي جعله يدخل في مشاداة وحروب مع واليها "محمد علي باشا" بعد أن سير حَملَة تمكنت من خلعه عن سدة الحُكم وتعيين أحد منافسيه عَلى إمارة الرياض. ومن ثم تم جعله واليا عثمانيا عَلى المَنطِقة مع أسر الأول بالقاهرة. غير أن فرار "فيصل بن تركي" من السجن وطرد منافسه من الإمارة غير

[1] بلنت، المرجع السَّابق، ج02، ص 241.

[2] بريدجز، المرجع السَّابق، ص 272.

[3] هوجارث، المرجع السابق، ص 136. أنظر أيضا:

David George Hogarth, **The Penetration Of Arabia**, Frederick A. Stokes Company, New York, 1904, P 101.

[4] **فيصل بن تركي**: اسمه الكامل فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، شرع عقب وفاة والده برد ثأره من قاتله وكان له ذلك، ليبايع بعدها حاكما للمنطقة، ففرض سيطرته وهدأت الأوضاع لمدة أربع سنوات، ليدخل بعدها في حروب مع الدَّولَة العُثمانية هذه التي عينت منافسا آخر له في الحكم ماجعل القبائل العَربية تنقلب عليه ففر نَحوالأحساء، ليعود لها مجددا لها بعد انهزام منافسه والدَّولَة العُثمانية. للمزيدأنظر: بن هذلول، المرجع السَّابق، ص ص19 -22.

مجرى الأمور فقد تم الاعتراف به مجددا كأمير عَلى المَنطِقة وجرى فرض سيطرته عَلى مُختَلف المنَاطِق التي وقعت تحت الحُكم الوهابي .[1]

في واقع الأمر ومن باب تقييم نَظرة المُستشرقين البريطانيين لهذه القَضيَّة، نجد هُناك اختلافا واضحا بينهم في التَحلِيل، العرض والصورة المجسدة عنها. وكاستهلال في هذا الأمر ومن خِلال الإطلاع عَلى كِتابات المُستشرقة "**آن بلنت Anne Isabella Noel Blunt**" ورغم الأوصافِ الحَسنَة التي حظيت بها بَعض الشَّخصِيات العثمانيَّة كإبراهيم باشا عَلى سَبيلِ المِثال، نجد أن هذه الأَخيرة مؤيدة في عَدِيد المرات في كِتاباتها للوهابيين. وهو ما يبرز بشكل كَبير من خِلال الأوصاف التي انهالت عَلى الدولة العثمانيَّة في حد ذَاتها فقد كَانت الحُكومة العثمانيَّة في نَظرها حكومة لدودة، عاملت ابن سعود بطَريقَة مُشينَة جراء إعدامها له، فَضلاً عن أنها حكومة إمبريالية مغتصبة للخِلافة.[2] فهي لم تُعطِ للعثمانيين الأحقية في ما قاموا به في المَنطِقة فَضلاً عن تأكيدها بأحقية العَرب والوَهَّابيين في الخِلافة.

كما كان المُستشرق "**هاري سانت جون بريدجر فيلبي Harry St. John Bridger Phillby**" هو الآخر مؤيدا للحُكم الوهابي في الحِجاز ورافضا للسُلطَة العثمانيَّة. وهو ما يبدوا جليا من خِلال الأوصافِ التي انهالت عَلى "ابراهيم باشا" فوصفه بالإرهابي، ورَأَى بأنه سَعَى خِلال فَترة تواجده بالحِجاز إلى إِثَارَة الرُّعبِ في نفوس سكان المَنطِقة. وأن الضَّرائِب التي فرضها عليهم كَانت مُجحِفة. هذا بغض النَظر عن المُصطلحات الإيجابية التي استخدمها لوصف جَانب الوَهَّابيين، فهم من سَاهموا في تطوير وتنظيم القبائل البدوية استنادا إلى مبادئ دينية وأخلاقية وتعاليم سامية وراقية.[3]

عَلى النَّقيضِ من ذلك، كان كل من المُستشرق "**جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt**" و"**جورج فورستر سادلير George Forster Sadleir**"، وكذا "**وليم جيفورد**

[1] بلنت، المرجع السَّابق، ج02، ص 243.

[2] نفسه، ص ص242، 244 -245.

[3] فيلبي، **تَاريخ نجد**..، المرجع السَّابق، ص ص161، 163.

بالجريف William Gifford Palgrave" يبدوان بمظهر المؤيد للحُكم العُثماني وسياسته فقد كَانت الألفاظ المستوحاة من كِتاباتهما تدل عَلى ذلك رغم تخللها بأوصاف نقيضة للأولى، فعَلى سَبيلِ المِثال لا الحصر: وصف **"وليم جيفورد بالجريف William Gifford Palgrave"** الوَهَّابيين بالدبابير، ويظهر كذلِك في قوله: {كَانَ عَبدُ اللّه قَد كَتَبَ بالطَريقَة الوَهَّابية عَلى قُصَاصَةٍ مُربَّعَة مِنَ الوَرَق القَذِر بُنِّي اللَّون، رِسَالَة غَيرَ لَائِقَة تَمَاماً لِإبرَاهِيم بَاشَا..... وخَتَمَ الوَرَقَة الكَرِيهَة...} وغير ذلك من الألفاظ.[1]

وحتى **"جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury"** هو الآخر يبدو من خِلال الألفاظ التي استعمَلها في كِتاباته وفي وصفه للحَركة أنه من المؤيدين للحُكم العُثماني في المَنطِقة، فعَلى سَبيلِ المِثال لا الحصر قوله التالي:{... وبَعدَ لَيلَةٍ وَاحِدَة مِنَ القَلَقِ والفَزَعِ ذُهِلنَا وسُرِرنَا بالمُفَاجَأة فِي صَبيحَة اليَومِ التَّالِي لِسَمَاعِ أَنبَاءٍ رَسمِيَّة عَن هَزِيمَة كَامِلَة وسَاحِقَة للوَهَّابيين}.[2]

ثالثا - المسألة المصرية

"محمد علي" تِلكَ الشَّخصِية الألبانية العثمانيَّة التي وليت عَلى مِصر بعد جلاء القوات الفِرنسية منها. اختلفت مواقف المُستشرقين البرِيطانِيين حَولهُ وتَباينت فهو شَخصٌ حَذرٌ، كَثيرُ الشكِ، لا يَضعُ ثِقتهُ بسهولةٍ في الأشخَاصِ وهَذا حَسبَ ما أملتهُ كِتاباتُ المُستشرِق البرِيطاني **"جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury"**. وهو ما ذَهبَ إليه كذلِك المُستشرق **"إدوارد وليم لاين Edward William Lane"** حين قال بأن محمد علي شَخصٌ قَاسٍ، طَمُوح وغَيرُ مُتردِدٍ في القِيامِ بالأَعمَالِ. في حين كان في نَظر كل من المُستشرق **"جورج فورستر سادلير George Forster Sadleir"**: {شخصًا لَجأ إلى الخِداعِ بُغيةَ جَعلِ نَفسهِ شَخصيةً مُحترَمةً وذَاتُ شَأنٍ عَظيمٍ في العَالمِ الإِسلامِي}.[3]

---

[1] بالجريف، المرجع السَّابق، ج02، ص ص57، 60.

[2] دي غاوري، المرجع السَّابق، ص 274.

[3] نفسه، ص 229. أنظر أيضا: إدوارد وليم لاين، **عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم (مصر ما بين 1833 -1835)**، تر، سهير دسوم، ط02، مكتبة مدبولي، القاهرة -مِصر، 1999م، ص 116. أنظر أيضا: سادلير، المرجع السَّابق، ص 155.

وفي نَظر الرَحالَة والمُستشرق **"ألكسندر وليام كينغلك Alexander William Kinglake"** شخصا مغتصبا للحُكم العُثماني في مِصر، لم يجد السُّلطَان له أي حل سوى الاعتراف بسيادته عَلى المَنطِقة. بمجيئه لِمصر بدأ عصر التهدم حَسبَ ما أملته كِتابات المُستشرق **"ستانلي لين بول Stanley Lane Poole"** فشابه بذلك "علي بك الكَبير"، لكن كان وبناءً عَلى أعمالِهِ وسياسته الإدارية مُوفقًا أكثرَ منه. في حين كَانت نَظرة المُستشرق **"جون باجوت غلوب Sir John B , Glubb "** لمحمد علي مُختَلفة عن سَابِقاتها، فهو مُؤسسُ مِصر المُستقلة والشخصُ المسَاهمُ في تَوجيههَا نَحوَ التغريبِ.[1]

بعد تولي "محمد علي" ولاية مِصر ونجاحه في كسب ود وولاء المِصريين له، سَعَى نَحو فرض سيطرته عليها وترسيخ نفوذه فيها، فتوجه بداية نَحو القضاء عَلى المماليك حتى يقطع عليهم سبل التمرد والتدخل في شؤون مِصر. فسير قواته صَوبَ مركزهم بالصعيد وتمكن من الانتصار عليهم في شهر أوت من عام 1810م، غير أن الأمر لم ينته عند هذا الحد فتخوفه من المماليك ومن فُقدان مِصر جعله ينتهز فرصة انطلاق الحَملَة العسكرية الموجهة للقضاء عَلى الوهَّابيين والتي كَانت بقيادة ابنه "طوسون باشا" وأقام احتفالا مهيبا في القلعة ودعا إليه كبار وأعيان البلاد المماليك وذلك في غرة شهر مارس لعام 1811م، وحاصرت القوات الحضور وقاموا بذبحهم وأعطى الأوامر بالقبض عَلى المتبقين والمنتشرين بين أهالي مِصر.[2]

كان لرُواد المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية رأي حول المذبحة التي قام بها "محمد علي" وابنه "إبراهيم باشا" من بعده للمماليك رغم وعود التأمين التي قطعاها لهم، فعَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر أكَّد المُستشرق **"جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt"** أنه ورَغم

---

[1] ألكسندر ويليام كينغلك، **رحلة إلى المشرق 1834 -1835م**، تر، محمود العابدي، ط01، دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2005م، ص 15. أنظر أيضا: ستانلي لين بول، المرجع السَّابق، ص 252. أنظر أيضا:

John Bagot Glubb, **A Short History of the Arab Peoples**, Quartet Books, 1978, PP 255.

[2] محمد صبري السربوني، **الامبراطورية المِصرية في عهد محمد علي والمسألة الشرقية (1839لمح1811)**، ج01، تر، ناجي رمضان عطية، مرا وتق، أحمد زكريا الشلق، ط01، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مِصر، 2012م، ص ص67 -68.

الوعود التي قدمها الأب وابنه للمماليك والخَاصة بتأمين الحياة نكثا العهد، وهذا لا يدعوا للعجب باعتباره لم يكن شيئا جديدا عَلى العُثمانيين ولكن ما يدعوا للعجب والاستغراب هو غفلة الناس المستمرة ووثوقهم بمحمد علي وابنه.[1]

بالإِضافَة لِذلِك، كَانت الأعمال التي قام بها "محمد علي" في مِصر في نَظر المُستشرق "**إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy**" سِياسَة وحشية، وهو ما يبرز في مقولته: {... قَامَ بِذلِك عَام 1811م من خِلال عَمِلٍ غَادِرٍ خَسِيس، بَلَغَ مِن الوَحشِيَّةِ مُنتهَاهَا..}. [2]

توجه "محمد علي" نَحو إنشاء نِظَام جديد يُمكنه من جعل مِصر قوية، فألغى الامتيازات الممنوحة لنقيب الأشراف، أجرى مسحا للأراضي المِصرية، توجه نَحو تصدير القمح بأغلى الأثمان مستغلا انعدامه بِسَببِ الحروب التي نشبت في أورُوبا وحظر الدولة العثمانيَّة لبيعه لإنجلترا، كما تمكن من إنشاء جيش خَاص ذو دراية بالأسلحة الحديثة مكون من الألبانيين، المرتزقة، الأكراد وحتى العُثمانيين وفئة قليلة من الأوروبيين.[3]

غير أنَّ هذا الأمر لم ينل تأييد بَعض المُستشرقين البريطانيين، فعَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر ذكر المُستشرق "**إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy**" أن نِظَام "محمد علي" نِظَام متعسف يحرك ما يسمى بالاستبداد المستنير، ورغم ذلك كله إلا أن صاحبه قد أحرز هدفه من خِلاله.[4]

---

[1] جون لويس بوركهارت، **العادات والتقاليد المِصرية من الأمثَال الشعبية في عهد محمد علي**، تر، إبراهيم أحمد شعلان، ط03، الهيئة المِصرية العامة للكِتاب، مِصر، 2000م، ص 34.

[2] كيرسي، المرجع السَّابق، ص 428.

[3] السربوني، المرجع السَّابق، ص 68. أنظر أيضا: ألبرت حوراني فيليب خوري وآخرون، **الشرق الأوسط الحديث**، مج01، تع، أسعد صقر، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة -مِصر، 2016م، ص 144.

[4] على النقيض من هذا عد المُستشرق "**كليفورد إدموند بوزورث Clifford Edmund Bosworth**" "محمد علي" من رُواد الشَّرق الأوسط الحكام إلى جَانب كل من السُّلطَانين "سليم الثالث" و"محمود الثاني"، بِسَببِ أخذه بأسباب التطور والتقدم

فَضلاً عن ذلك، ألحق "محمد علي" بجيشه هذا عددا من الشَّخصِيات القوية والتي تم مقاضاتها ومعاقبتها جراء تهم بسيطة كَانت قد ألحقت بهم، كما استخدمهم في بَعض الأشغال العامة من حفر للقنوات وتنظيف للنفايات... وغير ذلك مقابل أجر بسيط. وهو ما نال استحسان المُستشرق "**إدوارد وليم لاين Edward William Lane**" فبين في كِتاباته أنه أول من طبق هذه السِياسَة خِلال تِلكَ الفَترة وكان في نَظره يستحق كل الثناء والمدح.[1]

بالعودة للسِياق التَّاريخي للمسألة المِصرية، نجد أنها استهلت خِلال فَترة الثَّورَة اليونانية بسَبَبِ قِيام "محمد علي" الشَّخصِية البارزة في سير هذه الأحدَاث بتقديم مساعدات للسُلطَان العُثماني "محمود الثاني" دون قِيام هذا الأَخير بإيفاء ما اشترطه عليه خِلال مواجهته للوهابيين والقضاء عليهم مع إِعادَة الحِجاز للسيطرة العثمانيَّة، فَضلاً عن مساعدته في حروبه ضد اليونانيين والتي كَانت بمقابل تمثل في جعل باشوية دِمشق وجَزِيرة كريت له. لكن رفض السُّلطَان العُثماني لهذا الأمر ومنحه جَزِيرة كريت لوحدها جعله يتذرع ويبحث عن أسباب للتوسع عَلى حِساب بلاد الشام ليفرض سيطرته عليها.[2]

لِذلِك تذرع بالمشاكل التي حدثت بينه وبين والي عكا والمتمثِّلَة في إيواء هذا الأَخير لعدد من المِصريين الفارين من التجنيد ورفضه إعادتهم لبلدهم، فاستغل هذا الأمر ووجه حَملَة عسكرية تحت قيادة ابنه "إبراهيم باشا" صَوبَ عكا ومن ثم توسع عَلى حِساب بلاد الشام.

وبنظم الحَضارة الغَربية. وبِسَبَبِ إدراكه لهذا الأمر وربطه لتقدم مِصر به، مع العمل به ما أكسبه شهرة واسعة آنذاك. للمزيد أنظر: كليفورد إدموند بوزورث، **الأسرات الحاكمة في التَّاريخ الإسلامي -دِراسة في التَّاريخ والأنساب**، تر، حسين علي اللبودي، مرا، سليمان إبراهيم العسكري، ط02، مؤسسة الشراع العَربي، الكويت، 1995م، ص ص105 -106. كيرسي، المرجع السَّابق، ص 429.

[1] وليم لاين، المرجع السَّابق، ص117.

[2] روبير مانتران، **تَاريخ الدَّولَة العُثمانية**، ج02، تر، بشير السباعي، ط01، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، مِصر، 1992م، ص ص42، 45.

لتدعم هذه الحَملَة من طرف المَسيحِيين والموارنة المدعمين بدَورهم من طرف فِرنسا وذلك بعد أن أَلغَى كلَّ القُيود التي فُرضت عليهم. ليتمكن في الأَخير من هزيمة الجيش العُثماني وفرض سيطرته عَلى المَنطِقة.[1]

للعلم جُسدت توسعات "محمد علي" عَلى حِساب بلاد الشام في كِتابات بَعض من المُستشرقين البريطانيين عَلى كونها فَتحا لهذه المنَاطِق لا توسعا عَلى حِسابها، وهو ما يبدوا جليا في الألفاظ المستخدمة في كِتاباتهم، عَلى غِرار المُستشرق والرَحالَة "**ألكسندر ويليام كينغلك Alexander William Kinglake**" الذي استعمَل مُصطلحات الفتح والفاتحين عَلى التَّوسُعات السَّابقة الذِّكر.[2]

عقب سيطرة محمد علي على بلاد الشام توجه نَحو توسيع رقعته الجغرافية على حساب الأناضول وتمكن عام 1833م من الوصول إلى كوتاهية وتهديد الوجود العُثماني بالمَنطِقة. لذلك لجأ السُّلطَان "محمود الثاني" لروسيا وعقد معها مُعاهَدة تنص على تقديم المساعدة للدولة العثمانية مُقابل إغلاق هذه الأَخيرة للمَضائِق البحرية في وجهِ الدُول الأوروبية المهددة لها في 08 جويلية 1833م تعرف بمُعاهَدة "هنكار اسكله سي". مع ذلك فإن نهاية هذه المسألة لم تكن بمساعدة روسية بل بريطانية، أوقفت فيها هذه الأخيرة توسعات وطموحات محمد علي وحظيت على مقابل لذلك.[3]

في نهاية هذه القضية لابد من القول أن هذه الدراسات المختلفة وغيرها قد ساعدت على توجيه أنظار بريطانيا صوب مصر وفي رسم سياستها تجاهها، إلى جانب مختلف لوحات

---

[1] شكيب أرسلان، المصدر السَّابق، ص ص277 -278.

[2] كينغلك، المرجع السابق، ص ص42 -43.

[3] مانتران، المرجع السَّابق، ج02، ص ص45 -46. أنظر أيضا: نينل الكسندروفنا دولينا، **الامبراطورية العُثمانية وعلاقاتها الدُولية في ثلاثينيات وأربعينيات القَرن التَّاسع عشر**، تر، أنور محمد إبراهيم، د.ط، المجلس الأعَلى للثقافة، مِصر، 1999م، ص43. أنظر أيضا: شكيب أرسلان، المصدر السَّابق، ص ص278 -279.

المستشرقين ورسوماتهم المجسدة لموقع هذه الأخيرة وواقعها والتي بينت بالدرجة الأولى الأهمية الجيوسياسية لهذه الولاية العثمانية بالنسبة لبريطانيا معتبرة إياها رابطا بين هذه الأخيرة ومستعمراتها في الهند، على غرار لوحات الرسام والمستشرق البريطاني **"تورنر J.M.W Turner"**.[1]

III. عَلاقَة الدولة العثمانيَّة بأورُوبا برؤية استشراقية

أولا - الإصلاحات والتَّنظيمَات العثمانيَّة

دخلت الدولة العثمانيَّة خلال القرن الثامن عشر مرحلة جديدة من مراحل الإصلاح، عُرفت في التَّاريخ بمرحلة الإصلاح وفق النموذج الأوروبي أو مرحلة " تبني التحديث الأوروبي". ركزت فيها عَلى تحديث الجَانب العسكري بالدرجة الأولى بغية مواكبة الحداثة الأوروبية فاستُقدِمَ المستشارون الأوروبيون وأُدخِلت الأنظمة الأوروبية للجيش العُثماني وكَانت نِهاية هذا الأمر كسابقه. فَضلاً عن أن هذا الأمر انجر عنه تولد تيارين في الدولة العثمانيَّة أحدهما ساع للإصلاح راغب فيه، وآخر رافض له ساع للمحافظة عَلى النُّظم القديمة.[2]

تَجدُر الإشارة هُنا، أن التيار الرافض للتغيير والإصلاح قد تَكوَّنَ حَسبَ ذكر بَعض المُستشرقين من فئة الإنكشارية التي تعاظم نُفوذُها بمرور الزَّمن ومن الشيوخ والمفتي الأكبر، وهو ما ذَهبَ إليه "**برنارد لويس Bernard Lewis**" حين أطلق عليهم مُصطلح **الرجعيون** وكَانُوا حَسبَه ذوو نفوذ ولهم القدرة عَلى السَّيطرة عَلى زمام الحُكم خِلال هذه الفَترة.[3]

وكذا المُستشرق "**إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy**" الذي ذكر في كِتاباته أن الفِئة المُعارضة والكارهة للتجديد والإصلاح قد تَكوَّنَت مِن العُلماء

---

[1] Nicholas Tromans et al, Op cit, pp 10- 11.

[2] تيسير جبارة، **تَاريخ الدَّولَة العُثمانية 1280 -1924م**، د.ط، جامعة القدس المفتوحة، فِلسطِين، 2015م، ص 165.

[3] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص 105.

والإنكشارية وشكلت مجتمعا عظيما في الدولة العثمانيَّة. وبِسَببِ نَظرة الخوف والارتياب التي طالت السلاطين تُجاههُم أَضحَى لهم القدرة عَلى التمرد عَلى كل من فاقهم في السُلطَة معتبرين ذلك حقا مقدسا.[1]

بحلول أواخر القَرن الثامن عشر بَرزَ السُّلطَان "سليم الثالث" الذي قال فيه المُستشرق البريطاني "**إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy**" أنه لم يكن سُلطَانا مَرغُوباً به في الوسطِ العُثماني ولا مُعترفاً به ولو اعتِرافاً اسميا في أغلب وأفضل الوِلايات التابعة له. وذلك بِسَببِ التمرُدات والحَركات الانفِصَاليَّة التي بَرزَت في الدولة العثمانيَّة آنذاك. ومع ذلك التزم هذا الأَخير بواجِبِ الإصلاح وسَعَى للقِيام به رُغمَ صُعوبته وخطورته، فخطط لإصلاح دولته إصلاحا شاملا متعدد الميادين والقطاعات.[2]

ولعل من أبرز البرامج الإصلاحية التي جَاء بها هذا الأَخير "النظام الجديد" الذي ركز فيه عَلى الجَانب العسكري، وتوجه نحو تقليلِ عددِ القُوَّات المُسلَّحة عن طريقِ تسريح الضُبَاط العصاميين، فصل الوظائف العسكرية عن الإدارية للضُبَاط تجنبا للفساد، ومن ثم تقوية الأسطول وتشكيل فرق عسكرية جديدة والتوجه صوب التعليم العسكري الغربي، بغية الاستغناء عن خدمات الإنكشارية واستبدالها بجيش جديد أكثر حداثة ونِظَاما.[3]

قبل الحديث عن آراء المستشرقين البريطانيين كل على حدى لابد من القول أن عملية الإصلاح وفق النموذج الأوروبي كانت لازمة في نظر الغربيين، وكان من الضروري استبدال الشريعة الإسلامية بالقوانين العلمانية الأوروبية كونها الأكثر حداثة وملائمة للوقت المعاش وهو القرن التاسع عشر، مع مساواة جميع الرعايا من مسلمين ومسيحيين أمام القانون وهو

[1] كيرسي، المرجع السابق، ص ص398، 419.

[2] نفسه، ص ص394، 402.

[3] إريك زوركر، **تَاريخ تركيا الحديث**، تر، عبد اللطيف الحارس، مرا، سعد ضاروب، ط01، المدار الإسلامي، لبنان، 2013، ص ص44 -45. أنظر أيضا: المحامي، المرجع السَّابق، ص 371.

الأمر الذي ما فتئ المستشرقون على إثارته منذ عهود طويلة وتوارث هذه الأفكار عبر الأجيال.[1]

بالعودة للكِتابات الاستشراقية البريطَانية؛ رأى المُستشرق "**إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy**" أنَّ الدولة العثمانيَّة قد دخلت عهداً جَديداً غير مسبوق مع إصلاحات السُّلطَان "سليم الثالث"، فقد ساهمت في غَرسِ رُوحٍ جَديدَة في مُختَلف رجال الدولة لم تطفئ ولم تندثر رغم محاولات الكبح والثورَات والتمرُدات المتزايدة. فَضلاً عن أنه توجه نَحو دحض آراء عدد من المُستشرقين حول إصلاحات هذا الأَخير عَلى غِرار الرَحالَة الفِرنسي "**قسطنطين فرانسوا فولني Constantin François Volney**"[2] الذي وصف إصلاحاته بنموذج الانهيار العظيم، فذكر أن كلامه مجرد كهانة ولا يستند إلى أي أساس صَحيح.[3]

علاوة على أنه رَأَى أن هذا السُّلطَان قد سار في برنامجه الإصلاحي عَلى سِياسَة قيصر روسيا "بطرس الأكبر"[4] الذي استهل اصلاحاته بإصلاح الجَانب العسكري وإنشاء قوة مسلحة تسَعَى لتطبيق بقية الإصلاحات والمحافظة عليها ومواجَهة الفِئة الرافضة أو كما سماهم **بأَعداءِ الدَّاخِل والخَارِج**.[5]

---

[1] Jeremy Salt, **The Last Ottoman wars – The Human Cost 1877- 1923**,The University of Utah Press, US, 2019, P 12.

[2] **قسطنطين فرانسوا فولني Constantin François Volney**: رحالة فرنسي، وصاحب الكِتاب المشهور "رحلة في مِصر وسورية" الذي أصدره عام 1787م، والذي اعتمد عليه نابليون بونابرت في حملته عَلى مِصر. بالإِضافَة لكِتاب "نظرات في الحرب الراهنة للأتراك" الصادر سنة 1788م. للمزيد أنظر: ساسي سالم الحاج، المرجع السابق، ص ص62 - 63.

[3] كيرسي، المرجع السَّابق، ص ص399 -400.

[4] **بطرس الأكبر Peter The Great (1672 -1725م)**: قصير روسيا وبادئ التحديث والنهضة الصناعية الروسية، تمكن بطرس من زيارة كل من انجلترا وهُولندا واستقدام الخبراء لبلده، فطور مجال الصناعات الحربية وأنشأ جيشا بحريا قويا، فضلا عن إدخاله لنظام جديد يخص التجنيد. للمزيد أنظر: عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج01، ص 546.

[5] كيرسي، المرجع السَّابق، ص ص399 -403.

إلى جَانب الإصلاح العسكري سَعَى السُّلطَان "سليم الثالث" إلى إصلاح الجَانبين المالي والتعلِيمي، من خِلال إيجاد موارد أخرى جديدة للخزينة بغية سد حاجيات الدولة من جِهة، ومتطلبات الإصلاح العسكري من جِهة أخرى. بالإِضافَة لسعيه لإصلاح التعلِيم عن طريق افتتاح مَدارِس عسكرية وأخرى تخص الرياضيات والهندسة.[1]

كَانت نِهاية البرنامج الإصلاحي الذي جَاء به هذا السُّلطَان كسابقه، عزله عن سدة الحُكم، قتل لرجال الإصلاح وتفكيك للجيش الجديد المنشأ من طرف الفِئة المعارضة للإصلاح. وقد ذكر هُنا المُستشرق البريطاني "**برنارد لويس Bernard Lewis**" أنَّهُ وبِعزلِ هذا السُّلطَان بَدت حَركَةُ الإصلاحِ وكأنَّها أُخمِدَت غير أنَّها لم تُخمَد فقد استَمرَّت بنفسِ الوتيرَة خِلال عَهدِ السُّلطَان الذِّي تَلاه في الحُكم.[2]

تأسيسا عَلى ما سَبَق، واصل السُّلطَان "محمود الثاني"[3] الإصلاحات التي بدأها أسلافه من السلاطِين، وبعد تخطيطه وتدارسه للوضع قام باستقدام جندي عثماني يعرف بـ "مصطفى بيرقدار" أو مصطفى حامل العلم كان خِلال فَترة "سليم الثالث" ضمن الفِئة المعارضة للإصلاح وبِسَببِ بسالته وشجاعته في الحروب ارتأى السُّلطَان أن يجعله ضمن رجال الإصلاح. بل وقام عقبها بِتعيينِه في أَرقَى مَنصِب في الدولة العثمانيَّة ألا هو مَنصِب الصدارة العظمى.[4]

---

[1] جبارة، المرجع السَّابق، ص 167.

[2] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص ص103 -104.

[3] **السلطان محمود الثاني (1808 -1839م)**: هو السلطان الثلاثين للدُّولة العُثمانية، من مواليد عام 1785م تولى الحكم لمدة واحد وثلاثين سنة، تمكن فيها من مواصلة سلسة الحروب العُثمانية الروسية وسَعَى خلالها إلى القضاء عَلى الفتن والتمردات التي بَرَزت في الدَّولَة سواء في المَنطِقَة العَربية، البلقان أو حتى تِلكَ التي بَرَزت بِسَببِ الإنكشارية. للمزيد أنظر: كولن، المرجع السَّابق، ص ص274 -283. أنظر أيضا: أوغلى، المرجع السَّابق، ج01، ص ص88 -130.

[4] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص104.

ليقوم هذا الأَخير عقب توليه هذا المَنصِب بمواصلة سلسلة الإصلاحات، فتوجه نَحو إحياء النِظَام الجديد أين قام بعملين اثنين كان الأول منهما هو إِعادَة بناء قوات النِظَام الجديد تحت مسمى مُختَلف عن سابقه، أما الثاني فتمثل في عقد اجتماع كَبير بالقصر السُّلطَاني حظره كبار الشخصيات العُثمانية أعلن فيه برنامجه الإصلاحي القائم عَلى إحياء النِظَام الجديد وقدم في ذَات الوَقت امتيازات للحضور. وهو ما مكنه من الحصول عَلى تأييدهم وموافقة شيخ الإسلام، ليختتم الاجتماع بعقد اتفاق سُمي بسند التضامن أو "سند الإتفاق" وذلك في التاسع والعشرين من شهر سبتمبر لعام 1808م.[1]

للمُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" رأي في سِياسيَّة هذا الصدر الأعظم فقد ذكر في كِتاباته أن هذا الاجتماع جَاء كمحاولة منه لتقليل التوتر القائم في الدولة، خلق نوع من التأييد لبرنامجه الإصلاحي وكذا بغية إنجاح الإصلاحات، وتجنبا لأي حَركة معارضة ضده. ولكن مع ذلك كله لم يقدر لمشروعه الإصلاحي أن ينجح فقد تمرد الإنكشارية ضده رغم موافقة شيخ الإسلام، وتم تنحِيتُه من مَنصِبه ومن ثم قتله. وتعرضت حياة السُّلطَان للخطر فقد كاد يقتل لولا أنه كان هو الأمير الوحيد الباقي في السلالة العثمانيَّة.[2]

من جَانب آخر، وضح المُستشرق "**إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy**" أن "مصطفى بيرقدار" عَمِل بشَجاعَة وقوة خِلال فَترة صدارته، فأسس الجيش الجديد تحت مسمى "**سكمان**" وسَعَى بالمقابل إلى القضاء عَلى الجيش القديم، وقد قوبل هذا الأمر بموافَقةٍ **كَاذِبة** من طرف الإنكشارية وفئة العُلماء الذين استغلوا الفُرصَة وقاموا

[1] نفسه، ص ص104 -105. أنظر أيضا: أوغلى، المرجع السَّابق، ص 88.

[2] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص 105.

بالاقتتال مع القُوَّات الجديدة بالعاصمة العثمانيَّة. وانتهى الأمر بإصدار مرسوم سُلطَاني نُبِذت فيه كل أشكال الحداثة **الغَربية** وأعيد بفضله توطيد النِظَام القديم.[1]

نتيجة لما لقيه "مصطفى بيرقدار" توقف السلطان "محمود الثاني" عن العملية الإصلاحية لمدة ثمانية عشر سنة وتوجه نَحو إدارة شؤون دولته، فواصل سلسة الحروب مع روسيا، وتوجه نحو فرض وإِعادَة الحُكم المركزي العُثماني من خلال مواجَهة الحَركات الانفِصَاليَّة المختلفة وكبح السلطات المتزايدة.[2]

بين المُستشرقين البريطانيين السَّابقي الذِّكر "**إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy**" و"**برنارد لويس Bernard Lewis**" أنَّ الفرمانات التي أصدرت والإصلاحات التي خَصَّت كبح السلطات كَانت من بين الإصلاحات القيمة والحازِمة والأكثر أهمية في الدولة العثمانيَّة، هدف السُّلطَان من ورائها إلى إنجاح برامجه الإصلاحية من جهة، وسَعَى أن يكون هو صاحب السُلطَة والنفوذ المطلق في الدولة من جِهة أخرى.[3]

لهذا وبعد التخطيط المستمر من السُّلطَان "محمود الثاني" وحاشيته عاد بعد ثمانية عشر سنة نَحو الإصلاحات، واستهل الأمر بإصلاح الجيش العُثماني مركز التمرد الأول في الدولة، وتوجه نَحو إحياء النِظَام الجديد غير أن الإنكشارية وكعادتها رفضت هذا الأمر وقَامَت هذه المرة بالتجمهر والتجمع في الثكنات العسكرية وقلب القدور إيذانا عَلى التمرد، ليستغل السُّلطَان هذا الأمر ويقوم بقمعها والقضاء عليها ويعلن في اليوم التالي إِلغَاءها وأتبع الأمر بحل

---

[1] كيرسي، المرجع السَّابق، ص ص419 -420.

[2] يلماز، المرجع السَّابق، مج 01، ص ص668 -670. للمزيد أنظر: يلماز، المرجع السَّابق، مج 02، ص ص10 -12. أنظر أيضا: علي حسون، **العُثمانيون والروس**، ط01، المكتب الإسلامي، بيروت -لبنان، 1982م، ص ص79، 81 -82. أنظر أيضا: وجيه كوثوراني، **السلطة والمُجتَمع والعمل السياسي من تَاريخ الولاية العُثمانية في بلاد الشام**، ط01، مركز دراسات الوِحدَة العَربية، بيروت، لبنان، 1988م، ص 82.

[3] كيرسي، المرجع السَّابق، ص 454. أنظر أيضا: لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص ص106 -107.

الحاميات المتواجدة بالمقاطعات، ومن ثم قام بتأسيس الجيش الجديد وتسميته باسم العساكر المنصورة المحمدية. وقد عرف هذا الأمر في التَّاريخ باسم "**الوَاقِعة الخَيريَّة**" أو "**الحَادِثَة الميمُونة**". فَضلاً عن ذلك قام هذا السُّلطَان بالقضاء عَلى الطَريقَة الصوفية الداعمة للإنكشارية وتكاياها والمتمثِّلَة في " الطَريقَة البكتاشية". [1]

ناقش المُستشرقون البريطانيون هذه الحادثة وأبدى عدد منهم رأيه في هذا المَوضُوع فهذا "**برنارد لويس Bernard Lewis**" بين في كِتاباته أنَّ السِياسَة التي انتهَجها السُّلطَان "محمود الثاني" لإنجاح مشروعه الإصلاحي والتي امتنع فيها عن أي إشارة للإصلاحات تهدف إلى إِعادَة أمجاد الدولة العثمانيَّة، الأمر الذي جعل شيخ الإسلام والعُلماء يوافقون عليها بحجة حاجة الدولة لمثلهم لمواصلة عَمِلية الجهاد. [2]

وقد وجبت الإشارة هُنا أن هذا المستشرق وفي سياق حديثه عن هذا البرنامج الإصلاحي وسياسة السلطان "محمود الثاني" سعى إلى إبراز الاختلاف بينها وبين سياسة السلطان "سليم الثالث"، وإلى تأكيد الرفض العثماني لكل ماهو مسيحي مع إبراز فكرة العداء الكائن بينهما، والتي تبرز بشكل جلي في جعل "محمود الثاني" فرقه الإنكشارية الجديدة تحت تدريب ضُبَاط مسلمين وتقبل العُثمانيين لِذلِك في حين رفضهم للضُبَاط الغَربيين خِلال فَترة "سليم الثالث"، وكذا في عدم تمكن المَسيحِيين من حيازة أي مَنصِب في هذا التدريب.[3]

من جَانب آخر، اصطلح هذا الأَخير عَلى الحادثة الميمونة مُصطلحا جديد هو "**وقعة الحرية**"، وجسدها في وصف خَاص وكأن الدولة العثمانيَّة قد تحررت من الوَضع الذي كَانت عليه بقضائها عَلى الإنكشارية. كما بَيَّن في موضعٍ آخر من كِتاباته أنَّ هذه الحادثة سَاهمَت

[1] زوركر، المرجع السَّابق، ص ص67 -68.

[2] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص 107.

[3] أحمد محمد أمين الهواري، "**المُستشرق الإنجليزي برنارد لويس وكِتاباته في مجال التَّاريخ التركي كِتابه ظهور تركيا الحديثة نموذجا**"، كلية اللُغات والترجمة -جامعة الأزهر، ع43، مِصر، جانفي 2008م، ص 84.

في القضاء عَلى مؤسسة عُثمَانية قديمة كَانت ذَات يوم مصدرَ رُعبٍ لأورُوبا، ثم أضحت مصدر رُعبٍ للسلاطين ورعاياهم الملتزمين بالشريعة.[1]

لا يفوتنا أن ننوه هنا أنَّ هذا المستشرق قد سعى في إحدى دراسته إلى إثارة بعض النعرات الطائفية بين الغرب والشرق، من خلال إثارة فكرة عدم اهتمام الدولة العثمانية باليهود. وهو ما يبدوا جليا في قضية الواقعة الخيرية إذ تحدث في إحدى دراساته عن واقع "اليهود في الدولة العثمانية" من هذه الواقعة، فذهب في البداية إلى تسميتهم **باليهود العثمانيين**، ثم سعى عقبها إلى تأكيد ارتباط عدد من الشخصيات اليهودية البارزة بفيلق الإنكشارية بشكل وثيق وبقضاء السلطان عليه ضعف أمر اليهود أكثر فأكثر. هذا الضعف الذي كان مترتبا حسب ذكره عن عوامل عديدة تجلت في عدم اهتمام الدولة العثمانية بهذه الفئة كما جرى الحال مع الأرمن واليونان، وفي عدم تمكنهم من الاعتماد على الحماية الأوروبية، فضلا عن القضاء على فيلق الإنكشارية، فضعفت بذلك مكانتهم الاقتصادية والسياسية.[2]

مع العلم أن البرنامج الإصلاحي للسُلطَان "محمود الثاني" لم يشمل الجَانب العسكري فقط، بل شمل عددا من الجوانب الأخرى فنجده استحدث النظارات، أجرى مسحا للأراضي، قدر الضرائب، حسن البنى التحتية، جعل أملاك المؤسسات الدِّينية والأوقاف تحت تحكم الدولة، كما أصدر أول جريدة رسمية وافتتح المدارس الخاصة.[3]

وقد كان توجه السُّلطَان "محمود الثاني" نَحو فرض السَّيطرة عَلى الممتلكات والأراضي الوقفية حَسبَ رأي المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" أخطر إصلاح قام به

---

[1] برنارد لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص 107

[2] Bernard Lewis, **The Ottoman Empire In The Mid-Nineteenth Century : A Review**, Middel Eastern Studies, V 01, N 03,UK, April 1965, p289.

[3] زوركر، المرجع السَّابق، ص 69. أنظر أيضا: جبارة، المرجع السَّابق، ص ص170 -171. أنظر أيضا: يلماز، المرجع السَّابق، ج02، ص 20.

هذا الأَخير، باعتبار أنَّ الوقف نِظَام إسلامي قديم راسخ في الدولة العثمانيَّة وبسيطرة السُّلطَان عليه وعَلى عائداته سيضعف قوة العُلماء ويحد من معارضتهم له ويسَاهم في الأَخير في إنجاح مشاريعه الإصلاحية.[1]

هذا بغض النَظر عن توجه الدولة نَحو تعلم اللُغات الأجنبية لحاجتها الماسة لإطارات وموظفين أكفاء ذوو دراية باللُغات الأوروبية، يسَاهمون بمعرفتهم في تحسين وتسهيل العلاقات بين الدُول الأوروبية ودولتهم في ظل استغناء هذه الأَخيرة عن خدمات اليونانيين جراء تمردهم عَلى الدولة. وقِيامها في ذَات الوَقت بإنشاء مكتب للترجمة عام 1833م مع إِعادَة تشكيل السفارات العثمانيَّة المتواجدة بعدد من العواصم الأوروبية. [2]

أرجع المُستشرق "**إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy**" سبب نجاح هذه المشاريع لسِياسَة السُّلطَان "محمود الثاني"، بعد أن أشرك نفسه في العملية الإصلاحية وجعل منها مثالا للإصلاح والحس السليم، من خِلال انتظامه في حضور الديوان ومشاركته في أعمال الدولة بدلا من العزلة التي لازمت السلاطِين السابقين لعهده. فَضلاً عن أنه قد قدم خدمات قيمة وجليلة للدَّولة كان أهمها تعليم الأمراء العُثمانيين. عَلى النَّقيضِ من ذلك كله؛ كَانت إصلاحات السُّلطَان "محمود الثاني" ورغم كل ما جَاءت به في نَظر المُستشرق "**ستيفن هيمسلي لونكريك Stephen Hemsley Longrigg**" إصلاحات متطرفة وإسمية في كَثير من الأحيان.[3]

هذه المشاريع الإصلاحية التي جَاء بها السُّلطَان "محمود الثاني" والتي مست الجَانب التعلِيمي دفعت بالمُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" إلى القَول بأن حاجة الجيش

[1] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص ص121 -123، 127.

[2] زوركر، المرجع السَّابق، ص ص73 -74

[3] كيرسي، المرجع السَّابق، ص ص454 -455. أنظر أيضا: هيمسلي لونكريك، المرجع السَّابق، ص 336.

الجديد لضُبَاط ومدربين أكفاء من بني جلدتهم جعل السُّلطَان يتوجه صَوبَ إنشاء المَدارِس العسكرية وإحياء بَعض من المَدارِس القديمة، بل وإرسَال بعثات لمُختَلف البلدان الأوروبية بهدَف التعلم واكتساب الخبرات العسكرية، كَانُوا هم ممثلو ورجال الإصلاح الذين سعوا في عهود لاحقة إلى تغيير بلادهم.[1]

كما اعتبر أن محاكاة الغَرب شيء والتعلم منه وإرسَال البعثات العِلمية نَحوه شيء آخر، فهو في نَظره -أي الإصلاح التعلِيمي - يعكس مدى التغير الذي طرأ عَلى الدولة العثمانيَّة، كونه سَاهمَ في كسر الحاجز الذي أقَامَته الدولة بينها وبين الغَرب، والذي حال بينهم وبين التطور في مُختَلف أشكاله. نَاهيك عن أنها سَاهمَت في إحداث تغير كَبير في مجالي التواصل الذي أَضحَى سهلا ومباشرا دون الحاجة لمترجم، وفي مجال إقامة العلاقات بين الدُول. وللعلم كان هذا الإصلاح في نَظره أهم إصلاح في الدولة كونه عالج مشكلة أَساسِية عانت منها هذه الأَخيرة، فقال: {أنَّ السُّلطَان لَمَسَ مُشكِلَة مَركَزِية في الإِصلَاح التعلِيمي وفي مَشرُوعِ الإصلاحِ بِرُمَّتِه}.[2]

في ذَات السِياق، أبرز في موضع آخر في كِتاباته دَور الإصلاح التعلِيمي في تطوير الدولة العثمانيَّة، فقد أثمرت جهوده وسَاهمَت في خلق فئة من العُثمانيين أحدثت بجهودها نقلة نوعية في الدولة في مجالات شتى. عَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر: "**عطا الله محمد**"[3] المعروف

---

[1] برنارد لويس، **أين الخطأ التأثير الغَربي واستجابة المُسلِمين**، تر، محمد عناني، تق، رؤوف عباس، مرا، عمر الشناوي، ط01، سطور، مِصر، 2003م، ص ص67 -68.

[2] برنارد لويس، **أين الخطأ**، نفسه، ص ص68 -70.

[3] **عطا الله محمد (1769 -1826م)**: شخصية عثمانية ذَات معرفة موسوعية، يعرف في الدَّولَة العُثمانية باسم شاني زاده، متعلم للعديد من اللُغات الأوروبية، ودارس للطب الأوروبي، عين كمُؤرخ للدُّولة عام 1819م. وللعلم تمكن بفضل درايته باللُغات الأوروبية كاللغة النمساوية من ترجمة عدد من كتب الطب للغة العُثمانية والتي أحدثت نقلة نوعية في مستوى الطب العُثماني بانتقاله من الطب التقليدي للحديث، نَاهيك عن أنه استحدث مفردات طبية حديثة ظلت تستخدم في المَنطِقَة حتى بعد قيام الجمهورية التركية. للمزيد أنظر: برنارد لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص ص114 -115.

بشاني زاده الذي تمكن بفضل معرفته باللغة النمساوية من ترجمة كتب الطب النمساوية للغة العثمانيَّة، شكلت في تِلكَ الفَترة وما بعدها إِضافَة للطب العُثماني وسَاهمَت في تغيير واقعه من الوَاقِع التقليدي إلى الطب الحَدِيث. وكذا "**إسحق أفندي**"[1] الذي كان عارفا بالعَدِيد من اللُغات الأجنبية عَلى غِرار الفِرنسية، اللاتينية، اليونانية، الفَارسِية والعَربية، ورائدا من الرُواد الكبار في مجال العلوم. وكان له الفضل في تأليف وإخراج كتب عَدِيدة في الترجمة، العلوم والهندسة العسكرية، وفي إنشاء المُصطلحات العِلمية الحَدِيثة التي ظلت مستخدمة في تُركيا خِلال الفَترة المعاصرة.[2]

من جَانب آخر، توجه المُستشرق البريطاني "**برنارد لويس Bernard Lewis**" في كِتاباته إلى تشبيه السُّلطَان "محمود الثاني" بشخصيتين غَربيتين كان لهما دَور وبصمة بارزة في بلديهما وهما "بطرس الأكبر" و "هنري الثامن"[3]. في حين كان للمُستشرق "**إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy**" رأي آخر، فشبيه بطرس الأكبر في الدولة

---

[1] **إسحق أفندي (1774 -1834م)**: شخص عثماني بلقاني، يجيدعددا من اللُغات الأجنبية كالفِرنسية، اللاتينية، الفارسية والعَربية..، وقد عَمِل مدرسا بمدرسة الحساب في الدَّولَة العُثمانية ليصبح بمرور الزَّمن كَبير المدرسين بها، له في جَانِبِ التآليف أربع مجلدات خاصة بالعلوم الطبيعية والرياضية، وعدد ليس بهين من المؤلفات الخَاصَّة بالترجمة، وبالعلوم والهندسة العسكرية. أنظر للمزيد: نفسه، ص 115.

[2] نفسه، ص ص114 -115. أنظر أيضا: عبد الحي الخيلي، **النخبة والإصلاح – نماذج من الفكر الإصلاحي العُثماني بين القَرنين السادس عشر والتَّاسع عشر الميلاديين**، تق، عبد الرحيم بنحادة، ط01، دار أبي رقراق للطباعة والإخراج، الرباط - المغرب، 2014م، ص 271.

[3] **هنري الثامن (1491 -1547م)**: ملك من ملوك انجلترا، منحه البابا لقب "حامي الدِّين". حكم انجلترا لمدة ثمانية وثلاثين سنة من عام 1509 ولغاية عام 1547م شَهِدت خلالها فَترة من الاستقرار والهدوء النسبيين. تمكن خلالها من الإنضمام للإمبراطور الإسباني شارل الخامس في حربه ضد فِرنسا، والدخول في حرب ضد اسكتلندا، كما تمكن من دمج مقاطعة ويلز بشكل رسمي بدولته. فضلا عن تأسسيه كنيسة انجلترا فانفصلت بذلك هذه الأَخيرة عن روما بشكل نهائي. للمزيد أنظر: الكيالي، **موسوعة**...، المرجع السَّابق، ج07، ص 154.

العثمانيَّة ليس هو السُّلطَان "محمود الثاني" بل هو" سليم الثالث" وهذا كونه حذا حذوه في سير برامجه الإصلاحية.[1]

في ختام هذه القَضِيَّة لا بُد من الإشارة إلى أمر مهم، فبالعودة للكِتابات التَّاريخية التي عالجت هذا المَوضُوع نجد أنها أكَّدت أن الإصلاح التعلِيمي قد عالج مشكلة أَساسِية في الدولة العثمانيَّة، ولكنها أشَارت إلى أنَّ السُّلطَان "محمود الثاني" لم يكن هو موجد هذا الإصلاح مثل الطَّرح الذي قدمه المُستشرق **"برنارد لويس Bernard Lewis"** في كِتاباته. فقد وجد مع السلاطِين السَّابقين لعهده عَلى غِرار "سليم الثالث" الذي طبق في عهده مبدأ "إجبارية تعلم اللُغات" في عاصمة الحُكم والوِلايات عَلى حد سَواء. فَضلاً عن توقفه عن استخدام المتَرجمِين المَسيحِيين في دولته بعد أن ثبتت خيانة أشخَاص منهم وبيعهم لأسرار الدولة، ما جعله يعجل في إنشاء **"غرفة ترجمة الباب العالي - باب عالي ترجمه أوده - سي"**.[2]

وبهذا يُمكن أن نقول أنَّ الإصلاح التعلِيمي الذي أشَار إليه المُستشرق **"برنارد لويس Bernard Lewis"** في كِتاباته والذي ربطه بالسُّلطَان "محمود الثاني" بشكل مباشر وإن أوجد أشخَاصا أكفاء سَاهموا بعلمهم وبمعرفتهم للُغات الأجنبية كالمتَرجمِين -عَلى سَبيلِ المِثَال - في تحسين مجال المفاوضات العثمانيَّة الأوروبية، وشغل منَاصِب حساسة في الدولة كموثقين لمُختَلف التقارير. لم يكن إلا تحصيل حاصل ومواصلة مساع سابقة لعهده.

واصل السلاطِين العُثمانيين برامجهم الإصلاحية بغية إِعادَة أمجاد الدولة العثمانيَّة والنهوض بها لمواكبة الحداثة الأوروبية، فهذا السُّلطَان "عبد المجيد الأول"[3] الذي أثنى عليه

---

[1] برنارد لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص ص123. أنظر أيضا: كيرسي، المرجع السَّابق، ص 402.

[2] الخيلي، المرجع السَّابق، ص ص272 -273.

[3] **السلطان عبد المجيد الأول (1839 -1861م)**: هو السلطان الحادي والثلاثين للدُّولة العُثمانية، تولى الحكم وهو في سن السادس عشرة، تلقى عبد المجيد تعليما وفق نمط غَربي وأتقن رغم صغر سنه اللغة الفِرنسية. ونتيجة لإنعدام خبرته في الجَانِبِ الإداري وبِسَبَبِ الظُرُوف الصعبة التي شَهِدتها الدَّولَة خلال عهده ساانده في حكم الدَّولَة والدته وكبار الموظفين

المُستشرقون وعَلى سياسته الإصلاحية، اعتبره المُستشرق **"برنارد لويس Bernard Lewis"** حاكما معتدلا، ذو نية حسنة، متعاطف مع الإصلاح وقابل له. وهو ما يظهر في قبوله للعَدِيد من الممارسات الأوروبية في بلاطه.[1]

كما أثنى عليه المُستشرق **"إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy"** في كِتاباته فوصفه بقوله: {شَخصِيَّةٌ جَادَّة، رَصِينَة، يَفُوقُ سَنوات عُمرِه، ذُو قدرَاتٍ فَاقَت القُدُراتِ الطَّبيعِيَّة وتَفَوَّقَت عَليهَا}. فَضلاً عن ذلك؛ فَقَد كان حَسبَ هذا المُستشرق سُلطَانا مَحظُوظاً إذَا ما قُورِنَت فَترَةُ حُكمِه بفَترَةِ والِدِه، وهذا عَائِدٌ لسَببين اثنين: أَحدُهُما قَمع التَّمرُدَات التي بَرَزَت في عَهدِه في كُل مِنَ البُوسنَة وألبَانيا وغَيرهَا، وانتِهَاءِ المسأَلَة المصرِية مَع تَوقفِ الحُرُوب لمُدَّةٍ لَيسَت بهيِّنة جَعلتهُ يَحصُلُ عَلى فَترة مِن الهُدُوءِ النِّسبِي ليُدِيرَ فِيها دَولَتَه ويُواصِل سِلسِلَة الإصلاحَاتِ التِي بَدأَها أسلافُه.[2]

تمكن هذا السلطان عقب توليه الحُكم من أن يضفي الصفة الرَسمِية عَلى محاكاة الغَرب والاقتباس منهم في الحَركة الإصلاحية، الأمر الذي غير طبيعة الإصلاحات في الدولة العثمانيَّة من الأخذ والاقتباس عن التحديث والنُّظم الغَربية نَحو مرحلة تعرف بمرحلة الإصلاح المفروض أو التَّنظيمَات.[3]

العُثمانيين. حاول خلال عهده حل المسألة المِصرية غير أنه لم يتمكن من ذلك إلا بدعم أوروبي وشريطة إجراء إصلاحات شاملة في الدَّولَة العُثمانية، والتي تم الإعلان عنها تحت مسمى "فرمان إِعادَة التنظيم". للمزيد أنظر: كولن، المرجع السَّابق، ص ص288 -291.

[1] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص ص150 -151.

[2] كيرسي، المرجع السَّابق، ص 454 -455.

[3] محمد سهيل طقوش، **تَاريخ العُثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، دار النفائس، ط03، 2013م، بيروت - لبنان، 2013م، ص 399.

استهلت بإصدار خط كلخانة "**Gul Hane**" في الثالث من شهر نوفمبر عام 1839م وحَسبَ رأي المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" فقد سعت الدولة العثمانيَّة من خِلاله إلى التظاهر أمام أورُوبا بالقدرة عَلى خلق أنظمة حديثة والتعامل معها، بالإِضافَة لكسب تأييد الدُول الأوروبية التي ازداد تدخلها في شؤون الدولة الداخلية لصالحها جراء ما شَهِدته خِلال تِلكَ الفَترة من أحداث وصِرَاعَات جمة.[1]

جَاء هذا التنظيم الذي تضمن عددا من البنود التي مزجت بين ماهو قديم وحديث، والتي تخص تأمين الحياة، أملاك الرعَايَا، إِلغَاء الضَّرائِب، التجنيد، المساواة بين جَمِيع رعايا الدولة وتحسين الأمور المالية للدَّولة العثمانيَّة بضبط قيمة العُملَة وحمايتها. وقد كان هذا الأمر في غاية الخطورة ونقطة حاسمة في الدولة بِسَببِ ما عانته هذه الأَخيرة في هذا الجَانب لعهود طويلة. وقد وصف المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" مالية الدولة العثمانيَّة بقوله: {مَثَّلَت مُستَنقَع اليَأسِ بالنِّسبَة للإِصلاحِيين بِسَببِ عَدَم القُدرَة عَلى الجَمعِ بين الخَزِينَةِ العَامِرَة والعُملَة المُستَقِرَّة مِن جهة، وعَدمِ وُجُودهِما في الدولة يُؤَدي إلى الاستِخفاف بها والسُّخرِيَة مِنها ومِن مُوظَّفِيهَا}.[2]

ليصدر عقبه عددا من القَوانِين التنظيمية القضائية، الجنائية والمدنية، فَضلاً عن إنشاء جَامعَة عُثمَانية، ومحكمة بوزارة التجارة. كما لا يَفوتنا أن ننوه هُنا أن بنود هذا الخط أَثارَت موجة سخط عارمة في الوسط العُثماني لمساسها بمبادئ الشريعة الإسلامية. وما زاد الأمر حدة هو صدور "**خط همايون**" في الثامن عشر من شهر فيفري لعام 1856م، تحت ضغط كل من

[1] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص 136. أنظر أيضا: طقوش، المرجع السَّابق، ص ص400 -401.

[2] طقوش، نفسه، ص ص400 -401. للمزيد أنظر: توفيق علي برو، **العَرب والترك في العهد الدستوري 1908 -1914م**، د.ط، دار الهنا للطباعة، 1960م، ص ص06 -07. أنظر أيضا: لويس، **ظهور**، المرجع السَّابق، ص 140.

إنجلترا وفِرنسا عقب حرب القرم ومطالبتهما بتَحسِين أوضَاع الرعَايَا المَسيحِيين حتى تقطع عَلى روسيا سبل التدخل في شؤون الدولة العثمانيَّة الداخلية.[1]

وقد أكَّد هذا الخط عَلى العَدِيد من التعهدات والامتيازات لرعايا الدولة غير المُسلِمين، من مساواة مع المُسلِمين وإنشاء للمحاكم المختلطة بغية فض النزاعات الحاصلة بينهما، بالإِضافَة لحرية التعبد مع إنشاء كنائس جديدة وتعيين بطريرك لكل ملة، كما منحهم حق إنشاء المَدارِس وامتلاك العقارات بشُروط.[2]

علق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" عَلى توجه الدولة العثمانيَّة نَحو إحداث التَّنظيمَات بقوله أنَّ هدف الدولة من ذلك هو التظاهر لأورُوبا لا غير بالقدرة عَلى أحداث وتقديم نِظَام حديث، فكَانت نوعا من الفرار للأمام بِسَببِ رغبتها في أن تبرز جديتها ونيتها ومدى تشابهها مع الغَرب. نَاهيك عن أنَّها بإحداثها لهذه التَّنظيمَات مكنت الملل من الظفر بقدر كَبير من الحُكم الذَاتي. ومثلت في ذَات الوَقت خروجا جذريا عن العرف والشريعة الإسلامية وخرقا للتقاليد.[3]

فَضلاً عن ذلك، فصدور هذه التَّنظيمَات حَسبَ هذا الأَخير كشف للعيان مدى خواء الإصلاحات العثمانيَّة وضعف الجيش العُثماني الحَدِيث في ذَات الوَقت. وسَاهمَا في ازدياد السخط العُثماني كونهما مسا نقطة مهمة قائمة عَلى التمييز بين المسلم وغير المسلم، والتي وصل صداها إلى مُختَلف الأقَالِيم العثمانيَّة عَلى غِرار الحِجاز التي تخوفت -عَلى حد ذكر لويس - من استَمرار إصدار تنظيمات تخص المَرأَة، أو منح حق التملك للمسيحيين في شبه الجَزِيرة العَربية. في حين كَانت هذه التَّنظيمَات في نَظر المُستشرق "**ستيفن هيمسلي لونكريك**

[1] أبو خلدون ساطح الحصري، **البلاد العَربية والدَّولَة العُثمانية**، ط03، دار العلم للملايين، بيروت، 1965م، ص 91.

[2] طقوش، المرجع السَّابق، ص ص404 -405

[3] نفسه. أنظر أيضا: لويس، **أين الخطأ**...، المرجع السَّابق، ص ص135، 137

Stephen Hemsley Longrigg" دستورا يعتمد عليه في الوِلايات العثمانيَّة، أحلت في الحُكومة العثمانيَّة بعد العمل بها الرأي الغَربي محل الرأي العُثماني.[1]

في حين كان لبعض الشخصيات العثمانية المعاصرة للأحداث رأي آخر في هذا الأمر فقد أكدت أن الهدف الرئيس وراء إصدار هذه التنظيمات ليس هو التظاهر أمام أوروبا كما يذكر برنارد لكنه إرضاء لها وبالأحرى إرضاءً لإنجلترا. ناهيك عن أنها لم تساهم في خلق المساواة بين الرعايا بقدر ما ساهمت في ازدياد التسلط والاستبداد في الوسط العثماني ذلك أن الشريعة الإسلامية لم تبح أمور التعدي على الأعراض والأموال حتى تُصدَر مثل هذه التنظيمات.[2]

تواصلت الإصلاحات عقب هذا العهد مع السُّلطَان "عبد العزيز"[3] الذي عزم عَلى مواصلة الإصلاحات حتى يقطع عَلى الدُول الأوروبية سبل التدخل في شؤون الدولة الداخلية، فرغم الديون والضائقة المالية التي خلفها أسلافه والتي كَانت سببا دفع به نَحو الاقتراض أصدر عددا من القَوانِين، أنشأ مجلسا للدَّولة ومحكمة عليا، نَظم المَدارِس وجعل برامجها وفق نمط ومنهج فرنسي وافتتح لأول مرة مدرسة خَاصة بتعليم البنات.[4]

---

[1] لويس، **أين الخطأ**...، المرجع السابق، ص ص135 -136. أنظر أيضا: لونكريك، المرجع السَّابق، ص ص336 -337.

[2] محمد روحي الخالدي، **الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**، د.ط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2014م، ص 20.

[3] **السلطان عبد العزيز (1830 -1876م)**: هو ابن السلطان محمود الثاني والسلطان الثاني والثلاثين للدُّولة العُثمانية، حكمها من عام 1861 ولغاية عام 1876م لخمس عشرة سنة، وأول سلطان عثماني يزور أوروبا لهدف دبلوماسي. سَعَى خلال فَترة حكمه نَحو مواجهة الثَّورَات والتمردات الداخلية التي شَهِدتها بعض من الولايات العُثمانية ولعبت القوى الأوروبية عَلى حبالها، كما توجه نَحو إجراء إصلاحات عديدة في دولته رغم الأزمة المالية التي عانت منها، فافتتح كليات عسكرية، أنشأ أسطولا بحريا عد الثالث عالميا، بدأ في مد خطوط السكك الحديدة بين عاصمة دولته والعاصمة الفِرنسية باريس، فضلا عن إنشائه لعدد من القصور والمساجد. للمزيد أنظر: كولن، المرجع السَّابق، ص ص296 -301.

[4] طقوش، المرجع السَّابق، ص ص407 -408.

فَضلاً عن إصداره لخط في أواخر عهده بالضَّبط في الثالث عشر من شهر ديسمبر لعام 1874م، تم بمُوجَبه التأكيد عَلى فحوى خطي كلخانة وهمايون مع ضرورة فصل السلطتين القضائية والتنفيذية عن بَعض، تنظيم هيئة محاكمة مع تنسيق وظائفها ومنح الرعَايَا حق انتخاب أعضاء المحاكم النِظَامية وأعضاء مجلس الإدارة سَواء من المُسلِمين أو من غيرهم، وأكَّد من خِلاله عَلى إصلاح قطاعات الاقتصاد، المساواة بين جَمِيع الرعَايَا اجتماعيا، مدنيا وحتى في خِدمَة الحُكومة، مع استَمرارية الامتيازات الممنوحة للطوائف غير الإسلامية.[1]

عَلى سَبيلِ الإشارة هُنا أصدر "أحمد جودت باشا"[2] مَجلَّة الأحكام العدلية خِلال عهد السُّلطَان "عبد العزيز" كدستور للدَّولة، وظلت سارية المفعول لِغَاية إلغائها عام 1926م. ورغم أهميتها إلا أنَّ صاحبها -السُّلطَان عَبد العَزِيز -كان في نَظرِ "**برنارد لويس Bernard Lewis**" رَجُلٌ مُختَلِفُ المِزَاج، مُتقلِّب، عَنِيف، مُتعنِّت وسَرِيعُ الغَضَب، هَاجَمَ الإصلاحِيين وعَمِل عَلى عَرقَلتِهِم وإحبَاطِهِم في كَثيرٍ مِن الأحيَان. فَضلاً عن ذَلِك أشَار إلى أنَّ إصلاحَاتِ هَذا الأَخِير رَجعِيَّة، وأَنَّهُ رَغمَ كُلِّ مَا شَهِدتهُ الدولة العثمانيَّة كَان عَليهَا المُضِيُ قُدُماً في التَّحدِيثِ والتَّغرِيب -بِأي طَرِيقَة شَاءَت - فَلَم يَعُد لَها القُدرَة لِلعَودَة للوَرَاء ولِلنُّظُمِ القَدِيمَة.[3]

---

[1] محمد عبد العزيز عوض، **الإدارة العُثمانية في ولاية سورية 1864 -1914م**، تق، أحمد عزت عبد الكريم، د.ط، دار المعارف، مِصر، 1969م، ص ص31 -33.

[2] **أحمد جودت باشا (1822 -1895م):** مدرس، عالم عثماني، وزير، مدير دار المعلمين وعضو في مجلس المعارف العمومية، متقن للغة العَربية، الفارسية والبلغارية. اسمه الكامل أحمد ابن الحاج إسماعيل آغا ابن الحاج علي أفندي ابن أحمد آغا ابن إسماعيل أفندي مفتي مدينة لوفجة. أعطاه الشاعر العُثماني فهمي اسم جودت فأضافه إلى اسمه فأضحى أحمد جودت. تعلم العلوم الإسلامية، الفلسفة، الرياضيات، الجغرافيا... وغيرها. ليشتغل عقب إجازته في مجال التَدريس بأحد مساجد العاصمة. ألف بطلب من السلطان عبد المجيد كِتابا تَاريخيا في اثنا عشر مجلدا تحت مسمى "تَاريخ وقائع الدَّولَة العلية" المشهور بتَاريخ جودت، كما ألف بالإشتراك مع فؤاد باشا القواعد التركية عالج فيه النَحو في اللغة التركية. بالإضافَة إلى ترتيبه لقوانين الدَّولَة العُثمانية، دون أن نَنسى إصداره لمجلة الأحكام العدلية. للمزيد أنظر: أحمد جودت باشا، المصدر السابق، ص ص05 -14.

[3] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص ص151، 158

من خِلال الإطلاع عَلى آراء المُستشرقين البريطانيين السابقي الذكر حول هذه القَضِيَّة، يدرك البَاحث أن هُناك بَعضا من الأفكَار التي يسعى هؤلاء الغَربيون إلى إيصالها للقارئ بأي طَريقَة كَانت والتي يُمكن إدراجها ضمن الصِّراع القائم بين الإسلام والمَسيحِية. والمتمثِّلَة في التَّقليل لكل ما يمد للإسلام بصلة فكل ماهو إسلامي رجعي، وكل ماهو غَربي مسيحي فهو تحديثي، حضاري ومتطور، مع محاولة خلق فِكرَة الرفض الشَّرقي لكل ماهو غَربي ومسيحي والتي تنُدرِج ضمن العَلاقَة بين الشَّرق والغَرب.

هذا فَضلاً عن مساعيهم محاولتهم الجادة لإيجاد نوع من الشبه بين الاصلاحات، النُّظم والشَّخصِيات العثمانيَّة، وبين النُّظم والإصلاحات وحتى الشَّخصِيات الغَربية. سعيا منهم لإيصال فِكرَة أن الغَرب هو الأصل لكل شيء وما دونه ليس سوى شبها له.

ثانيا - التنافس والتسويات

01. الحَرب العالمية الأولى وتداعياتها عَلى الدولة العثمانيَّة

أ. دخول الدولة العثمانية الحرب

منذ أواخر القَرن التَّاسع عشر تطورت الأحدَاث لغير صالح الدولة العثمانيَّة، فقد شَهِدت بُروز أزمات عَدِيدة كَانت سببا في إضعافها أكثر فأكثر، كأزمة البلقان التي بَرزَت رَغبَة في الانفِصَال عنها. فَضلاً عن التنافس الاستِعماري والتحالفات الأوروبية التي بَرزَت بِسَببِ رَغبَة الدُول العظمى في تقوية وتوطيد مصالحهم والتي كَانت وغيرها من الأحدَاث رفقة الحادث الشائع والمعروف باغتيال ولي عهد النمسا أسبابا لاندلاع الحَرب العالمية الأولى، هذه التي لم تنظم لها الدولة العثمانية إلا مع أواخر شهر أكتوبر لعام 1914م.[1]

[1] عبد الفتاح عصام، **أطلس الحربين الأرض والحرب والسلام الحرب العالمية الأولى والثانية**، ط01، شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع، القاهرة، مِصر، 2015م، ص ص14 -17، 33، 38. للمزيد أنظر: ماري ميلز باتريك، **سلاطين بني عثمان**

أَثارَت قَضِيَّة انضمامها إلى الحَرب جَدلا واسعا في الوسط العَربي، هذا الذي فضل أن يكون في صف الحلفاء بِسَببِ العلاقات الحسنة التي ربطت كلا الطرفين ببَعض، وطبعا رَغبَة وتطلعا إلى الاستِقلال من جَانب آخر. ويُمكن أن نُدرِج هُنا الأفكَار الواردة في كِتابات المُستشرق **"هارولد فيتون جاكوبHarold Jacob. F"** التي عكست وبينت أن سكان المَنطِقة العَربية وزعماؤها ترقبوا فوز بريطَانيا ودعوا لها، ومرد هذا كله لنية بريطَانيا وعلاقاتها الحسنة مع العَرب وللثقة التي تمكنوا من بنائها معهم خِلال فَترة حكمهم لعدن.[1]

في حين بين "عبد اللّه ابن الشريف حسين"[2] في مذكراته أساس هذا الأمر، فذكر أن والده قد راسل السُّلطَان العُثماني "محمد رشاد"[3] وبين له الاتفاقات الثنائية التي عقدت بين الدُول العظمى، مؤكدا له ضرورة عدم الانضمام إلى الحَرب إلى جَانب ألمانيا كونه يشكل خطرا عَلى الدولة وخيانة في حد ذَاتها، ومُستنِداً في تَبرِير رأيه إلى اعتبارات عَدِيدة كان من بينها أن الأسلحة المعتمدة والمعامل العثمانيَّة لا تسد حاجة الدولة بالعتاد، فَضلاً عن الأخطار

الخمسة، ط01، تر، مركز المؤسسة، الدار العَربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2011م، ص134. أنظر أيضا: زكرياء قورشون، **العُثمانيون وآل سعود في الأرشيف العُثماني 1745 -1914م**، ط01، الدار العَربية للموسوعات، بيروت -لبنان، 2005م، ص 401.

[1] فيتون جاكوب، المرجع السَّابق، ص 209.

[2] **عبد اللّه ابن الشريف حسين**: هو عبد اللّه بن الحسين بن علي بن محمد أمير مكة بن عبد المعين بن عون، من مواليد الطائف بمكة. حافظٌ للقرآن الكريم ومتعلم لعدد من الخطوط كخط الثلث، النسخ والرُقعة العُثمانية. للمزيد أنظر: عبد اللّه بن الحسين، **مذكراتي**، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة -مِصر، 2012م، ص ص11 -12.

[3] **السلطان محمد رشاد (1918لمح1844م)**: هو السلطان العثماني الخامس والثلاثين، تولى الحكم عقب خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن سدة الحكم لمدة تسع سنوات متتالية، شهدت فيها الدولة العثمانية اضطرابات داخلية عديدة وخسرت فيها في حروب البلقان، وانضمت للحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا... وغيرها من الأحداث. للمزيد أنظر: صالح كولن، المرجع السابق، ص ص334 -341.

المحدقة بالوِلايات العَربية الوَاقِعة في القسم الجنوبي من الدولة كاليمن والحِجاز والتي في ظل عدم قدرة الدولة في الدفاع عليهما ستلجأ للدفاع عن أنفسها رغم عدم جاهزية شعبها.[1]

مضت الأمور عقب انضمام الدولة العثمانيَّة للحرب عَلى وتيرة متسارعة، تمكنت فيها بريطانيا من مراسلة "الشريف حسين" بغية ضمه للحرب إلى جَانبها، ومن فرض سيطرتها عَلى كل من الكويت، البحرين، قطر، عُمان ومسقط بين شهر نوفمبر لعام 1914م وعام 1916م، كما جعلت من جنوب وشرق شبه الجَزِيرة العَربية مَنطِقة نفوذ بريطانية والتي ضمت كلا من اليمن، حضرموت والخليج. وسيطرت كذلِك عَلى العِراق باستخدام القُوة واستنادا للحملات العسكرية.[2]

ومن باب الرَغبَة في الظفر في هذه الحَرب وتَحقيقِ مُختَلف الأهدَاف والمآرب التي تصبوا إليها، وجهت بريطَانيا ومنذ فترات مبكرة مُستشرقيها عَلى اختلاف وظائفهم ومنَاصِبهم صَوبَ مناطق نُفوذِها السَّابقة الذِّكر لتقصي الوَضع، معرفة الطرُقِ والمُدن والكتابة عن ذلك، التأثير عَلى العَرب والقادة ومُختَلف القبائل البدوية وحثهم عَلى الانضمام لصف بريطَانيا. من أمثَال: المُستشرق "**إدوارد هنري بالمر Edward Henry Palmer**"، المُستشرقة "**غيرترود بيل Gertrude Bell**" التي وجهت للعراق، دِمشق وحائل مطلع الحَرب العالمية الأولى بالضَّبط ما بين عَامَي 1913 -1914م، وكذا "**هاري سانت جون بريدجر فيلبي Harry St. John Bridger Phillby**" الذي وجه للخليج العَربي ونجد والجَزِيرة العَربية، بالإِضافَة لـ "**هارولد فيتون جاكوب Harold Jacob. F**" الذي وجه لليمن، والمُستشرقين "**جيرالد دي غاوري**

[1] صالح كولن، المرجع السابق، ص ص91 -93.

[2] شوقي الجمل، عبد الله عبد الرزاق، **تَاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة**، د.ط، المكتب المِصري، القاهرة - مِصر، 2000م، ص 233. أنظر أيضا: عبد الله ابن الحسين، المصدر السَّابق، ص ص95 -96. أنظر أيضا: إدريس محارتي وآخرون، **مئة عام عَلى الحرب العالمية الأولى مقاربات عربية**، مج 01، ط01، المركز العَربي للأبحاث ودِراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2016م، ص ص173 - 175.

Gerald de Gaury" و"جون باجوت غلوب Sir John B, Glubb"، ودون أن ننسى المُستشرق المشهور **"توماس إدوارد لورانس Thomas Edward Lawrence"** وهو ما سيلي الحَديث عنه بشكل أكثر دقة فيا يلي من الوريقات.[1]

أوفدت بريطَانيا المُستشرق "**إدوارد هنري بالمر Edward Henry Palmer**" في البداية للشرق بحثا عن الآثار الفِلسطِينية ثم ما لبث أن اتصل بالبدو وتضلع في اللغة العَربية وتسمى بعبد الله، لتعيد إرسَاله لمِصر عام 1882م بهدَف تأليب البدو عَلى الثَّورَة العرابية لينتهي به المطاف مقتولا في جَزِيرة سيناء.[2] كما أرسلت إلى مِصر المُستشرق والضَابِط **"توماس إدوارد لورانس Thomas Edward Lawrence"** المعروف بلورانس العَرب، وقَامَت بإلحاقه بقسم الاستخبارات العسكرية عام 1916م، ثم ما لبثت أن قَامَت بترقيته لرتبة نقيب وأرسلته لبلاد الرافدين ثم أعادته للحجاز وعينته ضَابِطا مرتبطا بقوات الثَّورَة العَربية، وظل مرتبطا بالحِجاز وشبه الجَزِيرة العَربية حتى بعد انتهاء الحَرب.[3]

أما بالنسبة للجَزِيرة العَربية والعِراق فقد أرسلت المُستشرق **"هاري سانت جون بريدجر فيلبي Harry St. John Bridger Phillby"** عَلى رأس عدد من البعثات نَحو الجَزِيرة العَربية والعِراق، أين عَمِل كرئيس لتِلكَ البعثات أو كمستشار لوزارة الداخلية ببَعض من هذه المنَاطِق. ليعين عقب انتهاء الحَرب العالمية كمستشار للمملكة العَربية السعودية. كما عينت كذلِك المُستشرقة والمترجمة "**غيرترود بيل Gertrude Bell**" في سفارتها بالبصرة وبغداد بعد

[1] لي ديفيد كوبر، جورج رينتز، **الحَركة الوهابية في عيون الرحالة الأجَانِب**، تر، عبد الله بن ناصر الوليعي، ط01، الرياض، 1997م، ص197.

[2] العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص 65.

[3] مالكوم براون، **لورانس العَرب في الحرب والسلم -مختارات من كِتاباته العسكرية**، تر، هيثم فرحت، ط01، دار الساقي، المملكة المتحدة، 2022م، ص ص24 -27.

أن عَمِلت بالسفارة البريطَانية المتواجدة بمِصر، وللعلم فقد سَاهمَت بنشاطها في العِراق في التنقيب عن مُختَلف الآثار وتأسيس متحف لها ببغداد حتى لقبت بملكة العِراق.[1]

عينت بريطَانيا كذلِك المُستشرق والضَابط **"ستيفن هيمسلي لونكريك Stephen Hemsley Longrigg"** في العِراق فعَمِل بالجيش البريطاني، والحُكومة وكذا بشركة النفط في ذَات المَنطِقة. دون أن نَنسى المُستشرق وخريج الكلية الحَربية البريطَانية **"جون باجوت غلوب Sir John B, Glubb"** الذي عين وعَمِل هو الآخر بالعِراق بعد انتهاء الحَرب بالضَّبط عام 1920م لينقل عقبها للعَمِل بالأردن. [2]

ومن باب التَّنبيهِ هُنا لم ترسل بريطانيا هؤلاء فقط بل كان لها ولقرون متتالية سَبَقت الحَرب العالمية وتلتها بعثات عَلى اختلاف أنواعها نَحو الشَّرق ومُختَلف المنَاطِق العَربية التي كَانت تسعَى للسيطرة عليها، ولم يكن ذكر هؤلاء إلا من باب الإشارة لا الحصر.

ب. الثَّورَة العَربية

عَلى هذا الأساس وبعد أن رجحت بريطَانيا انضمام الدولة العثمانيَّة للحرب العظمى، توجهت حَسبَ ما أملته كِتابات المُستشرق **"جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury"** قبل ستة أسابيع من إعلان الحَرب عَلى الدولة العثمانيَّة نَحو "عبد اللّه ابن الشريف حسين" لمعرفة موقفهم منها، وهل هم في صفها أم في صف بريطَانيا. ما دفع "بالشريف حسين" إلى دِراسة الوَضع بادئ الأمر والتناقش مع أولاده حول هذا المَوضُوع وتبعاته عَلى الحِجاز والعَرب، فتباينت آراء ولديه بين الرفض والقبول. الرفض الذي كان خيار "فيصل" والذي استند في رأيه هذا لسبب واحد مفاده أن الحلفاء لهم خططهم الخَاصة حول المَنطِقة العَربية، وأن عرض بريطَانيا لهم لن يكون ضمانا لهم ولمساعيهم. في حين كان القبول خيار "عبد اللّه" الذي كان حَسبَ

[1] العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص ص116، 95.

[2] نفسه، ص ص127، 132.

ذكر هذا المُستشرق من تأثير الجمعيَّة السرية التي انضم لها والتي أمدته ببعد نَظر وبأفكار ثورية قوية، فكان قبول طلب الحُكومة البريطَانية هو الصواب عنده مع المبَاحثات المستمرة بين الطرفين لمعرفة مقصدهم الرئيس من كل ذلك.[1]

وبين كذلِك أن "الشريف حسين بن علي" كان رافضا لهذا الطلب في البداية ومؤيدا لفِكرَة ابنه "فيصل" ولكن رَغبَة ابنه الثاني "عبد اللّه" وإلحاحه وإصراره المستمر جعله يتريث في إصدار قراره النهائي، ويقوم بإرسال رسالتين إحداهما وجهت لحكام العَرب لمعرفة وجهة نَظرهم في المَوضُوع، أما الثانية فوجهت نَحو "**كيتشنر Kitchener**"[2] والتي بين له فيها رغبته في التفاوض مع الحُكومة البريطَانية.[3]

وقد أوضح ذَات المُستشرق أن للمدة التي قضاها "الشريف حسين" في العاصمة العثمانيَّة استنبول والتي قدرت بثماني عشرة سنة دَور كَبير في جعله يسعى نحو تقوية نفسه وسلطته في الحِجاز وعن طُرق للاستقلال والانفِصَال عن الدولة العثمانيَّة، غير أن هذا الأمر كان من الصعوبة بمكان ومرد هذا للعَلاقَة التي تربط الولاية بمركز الحُكم ولوقوعها منذ مطلع القَرن السادس عشر تحت السَّيطرة العثمانيَّة.[4]

---

[1] دي غاوري، المرجع السَّابق، ص ص325 -326.

[2] **اللورد كيتشنر Lord Kitchener H. H (1850 -1916م)**: اسمه إيرل كيتشنر، بريطاني تقلد عددا من الوظائف السِياسيَّة والعسكرية فعَمِل رئيسا لهيئة أركان الحرب في الهند مطلع القَرن العشرين وعين معتمدا عَلى مِصر، ومفوضا ساميا فيها ووزيرا للحرب في بريطَانيا، فضلا عن أنه عَمِل في مؤسسة الاستكشافات الفِلسطِينية، كما تولى مهمة قيادة الحملات العسكرية البريطَانية التي وجهت لِمصر، السودان وجنوب إفريقيا. سمحت له مختلف هذه المهام بتأليف عدد من الكتب من بينها: "طبوغرافية فِلسطِين" وغيرها من الأعمال. للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص 72.

[3] دي غاوري، المرجع السَّابق، ص ص326 -327.

[4] المطلع والدارس لكتابات هذا المستشرق يلحظ نوعا من التنصل من الشريف حسين، مع التأكيد بأن انضمامه لصف بريطانيا كان برغبة وسعي منه تولد عنده بسبب العثمانيين أنفسهم. للمزيد أنظر: دي غاوري، المرجع السَّابق، ص ص323 -324.

من جهة أخرى، سعت الحُكومة البريطَانية كذلِك وحَسبَ ما أملته كِتابات المُستشرقة "**غيرترود بيل Gertrude Bell**" إلى التقرب من "ابن سعود" رَغبَة في فتح باب الصداقة معه وجعله في صفها ويسعى لخِدمَة مصالحها، مع تقديم الدعم الكامل له لمواجَهة كافة الأخطار المحدقة به. فأرسلت له أحد وكلائها السياسيين السَّابقين في الكويت، والمُستشرق والضَابِط البريطاني "**هاري سانت جون بريدجر فيلبي Harry St. John Bridger Phillby**" الذي وضح في كِتاباته الهدف الرئيس من وراء لقائه معه والمتمثل في حثه عَلى الانضمام "للشريف حسين" في ثورته عَلى الدولة العثمانيَّة غير أنه رفض هذا الطلب بِسَببِ تذبذب العلاقات وتوترها بينهما.[1]

لينتهي هذا اللقاء بتوقيع مُعاهَدة العقير في 26 ديسمبر لعام 1915م اعترفت بِمُوجَبها بريطَانيا باستقلال "ابن سعود"، وضرورة تقديمها للمساعدة له في حال أي اعتداء أجنبي عليه شريطة عدم التعاون مع الدُول الأجنبية ضد الحُكومة البريطَانية، وألا يمنح الامتيازات في الأقطار التابعة له للدُّول الأجنبية، وألا يوسع حدود سيطرته لتشمل المنَاطِق الوَاقِعة تحت السَّيطرة البريطَانية. ومع ذلك كله ورغم الضغط البريطاني والمحاولات المستمرة لإقناع "ابن سعود" عَلى الانضمام "للشريف حسين" في ثورته ضد الدولة العثمانيَّة التزم بالحياد وأدرك أن نِهاية هذا الأمر ستكون لصالح منافسه "حسين".[2]

وعَلى سَبيلِ الإشارة هُنا وبِمُوجَب هذه المُعاهَدة وحَسبَ ما أورده المُستشرق والضَابِط "**هاري سانت جون بريدجر فيلبي Harry St. John Bridger Phillby**" في كِتاباته أن لبريطَانيا **التزامات عَديدة** تقر بها لصالح أمراء نجد والأحساء وأنها تعترف "بالشريف حسين"

---

[1] غيرترود بيل، **أوراق منسية من تَاريخ الجزيرة العَربية**، تر، عطية بن كريم الظفيري، نشر الجريدة الكويتية، ص ص58 -59. أنظر أيضا: صبري فالح الحمدي، **جون فيلبي والبلاد العَربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز بن سعود 1915 -1953**، ط01، الدار العَربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2013م، ص 40.

[2] الحمدي، نفسه، ص ص40 -43.

ملكا عَلى الحِجاز **فقط**.[1] ولعل القارئ لهذا الكلام يعي أن هذا المُستشرق يركز عَلى شيئين اثنين هما عَلى التوالي: أحقية الشريف حسين في فرض نفوذه عَلى مَنطِقة الحِجاز واقتصاره عليها فقط، وعَلاقَة بريطَانيا مع غيره من الأمراء ولم لا أحقيتهم في الحصول عَلى مناطق نفوذ في شبه الجَزِيرة العَربية. ويدرك كذلِك أنَّ هذه الأَخيرة بإثارَتها لهذا المَوضُوع ستلعب عَلى حبال السُلطَة والنفوذ في المَنطِقة العَربية. ولعل هذا الأمر يرجعنا لنقطة البِداية لقول "فيصل ابن الشريف حسين" أن الحلفاء لهم خططهم الخَاصة حول المَنطِقة العَربية.

كما كان للمُستشرق والمعتمد البريطاني **"هارولد فيتون جاكوب Harold Jacob. F"** رأي آخر حول رفض "ابن سعود" والعَرب الانضمام "للشريف حسين" في ثورته، فذكر أن النزعة الفردية التي تواجدت بين العَرب كَانت سببا مباشرا منع انضمام العَرب الكلي والفعلي لصف بريطَانيا، وأكَّد أنَّ دَور هذه الأَخيرة في الحَرب وعلاقتها بالعَرب اقتصرت فقط عَلى الدفاع عنهم وعَلى دعمهم ماليا وعسكريا وجعلهم يعتمدون عَلى أنفسهم، فإن فشلوا ولم يتمكنوا من ذلك يكون الدَور للحكومة البريطَانية.[2]

كما وَضَّحَ المُستشرق **"جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury"** في كِتابَاتِه أن "عبد اللّه" وبتغييره لرَغبَة وَالِده من الرَفضِ للقَبُول وإشرَاكه في الحَرب لصف بريطَانيا وضعه أمام حِلفٍ غير مُصرحٍ به مَعها. فَضلاً عن أن ضَغطَ الدولة العثمانيَّة عليه بالتلغرافات والرسائل المتتالية لإعلان الحَرب ضد الحلفاء وطَريقَة تَعامُلِه مع هذا الأمر دَفعَت بهذا المُستشرق للقَولِ بأن "الشريف حسين" تعامل مع العُثمانيين بدهاء وخبث فكان أكبر من أن يكون أداة بيدهم.[3] ولعل هذا القَول الأَخير يعكس الدهاء البريطاني، فبريطَانيا وضُبَاطها القابعين في

---

[1] نفسه، المرجع السَّابق، ص 42. أنظر أيضا: راندال بيكر، **مملكة الحجاز الصِّراع بين الشريف وآل سعود**، تر، صادق عبد علي الركابي، ط01، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2004م، ص 260.

[2] فيتون جاكوب، المرجع السَّابق، ص ص222 -224.

[3] دي غاوري، المرجع السَّابق، ص ص327 -328.

الجَزِيرة العَربية يزينون الموقف والحادثة للعَرَب فلو حدث عكس المتوقع (أي الانضمام للدَّولة العثمانيَّة) لما شَهِدنا مثل هذا التنميق والإطراء وهو ما سنلاحظه في نِهاية هذه القَضِيَّة.

بالعودة للسِياق التَّاريخي للحرب، وقبل أن يَشرع "الشريف حسين" في مُراسلاته مع الحُكومة البريطَانية سَارت الحَرب لغير صَالح هذه الأَخيرة فقد حلت عليها الهزائم في جَمِيع جبهات القِتال سَواء كَانت في شبه جَزِيرة غاليبولي، مِصر، اليمن أو حتى العِراق. ليشرع الطرفان في تبادل المراسلات والزيارات التي نتج عنها دُخول "الشريف حسين" الحَرب[1] إلى جَانب الحلفاء في الخامس من شهر جوان لعام 1916م.[2]

وقد سبب هذا الأمر حَسبَ ذكر المُستشرق **"جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury"** إنذارا لكل من الدولة العثمانيَّة وحليفتها ألمانيا، فَضلاً عن جلاء القوات العثمانيَّة من مكة بشكل نهائي وإيقاف المحاولات العثمانيَّة الألمانية الهَادِفة لإغلاق البحر الأحمر من اليمن.[3]

[1] في قضية دخول الشريف حسين الحرب العالمية إلى جَانِبِ الحلفاء وضد الدَّولَة العُثمانية، يُمكن أن أشير إلى فِكرَة أخالها مهمة مفادها أن هذا الفعل وإن كان غير مقبولا ومحط جدل واسع من جِهة، وعاكس لعجلة هذا الشخص وعدم تريثه ولرغبته في تأسِيسِ دولة خاصة به بشكل سريع ودون تخطيط واحتساب للعواقب، ورغم كل مايوصف به من ذكاء وحنكة ودهاء إلا أنه وضع ثقته في طرف ليس محطا لها، فضلا عن أن هذا الأمر يعكس عدم خبرته وانعدام معرفته واطلاعه عن الأمور السِياسيَّة، هذا بغض النظر عن تجريم العُثمانيين والأتراك من بعدهم لهذا الفعل إلا أنه يُمكن أن نراه من وجهة نظر أخرى. فالأعمال التي قام بها الإتحاديون في مطلع القَرن العشرين في المَنطِقَة العَربية من محاولات لتتريك العنصر العَربي، فرض اللغة العُثمانية، منع اللغة العَربية، عدم إشراك العَرب في المَجالس النيابية علاوة عن الإغتيلات التي طالت عددا من المفكرين والشَّخصِيات العَربية. هذا دون أن نَنسى ما قام به الوالي العُثماني 'جمال باشا" في بلاد الشام سيكون لها دَور في تغير الوعي العَربي وفي رد الفعل الذي أبرزوه بعد أن أتاحت لهم الفرصة. وقد عرض السيد محمد كرد علي جزءا من هذه الفِكرَة في كِتابه خطط الشام ولكن مع هذا كله فبشاعة الفعل لا تبرر النتيجة الحاصلة. للمزيد أنظر: محمد كرد علي، **خطط الشام**، ج03، المصدر السَّابق، ص ص139 -140.

[2] دي غاوري، المرجع السَّابق، ص ص330 -331.

[3] نفسه، ص ص331 -333.

كما نتج عنها تتويج "الشريف حسين" كملك عَلى العَرب. غير أن ما يجب الإشارة إليه هُنا هو أن من اعترف به ملكا هم عرب الحِجاز فقط، ولم يشمل هذا الأمر كل العَرب. وقد بينت المصادر أن هذا الأَخير اتخذ اللقب السَّابق الذِّكر رَغبَة منه وسعيا للإطاحة "بابن سعود" منافسه عَلى سُلطَة المَنطِقة.[1]

وقد عالج بَعض المُستشرقين في كِتاباتهم هذا الأمر عَلى غِرار المُستشرق **"هارولد فيتون جاكوب Harold Jacob. F"** الذي رَأَى أن "الشريف حسين" سَعَى إلى تقوية مركزه وجعل نفسه **أميرا** مستقلا لمكة وحاكما عَلى الحِجاز، وإلى إثبات استقلاله ثم إعلانه من خِلال استعمال ألفاظ وألقاب الملوك. فكان بذلك شخصا وقورا، نبيلا وذو تفكير إمبراطوري. بالإِضافَة للمُستشرق **"هاري سانت جون بريدجر فيلبي Harry St. John Bridger Phillby"** الذي تحدث في كِتاباته عن موقف بريطَانيا مما قام به هذا الأخير فذكر أنه لقب نفسه "ملك الحِجاز" غير أنَّ الحُكومة البريطَانية قَامَت بسلبه منه، فانتحل لنفسه لقبا آخرا هو "ملك العَرب" أو "ملك الديار العَربية". ما حتم عَلى بريطَانيا وحَسبَ ذكر **"هارولد فيتون جاكوب Harold Jacob. F"** تركه يستخدمه باعتبارها **صانعة للملوك**.[2]

وهو ذَات الأمر الذي تحدث عنه المُستشرق **"توماس إدوارد لورانس Thomas Edward Lawrence"** بل وذَهبَ إلى القَول بأن "الشريف حسين" كان يسعى لجعل نفسه زعيما مطلقا عَلى شبه الجَزِيرة ودون أي منافس وفي ذَات الوَقت لم تكن له أهدَاف واضحة أو ملموسة حول اليمن ولكنه كان يأمل ويرغب في الحصول عَلى إدارة صورية عربية في العِراق بناءً عَلى اتفاق بينه وبين بريطانيا وأكَّد أنه يُمكنه الوصول إلى هدفه وتَحقيقِه إن كان صبورا.[3]

[1] أوليريخسن، المرجع السابق، ص 255.

[2] فيتون جاكوب، المرجع السَّابق، ص ص305 -306، 309 -313.

[3] براون، المرجع السَّابق، ص ص265 -266.

انطلقت الثَّورَة العَربية ولم تحقق في مرحلتها الأولى نَتائِج كبرى، فعَمِل "الشريف حسين" في المرحلة الثانية منها بالتنسيق مع الضُبَاط البريطانيين من أمثَال الضَابِط **"إدموند هنري هاينمان اللنبي Edmund Henry Hynman Allenby"** أو حتى مع الضَابِط والمُستشرق **"توماس إدوارد لورانس Thomas Edward Lawrence"** وانتهت هي الأخرى من غير أن تحقق النَتائِج المرجوة منها. ولكنها مع ذلك كله أثرت وحَسبَ ذكر المُستشرق **"جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury"** عَلى أكبر مَنطِقة عربية ألا وهي الحِجاز، واعترف زعماء العَرب "بالشريف حسين" كمفاوض مع الحلفاء وكرئيس للثورة العَربية أو كما سماها هذا الأَخير **بالحَركة العَربية**.[1]

لكنها مع ذلك حَققت نَتِيجَة فِعلية واحدة حَسبَ ما أملته كِتابات المُستشرق **"جون باجوت غلوب Sir John B, Glubb"** لعب في تسريعها وبشكل مباشر حكم "جمال باشا" للمَنطِقة العَربية. تمثلت في إنهاء التأثير العُثماني عَلى الشعوب العَربية أو بالأحرى تأثير السُّلطَان عَلى المَنطِقة العَربية بفِكرَة الجهاد ضد بريطَانيا وفِرنسا، بالتفاف العَرب حول "الشريف حسين" كونه من نسل النبي صلى الله عليه وسلم وانتفاضتهم ضد الحُكم العُثماني.[2]

إن المُطلِّع والدارس لمؤلفات المُستشرقين البريطانيين يجد أن "الشريف حسين" قد حظي بأوصاف عَدِيدة فيها، فهو في نَظر الضَابِط والرَحالَة البريطاني **"آرثر جون وافيل Arthur John"** رجل مشهور، محترم، وذو شعبية ومكانة كَبيرة، تمكن بعد عودته للجَزِيرة العَربية من إِعادَة الوَضع لطبيعته مع إحياء التراث النبوي والأخلاق القيمة.[3] فَضلاً عن أنه كان في نَظر المُستشرق **"هارولد فيتون جاكوب Harold Jacob . F"** شخصا وقورا لطيفا نبيلا ومهذبا وذو تفكير إمبراطوري وهذا كله كونه حارب إلى جَانب الحلفاء، رَغبَة في

[1] دي غاوري، المرجع السَّابق، ص ص334 -335.

[2] John B, Glubb, **A Short History of the Arab Peoples**, 01 Pub, Hodder and Stoughton Limited, London, 1969, pp273, 275.

[3] دي غاوري، المرجع السَّابق، ص 323.

الاستِقلال.[1] في حين كان في نَظر المُستشرق **"جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury"** والعَرب في ذَات الوَقت قائدا ذا وزن في المَنطِقة العَربية وفي الثَّورَة العَربية عَلى حد سَواء، ولا وجود لمنافس له يلائم مَنصِب القيادة أو ذا قدرة عَلى توحيد العَرب.[2]

انتهت الثَّورَة العَربية الكبرى ودخلت دول الحلفاء في مفاوضات حول تقسيم المَنطِقة بينهم، فتم في البداية توقيع مُعاهَدة "سايس بيكو" في 1916م والتي جرت مفاوضاتها بالتوازي مع مفاوضات بريطانيا و"الشريف حسين" وتم بِمُوجَبها تقسيم المَشرِقِ العَربي بينهم، فَضلاً عن قِيامهم بتغيير سياستهم تجاه الخليج وشبه الجَزِيرة العَربية عَلى حد سَواء. فعارضت فِرنسا "الشريف حسين" من أن يكون ملكا للعَرَب ودعمت هي وبقية حلفائها الحَركة الصُهيونِية[3] وسعوا جَمِيعا لجعل فِلسطِين وطنا لليهود وهو ما وصفه المُستشرق **"جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury"** بالعمل اللاأخلاقي وأن سياستهم تِلكَ كَانت مراحل تبعوها فقط. [4]

ونتيجة لهذا الأمر ولتعارض سِياسَة الحلفاء ورَغبَة "الشريف حسين" وأهدَافه، عارض هو الآخر ورفض السِياسَة التي انتُهجت عقب الحَرب العظمى، ما دفع بالمُستشرق **"هارولد فيتون جاكوب Harold Jacob. F"** إلى القَول بأنه وباتضاح النوايا الحقيقية لبريطَانيا وللحلفاء لو خير "الشريف حسين" وبقية ملوك العَرب بين العُثمانيين وبريطَانيا لاختاروا الرجوع إلى الأصل أي الرجوع للحُكم العُثماني. [5]

---

[1] فيتون جاكوب، المرجع السَّابق، ص ص305 -306، 309 -313.

[2] دي غاوري، المرجع السَّابق، ص 323.

[3] **الحركة الصهيونية:** حركة يهودية سياسية، اشتق اسمها من جبل صهيون الواقع جنوب القدس، هادفة لإعادة أمجاد اليهود وإقامة دولة لهم بفلسطين، وقد تمكنت من ذلك منذ الحرب العالمية الأولى. للمزيد أنظر: أحمد عطية الله، **القاموس السياسي**، ط03، دار النهضة العربية، القاهرة -مصر، 1968م، ص ص736 -737.

[4] نفسه، ص 335.

[5] فيتون جاكوب، المرجع السَّابق، ص ص305 -306، 309 -313.

نَاهيك عن أنَّ تدخل بريطَانيا في شؤون المَنطِقة العَربية بمُختَلف الأساليب والطرُقِ كان سببا دفع بـ **"هارولد فيتون جاكوب Harold Jacob. F"** إلى الفرح معتبرا حكومته ومفندا لكل ما قاله سَابِقا عن سياستها الخفية وغاضا الطرف عن الخوف الذي طال العَرب منهم، بأنها ستصون وتحفظ أهدَاف العَرب والجنس العَربي في حد ذَاته باعتبارهم ودائع في يدها.[1]

عَلى النَّقيضِ من ذلك، كان للمُستشرق **"جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury"** رأي آخر في ذلك، فحَسبَ هذا الأَخير كان يجدر عَلى العَرب العمل بجدية أكبر والبَحث عن طرق جديدة تساعدهم في تَحقيقِ أهدَافهم باعتبار أن الهدف المقصود كان الحرية الكاملة، لِذلِك كان يترتب عليهم أن يسيروا بشكل أكثر حسما وإصرارا يفوق قِيامهم بتأسيس الجمعيات السرية وغيرها من الأمور فهي لم تكن كافية.[2]

من جَانب آخر، ونتيجة لانتهاء الثَّورَة العَربية دون تَحقيقِ الأهدَاف المرجوة منها، فَضلاً عن القرارات المُجحِفة التي ترتبت عن نِهاية الحَرب من سيطرة الحلفاء عَلى المَشرِقِ العَربي وفِلسطِين وعدد من المنَاطِق الأخرى، ومن خروج مكة من سُلطَة "الشريف حسين" وسيطرة آل سعود عليها، فَضلاً عن سقوط الدولة العثمانيَّة. انعكس ذلك عَلى "الشريف حسين" حَسبَ ما أملته كِتابات المُستشرق **"جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury"** فقد كان حزينا ومذهولا من نتيجة الحَرب، ليتوفى بعدها ضعيفا محطم الكبرياء.[3]

بالحَدِيث عن العُثمانيين وجلاء قواتهم من المَشرِقِ العَربي وشبه الجَزِيرة العَربية أوضح المعتمد والمُستشرق البريطاني **"هارولد فيتون جاكوب Harold Jacob. F"** في كِتاباته وضع هذه المنَاطِق آنذاك، فذكر أنه وبخروج العُثمانيين من المَنطِقة انتشرت مظاهر الفساد

[1] فيتون جاكوب، المرجع السَّابق، ص 319.

[2] دي غاوري، المرجع السَّابق، ص 321.

[3] نفسه، ص ص336، 338.

والفوضى في كافة الأرجَاء، وغاب عنصر التلاحم والتعاون بين العَرب، وأَضحَى كل حاكم عربي وحيدا في ساحته فلا وجود لفريق أو لقائد. هذا كله بغض النَظر عن أن "الشريف الحسين" ليس إلا مجرد ملك بسيط عَلى الحِجاز، ولن يتمكن من ممارسة سلطته عَلى المَنطِقة لا بطَريقَة مباشرة ولا غير مباشرة.[1] ولعل هذا القَول هو الذي يؤكد التَحلِيل السَّابق لرأي المُستشرق **"هاري سانت جون بريدجر فيليبي Harry St. John Bridger Phillby"** حول موقف بريطَانيا وعلاقتها مع الشريف حسين وقول ابنه فيصل في ذَات الوَقت.

كما بين أنَّ هذا الأمر فتح الباب أمام ملوك العَرب للتقاتل مع بَعض حول حكم المَنطِقة مؤكدا عَلى أمرين اثنين: أحدهما أنَّ ملوك العَرب **لن يوحدوا جهودهم** مع بَعض ضد بريطَانيا والدُول العظمى لرَغبَة كل واحد في أن يكون ملكا للعَرَب. أما الثاني فتمثل في تخوفهم في ذَات الوَقت من الأهدَاف الخفية لبريطَانيا ما جعلهم يسعون إلى الحصول عَلى بيان أو وثيقة نهائية تؤكد عدم رَغبَة الحلفاء في السَّيطرة عَلى المَنطِقة العَربية. وقد كان هذا الاقتراح الأَخير سببا دفع به للجزم بأن العَرب أشخَاص أكفاء وبارعين في اقتفاء الأثر ما جعلهم يصلون للأهدَاف الخفية وغير المعلنة لبريطَانيا والحلفاء.[2] غير أنَّ هذا الأمر جَاء متأخرا فلم يتم معرفة النوايا الحقيقية إلا بعد نِهاية الثَّورَة العَربية وجلاء القوات العثمانيَّة.

بالإِضافَة إلى ذلك بين المُستشرق **"توماس إدوارد لورانس Thomas Edward Lawrence"** في كِتاباته مُختَلف النَتائِج التي ترتبت عقب نِهاية الحَرب العالمية الأولى وأبدى رأيه فيها ، فلم يستحسن الطرد الفرنسي لفيصل ابن الشريف حسين من دِمشق بعد أن انتخب ملكا عليها وبين أن هذا نكران لما قدمه لهم وأنَّ تقصيرهم تجاهه سيبقى غصة في قلوبهم. [3]

[1] فيتون جاكوب، المرجع السَّابق، ص ص303 -304.

[2] نفسه، ص ص304، 309.

[3] براون، المرجع السَّابق، ص 310.

وأكَّد أنَّ الحُكومة البريطَانية ورغم كونها صاحبة القرار فيما يحدث في هذه المنَاطِق وكونها صاحبة القرار فيما يتعلق بتصرفات الفِرنسيين ليس لها الحق في التدخل في قرارات فِرنسا. ومرد هذا حَسبَه لتتبع هذه الأَخيرة للسِياسَة البريطَانية المتبعة في العِراق وتطبيقها عَلى دِمشق والقاضية بسحق كل من يرغب في حكم بلاد الرافدين بنفسه.[1]

ختاما، إن المُطلِّع والدارس لمختلف الكتابات الاستشراقية يستطيع أن يرسم الرؤية البريطانية للتاريخين العثماني والعربي، والصورة النهائية للسياسة البريطانية المتبعة في المنطقة والتي تعود جذورها للقرنين السادس عشر والسابع عشر ولنشاط "شركة الهند الشَّرقية The East India Company" والتي مكنت بريطانيا من إقامة علاقات مع مختلف حكام المنطقة العربية، لتدعم بالتمثيل القنصلي والوكالات التجارية فعقد المعاهدات والاتفاقيات التي تقر وتؤكد عَلى المصالح الإنجلِيزية مقابل الدعم المالي والحماية.[2]

ليستمر هذا الأمر بوتيرة منظمة عقب القرن السابع عشر وبعد أن استغلت بريطانيا الحقل المعرفي لصالحها، فرسمت سياستها الاستِعماريَّة، حددت المنَاطِق التي ترغب في السَّيطرة عليها والتي يُمكن أن تهدد وجودها في الهند أو تجارتها في المَنطِقة، ثم أرسلت بعثاتها الاستكشافية كتِلكَ التي كان المُستشرق "**جون لويس بوركهارت Jean Louis Burckhardt**" من بينها، ومن ثم عددا من مُستشرقيها من فئة الضُبَاط لتقصي الوَضع ودراسته دِراسة عسكرية والذين بدورهم ساهموا بدراساتهم في رسم الخريطة السياسية الجديدة للمشرق كدِراسَات المُستشرق "**هاري سانت جون بريدجر فيلبي Harry St. John Bridger Phillby**" و"**برسي كوكس Percy Cox** وغيرهم كثير.

[1] براون، المرجع السَّابق، ص 311.

[2] محارتي وآخرون، المرجع السَّابق، ص ص154 -159.

02. فِلسطِين في كِتابات المُستشرقين

تُعتَبَر القَضِيَّة الفِلسطِينية وقَضِيَّة التواجد اليَهودي بها من القضايا المهمة الشاغلة حيزا كَبيرا من تَاريخ الدولة العثمانيَّة، والتي خاض بَعض من المُستشرقين فيها رَغبَة في التَّاريخ لليهود ومُحاوَلة لِطمسِ تَاريخها. وكاستِهلالٍ للخَوض في غِمار هذا المَوضُوع وكذا قبل الحَدِيث عن مواقف المُستشرقين البريطانيين منه لابد من الحَدِيث عن الحَركة الصُهيونِية، الهجرات اليَهودية للدَّولة العثمانيَّة وعن موقف هذه الأَخيرة من كل ذلك.

بِداية، كَانت فِلسطِين سنجقية تابعة للدَّولة العثمانيَّة مدرجة ضمن ولاية دمشق، وأقصد بذلك أنها لم تكن ولاية عُثمَانية ولم تعين عليها هذه الأَخيرة والٍ يُسير شؤونها. فَضلاً عن أنها قُسمَت إداريا إلى مجمُوعة من المنَاطِق، أتبعت الشمالية منها ببيروت وضمت الأقَضِيَّة التالية: حيفا، طبرية، صفد ونابلس. وأتبعت الجنوبية منها بِشكل مباشر للسُلطَة المركزية وضمت كلا من غزة، يافا، الخليل، بئر سبع ومتصرفية القدس التي كَانت تابعة بِشكل مباشر للأستانة. هذا وتَجدُر الإشارة هُنا إلى أن هذه السنجقية لم تشكل أو تعكس في الفِكر اليَهودي سوى فِكرَة الحج والأماكن المقدسة فلم يكن بها أي توجه يهودي عَاكس لفِكرَة السَّيطرة ومجسد لفِكرَة الوطن والقومية اليَهودية قبل القَرن التَّاسع عشر.[1]

من جَانب آخر، وخِلال حديث المُستشرقين البريطانيين عن تَاريخ فِلسطِين في نطاق تبعيتها للدَّولة العثمانيَّة وحتى ما قبل ذلك، نجد أن عددا منهم ينفي وجود اسم "فِلسطِين" في الفترات التَّاريخية السَّابقة للعهد العُثماني، ويحاول ربط تَاريخ هذه المَنطِقة بالوجود اليَهودي فيها كمحاولة للتَأريخ لهم ولوجودهم فيها. فعَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر: ذكر المُستشرق

[1] الشلق، المرجع السَّابق، ص ص72، 201. أنظر أيضا: حسان حلاق، **موقف الدَّولَة..**، المرجع السَّابق، ص 68. أنظر أيضا: عمر صالح البرغوثي، خليل طوطح، **تَاريخ فِلسطِين**، تق، محمد زينهم محمد عزب، ط02، دار المعارف، القاهرة، مِصر، د.ت، ص ص208 -209.

"**برنارد لويس Bernard Lewis**" في كِتاباته أنَّ اسم "فلسطين" وإن ورد في الكتب فهو لم يستخدم كاسم للمنطقة بل استخدم في الكتابات كصفة وأطلق عليها بدلا عنه اسم سوريا، فضلا عن أنه تتبع وجود الاسم في كتبهم المقدسة وبعد ادراكه لوجوده في العهد القديم أكد أنَّهُ استخدم وتُرجِم خَطأ وقد تَدارَكوا هذَا الأمر في العَهد الجَديد وبالتالِي فاسم فِلسطين غيرُ متواجدٍ فِيه. أضف إلى ذلك تَأكيدُه بأنَّ الاسم استخدم قديما وأطلق على مقاطعات -يهودية - وأنَّ اليهود لم يستخدموا اسم "Palestine" أو "Filastin" هذا الذي لم يَكُن حَسبَ الموسُوعَة البريطَانِيَّة سِوى اسمٍ جُغرَافِي ذُو تَطبيقَاتٍ غَيرِ ثَابتة وغَير دَقِيقَة. وكانَ الاسمُ المُستَخدَم عِندَهُم هو "Eretz Israel".[1]

ووضَّح كذلك أنَّ المُسلِمينَ لم يَستَخدِموا هذا الاسم الأَخير وكَان مُجرَّدَ إقلِيم أو مُقَاطَعة سُرعَان ما نُسيت، فضلا عن أنه عمَدَ إلى فكرة الحدود التي أثارها هذا الأخير واستند عليها لتأكيد فكرة ثانية مؤداها عدم وجود كيان سياسي أو دولة ذات حدود تحمل اسم فلسطين قبل لانتداب البريطاني معتبرا إياها مجرد تقسيم إداري.[2]

كما بين أن هذا الاسم قد اصطلح عَلى إقليم جغرافي غير **معلوم الحدود**، ليضحى عقب نِهاية الحَرب العالمية الأولى وفرض الانتداب البريطاني عَلى المَنطِقة اسما رسميا لدولة حديثة معلومة الحدود لأول مرة، محاولا من خِلال هذا الطَّرح أن يثير مسألة جديدة هي مسألة رسم الحدود في الدولة العثمانيَّة أو بالأحرى في الوِلايات العُثمانية. أين أشَار إلى هذه القَضِيَّة وبين أنها لم تكن معروفة لدى العُثمانيين بحكم تبعية هذه الوِلايات لها، لكن ومع انتهاء المسألة المِصرية وبعقد مُعاهَدة لندن الأولى عام 1840م أُدخلت قَضِيَّة رسم الحدود بين الوِلايات للدَّولة وهو ما يبدو جليا في نص المُعاهَدة المسندة لوالي مِصر "محمد علي " الذي حدد المنَاطِق

[1] لويس، **الإسلام** ...، المرجع السَّابق، ص ص258 -268.

[2] Bernard Lewis, **The Palestinians and The Plo**, "Commentary Magazine, V59, N 06, US, 01 Jan 1975. (https://www.commentary.org/articles/bernard-lewis/the-palestinians-and-the-plo/)

التابعة لهذا الأَخير. لتظهر وبشكل أدق وأكثر وضوحا بعد فرض بريطَانيا الحماية عَلى مِصر وبالتَحدِيد مع الحاكم البريطاني "**إيفلين بارنج Evelyn Baring**" الذي احتج للسُلطَان العُثماني بِسَببِ سحبه لسيناء وخليج العقبة من مِصر، هذا الأَخير الذي قبل الإحتجاج وجعلها تابعة لمِصر مرة أخرى. وقد كان هذا الأمر حَسبَ ما أملته كِتابات المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" اعتِرافاً عُثمَانِياً فِعلِياً لقَضِيَّة رَسمِ وتَحدِيد الحُدُودِ بين مِصر وفِلسطِين. لكنَّهُ سُرعَان ما أثَارَ موجَة غَضبٍ وسُخطٍ عَارِمَة في الوَسطِ العُثمَانِي لذَات السَّببِ السَّابق الذِّكر والمُتمثِّلِ في تَبعيَّةِ هذِه المنَاطِق للدَّولة العثمانيَّة أو بالأحرى للوِحدَة العثمانيَّة.[1]

تَجدُر الإشارة هُنا، إلى أن هذا المُستشرق ومن خِلال طرحه لهذه الفِكرة يحاول إِثَارَة الانتباه لفِكرَة سَعَى عدد من المُستشرقين البريطانيين قبله إلى إيصالها للقارئ، والتي مَفادُها قُدرة الغَرب الاستِعماري عَلى صنع أو خلق الدُول الحَدِيثة أو بالأحرى قدرة بريطَانيا عَلى ذلك. يبدوا ذلك من خِلال ربطه لدولة فِلسطِين بالانتداب البريطاني وإثارته لفِكرَة الحدود متناسيا فِكرَة الوِحدَة العثمانيَّة. ليكون بذلك كغيره من المُستشرقين البريطانيين الذين سعوا إلى تجسيد فِكرَة قدرة بريطَانيا عَلى صنع الملوك والدُول الحَدِيثة.

بالعودة للسِياق التَّاريخي للقَضِيَّة، نجد أن مكانة سنجقية فِلسطِين في الفِكر اليَهودي قد تغيرت مع نِهاية القَرن التَّاسع عشر ومطلع القَرن العشرين. أين أضحت الأفكَار والجهود والمطامع اليَهودية حولها تبدوا جليا، بالتَحدِيد مع بُروز الحَركة الصُهيونِية[2] تحت رئاسة "**تيودور هرتزل Theodor Herzl**"[1] .[2]

---

[1] لويس، **الإسلام**...، المرجع السَّابق، ص ص268 -272.

[2] ورد في الموسوعات مَفَاهيم متنوعة عن الحَركة الصُهيونية فمنهم من قال أنَّها حَركة يهودية اصطلح عليها هذا الاسم نسبة لجبل صهيون في فِلسطِين قائمة عَلى أهدَاف سِياسيَّة، اقتِصادية ودينية هادفة إلى جمع اليَهود من مُختَلف مناطق العالم. ومنهم من عدها كيانا غَربيا مستقلا بذَاته متعاون مع الاستِعمار ومعول من معاوله وطريق أساسي بتحققه تتخلص أورُوبا من النفوذ اليَهودي فيها. في حين كان لإحدى الموسوعات نَظرة مُختَلفة تماما عن سَابقاتها فالصُهيونِية في نَظرها كَانت رؤية

كان للمُستشرقين البريطانيين نَظرة وآراء مُختَلفة عن الآراء السَّابقة الذِّكر فقد اختلف بَعض منهم حول تَحدِيد مفهوم شامل وبداية محددة للصهيونية، فعَلى سَبيلِ المِثال لا الحصر: يذكر المُستشرق والضَابِط البريطاني **"جون باجوت غلوب Sir John B, Glubb"** في كِتاباته أن الصُهيونِية حَركة يَعُودُ ظُهورُها في الأصلِ لرُوسيَا، بعدَ مُطالبَةِ يَهُودِها "الأشقنازيين" بالعَودَة لِجبلِ صهيون. رغم عدم معرفتهم لفِلسطِين -بالمَفهُوم الذي ظهر مع أواخر القَرن التَّاسع عشر.[3]

في حين كَانت في نَظر المُستشرق **"برنارد لويس Bernard Lewis"** حَركة قَومِيَّة يَهُودِيَّة ذَات اتجَاهَاتٍ وتَياراتٍ مُتبَاينَة دِينِيَّة مُتطَرِّفَة ومُعتدِلَة، مِثلُها مِثل بَاقي الحَركات

إمبريالية علمانية تعتبر كلا من فِلسطِين، الفرد الفِلسطِيني والفرد اليَهودي كأدوات ومواد مستعمَلة لتَحقيقِ أغراضها. فهي تهدف إلى التخلص من اليَهود دون إبادة أو قمع وباستخدام طرق ممنهجة بِسَبَبِ الرفض الغَربي لهم كونهم مفتعلوا مشاكل وعالة عَلى أورُوبا والغَرب. للمزيد أنظر: البرغوثي، طوطح، المرجع السَّابق، ص 230. أنظر أيضا: أنور الجندي، **الموسوعة العَربية...،** ج04، المرجع السابق، ص 429. أنظر أيضا: المسيري، **موسوعة اليَهود واليَهودية والصهيونية**، ج08، ط01، دار الشروق، القاهرة، مِصر، 1999م، ص 44.

[1] **هرتزل تيودورHerzl Theodor (1860 -1940م)**: ناشط سياسي، محام، صحفي، كاتب من أصول نمساوية مجرية يهودية، ومؤسس للحَركة الصهيونية والأب الروحي لها. دارس للقانون ومتحصل عَلى درجة الدكتوراه به عام 1884م. ألف كِتاب "دولة اليَهود l'état des Juifs" الذي عرض فيه فكرته القائمة عَلى تهجير اليَهود نَحو فِلسطِين ونظر لها. ولتحقيق ذلك توجه نَحو عقد مؤتمر الصهيونية الأول عام 1897م، واقترح تأسِيسِ شركة يهودية لتمويل شراء الأرضي الفِلسطِينية والإشراف عليها، والحصول عَلى دعم الدُول الأوروبية لمشروعهم. للمزيد أنظر: مجدي كامل، **زعماء صهيون وثائق صور واعترافات**، مرا، طه عبد الرؤوف سعد، دار الكِتاب العَربي، ط01، سوريا، 2008م، ص ص11 -12. أنظر أيضا:
Herzl Theodore, **De l'idée à l'organisation « l'état des Juifs »**, pp05- 06.

[2] البرغوثي، طوطح، المرجع السَّابق، ص 230. أنظر أيضا: سليمان ناجي، **اليَهود عبر التَّاريخ**، تق، سهيل زكار، ط01، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق -سوريا، 2007م، ص ص193 -194. أنظر أيضا: رشيد رضا: **ثورة فِلسطِين أسبابها ونتائجها -1 -**، م30، ج05، (جمادى الأولى 1348هـ/ نوفمبر 1929م)، ص 389.

[3] جون باجوت غلوب، **حياتي في المشرق العَربي**، تر، جورج متر، فؤاد فياض، ط01، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، 2005م، ص215. أنظر أيضا: غلوب باشا، **مذكرات غلوب باشا 1897 -1983م**، تر، سليم طه التكريتي، ط01، الفجر للنشر والتوزيع، بغداد، 1988م، ص 206.

القَومِيَّة التي بَرزَت في أورُوبا خِلال القَرن التَّاسِع عشر. نَادت بالأرضِ المُقدَّسَة وأَرضِ صهيون وانتَشَرت في مُختَلَفِ مَناطِق العَالم، نَاهيك عن أنَّها تَختَلِفُ في نَظرِه عن بَاقِي الحَركات القَومِيَّة العُنصُرِيَّة باعتِبَارِها قَامَت عَلى أَساسٍ دِينِي لا جِنسِي. وباعتِبَارِها كذلِك إيديُولُوجِيَّة سِياسيَّة يُمكِنُ لِغيرِ اليَهُودِ تَأييدُها أو رَفضُها كمَا اليَهود. فَضلاً عن ذلك، وضَّحَ هَذا الأَخِير وادَّعَى أنَّ هَذِه الأَخِيرَة قَد هَدفت إلى إحيَاءِ أَمرَين كَانَا في نَظرِهِ مُقدَّسَين، هُمَا عَلى التَّوَالِي إقَامَة وَطن قَومِي لليَهُود في فِلسطِين، وإحيَاء اللُّغَة العِبرِيَّة. [1]

ولعل الملاحظ هُنا من رأي هذا الأَخير أنه يحاول جاهدا إيجاد الشرعية والأحقية للأفعال الصُهيونِية اليَهودية في فِلسطِين من خِلال ربطه لهذه الحَركة بفِكرَة القومية. ومن باب المقارنة بين رأي هذا المُستشرق وآراء بَعض من المُفكرِين الصهيونيين نجد نوعا من التطابق بين أفكارهم. وكمثال عَلى هذا بيَّنَ أحد المفكرين التابعين لهذه الحَركة في كِتاباته ما جَاءت به هذه الأَخيرة من أفكار ومَفَاهيم تخصها، عَلى غِرار الفِكرة العاكسة لما سمي بالقومية اليَهودية فذكر: {أنَّهُ لَيسَ مِنَ الضَّرُورِي أن يُؤمِنَ الفَردُ بالدِّينِ اليَهُودِي وتَعَالِيمِه حَتَى يَضحَى يَهُودِياً وجُزءا مِن اليَهُود}.[2] وهو ذَات الأمر الذي ذكره المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" آنفا وعكسته كِتاباته. لِذلِك بناء عَلى هذا يُمكن أن نقول هُنا: أن هذا التشابه والتطابق في الأفكَار بين كلا الشخصيتين ينم عن محاولات الشَّخصِية الأَخيرة -المُستشرق- الجادة لعكس أفكار الحَركة في كِتاباته وكذا عن ارتباطه بها.

[1] Bernard Lewis, **The Anti-Zionist Resolution**, Foreign Affairs, V 55, iss 01, 01 oct 1976, p 55.

[2] محمد ربيع، **أزمة الفكر الصهيوني**، المؤسسة العَربية للدراسات والنشر، ط02، بيروت -لبنان، 1979م، ص 161.

Jacob Kiatzkin, **Boundaries: Judaism is Nationalism (1914- 21)**, The Zionist Ideas, The Jewish Publication Society, Philadelphia, p 317.

Gil Troy, **The Zionist Ideas: Visions for the Jewish Homeland- Then**, Now, Tomorrow, The Jewish Publication Society, Philadelphia, 2018, p 317.

في حين نجد أن المُستشرق **"جون باجوت غلوب Sir John B, Glubb"** لا يعتبر الصُهيونِية حَركة قَومِيَّة، مستندا في تَأكيدِ رَأيه إلى الفِكرة القائِلَة بأن ما سمي بالشعب اليَهودي لم يكن منحدرا من فروع عرقية متعددة بل من تأثير وتوجه ديني مفرد.[1]

توجه أحد البَاحثين العَرب في ميدان القَضِيَّة الفِلسطِينية والفِكر الصهيوني نَحو إبراز الأفكَار التي تذيعها هذه الحَركة بين الشعوب كمحاولة لكسبها التأييد والشرعية، عَلى غِرار الفِكرة السَّابقة الطَّرح الجاعلة من الحَركة الصُهيونِية حَركة قومية، أو كتِلكَ التي تربطها بالثَورَات العالمية السَّاعِية لتَحرِير الفرد واستقلال الدُول رَغبَة في إدراجها ضمن سِياق الثَورَات وكسب الشرعية لما تقوم به، فَضلاً عن محاولاتها الجادة لإكسَاب اليَهود الطابع القومي رغم عدم توفر المقومات الشعبوية والقومية فيه.[2]

مواصلة في حديثنا عن حيثيات هذه القَضِيَّة وموقف الطرف الاستشراقي البريطاني منها، وحَسبَ ما أملته كتب التَّاريخ استغلت الحَركة الصُهيونِية عددا من الذرائع والأَسبَاب للتوجه إلى فِلسطِين والسَّيطرة عليها وكذا تهجير اليَهود لها. عَلى غِرار المذابح والاعتداءات التي نظمت في الغَرب ضد اليَهود بِسَببِ تعصبهم الدِّيني أو لكونهم أشخَاصا مستهلكين لا منتجين، بالإِضافَة لاحتكارهم للتجارة وربطهم لأصولهم القومية والدِّينية بفِلسطِين. أو كتِلكَ الاضطهادات التي وجهت لغيرهم وراح جراءها عدد منهم، عَلى غِرار تِلكَ التي حدثت في روسيا أواخر القَرن التَّاسع عشر، بالضَّبط ما بين سنتي 1881م و1882م والتي قوت ودعمت فِكرَة السَّيطرة عَلى فِلسطِين. فَضلاً عن الأوضاع المتدهورة التي شَهِدتها الدولة العثمانيَّة خِلال تِلكَ الفَترة والتي استغلها اليَهود وقاموا بالهجرة للمَنطِقة، من سوء تنظيم وفُقدان للنزاهة في الوسط

[1] جون باجوت غلوب، **حياتي**...، المرجع السَّابق، ص 216. أنظر أيضا:

John Bagot Glubb, **The Changing Scenes of Life An Autobiography**, 01 Pub, Quartet Books, London , 1983, p 138.

[2] ربيع، المرجع السَّابق، ص ص82 -83.

الإداري، وتدخل أجنبي في شؤونها الداخلية كان قد بَرزَ جراء ازدياد ديونها، فَضلاً عن تدخل القناصل في شؤون فِلسطِين والذي عد بمثابة العامل الميسر للولوج اليَهودي للمَنطِقة.[1]

وقد أيد هذا الطَّرح بَعض من المُستشرقين البريطانيين بل وتوجهوا إلى تعداد أسباب أخرى لتوجه اليَهود نَحوها، فذكر **"جون باجوت غلوب Sir John B , Glubb "** بالإِضافَة للسبب المعروف بالعودة لجبل صهيون، مؤتمر الصُهيونِية الأول المنعقد في مدينة بال السويسرية عام 1897م في طليعة الأَسبَاب، تلاه في ذلك وعد بلفور[2] الذي تحصلت عليه هذه الأخيرة من بريطَانيا متخذا بذلك ذريعة أصل اليَهود الغَربيين العائد إلى مِصر، شمال إفريقيا وأورُوبا

---

[1] صبري جريس، **تَاريخ الصهيونية**، ج01، ط02، مركز الأَبحَاث منظمة التحرير الفِلسطِينية، بيروت، لبنان، 1981م، ص ص79 -80، 106 -107. أنظر أيضا: عمر صالح البرغوثي، خليل طوطح، المرجع السَّابق، ص 231. أنظر أيضا: سليمان ناجي، المرجع السَّابق، ص ص193 -194.

[2] **وعد بلفور**: هو وعد أصدر بِسَببِ مراسلة بين آرثر جيمس بلفور ورئيس مجلس إدارة المنظمة الصهيونية البريطَانية "حاييم وايزمان" في الثاني من شهر نوفمبر لعام 1917م، وبدافع ورغبة بريطانية تمثلت في نيل الدعم اليَهودي من جهة وتقويض الجهود الألمانية في الحرب. نص عَلى أن الحُكومة البريطَانية ستبذل جهدها في سبيل تأسِيسِ وطن قومي لليهود في فِلسطِين شريطة عدم المساس بحقوق الشعب الفِلسطِيني أو ممارسة أي شيء ينتقص من هذه الحقوق. تجدر الإشارة هنا أن هذا الوعد قد صاغه شخص يعرف بـ "وايت هول Whitehall" وكان من بين أكثر النصوص المعقدة والمثير للجدل، فقد سعى من خلاله إلى تجريده من أي نصوص قانونية أو سياسية محددة وجعله مجرد بيان، وقبل اصداره سعت الحكومة البريطانية إلى إطلاع أمريكا بالأمر والحصول على مباركتها بحكم أنها لم تدخل بعد في حرب رسمية مع الدولة العثمانية، لذلك بعد أن اطلع الرئيس الأمريكي ويلسون عليه شعر بالارتياح ووافق على الصيغة التي طرح بها كونه بيان للمبادئ فقط في ظل عدم رغبته في توريط أمريكا وتبيانه بصيغة صراع ثلاثي شامل للعثمانيين، العرب واليهود. بعد حصول بريطانيا على الموافقة الأمريكية كشف بلفور في نوفمبر من عام 1917م على السياسة البريطانية الجديدة تجاه فلسطين، لذلك وفي الاجتماع المنعقد في فرساي وجد الرئيس الأمريكي ويلسون صعوبة في ترجمة النص من بيان أو مبدأ إلى ممارسة سياسية ولكنه مع ذلك أكد التزامه به. للمزيد أنظر: كريستيان أولريخسن، **الحرب العالمية الأولى في الشرق الأوسط**، تر، طارق عليان، ط01، جروس برس ناشرون، لبنان، 2016م، ص ص261 -262. أنظر أيضا:

Douglas Little, Op cit , p 16.

الغَربية. فَضلاً عن اضطهاد **"أدولف هتلر Adolf Hitler"**[1] لليهود الذي كان حَسبَ ذكر هذا المُستشرق أداة ووسيلة بيد كل من الماسونية[2] والصُهيونية وسببا مباشرا دفع بالصُهيونِية للتعجيل في السَّيطرة عَلى فِلسطِين وجعلها وطنا لليهود ومقرا للصهيونية العالمية.[3]

وكشرحٍ للفِكرَة الأَخيرة توجه أحد البَاحثين العَرب الدَّارِسين لِهَذا المَوضُوع نَحو القَول بأن الصُهيونِية تعاونت مع النازية لإنجاح فِكرَة توطين اليَهود في فِلسطِين وإخراجهم جَمِيعا من أورُوبا. مع تَسخِير كافة الإمكانيات السِياسيَّة والمادية منها والجهود الألمانية النازية في ذلك. والتي كَانت الاضطهادات التي نفذها **"أدولف هتلر Adolf Hitler"** في حق اليَهود واحدة من بينها، لتستغل الحَركة الصُهيونِية هذا الأمر لكسب تأييد وتعاطف الرأي العام معهم، ولأخذ تعويضات مادية وأسلحة حديثة كرد عَلى ما جرى لليهود.[4]

بالعودة للسِياق التَّاريخي للأحدَاث، وإلى جَانب كل الأحدَاث السَّابقة الذِّكر والملازمة للتخطيط توجَّهَ قادة اليَهود ومفكرو الصُهيونِية نَحو السُّلطَان "عبد الحميد الثاني" لشراء

---

[1] **أدولف هتلرAdolf Hitler (1889 -1945م):** رئيس دولة وزعيم ألماني، انضم إلى الجيش الألماني خلال الحرب العالمية الأولى، واشترك بعد نهايتها في حزب العمال الألماني ثم ما لبث أن اضحى رئيسا له، وقام بتغيير اسمه إلى الحزب الاشتراكي الوطني للعمال ثم الحزب الاشتراكي الوطني. اشترك هتلر بعد أن ذاع صيته في الانتخابات الجمهورية لبلده فنال منافسه غالبية الأصوات لكنه تمكن بعد وفاته من أن يضحى رئيسا للحكومة والجمهورية عَلى حد سواء فنال بذلك لقب الزعيم. للمزيد أنظر: الكيالي، موسوعة...، المرجع السَّابق، ج07، ص 63

[2] **الماسونية**: ورد في الكتب والموسوعات أن الماسونية تعرف نفسها بأنها جمعيَّة فِكرية أو مؤسسة تتخطى الحدود والحواجز الدِّينية السِياسيَّة والجغرافية، تأسست قبل ميلاد المسيح وهي تهدف إلى استقطاب أصحاب الأخلاق الحسنة الهادفين إلى تحسين شُروط البشرية المادية والمعنوية، انتشرت بادئ الأمر في بريطَانيا ثم فِرنسا ومُختَلف الأقطار الأوروبية. تنشط من خلال المحافل وتسعَى إلى نبذ الأفكار التقليدية القديمة للوصول إلى ما أسمته بالنور. للمزيد أنظر: الكيالي، **موسوعة**...، المرجع السَّابق، ج05، ص ص657 -660.

[3] غلوب، **حياتي**، المرجع السَّابق، ص 216. أنظر أيضا: غلوب، **مذكرات غلوب**، المرجع السَّابق، ص 206.

[4] غازي حسين، **الاستيطان اليَهودي في فِلسطِين من الاستعمار إلى الإمبريالية**، د.ط، منشورات اتحاد الكِتاب العَرب، دمشق، 2003م، ص 20.

بَعض من الأراضي الفِلسطِينية لتوطين اليَهود فيها لكن طلبهم هذا قوبل بالرفض. فتوجهوا نحو تهجير اليهود عن طريق جمع المنفيين، مستغلين في ذلك عددا من الطرق والأسباب كالعلاقات الأوروبية والوضع المزري للدولة العثمانية فضلا عن شراء الذمم.[1]

ولصد تلك الهجرات ومواجهتها أمر السلطان بتغيير متصرف القدس بآخر عثماني مع ربطها بالسُلطَة المركزية بشكل مباشر، كما سمح لليهود بدُخول المَنطِقة للحج فقط وشريطة حمل جواز سفر يوضح عقيدتهم والحصول عَلى موافقة القنصل العُثماني المعين في بلده، ومقابل مبلغ مالي يدفع للدَّولة العثمانيَّة وتعهدٍ يُمضى قَاضٍ بمغادرة المَنطِقة فور انتهاء الحج. لكن مع ذلك كله لم تنجح هذه الجهود في صدهم بِسَببِ تعاون الشَّخصِيات المكلفة بمراقبة دُخولهم للمَنطِقة مع القناصل الأجَانب وسماحهم بدُخول أعداد منهم دون تسجيل أسمائهم. لكنها رغم ذلك قلصت من نسب شراء الأراضي فيها لتتوقف فعليا بعد قِيام الدولة بتأسيس لجنة خَاصة بمراقبة ملكية الأراضي في القدس مع نِهاية القَرن التَّاسع عشر.[2]

تغير الوَضع خِلال الربع الأول من القَرن العشرين بِسَببِ ما آلت إليه الأمور بعد نِهاية الحَرب العالمية الأولى، من وقوع للمناطق العَربية تحت السيطرتين الفِرنسية والبريطَانية فَضلاً

---

[1] حسان حلاق، **دَور اليَهود والقوى الدُولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني (1908 -1909م)**، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص 07. أنظر أيضا: أحمد نوري النعيمي، **اليَهود والدَّولَة العُثمانية**، ط01، دار البشير، عمان - الأردن، 1997م، ص ص139 -147. أنظر أيضا: عطا محمد صالح زهرة، "**حول هجرة يهود الفلاشا إلى فِلسطِين المحتلة**"، المستقبل العَربي، ع75، بيروت، لبنان، ماي 1985م، ص ص23 -24. أنظر أيضا: رشيد رضا، **ثورة فِلسطِين أسبابها ونتائجها -2 -**، م30، ج06، (30 جمادى الآخرة 1348م/ 01 ديسمبر 1929م)، ص ص450 -456. أنظر أيضا: رفيق شاكر النتشة، **السلطان عبد الحميد الثاني وفِلسطِين**، ط03، المؤسسة العَربية، بيروت -لبنان، 1991م، ص ص176 -186.

N. J. Mandel, **Turks Arabs and Jewish Immigration into Palestine (1882- 1914)**, A Thesis Submitted for The degree of Doctor Of Philosophy, Oxford University, PP80 , 84.

[2] N. J. Mandel, Ibid, pp82, 100 .

أنظر أيضا: محمد عبد الواحد محمود، مواهب عدنان أحمد، "**موقف السلطان عبد الحميد الثاني من الحَركة الصهيونية ثوابت مبدئية في عصر ضعف مؤسسات الدَّولَة العُثمانية**"، مجلة جامعة تكريت للعلوم، م18، ع08، العراق، سبتمبر 2011م، ص 175.

عن "سايكس بيكو"[1] و"وعد بلفور" اللتان تحصل عليهما اليَهود من هاتين الدولتين، واللتان بمُوجَبهما سَهُلت السَّيطرة اليَهودية عَلى فِلسطِين وهُجرت أعداد كبرى منهم نَحوها، فَضلاً عن نيلهم للدعم المادي والمالي ليتم احتلال القدس عام 1917م، وتلاها الاحتِلال الكامل لفِلسطِين عام 1918م ومن ثم الاعتراف الرسمي الذي تقرر بعقد مؤتمر "سان ريموا1920"[2]. [3]

وقد أيد هذا الطَّرح المُستشرق والضَابط **"جون باجوت غلوب Sir John B, Glubb"** حين ذَهبَ بالقَول أنَّ نَجاحَ اليَهُود في السَّيطَرَة عَلى فِلسطِين مَردُّه لسِياسَة بريطَانيا في المَنطِقة، فَهِي التِّي سَنَّت وَعد بلفُور، وهي التي سَهَّلَت الهجرَة اليَهُودِيَّة لفِلسطِين، وهي التي بسيَاسَتِها القَائِمَة عَلى قَتلِ المُوظَّفِين والجُنُود البريطانِيين بحُجَّة الإرهَاب تَركَت مُؤسَّسَاتِها في المَنطِقَة للمُنَظَّمَاتِ اليَهُودِيَّة تَعجِيلا بإِقَامَة كَيانِهم. غير أنَّ هَذا الأمر لَم يَكُن بالأمرِ الكَافي لليَهُود، فحَسبَ ما أملته كِتابات هذا المُستشرق اِتَّهَم اليَهُودُ بريطَانيا بأنَّهَا دَولةٌ استِعمَارِيَّة قَامَت باحتِلالِ دَولَتِهم المُسمَّاة –بإسرَائِيل -.[4]

---

[1] **سايكس بيكو**: هي اتفاقية تم عقدها بشكل سري بين كل من بريطَانيا وفِرنسا في السادس عشر ماي عام 1916م، وقد سميت نسبة لممثلي الدُولتين "مارك سايس" و"جورج بيكو"، وعقدت بعد إجراء مفاوضات عديدة بين الطرفين وبينهما وبين روسيا. لتأخذ صفة أكثر رَسمِية غيرت فيها التسمية من اتفاقية سايس بيكو إلى اتفاقية سازونوف – باليولوغ، وأدرجت ضمن مايعرف بالتسوية العامة بين روسيا، فِرنسا وبريطَانيا. وللعلم ضمت هذه الإتفاقية في طياتها بنودا عديدة نصت عَلى اقتسام أطرافها الثلاثة مناطق وإيالات الدَّولَة العُثمانية. فضلا عن أنها ظلت سرية ولم يتم إعلام الشريف حسين بها. للمزيد أنظر: الديراوي، **الحرب العالمية الأولى**، ط16، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1999م، ص ص427 -428.

[2] **سان ريموا**: هو مؤتمر حمل اسم المدينة الإيطالية التي عقد بها عام 1920م، عقده الحلفاء المنتصرون في الحرب العالمية الأولى واليابان بهدف البَحث حول مصير الدَّولَة العُثمانية وتقاسم المشرق العَربي وفق الخطط المرسومة، وكذا بهدف إضفاء الشرعية عَلى هذا التقسيم من جهة وعَلى وعد بلفور وماجَاء به من جهة أخرى. تقرر فيه عقد معاهدة صلح مع تركيا "سيفر"، اقتسام نفط العراق، وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفِرنسي، وفِلسطِين والعراق تحت الانتداب البريطاني. للمزيد أنظر: الكيالي، **موسوعة**...، ج03، المرجع السَّابق، ص 107.

[3] أنظر أيضا: محمد كرد علي، **خطط الشام**، ج03، ط02، مكتبة النوري، دمشق، 1983م، ص 214.

[4] غلوب، **حياتي**..، المرجع السَّابق، ص ص216 -217.

عَلى النَّقيضِ من ذلك، نَفَى هَذَا الطَّرح المُستَشرِق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" في كِتاباته فالنَّجَاح في السَّيطَرَة عَلى فِلسطِين كانَ يَهُودِياً خَالِصاً في نَظَرِه، لَم يتلق فِيه اليَهُود دَعماً ومُسَاعدَةً مِن الدُولِ العُظمَى مُنكِراً بِذلِك جُهُودَ بريطَانيا في هَذا المَجَال، وسَاخِراً كذلِك من العَرب في قَضِيَّة الانتِصَار.[1]

بناء عَلى هذا، وفيما يخص قَضِيَّة نقد الكتابات الاستشراقية البريطَانية فالبَاحث "**مَازن بن صَلاح المطبقاني**" قد قام بنقد كِتابات المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" في قَضِيَّة اليَهود والقَضِيَّة الفِلسطِينية، فَذَكَر أنَّ هَذا الأَخِير قَد تَبنى فِكرَ الصُهيونِية ومَبَادِئِها مُنذ بِدَايَاتِه الأولَى لَكِنَّهُ تمكن مِن إِخفَاء هَذا الأَمر، ومَع ذَلِك ظَهرَ خِلال حَدِيثِه عَن هَذِه القَضِيَّة. نَاهِيك عَن ذَلِك فَهذا المُستَشرِق اِبتَعَدَ في طَرحِهِ لِهذِه القَضِيَّة عن الحَقَائِق التَّارِيخِيَّة الصَحِيحَة وقَام بالاعتماد عَلى مَنهَجِ الإسقَاطِ الغَربِي المُعتَمَدِ مِن جُلِّ المُستَشرِقين المُجحِفِين للتَارِيخَينِ العَربي والإسلامي، وعَلى المَنهَجِ الانتِقَائِي مِن خِلال انتِقَاءِ الأحدَاثِ المُلائِمَة لِمَا يَصبُوا إِليهِ فابتَعَدَ بِذلِكَ عَن المَنهَجية العِلمية الصَحِيحَة، وعَن مَبادِئ البَاحِثِين والمُؤرخِين وكَان في نِهَايَة المَطافِ وحَسبَ ذِكرِ هَذا البَاحِثِ كَاتِباً سِيَاسِياً لا مُؤرِّخاً. [2]

ولعل أقوال هاذين المُستشرقين المُتَضارِبَة تضعُ البَاحث أمامَ تحدٍ صَعبٍ لتَحدِيد مَواقِفِهِم من هذه القَضِيَّة. فهذا المُستشرق "**جون باجوت غلوب Sir John B, Glubb**" توجه خِلال عرضه لهذه القَضِيَّة بالحَدِيث عَنِ الإسرَائِيليين وقَد طَالَتهُم مِنهُ شَتَائِمُ وأوصَافٌ حَادَّة فَتارَةً هُم القَبائِلُ السَّاذِجَة الجَاهِلَة، وتَارةً تَنقُصُهم الحِكمَة، وتَارةً يُحاوِلُ تَحلِيلَ مواقِفِ اليَهُودِ

[1] المطبقاني، **الاستشراق الاتجاهات**...، المرجع السَّابق، ص 358.

[2] نفسه، ص 351.

وأعمَالَهُم وتَقديمِ الطرُقِ الصَحِيحَة التي كَانَ واجِباً عَليهِم اِتبَاعُها حَسبَ رَأيه. وتَارةً يُحاوِلُ عَرضَ أَعمَالِه وجُهُودِه حَولَ هذِه القَضِيَّة وما قَامَ به في سَبيلِ تَحريرِ فِلسطِين.[1]

وتارة تعكس أفكاره نوعا من السُخرِية من العَرب خَاصة في محاولاته تِبيان قُدرَةِ الشَّعبِ البَدَوي الجَاهِلِ السَّاذِجِ حَسبَ ذِكرِه والمُتمثِّلِ في القَبائِل الإسرَائِيلية الأُولى بِفرضِ السَّيطَرَةِ عَلى شَعبٍ مُتحضِّر. وهو ذَات الأمر الذي عكسته كِتابات المُستشرق **"برنارد لويس Bernard Lewis"** فقد سخِرَ من العَرب بعد سيطرة اليَهود عَلى فِلسطِين، فَضلاً عن أنَّهُ عَرضَ أفكَارِه بِشكلٍ يُوافِقُ مَساعِي الحَركة الصُهيونِية.

03 سقوط الدولة العثمانيَّة

بعد الهزيمة التي طالت الدولة العثمانيَّة عقب الحرب العظمى، وبِسَببِ ما آلت إليه الأمور وما ترتبت عنه من تبعات ونَتائِج، من معاهدات ألزمت الدولة العثمانيَّة بتطبيقها ومبالغ مالية بتسديدها، واحتلال أوروبي لها شرع العُثمانيون في مقاومته بالقُوة والسلاح في جبهات متعددة وحِدت تحت قيادة "مصطفى كمال" وبأوامر من السُّلطَان "وحيد الدِّين". [2]

---

[1] بالإطلاع عَلى كِتابات هذا المُستشرق نجد فيها تضاربا في الأقوال، فتارة يبين موقفه المتضامن مع العَرب ومساعيه لتحرير فِلسطِين، وتارة أخرى يقدم النصح والإرشاد والتوجيه لليهود والذي يبدوا جليا من خلال تحليله لماقاموا به في سبيل إنجاح خطتهم منذ توجههم نَحو السلطان حتى فرض السَّيطرة عَلى المَنطِقَة، ليتوجه نَحو إعطائهم طرقا أكثر نجاحا من سابقاتها قائمة عَلى إبقاء العَرب في فِلسطِين وإبقاء الشَّخصيات الحاكمة في مناصبها وإظهار صداقتهم لهم وإعتبار أنفسهم رعايا للعَرَب مقابل سيطرتهم عَلى ثروات المَنطِقَة ومجالي التجارة والمال الخاصين بها. لتتوسع هذه السَّيطرة لتشمل العراق ثم الجزيرة العَربية وهذا استِناداً إلى النجاح الذي حققه اليَهود في هذا المَجال. الأمر الذي يُمكنهم من السَّيطرة عَلى الشرق الأوسط كله، لكنهم توجهوا بدل ذلك نَحو السَّيطرة باستخدام القُوة بِسَببِ النقص الذي فيهم والإضطهاد الذي عانوا منه. ولعل هذا الطَّرح المقتضب الذي قدمه هذا المُستشرق يضعه في ذَات المرتبة مع المُستشرق "برنارد لويس Bernard Lewis". للمزيد أنظر: غلوب، **مذكرات...**، المرجع السَّابق، ص 212.

[2] رضا نور، **أتاتورك ورفاقه ونهاية العُثمانيين**، تح، أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، ط01، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مِصر، 2020م، ص 156. أنظر أيضا: جمال عبد الهادي محمد مسعود وآخرون، **أخطاء يجب أن تصحح في**

بالعودة لكِتابات المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية رَأَى المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" أن العُثمانيين وخِلال حرب الاستِقلال الممتدة من عام 1919م ولِغَاية 1922م حاربوا من أجل الإسلام لا من أجل الدولة العثمانيَّة التي سماها باسمها الحَدِيث - تُركيا - ضد عدوها الأجنبي. فكَانت في نَظره النصر الأول والكَبير الذي تحقق عَلى مدى قرون، ومكن الشعب من استعادة حياته في قلب الأناضول وبالأحرى بدء حياة جديدة كدولة تركية قومية بعيدة عن **العنصرية**، لا كدولة أو كما ذكر هو كإمبراطورية مترامية الأطراف.[1] ولعل نَظرته الإيجابية لهذا الأمر مردها لما ترتب عن هذه الحَرب من سقوط للخِلافة وللدَّولة العثمانيَّة وانفصال الوِلايات العَربية عنها وقِيام الجمهورية التركية والذي كان هدفا يصبوا إليه الغَرب منذ أمد بعيد وإلا لما رأينا هذا التأييد في كِتاباته.

في خضم هذه السنوات؛ سَعَى "مصطفى كمال أتاتورك" بسياساته المُختَلفة للوصول إلى الحُكم والسَّيطرة عَلى زمام الأمور فاستقر بأنقرة ثم شرع بعد أن استتبت أموره فيها بالتبَاحث مع رفاقه حول طَريقَة تشكيل الحُكومة الجديدة والاسم الذي سيطلق عليها وعَلى الدولة، وتم الاتفاق عَلى اسم "تُركيا" كونه ذو عَلاقَة بجماعتهم المعروفة بالأتراك. كما استحدث وزارات للصحة والاقتصاد واقترح كذلِك فصل الدِّين عن الدولة وتغيير الألفاظ المستخدمة في الحُكومة وتتريك مُختَلف المسميات والمُصطلحات العَربية، فَضلاً عن أنه أصدر أوامره بتأسيس برلمان جديد عقب غلق برلمان العاصمة.[2]

التَاريخ - الدَّولَة العُثمانية، ج02، ط01، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مِصر، 1995م، ص68. أنظر أيضا: إسماعيل نوري، "**دَور المرأة في حرب الاستقلال التركية (1919 -1922) خالدة أديب أنموذجا**"، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مج03، ع02، العراق، 2008م، ص ص97 -99.

[1] لويس، **الإسلام في التَاريخ**، تر، مدحت باشا، مرا وتق، أحمد كمال أبو المجد، ط01، دار آفاق، القاهرة -مصر، 2018م، ص ص350، 356.

[2] رضا نور، المصدر السَّابق، ص ص165، 200 -202

قبل مواصلة الحَدِيث عن السِياق التَّاريخي لهذه القَضِيَّة وجب الإشارة إلى فِكرَة مهمة هُنا، فبما أن الحَدِيث يدَور حول شخصية **"مصطفى كمال أتاتورك"** يدرك الدارس للكِتابات الاستشراقية البريطَانية حول هذا المَوضُوع ويعي جَمِيع أفكار المُستشرقين المتناقضة. فعَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر: نالت شخصية **"مصطفى كمال أتاتورك"** أوصافا عَدِيدة في كِتابات المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**"، فقد جُسد بكونه الشخص الجدي، المخطِط، صاحب الإنجازات العظيمة، بطل الدولة العثمانيَّة، القائد المنتظَر والوحيد الباقي للذود عن هذه الدولة وفي ذَات الوَقت هو السكير، القاسي، البغي و**الديكتاتوري**.[1]

بالنَظر لآخر صفة في هذا الحَدِيث توجه ذَات المُستشرق إلى القَول بأن "كمال أتاتورك" كان شخصا جديرا بحمل صفة الديكتاتورية، غير أنها لم تزده إلا مقاما ورفعة في نَظره. ولو قمنا بإجراء مقارنة حول هذه الصفة التي لازمت كلا من السُّلطَان **"عبد الحميد الثاني"** و**"مصطفى كمال أتاتورك"** في كِتابات "**برنارد لويس Bernard Lewis**" لوجدنا أنها قد جسدت وعكست نوعا من الإيجابية عَلى الشَّخصِية الأَخيرة، بعد أن أكَّد أن كل أعمال القَمع، القسوة، الاستبداد وفرض السَّيطرة التي قام بها هذا الأَخير لم تكن في نَظره إلا في سَبيلِ إقامة دولة وجمهورية حديثة وحمايتها في ذَات الوَقت. في حين كَانت صفة منفرة للأول، فهي لا تعكس رغبته في حماية دولته ولا النهوض بها.

نَاهيك عن أنَّ "**برنارد لويس Bernard Lewis**" قد أثار في كِتاباته فِكرَة جديرة بالبَحث والتشكيك فقد أكَّد أن "مصطفى كمال" ومساعيه المُختَلفة والمبذولة في سَبيلِ حماية دولته كان مخطَطا لها غير أنه لم يذكر من خطط لهذا الأمر؟ كيف؟ مع من؟ ولِمَ؟.[2]

---

[1] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص ص298، 300، 302، 348 -349.

[2] رغم ماقام به مصطفى كمال أتاتورك في سبيل تخليص دولته من براثن الاحتِلال إلا أن هذا الأمر لا ينف حَسبَ ما أملته كتب التَّاريخ العُثماني ما قام به في سبيل هزيمتها في الحرب لصالح بريطَانيا ولا اتفاقه معهم، فقد كان سببا في هزيمة الدَّولَة العُثمانية في حربها ضد البلقان التي جرت قبيل الحرب العالمية بالضبط عام 1912م، وضحى بالحجاز حفاظا عَلى

بالعودة للسِياق التَّاريخي للقَضيَّة دفعت مساعي وسِياسَة "مصطفى كمال" شيخ الإسلام إلى اعتباره خارجا عن السُّلطَان والسُلطَة وجُمِعت لأجل إعدامه ورفاقه الجيوش وتقرر ذلك. وكرد فعل من "مصطفى كمال" دخلت حكومته في صراع وحرب مع حكومة استنبول، وقرر في خضم ذلك الحصول عَلى تأييد روسيا ودعم مالي وعسكري منها بعد أن أرسل إليها وفدا دبلوماسيا لإتمام ذلك لكنه لم يتمكن من الحصول عليه بِسَببِ الشَّرط الذي وضعته والمتمثل في منح الأرمن بَعضا من الأراضي العثمانيَّة. وفي ظل استَمرار الحَرب بين الحكومتين وسأم الشعب وبَعض رفاقه منه وكرههم للأعمال التي قام بها حاولوا الإطاحة به دون إحداث لأي فتنة أو حرب أخرى واختير لِذلِك فَترة نِهاية الصِّراع بينهما لكنه لم يتم.[1]

في سِياق هذا الحَدِيث يتساءل البَاحث عن موقف "مصطفى كمال" والحُكومة العثمانيَّة آنذاك من الاحتِلال الذي طال الأقطار العَربية وعن مدى رغبتهم في إعادتها للممتلكات العثمانيَّة من تركها وهو ما أجاب عليه "**برنارد لويس Bernard Lewis**" إذ ذكر أنه وبسيطرة العُثمانيين عَلى إزمير عام 1922م بيَّن أتاتورك عدم رغبته في فرض السَّيطرة عَلى الأقَالِيم العثمانيَّة الأولى وحمايتها، ولا عَلى التقدم نَحو "سالونيك" للسيطرة عليها هذا الذي عُد أمرا محبطا للشخصيات الراغبة في استعادتها. فكان بذلك "مصفى كمال" مُقاوما للإغراءات ومركزا لطاقته لخِدمَة وتَحقيقِ هدفه داخل وطنه.[2]

فِلسطِين رغم كونه عين قائدا للجيش العُثماني وكلف بتخليص الحجاز من بريطَانيا، نَاهيك عن اتفاقه مع الضابط البريطاني اللنبي وانسحابه من حرب سوريا فكان بسياسته تِلكَ سببا مباشرا لنصرة بريطَانيا وهزيمة الدَّولَة العُثمانية وحلفائها. للمزيد أنظر: ياسر قارئ، "**أتاتورك حقيقته والدَور الذي أداه**"، مجلة البيان، مج11، ع106، نوفمبر 1996م، ص 61.

[2] رضا نور، المصدر السَّابق، ص ص215 -219، 237 -238، 248. للمزيد أنظر: لويس، **ظهور**..، المرجع السابق، ص ص302، 320.

[1] رضا نور، المصدر السَّابق، ص ص215 -219، 237 -238، 248.

[2] لويس، **الإسلام في التَّاريخ**، المرجع السَّابق، ص ص353 -354.

مؤكدا في كِتاباته أنَّ فكر الشعب العُثماني وكذا فكر عدد من الشَّخصِيات العثمانيَّة القائم عَلى إِعادَة أمجاد الدولة العثمانيَّة ومساحتها الشاسعة قد اختلف مع فكر "مصطفى كمال" هذا الذي كان يوضح في خطاباته المتتالية أهدَافه ومساعيه، وكان بكلماته تِلكَ يُعد شعبه لفِكرَة الدولة التركية ويحاول نقلهم من الفِكر الإسلامي والعُثماني إلى الفِكر والولاء والهوية التركية الجديدة المقتصرة عَلى حدود الجمهورية وشعبها.[1]

قدر في نِهاية المطاف للحرب أن تنتهي لصالح حكومة أنقرة وتوجه أتاتورك بتفاوض ومشاورة مع رفاقه نَحو ضبط الأمور الخَاصة بالجمهورية. فغير العاصمة لأنقرة وعيَّن شخصيات جديدة في حكومته، ثم توجه نَحو إِلغَاء السَّلطَنة العثمانيَّة ومن ثم إِلغَاء الخِلافة[2] الذي تم بالتوازي مع إِلغَاء وزارة الشرعية، ليتم عقبها نفي السُّلطَان وعائلته.[3]

كما تمكن من إجراء عدد من الإصلاحات الشاملة والهادفة إلى القضاء على كل ما يمد للإسلام بصلة، فغير الأبجدية، منع تعليم اللغتين العربية والفارسية، منع لبس الحجاب والطربوش، قيد التعليم الديني ثم حظره، كما ألغى المدارس والمراكز الإسلامية الخاصة بالدراسات العليا وجعل محلها كلية اللاهوت بجامعة إستنبول وغيرها من الأعمال، بغية جعلها حسب ما أملته كتابات المستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" أكثر ملائمة لجمهورية ذات توجه غربي، ولكن مع ذلك كله ورغم كل الجهود المبذولة ظلت مظاهر الإسلام متواجدة في المجتمع التركي. [4]

---

[1] لويس، **الإسلام في التَّاريخ**، المرجع السَّابق، ص 353 -354.

[2] في قضية إلغاء الخلافة شاعت في الوسط العُثماني فِكرَة تلقي بعض من رفاق مصطفى كمال أتاتورك وهم رضا نور وعصمت إينونو مبلغا ماليا طائلا في لوزان مقابل إلغائها قدر بمليوني جنيه إنجليزي، وقد سَعَى السلطان رشاد فور سماعها إلى مراسلة الشخصيتين والتأكُّد من الخبر، وللعلم فقد نفى رضا نور في كِتابه حدوث هذا الأمر وبرر ذلك بعدم تواجده في أنقرة خلال إلغائها فضلا عن طرده من الحُكومة. للمزيد أنظر: رضا نور، المصدر السَّابق، ص ص244، 416.

[3] نفسه، ص ص261، 264، 402 -414

[4] Bernard Lewis, **Islamic Revivel In Turkey**, International Affairs, V 28, Iss 01, jan 1952, pp 39- 42.

تجدر الإشارة هنا أنَّ هذا المستشرق وفي غالبية قضاياه الخاصة بالشَّرق يَسعى إلى إجراء مُقارنة ولو بشكلٍ خفي بَين الفَرد المُسلم وغَير المُسلم، وذلك من خِلال الحَديثِ عن مَكانَتِهما في الدَّولة العُثمانية وفي الجُمهورية مِن بَعدها ومَدى تَمكُن كِليهِمَا مِن تَولي مَناصِب عُليَا في الدَّولة. [1]

كان من بين أبرز النَتائِج التي ترتبت عَلى الدولة العثمانيَّة عقب كل ما جرى تِلكَ المعاهدات التي قلصت من مساحة الدولة وسلطتها عَلى غِرار مُعاهَدة سيفر "10 أوت 1920م" التي وافق عليها السُّلطَان العُثماني "وحيد الدِّين" مرغما لما فيها من بنود مُجحِفة وغير مقبولة من طرفهم، نصت عَلى إقامة دولة جديدة مقتصرة عَلى العاصمة استنبول فقط مقابل الدولة المترامية الأطراف، وتنازل هذه الأَخيرة عن أحقيتها في الوِلايات العَربية وعن عدد من الوِلايات والمنَاطِق في تراقيا وتقليصها لعدد جندها. فَضلاً عن أنه وبمُوجَبها تقرر وضع مُختَلف مضائقها تحت الإشراف والسَّيطرة الدُولية، وللعلم فقد رفض الشعب العُثماني هذه المُعاهَدة وثار عَلى حكومة استنبول ووجه أنظاره صَوبَ حكومة أنقرة ولم يطل الأمر أكثر من هذا فقد تم عزل حكومة السُّلطَان "محمد السادس" ليُعلن هذا الأَخير استقالته ويتم نفيه لجَزِيرة مالطة وتعين السُّلطَان "عبد المجيد بن عبد العزيز"[2] بدلا عنه لإتمام أمر إلغَاء الخِلافة. [3]

لقد ترك عقد مُعاهَدة سيفر الدولة العثمانيَّة حَسبَ نَظر المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" مشوهة وعاجزة عن التقدم والمواصلة في ظل المعاناة التي عاشتها وانجرت عن سنين من الحروب. نَاهيك عن أنه ذَهبَ إلى مقارنتها بالمعاهدات التي فرضت عَلى حليفاتها

[1] Ibid.

[2] **السلطان عبد المجيد الثاني (1340 -1342هـ/ 1922 -1924م)**: هو ابن السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني آخر سلطان وخليفة عثماني، تولى الخلافة بعد إلغاء السلطنة وجرد من كافة السلطات السياسية. تم في عهده عقد مؤتمر لوزان بعد ثلاثة أيام من توليه الحكم، وإلغاء الخلافة والوزارات الملحقة بها كوزارة الأمور الشرعية ووزارة الأوقاف وغيرها. ليطرد من الدولة وينقل إلى مدينة نيس الفرنسية. للمزيد أنظر: المحامي، المرجع السابق، ص 718.

[3] محمد مسعود وآخرون، المرجع السَّابق، ص ص70 -71.

فكَانت في نَظره أكثر حِدَّة من تِلكَ التي فرضت عَلى ألمانيا، ومع ذلك قَوَّت من "مصطفى كمال" وموقعه وفسحت له المَجال للبُروز كشَخصِيَّةٍ وَطنِيَّة قوية رُغم الاشمِئزَاز الذي كان سَائِدا في الوَسط العثماني.[1] وهو ما جَرى بالفِعل جَرَّاء تَوقِيع السُّلطَان "وحيد الدِّين" لها.

ليتم عقبها عقد مُؤتَمر لُوزان الذي حَضرَهُ كمُمثلٍ عن الدولة العثمانيَّة وَفد أَنقرَة تَقرر فيه مَنح تُركيا استِقلالَها شَريطَة تَحقِيق أَربعةِ أُمور كَان أمرُ إِلغَاءِ الخِلافَة في طَلِيعَتها، إلى جَانب جَعلِها دَولةً عِلمَانِيَّة وطَردِ آل عُثمَان مِنهَا ومُصادَرةِ مُمتلَكاتِهم. ومِن بَاب التَّنبِيهِ وَردَ في الكِتَابَاتِ التَّاريخِيَّة أنَّ هَذا الوَفد قَد رَفضَ هذِه الشُروط رفضا قاطعا وعاد لبلاده ما عدا "مصطفى كمال" الذي جَسَّدَ هذِه الشُروط عَلى أرض الوَاقِع بحلِّهِ للجَمعِيَّة الوَطنِيَّة، تَشكِيل وِزارَة جَدِيدَة، إِقَامَة الجُمهُورِيَّة التُركِيَّة. ليُقَدِمَ عقبها مَرسُوماً رَسمِياً قَاضِياً بِإلغَاءِ الخِلافَة وطَردِ السُّلطَان أو الخَليفَة. وقد وَقَّعَ وَزِيرُ خَارِجِيَّتِه آنَذاك عَلى هَذا الأمر في مُؤتَمر لُوزَان وتَمَّ الاعتراف بِاستِقلالِ تُركيا.[2]

كَانت مُعاهَدة لُوزَان مُختَلِفَة عن سَابِقَتِها فقد وَضَّحَ المُستَشرِق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" في كِتاباته أنَّهَا أَفضَلُ مِن سَابِقَتِها، حَظِيت بها تُركيا عَلى اعتِرافٍ دُولِي عَلى جَمِيع المَطالِب التي أَقرَّهَا المِيثَاق الوَطنِي التُركِي، ومَنحَتهَا الفُرصَة في إِرسَاءِ سِيادَتِهَا والمُحافَظة عَليهَا بِشكلٍ كَامِل غَيرَ مُجزأ شَامِلٍ للأَرَاضِي العثمانيَّة الأولى، نَاهِيكَ عَن أنَّها قَضَت حَسبَ ذِكرِه عَلى رَمزٍ مِن رُموزِ التَّبَعِيَّة والدُونِيَّة المُسَاهِمَ في خلق رُوحِ الاستياء في الوَسطِ العُثمَانِي والمُتمَثِّلِ في "الامتِيَازَاتِ الأجنَبِيَّة".[3]

[1] لويس، **ظهور**...، المرجع السَّابق، ص ص302 -308.

[2] محمد مسعود وآخرون، المرجع السَّابق، ص ص71 -72.

[3] لويس، **ظهور**، المرجع السَّابق، ص 310.

وكتَحلِيل لهذا الرأي نرى أن هذا المُستشرق قد غض الطرف عن فضاعة الاحتِلال البريطاني والفِرنسي للدَّولة العثمانيَّة سَواء لمركز الحُكم أو الوِلايات وعالجه من باب أنه أمر حتمي لا محالة وأنهما عَلى حق حين أقدما عَلى هذا الفعل، فَضلاً عن أن مُعاهَدة لوزان قد حققت عَلى أرض الوَاقِع ما سَعَى الغَرب إليه منذ البداية وهو سقوط الدولة وإِلغَاء الخِلافة لِذلِك نجدها قد حازت عَلى الأفضلية في كِتاباته إذا ما قورنت بسابقتها.

لقد كان سقوط الدولة العثمانيَّة وقِيام الجمهورية التركية بدلا عنها سببا دفع بالمُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" إلى القَول بأن أبرز ما ميز سقوط هذه الدولة أو كما اصطلح عليها الإمبراطورية العثمانيَّة في نَظره هو مدى الوعي الذي امتاز به شعبها خِلال تِلكَ الفَترة، والذي قصد به الوعي بالوَضع الذي طال دولتهم ومناقشتهم له فيما بينهم رَغبَة في الوصول إلى حل يرضيهم ويحمي بلادهم من طائل الاحتِلال.[1] ولعله بهذا يشير إلى المساعي التي قام بها أتاتورك ورفاقه ومن ثم العُثمانيين الذين أيدوه في ذلك في سَبيلِ إنقاذ دولتهم من طائل الاحتِلال والتي ذكرناها آنفا.

فَضلاً عن أنَّ هذا الأمر دفع به إلى مُعالجَة قَضِيَّة الفِكر القومي العُثماني، فذكر أن هذا الأَخير بَرزَ نتيجة لإصلاحات القَرن التَّاسع عشر. كان فيه مفهوم الولاء والهوية العُثمانيين شاملا لكافة رعايا الدولة وآخذا بالاعتبار وحدة الأرض. غير أن هذا الفِكر لم يكن موجودا في الوسط الشعبوي فكان في نَظره وَهمًا وحُلما لا سَبيلِ لتَحقيقِه. ومرد هذا إلى عدم تلقيه دعما شعبويا كافيا فالمُسلِمين لم يدعموا هذا الفِكر كونه يضعف مبدأ سيادة المسلم عَلى غيره، فَضلاً عن القومية المتنامية وانفصال ملل المُجتَمع العُثماني عن بَعضها.[2]

[1] لويس، **الإسلام في التَّاريخ**، المرجع السَّابق، ص 355

[2] نفسه، ص 351.

وما زاد الأمر حدة في نَظره هو اختلال التوازن بين مُختَلف العناصر التي قَامَت عليها هذه الدولة بعدما حافظ عليها العُثمانيون لمدة طويلة من الزَّمن، فَضلاً عن احتلال مركز الدولة العثمانيَّة وانفصال الوِلايات العَربية عنها، الذي كان في نَظره مبررا لزوال الدولة العثمانيَّة (كدولة مترامية الأطراف). فَضلاً عن عدم اكتراث العالم الإسلامي بمصيرها والذي كان كفيلا بتغيير الوعي التركي من وعي الفِكر الأول الشامل لكافة الشعوب إلى فكر ذَاتي عنصري وبمعنى أدق من الهوية العثمانيَّة الإسلامية إلى الهوية التركية.[1]

وقبل أن نختم هذا المَوضُوع، كان لابد من الحَدِيث عن عدد من الأَسبَاب والعوامل التي وردت في الكتابات التَّاريخية وفي كِتابات المُستشرقين البريطانيين عَلى حد سَواء والتي سَاهمَت بطَريقَة أو بأخرى في إضعاف الدولة العثمانيَّة وسقوطها. فإلى جَانب ما ذُكر سَابقا من أسباب وعوامل مباشرة كَانت أو غير مباشرة من تدخل أجنبي بَرزَت حدته مع الإصلاحات والتَّنظيمَات العثمانيَّة، التمرُدات الداخلية التي كَانت عاملا مباشرا أدى إلى ضعفها، فَضلاً عن الحروب الداخلية والحَرب العظمى. يُمكن أن نضيف سعي الغَرب منذ فَترة الحروب الصليبية إلى تجسيد التفوق العسكري الغَربي عَلى أرض الوَاقِع انتقاما من العالم الإسلامي والذي بدَوره يعكس ويقدم لنا عاملا إضافيا يتجسد في العداء الغَربي الصليبي واليَهودي المستمر وغير المنقطع للخِلافة[2] هذا فَضلاً عن السِياسَة التي انتهَجها "كمال أتاتورك" للقضاء عَلى المُسلِمين وكسر إرادتهم والتي اعتَمدَ فيها عَلى الخداع، القسوة والقَمع.[1]

---

[1] لويس، **استنبول**، المرجع السَّابق، ص 76. أنظر أيضا: لويس، **الإسلام في التَاريخ**، المرجع السَّابق، ص ص351 -352.

[2] من باب إثبات صحة هذه الفِكرَة، يُمكن أن نُدرِج ما ورد من معلومات في كِتاب السيد شكيب أرسلان حاضر العالم الإسلامي، والتي تتمحور حول مساعي الغَربيين لإسقاط الخلافة. تحدث فيهاعن كِتاب أحد الغَربيين الموسوم بمائة مشروع لتقسيم تركيا والشامل لمائة مشروع كان قد تقدم بها عدد من الأوروبيين من مُختَلف الجنسيات والمناصب والرتب لرجال الكَنيسَة والحكام في سبيل تحقيق هذا الأمر. ولعل هذا الكِتاب وفحواه يعكس بصورة مباشرة ذلك التعصب والعداء الغَربي للعالم الإسلامي وتِلكَ الروح الصليبية التي لم تنقطع. للمزيد أنظر: مصطفى صبري، **الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العُثمانية دراسة حول كِتاب النكير عَلى منكري النعمة من الدِّين الخلافة والأمة**، تق، مصطفى حلمي، ط01، دار

وبالبَحث في الكتابات الاستشراقية البريطَانية نجد أن هذا الأمر كان حديث بَعض من المُستشرقين من أمثَال: "**أرنولد توينبي Arnold Toynbee**" الذي أرجع انحطاط الدولة العثمانيَّة لسببين اثنين متلاحقين وأساسيين، هما عَلى التوالي: تضخم نقدي سَاهمَ في حدوث الأزمة الاقتِصادية وتضخم وازدياد في عدد خدم السُّلطَان. فكان السبب الأول الذي ترتب عنه غلاء المعيشة والقدرة الشرائية للفرد العُثماني في نَظره سببا في انفعال الطرف الثاني وفوضويته وسخطه للوضع. فَضلاً عن دُخول الفضة للدَّولة العثمانيَّة وعدم قدرتها عَلى التعامل معها. مؤكدا أنها تمكنت من أن توجد دولة عالمية عجز الغَرب المَسيحِي عن إيجادها وتوفيرها لنفسه.[2]

فَضلاً عن أنَّهُ وضح في كِتاباته طَريقَة حل هذه المشكلة رغم صعوبتها بالنسبة للعثمانيين، والتي تَكمُن في صرامة الدولة والسُّلطَان وقدرته عَلى فرض قَوانِينه وسلطته متجنبا الليونة والتساهل في التعامل مع من أسماهم بـــ "**العبيد**" الذين قصد بهم خدم السُّلطَان وتجنب التَسامُح معهم باعتباره السبب الرئيس وراء فوضويتهم ومن ثم انحطاط الدولة.[3]

ويُمكن أن نضيف إلى هذا، رأي كل من المُستشرقين "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**" و"**هارولد باون Bowen. H**"، فقد كَانت بِداية الانحطاط في نَظرهما من السُلطَة العثمانيَّة أو كما سمياه من -الأعَلى -ثم ما لبث أن انتشر إلى

الكتب العِلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ص ص39 -40. أنظر أيضا: لوثروب ستودارد، **حاضر العالم الإسلامي**، تع، عجاج نويهض، مج03، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة - مِصر، 1352هـ، ص ص208 -327.

[1] مصطفى صبري، المرجع السابق، ص ص37 -38.

[2] أرنولد توينبي، **تَاريخ البشرية**، تع، نقولا زيادة، د.ط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2004م، ص 607. أنظر أيضا: أرنولد توينبي، **مختصر دِراسة للتَاريخ**، تر، فؤاد محمد شبل، مرا، محمد شفيق غربال، تق، عبادة، كحيلة، ج01، د.ط، المركز القومي للترجمة، مِصر، 2011م، ص 290.

[3] توينبي، **تَاريخ** ...، المرجع السَّابق، ص 607.

كافة أرجَاء الدولة، وأرجعا هذا الأمر إلى مجمُوعة من العوامل كَانت قد بَرزَت خِلال القَرن السادس عشر وبِمُوجَبها تفاقم الوَضع حتى بدت بالشكل الذي كَانت عليه خِلال القَرنين الثامن عشر والتَّاسع عشر. كان الانهيار الاقتصادي في طليعة هذه العوامل حَسبَ ذكر كليهما، تَمسُّك السلاطِين العُثمانيين بسِياسَة **"التعصُب الدِّيني"** القائمة عَلى قمع كل ما يتعارض والمعتقدات الدِّينية ومن ثم عزلتهم وتدخل الحَريم في شؤون الحُكم، مع تولي بَعض الأشخَاص غير الأكفاء مَناصِب حساسة في الدولة، أضف إلى ذلك الفساد الإداري وانهيار الجيش العُثماني وتدهوره وانتِشار الفوضى والثورَات في الوِلايات العثمانيَّة. [1]

إلى جَانب هذا أدرج عدد من البَاحثين العَرب في هذه القَضِيَّة الدَور الذي لعبه الاستشراق في سقوط الدولة العثمانيَّة كعامل مهم وأساسي في ذلك. وهذا بعد اختراق المُستشرقين لها ولوِلاياتها عَلى هيئات مُختَلفة كتجار، رَحالَة، أطباء وطلبة علم، عَمِلوا جاهدين عَلى تقصي جَمِيع أخبارها والتجسس عليها ونقلها للحكومات الغَربية تمهيدا لاحتلال المَنطِقة. فَضلاً عن بثهم لمُختَلف الأفكَار الغَربية بين جُموعِ العُثمانيين الهَادِفة إلى التحكم في المُجتَمع وزرع الفتن في وسطه. علاوة عَلى استغلالهم للجَانبين الفِكري والعلمي من خِلال تركيزهم عَلى التأليف في المواضيع ذَات العَلاقَة بالفِكر القومي كمحاولة زرع فِكرَة الفصل بين مركز الحُكم والولايات وكذا التركيز عَلى الحفريات والآثار من باب ربط المُجتَمع وإعادته لكل ماهو قديم وبعيد عن الفِكر والتَّاريخ الإسلامي والعُثماني.[2]

هذا بغض النَظر عن التَدريس في الجَامِعات العثمانيَّة والذي يعتبر عنصرا أكثر خطورة من سابقيه وبالغ الأهمية، وهذا عائد لما أتاحه من تواصل مباشر بين المُستشرق الغَربي والفرد العُثماني وتأثيره وتركيزه المباشرين عَلى المَرأَة العثمانيَّة. بالإِضافَة لعقد المؤتمرات والتي

[1] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج01، المرجع السَّابق، ص ص255 - 285.

[2] أبو شعيشع عبد الرزاق درغام، **السنن الإلهية في سقوط الحضارات: الدَّولَة العُثمانية نموذجا**، رسالة ماجيستار، الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، ليبيا، 2016م، ص ص126 -128.

كَانت جَمِيعها سببا مباشرا ووجيها في إِثَارَة الفتن في الوسط العُثماني وبين رعايا الدولة المَسيحِيين. وفتحت في ذَات الوَقت وبِمُوجَب العاملين السَّابقي الذِّكر باب التدخل الأجنبي في شؤونها الداخلية مع سعيهم الحثيث والمتواصل لنشر المَسيحِية في الوسطين العُثماني والعَربي.[1]

وكخلاصة لآراء المُستشرقين نختم هذا المَوضُوع بنَظرة رائد المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" لسقوط الدولة العثمانيَّة، الذي كان أمرا جللا في نَظره خلف فيه كِتابات عَدِيدة كان في جلها يسعى لإبراز فكرته القائِلَة بأن إِلغَاء السَّلطَنة عام 1923م ومن بعده الخِلافة عام 1924م وقِيام الجمهورية التركية كان تبرؤا من تِلكَ الدولة الكوسموبوليتية المترامية الأطراف ورمزا لإقامة دولة قومية تركية بعيدة في نَظره عن الحقد والعنصرية. أُهمِلت فيها **وعن قصد** العاصمة التَّاريخية للدَّولة العثمانيَّة "إستنبول" وكذا التَّاريخ العُثماني. رَفض فيها الشعب التركي ولفترات طويلة ولم يتقبل المساواة مع الشعوب التي كَانت تابعة له ذَات يوم عَلى غِرار الشعوب العَربية، ولكن هذه الفِكرة ما لبثت أن آلت إلى الزوال حَسبَ ما أملته أقوال هذا المُستشرق وأضحت فيها التعاملات تجري بين بلدين مستقلين وأمتين متساويتين، وتكيف الشعب التركي مع وضعه الجديد الذي انتقل بهم من دولة عظمى مترامية الأطراف إلى دولة متوسطة عالميا. [2]

[1] نفسه، ص ص129 -132.

[2] لويس، **الإسلام في التَّاريخ**، المرجع السَّابق، ص ص356 -360.

خلاصة الفصل

تعددت آراء المُستشرقين حول مُختَلف قضايا التَّاريخ العُثماني السِياسيَّة واختلفت لكن ظلت تصبُ جَمِيعُها في بوتقة واحدة تتمثل في خِدمَة المصالح البريطَانية مع السعي المتواصل للتقليل منه ومن شخصياته وإبرازهم بصور غير لائقة، مع محاولاتهم المتكررة لإبرازه بمظهر النقص وربطه بالتَّاريخ القديم البعيد كل البعد عن التَّاريخين الإسلامي والعُثماني.

فجَاءت مُلاحظَاتِهم عن الدولة العثمانيَّة وبشكل مختصر كالتالي: كَانت خلافتها لا تعدو كونها مجرد خِلافة إسمية وحبر عَلى ورق وماهي سوى سلطنةٍ ورثت نظم حكمها وتقاليدِه من مُختَلف الحضَارات السَّابقة لها والتي بدورها كانت ذات أصول فارسية. انتحل سلاطينها الأوائل ألقاب الخِلافة وتلقبوا بهم ثم سيست هذه الألقاب مع السلاطِين الأواخر، لتفقد هذه الأَخيرة وأقصد بذلك الخلافة مكَانتها بعد تعارضها والأهدَاف العَربية وكذا السِياسَة البريطَانية الهَادِفة إلى جعل الهند محور العالم الإسلامي ومكان الخِلافة الأساسي. فَضلاً عن أن عددا من سلاطينها ومُختَلف شخصياتها الفاعلة ما هم في نَظرهم إلا أشخَاص غير أكفاء، سفهاء، ديكتاتوريين، يفتقدون للحنكة والنباهة وذلك لتعارُضِ أهدَافهم ومساعي الغَرب، فإن تماشت مع ما يصبوا إليه هذا الأَخير فهم أكفاء مُحنَّكون.

دون أن نغفل عن الانطباعات التي خلفاها هؤلاء حول التمرُدات الداخلية التي كَانت في نَظرهم إما ناجمة عن سِياسَة ضعيفة أو عن وعي انتشر في الوسط الشعبوي، وعن الفِكرة الرئيسة التي سعوا جَمِيعهم لإثباها وتأكيدها في كِتاباتهم والقائِلَة بأن الغَرب هو أصل كل شيء وأن بريطَانيا هي صانعة الملوك والدُول الحَدِيثة. لنختم الأمر بالقَول بأن السِياسَة المتوقعة والرَغبَة التي طمح إليها الغَرب منذ عهود طويلة قد حُققت عَلى أرض الوَاقِع، فجَاءت الحَرب العالمية الأولى وطبق المُستشرقون الضُبَاط السِياسَة البريطَانية بحذافيرها، فجزِئت القيادة العَربية بِسَببِ الرَغبَة في الحُكم والملك وسقطت الخِلافة والدولة العثمانيَّة وكذا الوِحدَة العثمانيَّة الإسلامية تحت مسمى القومية إلى دويلات مستقلة واقعة تحت الهيمنة الغَربية.

الفصل الثالث

القضايا الاجتِماعية والفِكرية في كِتابات مدرسة الاستِشراق البريطاني

I. المَرأَة العثمانيَّة في الكتابات الاستشراقية البريطَانية
II. الحياة الاجتِماعية في الدولة العثمانيَّة
III. العلم والعُلماء في الدولة العثمانيَّة بنَظرة استشراقية

كان للقضايا الاجتِماعية والفِكرية الخَاصة بالتَّاريخ العُثماني نصيب من الكتابات الاستشراقية البريطَانية، فتعددت أراء المُستشرقين حولها واختلفت وظلت جَمِيعها تصب في بوتقة واحدة مَفادُها تشويه صورة المُجتَمع العُثماني الشَّرقي وإخراجها بصورة مُشينَة، وللعلم فقد ظلت سارية المفعول حتى الوَقت الراهن كونها قد ألصقت بهذا التَّاريخ وتناقلتها كِتابات البَاحثين كمسلمات لا نقاش فيها.

I. المَرأَة العثمانيَّة في الكتابات الاستشراقية البريطَانية

أولا - صورة الحرملك في الكتابات الاستشراقية

جذب مَوضُوع "المَرأَة الشَّرقية" اهتمام عدد من المُستشرقين والرَحالَة الغَربيين منذ فترات مبكرة، كما حظي "قسم الحَريم العُثماني" باعتباره تابعا لدولة شرقية بنصيبٍ وافرٍ من كِتاباتهم تِلكَ، فتباينت آراؤهم ومُلاحظَاتُهم حوله وطرق معالجتهم وحديثهم عنه في ذَات الوَقت. فمنهم من تحدث عنه بناء عَلى كونه مؤسسة عُثمَانية قائمة بذَاتها لها نظمها وتنظيماتها الخَاصة بها، ومنهم من توجه للحديث عن الوَاقِع المعاش فيه بناء عَلى مشاهدته للوضع.

بغض النظر عن المستشرقين الرسامين الذين جسدوا واقع هذا القسم في مختلف لوحاتهم وصورهم التي رُسمت استنادا إلى تخيلاتهم له، أو إلى ما ورد من مَعلوماتٍ في كتب الرحالة والمستشرقين.

بداية، تحدث المُستشرقان "**هاملتون جبAlexander Roskeen Gibb Hamilton**" و"**هارولد باون Bowen. H**" عن قسم "الحَريم العُثماني" أو "الحرملك" في كِتابهما، وعالجا بَعضا من الأمور ذَات العَلاقَة به انطلاقا من كونه مؤسسة لها نظمها الخَاصة. فذكرا أنَّ عدم اهتمام غالبية المُستشرقين بأمر الحَريم عائدٌ لشيئين اثنين أولهما عدم أهمية قسم

الحَريم، والثاني كونه يشكل فئة صغيرة من المُجتَمع العُثماني. ومع ذلك أكَّدا أن هذه الفِئة الصغيرة تشكل وتعطي مثالا عن الطبقة الأرستقراطية العثمانيَّة.[1]

كما أشَارا في سِياق حديثهما إلى ساكنات هذا القسم واللواتي شكلن عائلة السُّلطَان، زوجاته، جواريه والقائمين عَلى خِدمَة القسم والسُّلطَان وفق ترتيب هرمي كان معمولا به في الدولة العثمانيَّة مُنذ فتراتٍ مُبكرَة وظَل سائِر المفعُول فيها. تصدرت أم السُّلطَان رأس هذا الهَرم، تلاها في ذلك السُّلطَانات ثم الزوجات الشرعيات للسُلطَان اللواتي يشكلن الطبقة العليا في قسم الحَريم وتعرفن بـ "kadıns"، تحدَّدُ مكانة الواحدة منهن حَسبَ جنس مولودها[2] فأم الولد تقارب في مرتبتها رتبة السُّلطَانة وتسمى بـ "خَاصكي سُلطَان hasseki sultan" وقد تصل لرتبة أم السُّلطَان في حال تولى ابنها الحُكم. تليها في ذلك القادن التي ولدت بنتا للسُلطَان والتي يطلق عليها اسم "خَاصكي قادن hasseki kadın" وجَمِيعهن تشكلن الطبقة العليا في قسم الحَريم.[3]

وهو ذَات الأمر الساري المفعول والمعمول به في ولاية مِصر، وهذا حَسبَ ما ورد في كِتابات أخت المُستشرق "**إدوارد وليام لين Edward William Lane**" الرَحالَة البريطَانية

---

[1] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج01، المرجع السَّابق، ص ص133 -134.

[2] سمحت القوانين العُثمانية بتحسين الوضع الاجتِماعي للجواري باعتبارهن من فئة الرقيق، فصعدن في السلم الاجتِماعي وتحسنت مكَانتهن إلى حد الانعتاق من العبودية أو الوصول إلى مناصب عالية وفتح لهم الإنجاب بابا لتحسين وضعيتهن وبموجبه حظين بوضعية قانونية ومكانة اجتماعية مرموقة في البلاط والمُجتَمع ككل. فضلا عن ذلك سمحت النُّظم والقوانين العُثمانية للجواري بحرية المعتقد، ولم تجبرن عَلى تغييره واعتناق الإسلام وهو أمر شاع ذكره في الوسط الغَربي ومع ذلك فقد فندته كِتابات بعض الغَربيين وأكَّدت أن وضع الجواري والرق عَلى العموم في الشرق مُختَلف عن الغَرب. من أمثَال الرحالة البريطَانية "**صوفيا لين بول Sophia Lane Poole**" أخت المُستشرق "**إدوارد وليام لين Edward William Lane**" التي أكَّدت هذا الأمر في كِتاباتها وبينت أن العبد في الشرق يعامل بحلم وعطف ودلال، وكذا الجارية التي قد تزوج من شخص محترم إذا حسن سلوكها. للمزيد أنظر: فاطمة الزهراء قديحي، "**مؤسسة الحريم في البلاط العُثماني (الجذور التَاريخية والاجتِماعية)**"، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، 24، الكويت، أفريل 2021م، ص ص90 -91. أنظر أيضا: صوفيا بول، **حريم محمد علي باشا**، تر، عزة كرارة، ط01، سطور، مِصر، 1999م، ص ص146، 148.

[3] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج01، المرجع السَّابق، ص ص134 -135.

"صوفيا لين بول Sophia Lane Poole"[1] التي كتبت عن قسم الحَريم في الولاية بطلب من أخيها المُستشرق لتغطية هذا الجَانب ومعرفته لإتمام كِتاباته، باعتبارها امرأة يسمح لها بدُخول القسم، وقد كان هذا التنظيم المتبع سببا دفع بها لوصف قسم الحَريم بالدويلة الصغيرة التي تحوي حكاما وموظفين.[2]

تلي نِساء الطبقةِ العُليا في الترتِيبِ الهَرمِي أربع فئات من **"الجواري"** أعلاهُن رُتبة المفَضلات "Gediklis" ثم القَيِّمَتَين عَلى القِسم "السيدة المشرفة" المسؤولة عن الانضباط ثم نائبتها "أمينة الخزنة"، فالجواري الصغيرات المعروفات "بالتلميذَات" وهُن اللواتِي جيء بهنَّ حَديثاً ثُم الجَوارِي اللَّواتِي لم يَترقين في الرُّتب. [3]

بالحَدِيث عن هذه الفِئة وأقصِدُ بذلك فئة الجَواري وبالإطلاع عَلى الكتابات الاستشراقية الأخرى التي عَالجَت هذا المَوضُوع نجد أن المُستشرِقة والرحالَة البريطَانية **"ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu"** التي قصدت الدولة العثمانيَّة خِلال القَرن

---

[1] **صوفيا لين بول Sophia Lane Poole (1804 -1891م):** رحالة بريطانية وأخت المُستشرق البريطاني **"إدوارد وليام لين Edward William Lane"**، تعرف في عدد من المواقع البريطَانية والأجنبية بكونها مُستشرقة وأخت مُستشرق، اصطحبها أخاها معه لمِصر رفقة ولديها وزوجته عام 1842م للإقامة معه ومساعدته في إتمام كِتاباته المتعلقة بالمُجتَمع المِصري. فأسند لها الكِتابة عن جَانِبِ الحريم العالي لكونها امرأة يسمح لها بدخوله عكسه، واقترح عليها كِتابة مشاهداتها عَلى شكل رسائل لصديقة مبهمة، وللعلم تم هذا الأمر ودونت هذه الأَخيرة عددا من الرسائل حول قسم الحريم في إيالة مِصر خلال النصف الأول من القَرن التَّاسع عشر مؤكدة أنها لم تخض هذا الأمر إلا بتشجيع وطلب من أخيها فضلا عن أنها لم تدون اسمها في واجهة الكِتاب بل اقتصرت عَلى ذكر أخت "إدوارد لين". للمزيد أنظر: صوفيا بول، المرجع السَّابق، ص ص09، 15. أنظر أيضا:

Sophia Poole, **The Englishwoman in Egypt**, G.B. Zieber and Co, Philadelphia- US, 1845, pp V- VI (Preface).

See as well : Barbara Brothers, Julia Gergits, **Dictionary of Literary Biography- British Travel Writers 1837- 1875 Victorian Period**, V166, Gale Research, United Kingdom,1996, pp299- 300.

[2] صوفيا بول، المرجع السَّابق، ص ص174 -175.

[3] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج01، المرجع السَّابق، ص 135.

الثامن عشر قد تحدثت هي الأخرى عنها ولكن من مَنظُورٍ مُختَلف نَوعا ما عما ذَكره المُستشرقان السَابقا الذِّكر باعتبارِ أنَّها قَد حَظِيت بِفُرصٍ لدُخول قِسم الحَريم عَدِيد المرات.

أين أكَّدت أنها فِئة فَائِقَة التَّنظِيم ما جَعلَها تَنالُ استِحسَانها واستِحسان عددٍ من الشَّخصِيات الغَربية التي كَانت تُراسِلُهم هذه المُستَشرِقة وتَبعثُ لهَم أخبار الدولة ومُشاهداتِها عنها. فَذكرَت أنَّهُن ورُغم عَدمِ تلَقِيهِن للرواتِب إلا أنَّهُن يَحصُلن عَلى مَلابِس بِشكلٍ سَنوي تَفُوق رَواتِبهُن ويلقَينَ مُعاملة لائِقة ومَرمُوقة مِن العُثمانِيين الذين لا يسيئون مُعاملتَهن إطلاقاً. يُؤخذنَ صِغار سِنٍ ويَتلقينَ تَعلِيماً رَفيعاً عَلى حَد قَولِها فَيُعلَّمنَ المُوسِيقَى، الغِناء، الرَّقص والأعمَال اليَدوية كالطَّرزِ وغَيرها. وهو ما اتَّفقَت عَلى ذِكرِه هي والمُستشرِقان "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**" و"**هارولد باون Bowen. H**".[1]

بل وذَهبَت "**ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu**" في طَرحِها إلى أبعد مِن هَذا نَحو الحَديث عن مَدى تَأثِيرِ الجَوارِي عَلى الدولة العثمانيَّة. فذَكرَت أنَّ هَذه الفِئة أثَّرت عَلى الحَرملِك، القَصر وحتى عَلى الدولة العثمانيَّة بِشكلٍ جَلي وغَيرِ مَعقول، هذا التَّأثِير الذي يَكمُن في مُسَاهمَتِهن في انتِقالِ اللُغات الأجنَبيَّة إلى الدولة العثمانيَّة. باعتبارِ أنَّ عددا منهن قَد عَمِلن كمُربياتٍ لأطفالِ العُثمَانيين فسَاهَمُوا في تَعليمِهم اللُغات الأجنَبية، حتى أنَّكَ لتجدُ الطِّفلَ يتَكلَّمُ إلى جَانب لُغتِه الأم كُلاً مِن الفِرنسية، الإيطالية، اليُونانية وحتى الروسية.[2]

بالإطلاع على الكتب والدراسات المعالجة لجانب الحريم العثماني يُدرِك أنَّ المعلومات الواردة في كتابات هؤلاء المستشرقين صحيحة من الجانب التاريخي للمعلومة وبها نوع من

[1] جُسِّدَ هذا الأمر في صُورِ المُستشرِقينَ الرسامِين خاصة الرجال، ورغم عدم مقدرتهم على رؤية النساء أو قسم الحريم بشكل مباشر إلا أن لوحاتهم تلك جاءت قريبة من أوصاف المستشرقين الرحالة أو المؤرخين. للمزيد أنظر: الملحق التاسع والملحق العاشر 321 - 322. أنظر أيضا: ليدي ماري وتلي مونتجو، **رسائل من تركيا (1716 -1718)**، تر، إيزابيل كمال، تق ومرا، فاطمة موسى، ط01، المجلس الأعلَى للثقافة، القاهرة -مِصر، 2006م، ص ص142، 143، 169، 176. أنظر أيضا: جب، باون، **المُجتَمع**...، ج01، المرجع السَّابق، 136.

[2] مونتجو، المرجع السَّابق، ص 169.

الدقة. فالتسلسل الهرمي معمول به القصر العثماني والجواري يجلبن للقصر وتترقى بعضهم لتصبحن زوجات للسلطان، موالين له وليس لهن ولاءٌ لغيره، تدربن إما من قِبَلِ أم السلطان مباشرة، أو من الجواري الأكبر سنا أو من قبل مدرسين جلبوا للقصر لهذا الأمر.[1]

من جَانب آخر، أشَار المُستشرقان **"هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb"** و**"هارولد باون Bowen. H"** في كِتابَاتِهما إلى التَّغيُر الذِّي طرأ عَلى قِسمِ الحَريم خِلال القَرن الثامن عشر، والمُتمثِّل في تَوجُّهِ الوُزراءِ نَحو إبطالِ العمل بالخِصيان في قسم الحَريم والقَصرِ السُّلطَاني ككل. وأصدَرت الأوامِر بمَنعِ وإيقافِ جلبهم للقَصر بعد ما شكلوا جزءًا هاما به منذ القَرن الخامس عشر، بيد أن هذا الأمر قوبل بالرفض من قبلهم فقد **أضحت لهم سُلطَة ومكانة في الدولة** منذ هذا القَرن لدرجة أن رئيسهم المعروف بـ "آغا دار السعادة" أو "آغا البنات" احتل المركز الثالث في الدولة بعدَ الصدر الأعظم وشيخ الإسلام.[2]

فَضلاً عن ذلك، وفي خضم حديث هذين المُستشرقين عن الحَريم في الدولة العثمانيَّة لم يغفلا عن ذكر الأفكَار الاستشراقية المعتادة كفِكرَة الربط بالحضَارات القديمة التي تعد جزءا مهما من الكتابات الاستشراقية، فبالتالي كان وجود هذا القسم في القصر السُّلطَاني مأخوذًا من النُّظم والعَادات الفَارسِية القديمة التي انتقلت بدَورِها للعالَم الإسلامي ومِنهُ للدَّولة العثمانيَّة.[3]

في حين كَانت كِتابات المُستشرقة **"ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu"** تكادُ تَخلُوا مِن الأفكَار الاستشراقية إن لم تكن كذلِك بالفعل، إلا من بَعض

---

[1] أصلي سنجر، **المرأة العثمانية بين الحقائق والأكاذيب**، تر، سمير عباس السيد زهران، ط01، دار النيل، القاهرة الجديدة -مصر، 2014م، ص ص95 -103.

[2] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج01، المرجع السَّابق، ص ص138 -139.

[3] نفسه، ص ص133 -134.

الأوصَافِ غيرِ اللائِقة التي طَالَت الدولة العثمانيَّة لأسبابٍ لا عَلاقَة لها بالحَريم، وهَذا كونَها قد أخذَت عَلى عاتِقها تَصحِيح المَنظُورِ والأخطاءِ المُتوارَثة حَولَ هَذا القِسم مِن طَرفِ الكُتَّابِ والرَّحالَة الغَربِيين الذين وَفدُوا إلى الدولة والشَّرقِ عَامة قَبلها، وللعلم فَتحَت لها رِحلتُها المَجَال لزِيارَة قِسمِ الحَريمِ ودُخوله وأدرَكت أنَّهُ قِسمٌ مَحظُورٌ عَلى الرِّجال[1] وأنَّ مَا رُوجَ عَنهُ لا يَمُدُ للوَاقِعِ بِصِلَة.[2]

المُثيرُ للانتباه هُنَا، وحتى لا نُزكي كِتَاباتِ هذِه الأَخيرَة نتيجَة لنُدرَةِ الأفكَارِ الاستشراقيَّة فِيها فإن المُطلِّع والقَارِئ للرَسائِل يتساءل عنِ الشَّخصِياتِ التي كَانت تُراسِلُهن بِشكلٍ مُستَمرٍ، وعَن فَحوَى بَعضِ العِبارَات التي وَردَت فِيها. فعَلى سَبيلِ المِثَال لا الحَصرِ: تَراسَلتِ المُستَشرِقة "**ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu**" مع رَئِيسِ أسَاقِفةٍ غَربِي وَرَد فِي رَسائِلِها تَحتَ مُسمَّى "الأب كُونتى"، وأكَّدَت لَهُ في عَددٍ مِن الرسائِل التِي وُجِهت لَه أنَّها تعَمَلُ عَلَى البَحثِ في أخلاقِياتِ المُجتَمعِ العُثمَانِي وجَمعِ المُلاحظَاتِ حَولَ ذلِك ما استَطاعَت.[3]

---

[1] كان قسم الحريم خلال العهد العُثماني قسما محظورا عَلى الرجال ماعدا السلطان وأبنائه، وهذا بناء عَلى قوانين ونظم سنها السلاطين الأوائل والتي ظلت سارية المفعول حتى حلول القَرن العشرين أين تم خرق هذا النظام وتدميره. فخلال عام 1909م السنة التي تم فيها خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن سدة الحكم وحَسبَ ما تمليه كِتابات أحد الصحفيين البريطانيين تم نقل الحريم من قصر "يلديز" نَحو "توب كابي"، ونتيجة لكثرتهن أعطت الحُكومة العُثمانية أوامرها للقرى الشركسية التي استقدموا منها بالقدوم نَحو العاصمة لاستعادتهن، فقدم العَديد من الرجال نَحو القصر واصطُحبوا لقاعة كَبيرة وأعطيت الأوامر للنسوة بالكشف عن وجوههن طيلة اليوم. فتم بذلك فتح الحريم والإخلال بهذا النظام بعد أن كان مغلقا وموصدا في وجه جَميع الرجال. للمزيد أنظر:

Meral Altındal, **Osmanlı'da Harem**, Altın Kitaplar Yayınevi, 1 Basım, Turkey, 1993, P 191.

[2] Ercan Kaçmaz, Füsun Çoban Döşkaya, **"Letters from and to Lady Mary Wortley Montagu"**, Çağdaş Türkiye Tarihi Araştırmaları Dergisi, Cilt 17, Sayi 35, 2017 , p 24 (23- 37).

[3] مونتجو، المرجع السَّابق، ص76.

بدليلِ قولِها التَّالِي: { لَعلَّكَ تُدرِكُ أنَّنِي شَديدَةُ التَّدقِيقِ في التِزامِي بالوَعدِ الذِي أَخذتُه عَلى عَاتِقِي تُجاهَك، لكِني لا أَعرِفُ إِذَا كَانَ مَا سَأُرِيهِ لَكَ سَيُشبِعُ فُضولَكَ أم لَا، وأُؤَكِدُ لَكَ أنَّ الرَغبَة التِي تَحدُونِي لِفِعلِ ذَلِكَ بِأقصَى مَا أستَطِيع، جَعلَتنِي أبذُلُ قُصَارى جُهدِي في البَحثِ والمُلاحَظةِ، إنَّ مَا نَعرِفُه عَن أخلاقِيات وَدِينِ هَؤُلاءِ القَومِ قَليلٌ جِداً، فَهذَا الجُزءُ مِن العَالمِ مِن النَّادِرِ أن يَزُورَهُ أَحدٌ سِوى التُّجَار...، أو الرحَالَة الذِينَ يَمكُثونَ هُناكَ بَعضَ الوَقتِ لا يُمَكِنُهم مِنَ الحُصُولِ عَلى أيَّةِ مَعلُومَاتٍ دَقِيقَة بِأنفُسِهم. الأَترَاك عَلَى قَدرٍ عَالٍ مِنَ الكِبرِيَاء...}.[1] ولَعلَّ هَذَا القَولَ كَانَ مِن بَينِ الأُمورِ التِي تُؤكِدُ شَكَّ البَاحِثِ حَولَ تَقدِيمِ هَذِهِ الأَخِيرَة مَعلُومَاتِها وخَدمَاتِها للكَنِيسَة، فَهِي الأُخرى وبِدِقَّةٍ مَعلُومَاتِها لَم تَخرُج عَن سِياق الاستشراق وأهدَافِه.

وهو ذَات الأمر الذي وضحته أخت المُستشرق "**إدوارد وليام لين Edward William Lane**" الرَحالَة التي قصدت القاهرة رفقة أخيها، وتمكنت من دُخول قسم الحَريم بها وكتبت عنه بطلب منه والمعروفة بـ "**صوفيا لين بول Sophia Lane Poole**"[2]. أين وَضَّحَت اهتِمَامَاتِها بِهذِه المُؤَسَّسَة والمُتَمَثِّلَة في مُلاحَظَةِ سُلُوكِ نِسَاءِ الطَّبَقةِ العُليَا بمِصر والكِتَابَةِ عَنهُ، وهُو ما يَبدُوا جَلِياً فِي قَولِها: {... إِنَّنِي فِعلاً مُهتَمَّةٌ جِداً بِمُلاحَظَةِ سُلُوكِ سَيِّدَاتِ هَذَا البَلد...}. والذِّي كَانَ فِي ذَاتِ الوَقتِ الهَدفَ الأَساسِي للمُستَشرِق.[3] باعتِبَارِهِ جُزءا مُبهَماً عِندِ الغَرب نَتِيجَة لِعدَمِ احتِكَاكِ الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ في المُجتَمَعِ الشَّرقِي، فَضلاً عَن عَدمِ السَّمَاحِ للأجَانب مِن الرِّجَالِ بمُشَاهَدةِ قِسمِ الحَرِيم والإِطلاعِ عَليهِ أو الاقتِرابِ مِنَ النِّسَاءِ بِشَكلٍ كُلِّي. وهُوَ ما يُؤَكِدُ في ذَاتِ الوَقتِ الرَأي السَّابِق الذِّي يَقضِي بخِدمَةِ هَؤُلاءِ الرَحالَة للاستِشرَاقِ وأهدَافِه وللحُكُومَات في آنٍ وَاحِد.

---

[1] مونتجو، المرجع السَّابق، ص ص76 -77.

[2] أنظر الملحق الحادي عشر، ص323.

[3] صوفيا بول، المرجع السَّابق، ص 128.

ولَعلَّ الأمرَ الثَّانِي الذي يُمكِنُ أن يُدرَجَ ضِمنَ هَذا الأمرِ لِتأكِيدِ الفَرضِيَّةِ السَّابِقَة هُو قِيامُ بَعضِ مِنَ الشَّخصِيَّاتِ الكَنسِيَّة بِتقدِيمِ المُساعَدةِ لَها، مِن خِلال تَعرِيفِهَا بِبَعضِ نِسوَةِ البَلدِ مِنَ الطبَقَةِ العُليَا، أو إتاحة الفُرَصِ لَها للالتِقاءِ بِهنَّ، أَلا وهِي زَوجَةُ أحدِ المُنصِّرِينَ المُقِيمِينَ بِمِصر والتي وَردَت فِي رَسائِلِهَا تَحتَ مُسمَّى **"Mrs Lieder"**.[1]

ثانيا - المَرأَة العثمانيَّة والعَربية في الكتابات الاستشراقية

وَرد في عَددٍ مِن الكِتابات التَّاريخية بأن المستَشرِقينَ الرَحالة الأوائِل الذِينَ قصدُوا الشَّرقَ قبل القرنِ الثَّامِن عَشر صورُوه في كتَاباتِهم بِكَونِه عَالمُ العُنفِ والفُسق، وجَسدُوا المَرأة أساسُ المُجتمَعِ الشَّرقِي في عَددٍ مِن الكتابَات والصُور الشَّرقِيَّة الخَلِيعَة ذَات العَلاقَةِ المُباشِرَة بالجِنس[2] وبِكونِهَا كَسولةٌ، لا مُبالِيَة أو سَاحِرَةٌ مَاكِرة. الأمر الذي حَرَّك مَشَاعِر الغَربيينَ تُجَاهَهَا فَأَضحَت مُستَهدفة منهم بِشكل مباشر.[3]

---

[1] صوفيا بول، المرجع السَّابق، ص 129. أنظر أيضا: Barbara Brothers, Julia Gergits, Op Cit, p300.

[2] وهذا بدليل ماورد في كِتابات كل من **"توماس دالام Thomas Dallam"** (1509م)، **"بون أوتيفيانو Bon Ottaviano"** (1606 -1609م) سفير البندقية، **"جيرار دي نرفال Gérard de Nerval"**، **"غوستاف فلوبيرGustave Flaubert "**، **"جان ليون جيروم Jean-Léon Gérôme " "شاردان"**، والمُستشرق **"ريتشارد فرنسيس بورتون Richard Francis Burton"** الملقب "بريتشارد الشرير" الذي رغم توجهه للشرق واضطلاعه في اللغة العَربية لم يختر سوى موضوع "الجنس في الشرق" للكِتابة عنه والذي كان برغبة من حكومته بعد أو أوفدته صوبه للكتابة والبحث عن أماكن الرذيلة به. بالإضافَة للمُستشرق **"شاتو بريان Chateaubriand"** الذي لخص الشرق في كِتاباته بكونه "حمامات وعطور ورقص ولذَات آسيوية". ومرد هذا كله لترجمات كِتاب "ألف ليلة وليلة" للُغات الأجنبية. للمزيد أنظر: محمد يحيى الخراط، **"المرأة الشرقية في عيون المُستشرقين"**، مجلة المَعرِفة، ع 521، سوريا، فبراير 2007م، ص ص225 - 226. أنظر أيضا: روبن بدول، **الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**، تر، عبد الله آدم نصيف، د.ط، د.د، الرياض، 1989م، ص ص54 -62. أنظر أيضا:

Ahmet Akgündüz, **İslm Hukukunda Kölelik-Cariyelik Müessesesi ve Osmanli'da Harem**, Osav Osmanli Araştirmaları Vakfı, İstanbul, 1995, pp58- 59.

[3] الخراط، المقال السَّابق، ص 224. أنظر أيضا: عيسى عبد الرزاق، **المرأة المصرية قبل الحداثة -مختارات من وثائق العصر العثماني**، د.ط، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة -مصر، 2012م، ص ص23 -24.

ونخص بالذكر هنا المستشرقون الرجال من فئة الرسامين أو الرحالة الذين جسدوا هذا الجانب بناء على ما تمليه مخيلاتهم إذ لم يكن يسمح لهم بدخول الجوانب المخصصة للحريم. ويظهر هذا الأمر بشكل جلي في لوحات المستشرق الرسام "**جون فريديرك لويس John Frederick Lewis**" الذي تمكن من رسم صورة لسيدة مصرية من القاهرة[1] وهي تستقبل زوارها بعد مرور أزيد من عقدين من الزمن من عودته لبلده بناء على تخيلاته جعلها تحت عنوان: "سيدة تستقبل الزوار(A Lady Receiving Visitors (The Reception)".[2]

فَضلا عن الصُور التي جَسَّد فِيها واقِع الحَريمِ العُثماني والذي كَان هو الآخر مُحرما على الرِجال، صَوَّرَ فِيها النسَاء في وَضعياتٍ مُختلفة اشترَكت جَميعُها في خَاصيَّة واحِدة تَتمثل في وُجودِ رَجلٍ بَينهُم هو الفَارضٌ لسُلطته في المكان إما بصورةٍ مُباشرةٍ كأن يرسمه في وَسطِهن أو بِصُورةٍ غير مُباشرةٍ فيوحِي بوجودِه عن طَريق تَركِ علاماتٍ دالةٍ عَليه كالملابس والنعال.[3]

لابد من الإشارة هنا لفكرة مهمة مُؤدَّاها أن غالبية رسامي القرن الثامن عشر المستشرقين نادرا ما رأوا الشرق أو زاروه، واستندوا في رسم مختلف لوحاتهم ورسوماتهم الخاصة به إلى عدد من الأعمال الفنية والأدبية كرسومات مستشرقين سابقين لعهدهم، الموسيقى الشرقية أو حتى إلى كتب ومذكرات الرحالة المستشرقين الذين قصدوا الشرق قبلهم، وإما هي من وحي خيالهم، ويمكن أن تعزى شهرة هؤلاء إلى جاذبية الشرق وغرابته بالنسبة للغرب.[4]

---

[1] أنظر الملحق الثاني عشر، ص324.

[2] أصلي سنجر، المرجع السابق، أنظر أيضا:

Nicholas Tromans et al, Op cit, p 25.

[3] Ibid, p 31.

[4] Olga Nefedova, **A Journey into the world of Ottomans- The Art of Jean Baptiste Vanmour (1671- 1737)**, 01 Pub, Skira Editore, Milano- Italy, 2009, PP 40, 44, 47.

بالعودة للكِتَابَات الاستشراقيَّة البريطَانِيَّة نَجد أَن المَرأَة العثمانيَّة سَواء تِلكَ التي عاشت في مركز الحُكم أو الوِلايات قد حظيت بنصيبٍ في كِتابات عددٍ من المُستشرقين البريطانيين، أين عَالجُوا مَواضِيعَ عَدِيدة ذَات العَلاقَة بها رَغبَة في رَسمِ صُورةٍ تُحاكِي الوَاقِع عَنها. كطُرقِ عَيشِهَا، حَياتُها، مكَانتُهَا في الوَسَطِ الاجتِمَاعِي، أَدبُهَا، طُرقُ تَعامُلِهَا مَعَ الغُربَاء، فَضلاً عَن نَقلِهم لِبَعضٍ مِن قِصَصِ الحُبِ والإعدَام، وكَذَا وَضعُهَا دَاخِلَ الحَرملِك العُثمَاني مع إِبداءِ آرائِهِم حَولَ كُلِ ذَلِك.

فعَلى سَبيلِ المِثَال لا الحَصر: تَحدَّثت كل مِنَ المُستشرقة الرَحالَة **"ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu"** وكذا الرَحالَة البريطَانية **"جوليا باردو Julia Pardoe"**[1] في كِتاباتهما عن المَرأَة العثمانيَّة التي استوطنت وعاشت في مركز الحُكم، رَغبَة في تصَحيح الأفكَار القَبلِيَّة والصُورِ النمَطِيَّة المَورُوثَة عَن المَرأَة الشَّرقِيَّة وإِعطَاءِ صُورةٍ تُحاكِي الوَاقِع المُعاش وذَات نَظرَةٍ مُغايرَة.

والدليل عَلى هذا ما ورد في كِتابات كليهما، فَقد أكَّدَت **"ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu"** أنها بكِتاباتها تِلكَ تسعَى جَاهِدَةً لإبرَازِ الحَقيقَة بَعد أن شُوِّهَت مِن طَرفِ الغَربِيينَ، الذِينَ سَعوا إِلى إِقنَاعِ القُراء بكِتَابَاتِهم المَمزُوجة بالخَيَال وبِقِصَصٍ

[1] **جوليا صوفيا باردو Julia Sophia Pardoe (1804 -1862م):** رحالة، شاعرة وكاتبة بريطانية. اختلف البَاحثون في تَحدِيد تَاريخ ميلادها فقيل ولدت عام 1804م وقيل عام 1806م. تمكنت من زيارة العاصمة العُثمانية إستنبول رفقة والدها ما بين عَامَي 1836 -1837م، ونتيجة لإقَامَتها بها استطاعت نشر كتب عنها، كان في طليعتها كِتابها المعروف بـ "مدينة السلطان The City of the Sultan and Domestic Manners of the Turks"، بالإضافَة لكِتاباتها حول المرأة العُثمانية وحياتها اليومية في الدَّولَة والتي كَانت أكثر تعمقا من "الليدي ماري مونتاجو" السَّابقة الذِّكر، والمتضمنة في كِتابها الموسوم بـ "The Beauties of The Bosphorus". للمزيد أنظر:

Barbara Brothers, Julia Gergits, Op Cit, pp294- 295.

See as well: Travelogues, **Pardoe Julia. The Beauties of the Bosphorus –illustrated in a Series of Views of Constantinople and its Environs**, Loli Vingopoulou, 04-08-2024, 22 :54, https://eng.travelogues.gr/collection.php?view=225

مِن اختِرَاعِهِم، ما جَعَل كِتَابَاتِهم بها نَوعٌ مِن التَّشوِيق ولَكِنَّها مَع ذَلِك بَعِيدَةٌ كَلَّ البُعدِ عَن الوَاقِع والحَقيقَة وهُوَ ما لَم تَتَقبَّلهُ هَذه الأَخيرة.[1]

بالإِضافَة إلى ما ورد في كِتابات الرَحالَة "**جوليا باردو Julia Pardoe**" التي تلتها، والتي سعت هي الأخرى جاهدة لتصَحيح الأخطاء الموروثة من البيئة الغَربية حول المَرأَة الشَّرقية العثمانيَّة، وذلك بعد أن اعتبرت أن كِتابات الرَحالَة الأوائل قد خَضعَت للخَيَال وللأفكَار المُضلِّلَة للقَارِئ نَتِيجَة لِجهلِ الكُتَّابِ ونُقصِ مَعلُومَاتِهم حَوله واستِنَادِهم بذلِك للإِشَاعَات.[2] وهُو أَمرٌ جَلِي ووَاضِح في كِتاباتها فالصِّراع الذي جَسَّدَتهُ بَين آرَائِهَا السَّابِقَة والمُصَححة يَستَطِيعُ أن يُميزَهُ أي قَارِئ.

وكاستِهلالٍ فِي هَذا المَوضُوع؛ توجهت المُستَشرِقَة "**ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu**" إلى الحَدِيث عَن حَياةِ المَرأَة العثمانيَّة اليَومِيَّة وتَصَحِيح بَعض مِن الصُور التي رُسِمَت حَولَ ذَلِك، فَذَكرَت أنَّ مَا كُتِبَ عَن الحَريم في الدولة العثمانيَّة قَبلَها قَد اصطُبِغَ بِصِبغَتينِ رَئِيسِيَّتَينِ هُما: إِمَّا الغَبَاء الشَّدِيدِ أو الحُرِيَّة المُسرِفَة.[3]

وهو ذَات الأمر الذي تحدثت عنه المُستشرقة التي جَاءت بعدها "**جوليا باردو Julia Pardoe**" بعد أن أكَّدت أن كِتابات الغَربيين حول المَرأَة خضعت للخيال بِشكل كَبير وهو ما يبدوا جليا في الأوصَافِ التي طَالَتهَا وفي الرُسُومَات والصُورِ التي جُسِّدَت عَنها. وقَد أدرَكَت كِلاهُما أن لَا أَساسَ لَها مِن الصِّحَة بَعدمَا سُمحَ لَهُمَا بزِيارَةِ الحَرِيمِ وعَددٍ مِن نِساءِ الدولة عَلى اختِلافِ طَبقَاتِهم.

كما ذكرت "**ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu**" أنَّ للمَرأة نَشاطَانِ أسَاسِيَّانِ هُما: التَّرحِيبُ بالأصدِقَاءِ وإِكرَامِهِم، وزِيَارَةِ الحَمَّامَات، وأكَّدت في خِضَم حَدِيثِها عَن النَّشَاطِ الثَّانِي أن ما روج من صُور حَول الحمامات العثمانيَّة من الكتاب الرجال الغَربيين

[1] مونتجو، المرجع السَّابق، ص ص91، 143.

[2] Julia Pardoe, **Sultanlar Şehri İstanbul,** Çeviren, Banu Büyükkal, Editör, Emre Yalçın, Baskı Ekim, Yaylacık Matbaacılık, Turkey, 2010, p 466.

[3] مونتجو، المرجع السَّابق، ص 89

مجرد صور خيالية فلم يسمح للرجال بدُخولها.[1] فَضلاً عن ذلك، فالمَرأَة العثمانيَّة مَرأة مُحتَشِمَة تَحظَى باحتِرَامٍ كَبير مِنَ الوَسطِ العُثمَانِي، لا تَجرُؤ عَلى إبرَازِ نَفسِها بمَظَاهِر الغُنجِ في المُجتَمع.[2]

أضف إلى ذلك، فالنِسَاء يَستَمتِعنَ بعددٍ مِن الأنشِطَة **الجَامِدة** حَسبَ ذِكرِها دَاخِل الحَرملِك كالغِنَاء، الرَّقص، المُوسِيقَى، التَزيي، لِبس الحُلِي وغَيرِها مِن الأشياء. التي نَالَت استِحسَان وانبهَار المُستَشرِقة **"ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu"** وبِمُوجَبه حظيت المَرأَة بمكانة مميزة في نَظرها. [3]

المثير للانتباه هُنا، أن رحلة هذه المُستشرقة وزوجها الدبلوماسي قد دامت لمدة أربعة عشر شهرا صَادَفت فَترَة حُكم السُّلطَان "أحمد الثالث"[4] الذي شَهِد حُكمِه بدايَة عَصرِ التُولِيب. تمكنت خِلالها مِن زِيَارَة سَيِّدَات الطبَقَةِ العُليَا العُثمَانِيَّات وإبدَاءِ مُلاحَظَاتِها وآرَائِها حَولَهُن، فَذكَرَت في رِسَالَتِها المُؤرخة عام 1717م أنَّهَا لَم تَر قَطُ جَمَالا مِثل جَمالِ هَاتِه النِّسوَة

[1] Kaçmaz, Çoban Döşkaya, Op cit, p31.

[2] Monica Mastrantonio, **"Lady Mary Wortley Montagu: The Epistolary Women Because Women Could Not Be Called Philosophers, Scientists or Inventors"**, Journal of The History of Women Philosophers and Scientists, V01, Issue 01, 2022, p 151.

[3] مونتجو، المرجع السَّابق، ص 149.

[4] **السلطان أحمد الثالث (1673 -1736م)**: هو السلطان العُثماني الثالث والعشرين، تولى حكم الدَّولَة بعد أن أضحى عمره ثلاثين عاما لمدة سبع وعشرين سنة من عام 1703م ولغاية 1730م. تمكن خلالها من دخول الحرب ضد روسيا وهزيمتها وتوقيه هدنة معها عام 1711 عرفت بمعاهدة "بروت"، ونتيجة لهذه الأَخيرة سَعَى العُثمانيون في عهده إلى استعادة ممتلكاتهم المفقودة بناء عَلى معاهدة كارلوفجة، كجزيرة المورة فدخلوا في حروب مع البندقية التي ما لبثت أن اضمت لها القوات النمساوية فلم يتمكن العُثمانيون من استعادتها، وبناء عَلى هزيمتهم وقعوا معاهدة "بساروفجا" عام 1718م، سيطرت بموجبها النمسا عَلى بلجراد، وأجزاء من صربيا الشمالية، وتغيرت بناء عليها سياسة الدَّولَة العُثمانية من سياسة الفتوحات نَحو سياسة الدفاع والمحافظة عَلى الممتلكَات والأراضي العُثمانية. بالإضافَة إلى ما تم ذكره؛ شهد عهد السلطان أحمد الثالث أول توجه نَحو الإصلاحات وفق النموذج الغَربي التي تزامنت مع عهد التوليب. وافتتحت في عهده أول مطبعة عثمانية بفضل جهود إبراهيم متفرقة عام 1727م، وعدد من المكتبات لشجيع القراءة. كما تم افتتاح مصانع عثمانية عديدة كمصنع الورق، ومصنع الخزف، وتشكيل وحدة مكافحة الحرائق، فضلا عن توجه الدَّولَة نَحو تطبيق أول حجر صحي في المَنطِقَة. للمزيد أنظر: كولن، المرجع السَّابق، ص ص218 -225.

فَهُنَّ ذَواتُ بَشرةٍ لَامِعَة، وعُيونٍ سَوداءَ كَبِيرَة. تَمتعنَ بِحُرِيَّةٍ كَبِيرة في الوَسطِ العُثمَانِي خَاصة النِّسوَة المُحجَبَات. وقد اعتَبرَت أنهُن الفِئَة **الوَحِيدَة** الحُرَّة في الدولة العثمانيَّة بَل لَديهِنَّ الحُرية أكثَر مِن تِلكَ التي تَمتعَت بها نِسوَة أورُوبا.[1]

فَضلاً عن أنها توجهت في إحدى رسائلها إلى تأكيدها عَلى القدوم للدَّولة العثمانيَّة لكل امرأة غَربية ترغب في أن تكون امرأة جَمِيلَة، مُزدَهِرَة وحُرَّة. وإلى المُقَارَنة بين طُرقِ المُعامَلة الغَربيَّة والشَّرقِيَّة للمَرأة تأكَّدَت فِيها بأن بِلادَها تُعامِل المَرأَة بِطُرقٍ هَمجِيَّة عَكسَ الدولة العثمانيَّة.[2]

وهو ذَات الأمر الذي توجهت إليه المُستشرقة الرَحالَة **"جوليا باردو Julia Pardoe"** التي قصدت الدولة العثمانيَّة بَعدَها، أين قَامَت بمُقَارنة نِساءِ الدولة العثمانيَّة بنِسَاءِ أورُوبا، وذَكرَت أنَّ العُثمَانِيَّات كُنَّ لَطِيفَات، مُؤدبَات، وَدُودَات، تُحسِنَّ التعَامُلَ مع المَرأَة الأوروبية. تَزيدُ مُعامَلتُها الحَسنَة، مَشاعِرُها البَسيطَة وسُلُوكها مِن جَاذِبيتِها كامرأة شَرقِيَّة عَكسَ المَرأَة الغَربية صَاحِبة النَظرَة المُتغَطرِسَة كُلياً، فَضلاً عن أنهُن الأكثَر حُرِّية وسَعادَة في الدولة.[3]

وهو أمر اتفقت عَلى ذكره والمُستَشرقة **"ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu"**، غير أن هذه الأَخيرة اختلفت عن سابقتها في طرح ومُعالجَة الأمر وتوجهت أبعد من الحَدِيث عن الصِفَات والسُلوكيَّات التي تَبدُرُ مِنهُن. نَحو مُقارَنةِ وضع المَرأَة العثمانيَّة، مكَانتها، حيَاتها، وطَبيعَتُها كامرأة بالمَرأَة الغَربية أو الإنجلِيزية عَلى وجه التَحدِيد. أين أكَّدت أنهن لا يختلفن عن بَعض من ناحية الذكاء، الفطنة، التحرُر الفِكري وكذَا المُستَوى الثقَافِي. لكنَّ نساء الدولة العثمانيَّة أكثر طيبة من غيرهن ويُجِدنَ التعامل مع الأجنبي.[4]

---

[1] Kaçmaz, Çoban Döşkaya, Op cit, pp 25, 29.

[2] Monica Mastrantonio, Op cit, P 150. See as well : Julia Pardoe,Op cit, p 85.

[3] Julia Pardoe, Op cit, pp 499- 500.

[4] مونتجو، المرجع السَّابق، ص 181.

فَضلاً عن هذا، عمدت هذه المُستشرقة إلى اختتام بَعض من رسائلها بذكرها للفروق بين ما شاهدته ولاحظته عن المَرأَة العثمانيَّة وبين ما كتب عنها، وأكَّدت أن هؤلاء الغَربيين يسعون لإقناع القراء بكِتاباتهم الممزوجة بالخيال وبقصص من اختراعهم، لا تمد للواقع والحَقيقَة بصلة. وأنها لا تكتب سوى الحَقيقَة وأن طبائع البشر لا تختلف بالشيء الكَبير عن بَعضها.[1]

لم يختلف هذا الأمر عن واقع المَرأَة العثمانيَّة في مِصر، فالرَحالَة البريطَانية التي أُدرِجت بَعض من المَعلُومَات الواردة في رسائلها ضمن كِتابات أخيها المُستشرق "**إدوارد وليام لين Edward William Lane**" والتي سَبَق ذكرها "**صوفيا لين بول Sophia Lane Poole**" قد أكَّدت هذا، فحَسبَ ما ورد من معلومات أن النسوة يجدن التعامل مع النساء الأجنبيات، يقضين أوقاتهن في تبادل الأخبار أو مع النارجيلة، ويقتصر تعليمهن عَلى التطريز ومُختَلف الأعمال اليدوية.[2]

القارئ لمثل هذه العبارات يلحظ ذاك الوصف الدقيق لنساء الدولة والتشابه بينهن، ولكنه مع ذلك يحمل نوعا من التقليل من شأنهن، فقد حُصرت حياة الواحدة منهن في اللعب، تبادل الأخبار، الحمام، التطريز، لقاء الأصدقاء أو حتى الجلوس دون عمل، وفي هذا نوع من الحصر والتضليل لجوانب أخرى من حياتهن، فهذه الأوصاف تبرز حياة المرأة العثمانية بأنها فارغة، ورتيبة وليس بها شيء مهم.

ولعل هذا الطرح قد أيده بعض من الباحثين وذهبوا إلى تفنيد هذا الأمر، فعلى سبيل المثال لا الحصر لم تقتصر حياة المرأة في مصر على هذا فقط، فهناك من خاضت غمار التجارة والالتزام حسب ما أملته وثائق المحاكم الشرعية، وهناك من أسهمن بأوقافهن

[1] مونتجو، المرجع السَّابق، ص ص91، 143.

[2] صوفيا بول، المرجع السَّابق، ص ص150 -151، 256. أنظر أيضا: أنظر الملاحق العاشر، الرابع عشر والخامس عشر، ص ص328، 332، 333.

المختلفة من بناء للمدارس والمساجد وإطعام للفقراء والمساكين وغير ذلك في تطوير الجانبين الاقتصادي والاجتماعي في مركز الحكم أو الولايات على حد سواء.[1]

بالعودة للكتابات الاستشراقية، استنكرت **"جوليا باردو Julia Pardoe"** بَعضا من المعاملات التي لقيتها بَعض من النسوة في الدولة العثمانيَّة وحاولت نقل أحداثها بتحَفظٍ تام عَلى غِرار قَضِيَّة **إعدام المَرأَة في الدولة العثمانيَّة**، والتي وإن نقلت كما حدثت بالفعل إلا أنها تَضمنَت آراء هَذه الأَخيرة وأفكَارها الضِمنية التي يُمكن أن نُدرِجها ضمن سِياق الأفكَار التي يسعى المُستشرقون إلى تسريبها وإيصالها للقارئ الغَربي ومن ثم رسم وتشكيل صورة العالم العُثماني والإسلامي في ذهنه.[2]

فذكرت عددا من القصص حول هذا كان في طليعتها قصة تكرر حدوثها في الدولة واختلفت أسباب كل واحدة عن الأخرى. تروي قصة المَرأَة التي وُضعت في كيس ورُبطت ورُميت في عَرض البحر والتي بمجرد ظهورها عَلى السطح ضربت بالمجاديف حتى غرقت. وكان السبب وراء ذلك هو ذمُّها وشتمها للدَّولة بعد أن توفي زوجها الإنكشاري، والتي خلفت عَلى حَسبَ قولها ذهولا ودهشة في ذهن رفيقها وكَانت حَسبَها من بين العَادات والمراسيم العثمانيَّة القاسية والمثيرة للاشمئزاز.[3]

---

[1] ماجدة صلاح مخلوف، **الحريم في القصر العثماني**، ط01، دار الآفاق العربية، القاهرة -مصر، 1998م، ص ص42 - 43. أنظر أيضا: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، **الريف المصري في القرن الثامن عشر**، ط02، مكتبة مدبولي، القاهرة -مصر، 1986م، ص ص106، 113، 114. أنظر أيضا: عبد الرزاق عيسى، المرجع السابق، ص ص24، 25، 65، 66، 68.

[2] لعل القارئ هُنا يتساءل عن سبب إدراج هؤلاء الرحالة ضمن سياق البَحث، وتبيان آرائهم حول المرأة العُثمانية وجَانِبِ الحريم. فهذا لكون الرحالة الأولى قد كتبت رسائلها بإيعاز من أخيها المُستشرق **"إدوارد وليام لين Edward William Lane"** ليتم جزءا هاما من كِتابه الخاص بالمُجتَمع المِصري فكما هو معلوم أن المُجتَمعات الشرقية لا تسمح بتواجد الرجال الأجَانِبِ في أقسام الحريم الخَاصَّة بهم. في حين كَانت كِتابات الرحالة الثانية **"جوليا باردو Julia Pardoe "** تدرج ضمن نفس المرتبة مع كِتابات المُستشرقة **"ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu"** وهذا لمعرفتهما الكَبيرة بالدَّولَة العُثمانية، هذا بغض النظر عن الاحتمال الذي قد يدرج كليهما ضمن فئة المُستشرقين والقائل بأن كل شخص غَربي زار الشرق وكتب عنه فهو مُستشرق.

[3] Julia Pardoe, Op cit, pp 466.

بالإِضافَة لقصة المَرأَة التي أحبت شخصا ما لكنها زُوجت عنوة من شخص لا ترغب به والتي كَانت في نَظرها بمثابة مأساة شنيعة، أين ذكرت أن بيتها كان مقابلا لأحد المساجد، وتصادف ذَات مرة صعود الإمام ليؤذن للصلاة نزول رجل من نافذة الغرفة الخَاصة بالحَريم. الأمر الذي استَنكرهُ الإمام ولم يَقبلهُ فشَتمَ المَرأَة ونَزلَ عقِبَ إتمَامِه للأذان وتوجه لزوجها التاجر وأخبره بما جرى، ثم ما لبث أن عاد للحي مناديا بأعَلى صوته ومنددا بما حدث مستعمَلا خطابات دينية محفزة. الأمر الذي دفع بدَورية عُثمَانية إلى ملاحقته والقَبضِ عَليهِ بعد أيامٍ مِن فراره، ليتم محاكمته وزوجة التاجر ومن ثم إعدامهما.[1]

القارئ لمثل هاتين القصتين لا يولي بالا للمعاني التي ترغب هذه المُستشرقة بإيصالها، فهي مجرد قصص. لكن بالحَدِيث عن القصة الثانية وبالتركيز عَلى الألفاظ التي استخدمتها في وصف الإمام، وفي وصف شعور وموقف المُجتَمع العُثماني من الأحدَاث، فَضلاً عن محاولتها لربط الأحدَاث بشخصية فرد مسيحي يوناني وموقفها هي في حد ذَاتها من كل هذا يعطي انطباعا آخر.

فالإمام الذي يمثل الدِّين الإسلامي ماهو إلا شخص متعصب، عنيد، غيور. وما الفرد العُثماني الذي يعتبر جزءا من المُجتَمع إلا شخصا قاسيا، غيورا، فظا وغير حنون. ثم كيف لمجتمع يرفض أن تحب، أو بالأحرى أن تنحدر زوجة المسلم إلى حد أن تقبل حب المَسيحِي اليوناني؟[2] وغيرها من الألفاظ والعبارات. وبالتالي ربطت هذه المُستشرقة الوَاقِعة بالدِّين الإسلامي ثم أشَارت للموقف الذي اعتاد المُستشرقون عَلى تبيانه في كِتاباتهم والمتمثل في الرفض العُثماني الإسلامي لكل ماهو مسيحي.

في حين كان للمُستشرقة "**ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu**" نَظرة أخرى في مثل هذه القَضِيَّة، فهي لم تتقبل فِكرَة الخيانة الزوجية وذكرت في كِتاباتها أنَّها

[1] Ibid, pp467- 468.
[2] Ibid, pp468 , 470,

أمرٌ غير مقبول في الوسطين العُثماني والغَربي عَلى حد سَواء، فكَانت بذلك نَظرتها مقاربة للواقع أكثر من سابقتها.[1]

من جَانب آخر، أشَارت هذه الأَخيرة إلى بَعض من الأمور الغريبة عَلى حد قولها التي تتبعها نسوة الدولة العثمانيَّة ذَات العَلاقَة **بالإنجاب**، فذكرت أن **مكانة المَرأَة** في الوسط العُثماني لها عَلاقَة طردية بعدد الأولاد، فكل ما كان لها أولاد كثر كلما ارتفعت قيمتها ومكَانتها في المُجتَمع وحظيت باحترام بالغ من العُثمانيين والعكس صَحيح. كما ذكرت أن المَرأَة قد يصل عدد أولادها إلى الثلاثين طفلا أو كما وصفته هي بـ "**القطيع**"، في حين تصل تِلكَ التي لها ولد واحد أو حتى تِلكَ التي لم تنجب إلى أن تُزدرى وتحتقر من الوسط العُثماني، باعتباره يُكون عنها صورة "سن اليأس" أي أنها تجاوزت "سن الإنجاب" حتى وإن لم يكن كذلِك.[2]

هذا الأمر قاد المُستشرقة إلى الحَدِيث عن قَضيَّة **انتِشار الدجل والسحر والشعوذة في** الوسط النسوي العُثماني، باعتبار أن أمر فُقدان أو توقف الإنجاب كان من بين الأمور التي تقود المَرأَة وتوجهها نَحو السحر رَغبَة في إثبات فِكرَة أنها لا تزال في فَترة الشباب. وهو أمر أثار قلق وتوتر ودهشة المُستشرقة وسخريتها في ذَات الوَقت وعدم استحسانها.[3]

القارئ لرسائل المُستشرقة "**ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu**" يرى الوصف الذي طال نساء الدولة العثمانيَّة ويدرك أنَّ جل رسائلها تِلكَ تكاد تخلوا من الأوصاف المُشينَة، بعد أن مكنها وسمح لها مَنصِب زوجها من زيارة نساء الطبقة العليا ودُخول أقسام الحَريم والكتابة عن كل ذلك. أجملت بأن قسم الحَريم كالفردوس -من شدة جمال ما عاشته بداخله -والمَرأَة العثمانيَّة مرأة محترمة، مثالية، ذَات سلوك مهذب، عذب ومظهر

[1] مونتجو، المرجع السَّابق، ص 152.

[2] نفسه.

[3] نفسه، ص ص152، 145.

ملكي غير مكلف وأكَّدت أنهن يتخلفن اختلافا تاما عن نساء الإنجليز رغم كونهن يعشن في بلد كَانت تصفه وغيرها **بالهمجية**.[1]

ولكن هذا لا يخرجها من نطاق الاستشراق، فرغم كثرة الأوصاف الحسنة واللائقة الخَاصة بالمَرأَة العثمانيَّة وإن لم تتوفر الأفكَار الاستشراقية في كِتاباتها، وكذا رغم محاولاتها ومساعيها الجادة للوصول إلى الحقائق التَّاريخية الصَحيحة حولهما وتصَحيح الأمر. إلا أن رسائلها تِلكَ أكَّدت أنها سخرت ملاحظاتها وجهودها لخِدمَة الكَنيسَة كما ذكر سَابِقا، فَضلاً عن أنها لم تخلُ من الأوصاف غير اللائقة في حق الدولة العثمانيَّة.

من أمثَال قولها أنَّ الأتراك همج وبربر، وهو وصف طالهم بِسَببِ حروبهم مع النمسا. بلدهم لا تحو أي ثَقافة، همهم السعي وراء اللهو، الملذَات والشهوات، ولا يعرفون معنى الصلات الإنسانية. تسَعَى سلطتهم المستبدة والطاغية التي جسدتها في "القصر" إلى تلبية وإشباع رغباتها فقط.[2] ولعل هذه الأوصاف أوصافٌ لا يستطيع أي مُستشرق التنزه عنها وإن رغب في ذلك.

إلى جَانب ما تم ذكره، حظيت المَرأَة العَربية هي الأخرى بنصيب في الكتابات الاستشراقية البريطَانية، فهذا المُستشرق "**إدوارد وليم لاين Edward William Lane**" تحدث في كِتاباته عن المَرأَة المِصرية خِلال العهد العُثماني، فذكر أنهن حسناوات، تبرز ملامح جمالهن ابتداءً من سن الرَّابعة عشر ولِغَاية العشرين ولكنها سرعان ما تشرع في الاختفاء حتى لأن الواحدة منهن تصل للقبح في نَظره وهي في سن الأربعين.[3]

كما توجه في كِتاباته نَحو التغزل بالمَرأَة المِصرية وملامحها الجميلة التي خلفت في نفسه الدهشة والإعجاب، فَضلاً عن حديثه عن الألبسة النسوية، طَريقَة المشي والأحذية

[1] مونتجو، المرجع السَّابق، ص ص120، 123.

[2] نفسه، ص 148.

[3] إدوارد وليم لاين، المرجع السابق، ص ص40، 48.

المستعمَلة. وتَضمَّنَ كِتابه عبارات كثيرة عن هذا الأمر وهو ما يجعله مُختَلفا عن المُستشرقين السَّابقي الذِّكر في طرح ومُعالجَة هذا المَوضُوع.[1]

أشَار هذا المُستشرق خِلال حديثه عن المَرأَة إلى عدد من العَادات المعمول بها في ولاية مِصر والمشابهة إلى حد كَبير عادات مركز الحُكم التي تم ذكرها سَابِقا، عَلى غِرار تِلكَ القاضية بعزل غرف الحَريم عن الرجال، فلا يدخلها سوى رب الأسرة، أبناؤه، أولاده وبَعض الأقارب. تعيش فيها الزوجة أو الزوجات، الخليلات إن وجدن والجواري.. بالإِضافَة لتزويج البنات فور بلغوهن وكذا عادة الإنجاب المذكورة سَابِقا، فكَانت نساء مِصر كنساء مركز الحُكم ولودات، كثيرات النسل وهو ما يُشير إلى عدمِ وجود اختلاف بين مركز الحُكم والوِلايات وإن بعدت.[2]

كما أكَّد أن المِصريات تحضين بمكانة عالية في المُجتَمع المِصري، ينظر لهن نَظرة احترام وتقدير ولا يُمكن لأي رجل أن يرفع نَظره نَحو واحدة منهن. كما تتمتعن بمطلق **الحرية** في بلدهن، فلهن حق الخروج من البيت، التنزه، زيارة الأقارب والأصدقاء فلا يظللن بذلك حبيسات الغرف. واستثنى من ذلك الجواري اللواتي كن حَسبَ ذكره خاضعات لسُلطَة السيد أو زوجته. فَضلاً عن أنهن يمضين أوقات الفراغ في عدد من الأشغال كتطريز المناديل وأغطية الرأس، الزيارات المتتالية للحريم، الأكل، شرب القهوة واستعراض الألبسة، غير أن الاختلاف الكائن بينهما قد يكون في عدم إجادة المِصريات للموسيقى والرقص، فكان الشبه بينهما كَبيرا نوعا ما.[3]

[1] إدوارد وليم لاين، المرجع السابق، ص ص50 -63.

[2] نفسه، ص ص140، 162.

[3] نفسه، ص ص177، 190، 193.

في حين اختلفت حياة المَرأَة المنتمية للطبقة الدنيا عن السَابِقات، فرخاء العيش والتمتع بالألبسة والحلي واستعراضهما لم يعشنه. فكن يكدحن كأزواجهن بحثا عن لقمة العيش، فتغزلن القطن أو الصوف، تجلبن الماء، تحضرن الطعام وتستعمِلن روث الأغنام لتسخين الفرن ولأغراض أخرى، تمارسن التجارة وتُعِلن عائلاتهن. فكن حَسبَ رأي المُستشرق "**إدوارد وليم لاين Edward William Lane**" يعشن خنوعا للأزواج أكثر من نساء الطبقة العليا.[1]

تَجدُر الإشارة هُنا إلى فِكرَة مهمة مؤداها أن هذا المُستشرق وفي عَدِيد المرات يعمد إلى وصف المَرأَة المِصرية بأوصاف مُشينَة، خَاصة في الأمور المُتعلِّقة بمسألة الخيانة الزوجية والعلاقات الغرامية. ويستند في تَبرِير موقفه وتأكيده إلى ما ورد في قصص ألف ليلة وليلة، بل ويحاول جاهدًا إسقاط الأمر عَلى الوقع وتأكيده متناسيا أنها مجرد قصص. [2]

الملاحظ هُنا أن كِتابات هذا الأَخير حول المَرأَة العثمانيَّة يعتريها الإخِلال والنقص، كونها تركز عَلى الأمور الظاهرية فقط والبعيدة عن الوَاقِع المعاش، ومرد هذا لعدم قدرة هذا الأَخير عَلى دُخول أقسام الحَريم ومخاطة النساء عن قرب. فكَانت كِتاباته بناء عَلى قصص سمعها أو مشاهدات اختلسها أو حتى معاينته ومصادفته لبَعض من الأمور لكنها جَمِيعا لا تكفي لتُكوِّنَ تَاريخ المُجتَمع النسوي المِصري العُثماني.

[1] إدوارد وليم لاين، المرجع السابق، ص 195.

[2] نفسه، ص ص305 -309.

II. الحياة الاجتِماعية في الدولة العثمانيَّة

أولا - الأوبئة والأمراض

لقد تعرضت الدولة العثمانيَّة وولِاياتها لسلسلة من الموجات الوبائية[1] الخَاصة بالطاعون[2] كان لها آثار سلبية عليهما، فقد قوضت بنيان الدولة والوِلايات، مست تركيبة المُجتَمع فيهما، غيرت كذلِك طبيعة الحياة المعاشة وأوضاع المُجتَمع وحيثيات كثيرة. وقد سجل الرَحالَة المُستشرقون الذين وافت رحلاتهم فَترة انتِشار الوباء هذه الوقَائِع بتفاصيل مُختَلفة باختلافهم، ذكروا ما رأوه واجبا ذكره وتغاضوا عن كثير.

بدءا بالمُستشرق والرَحالَة البريطاني "**جون انتس John Antes**" الذي قصد مِصر خِلال الربع الأَخير من القَرن الثامن عشر، بالضَّبط ما بين السَّابع عشر جانفي لعام 1770م ولِغَاية السادس والعشرين جانفي لعام 1782م. هذا الذي مكنته إقَامَته المحدودة بها من نقل أوضاع الولاية وما شَهِدته ومرت به خِلال فَترة الوباء. بالإِضافَة للمُستشرق والرَحالَة "**ألكسندر وليام كينغلك Alexander William Kinglake**" الذي زار هو الآخر ولاية مِصر خِلال النصف الأول من القَرن التَّاسع عشر بالتَحدِيد عَامَي 1834 -1835م، واستطاع كذلِك نقل أوضاع المَنطِقة خِلال فَترة انتِشار الطاعون بها وتسريب بَعض من الأفكَار كسابقيه ضمن سِياق حديثه عن الأمر. لتتبعهم في ذلك الرَحالَة البريطَانية "**جوليا باردو Julia Pardoe**" التي

---

[1] **الوباء/ المرض (The Disease /The Epidemic):** أكَّدت الكتب والموسوعات ومُختَلف القواميس عَلى أن هُناك فروق شاسعة بين كل من الوباء والمرض، فالوباء هو مرض يصيب عددا من الناس، مجتمعات، أو أقاليم في مدة زمنية واحدة، وهذا من أمثَال"الحصبة، الكوليرا والطاعون". في حين كان المرض علة تصيب العقل أو الجسم، مُختَلفة الحدة والمدة وحتى النتائج. للمزيد أنظر: مجموعة مؤلفين، **الموسوعة العَربية العالمية**، ج27، ط02، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض -المملكة العَربية السعودية، 1419هـ/ 1999م، ص 48. أنظر أيضا: نفسه، ج23، ص 105.

[2] **الطاعون (The Plague /La Peste):** مرض معدٍ يصيب الحيوانات ثم مايلبث أن ينتقل للإنسان وتنقل له العدوى، فيحتقن وجهه، يجف لسانه، ترتفع درجة حرارة جسمه، ويرافقه في ذلك الصداع والتعب والإعياء وقد تظهر عليه كذلِك الدمل وينتهي الأمر بحامله في عديد المرات إلى الوفاة. للمزيد أنظر: مجموعة مؤلفين، **الموسوعة العَربية الميسرة**، ج04، ط03، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت - لبنان، 2009م، ص 2136.

قصدت العاصمة العثمانيَّة "استنبول" خِلال القَرن التَّاسع عشر بالضَّبط عام 1836م، وشَهِدت خِلال تواجدها بها انتِشارا لوباء الطاعون فتمكنت من نقل أوضاع العاصمة وما انجر عن هذا الوباء.

01 الوباء في ولاية مِصر العثمانيَّة

كما هو معروف أن الدُول والمنَاطِق تعرف انتِشارا للأوبئة والأمراض كل مدة من الزَّمن، والدولة العثمانيَّة كغيرها من مناطق هذا العالم يسري بها ما سار بغيرها. فقد شَهِدت وعَلى مر تَاريخها انتِشارا للأمراض والأوبئة "كوباء الطاعون" هذا الذي اختلفت حدته ونَتائِجه من فَترة لأخرى ومن مَنطِقة لأخرى. فمع نِهاية القَرن الثامن عشر اجتاح ولاية مِصر وباء الطاعون وقد صادف انتِشاره وجود الرَحالَة البريطاني **"جون انتسJohn Antes"** فتمكن من نقل ما شاهده بالمَنطِقة وتبيان رأيه في ذَات الوَقت.

فذكر ومن باب الاستهلال في الحَدِيث عن الطاعون، عددا من الأَسبَاب المسَاهمَة في انتِشاره كان قد أجمعها في انعدام النظافة في مُختَلف مدن هذه الولاية، كثرة النفايات والمستنقعات وتعفن المَنطِقة، وبالتالي انتِشار العدوى للمجتمع عن طريق الجو. وقد دفعت هذه الأَخيرة المُستشرق والرَحالَة **"جون انتسJohn Antes"** إلى اعتبار مِصر **مركزا لوباء الطاعون وموطنه الأصلي**.[1]

لكن وعودة للكِتابات التَّاريخية التي تحدثت عن هذا الأمر وعالجته، نجد أنهم قد ذكروا أن الطاعون كان يقدم الدولة العثمانيَّة وولِاياتها عن طريق السفن الغَربية القادمة نَحوها بهدَف التجارة، وأن انعدام النظافة ليس سوى عامل يسَاهم في تقويته وانتِشاره. فَضلاً عن أن انتِشاره في مِصر عائد لكونها تضم أكبر وأهم الموانئ آنذاك والذي كان بمثابة مركز التقاء وعبور السفن والقوافل من الولاية وإليها وعبرها كذلِك، وبالتالي كان مكان

[1] جون انتس، **مذكرات رحالة عن المِصريين وعاداتهم وتقاليدهم في الربع الأَخير من القَرن الثامن عشر (1770 -1782م)**، تر وتع وتق، سيد أحمد علي الناصري، المجلس الأعَلى للثقافة، مِصر، 1997م، ص 62.

التقاء الناس عَلى اختلاف جنسياتهم ومكان انتقال الأوبئة والأمراض في ذَات الوَقت. [1]

فَضلاً عن ذلك، ذَهبَ هذا المُستشرق إلى أبعد من هذا نَحو الحَدِيث عن عدد من الطرُقِ التي اتبعت في مركز الحُكم والمنَاطِق القريبة منه بهدَف منع انتِشار الوباء وإصابة عدد كَبير من الأشخَاص.[2] كان في طليعتها اعتزال الناس وتجنب الاختلاط بهم، غلق البيوت وتهويتها بشكل دائم، إقامة الحواجز الخشبية عَلى البيوت مع فتح نافذة لإدخال المواد الغذائية منها (وهذا عَمِل الخادم) وهو أمر اعتاد الأجَانب المقيمين بمِصر عَلى القِيام به، غسل المؤن وما يدخل البيت، منع دُخول الملبوسات المصنوعة من القطن، الحرير والصوف بِسَببِ انتقال الوباء عن طريقها. فَضلاً عن غمس الرسائل في الخل أو تعريضها للدخان في حال نقلها عن طريق اللمس، ليتم تغيير طرق إرسَال الرسائل من الطَريقَة السالف ذكرها نَحو وضعها في صناديق خشبية مشمعة. [3]

وقد أشَار هذا الرَحالَة في سِياق حديثه عن الطاعون إلى مدى خطورته فكان في نَظره أقسى بلاء يُمكن أن يصيب الإنسان. وهو أمر اتفق عَلى ذكره هو والمُستشرق الرَحالَة "**ألكسندر وليام كينغلك Alexander William Kinglake**" الذي جَاء بعده. غير أن "**جون انتسJohn Antes**" ذَهبَ إلى أبعد من هذا إلى مقارنة الأمر مع مركز الدولة فذكر أن انتِشاره في ولاية مِصر وفي بَعض من مَناطِقها كـ "القاهرة" و"الإسكندرية" و"دمياط" أسهل

---

[1] هجيره غراف، "**السلطة العُثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر - الحجر الصحي أنموذجا**"، مجلة القرطاس للدراسات الفِكرية والحضارية، مج07، ع02، تلمسان -الجزائر، جويلية 2020م، ص 154.

[2] أشَارت الرحالة البريطَانية "**صوفيا لين بول Sophia Lane Poole**" في سياق كِتاباتها عن وباء الطاعون الذي اجتاح إيالة مِصر خلال فَترة تواجدها بها بالتَحدِيد عام 1843م، إلى الطرق المتبعة لتشخيص هذا الوباء وكونه معدٍ أم لا. فذكرت أن الإيالة استقدمت خبراء وأطباء من روسيا للقيام بالأمر ولكن طريقة تشخصيهم عدتها هذه الأَخيرة أمرا غريبا بل الأكثر غرابة عَلى الإطلاق وهو كذلِك، أين توجهوا إلى تَحديد ودفع مبلغ مالي مقتدر مقابل ارتداء لباس من أصيب بالطاعون ومات وهذا بغية معرفة إن كان معديا. فكان هذا في ذَات الوَقت عرضا مغريا لفقراء مِصر الذين تهافتوا نساء ورجالا عَلى المكان بغية تجريب الملابس وأخذ المال، لكن الأمر المثير هُنا حَسبَ هذه الرحالة هو أن هذه الطرق لم تأت بنتيجة تذكر إذ لم يتم تسجيل أية حالة وفاة بينهم ولم يمت سوى أحد الأطباء. للمزيدأنظر: صوفيا بول، المرجع السَّابق، ص ص152 -154.

[3] انتس، المرجع السَّابق، ص ص59 -60.

بكَثير من انتِشاره في الأناضول والعاصمة العثمانيَّة ولعل هذا القَول غريب نوعا ما، فهو يدفع البَاحث إلى السعي نَحو معرفة السبب الكامن وراء هذا.[1]

الملاحظ هُنا، أن هذا المُستشرق الرَحالَة يسعى في سِياق حديثه إلى إيصال وإثبات عدد من الأفكَار المشوهة للعالم الإسلامي المتجسد آنذاك في الدولة العثمانيَّة ووِلاياتها، والتي مَفادُها فوضوية هذا العالم وانعدام النظافة فيه، وكونه هو الموطن الأصلي للأوبئة والأمراض، فَضلاً عن استخفاف شعوبه بمثل هذه الأوبئة وبمُختَلف وسائل الوقاية. عكس الفرد الغَربي الأوروبي الذي ما لبث أن كان وبلده مصدر النظافة وملازما في ذَات الوَقت وآخذا بوسائل الوقاية والحماية.

وإثباتا لصحة هذا الاحتمال هُناك عدد من الدلائل المؤكدة له، كان في طليعتها وضع هذا المُستشرق لعدد من الاحتِمَالات لإثبات صحة فكرته، معتمدا أسلوب التعميم كقوله ذكر البَاحثون والكتاب دون ذكر أو إشارة لمصدر معلوماته وفرضياته، وإن وجدت فهي كِتابات مُستشرقين وكُتاب غَربيين. تركيزه كذلِك عَلى هذه الفِكرة -القائِلَة بأن مِصر هي موطن الطاعون الأصلي -ومحاولة إثباتها، أضف إلى ذلك جزمه في كِتاباته بأن الأوروبيين والغَربيين عَلى العموم المقيمين بولاية مِصر لم يصب أي واحد منهم بهذا الوباء بِسَببِ العزل الذي مارسوه وأن غيرهم قد مات بِسَببِه وهذا أمر غير معقول وغير منطقي.[2]

من جَانب آخر، اختلف هذا المُستشرق في طرحه مع "**ألكسندر وليام كينغلك Alexander William Kinglake**" المُستشرق والرَحالَة الذي جَاء بعده واتفق معه عَلى بَعض من الأمور. فذكر أنه وفور وصوله ولاية مِصر **منع من دُخولها** بِسَببِ انتِشار وباء الطاعون بها، الذي كان حَسبَ ذكره بمثابة البلاء والمصيبة الكبرى عَلى الأهالي. لكنه ورغم ذلك لم

[1] انتس، المرجع السَّابق، ص 59.

[2] نفسه، ص ص62، 61، 73.

يكترث للأمر وأصر عَلى دُخولها ليُتم الأمر الذي جَاء لقضائه والذي لم يفصح عنه في كِتابه، وتم له ذلك.[1]

تمكن هذا الرَحالَة من ذكر بَعض من نَتائِج تفشي الطاعون في رحلته وما لقيته المَنطِقة من ورائه، ولم يغفل كذلِك عن الحَدِيث عن الفرق بين الشخص المسلم والأوروبي غير المسلم في التعامل مع مثل هذه الأوضاع كسابقه. فحَسبَ ما أملته كِتاباته خلف هذا الوباء وفايات عَدِيدة قدرت آنذاك بما يقارب الخمسمائة فرد يوميا، ليتزايد هذا العدد بتزايد شدة الوباء إلى أن فاق الألف شخص في اليوم الواحد. وافق ذلك كثرة المآتم والجنازات، وإيصاد الناس أبواب بيوتها، إغلاق العيادات وعزوف الأطباء الغَربيين الذين قدموا مِصر للعَمِل بها سَواء من فِرنسا، روسيا، انجلترا ... عن تطبيب الناس.[2]

وهو ما زاد الأمر حدة وصعوبة وكان له مجلبة ومدعاة للهم، ولعله في ذَات الوَقت سببا جعله يتوجه نَحو الحَدِيث عن الفروق بين شخصية الفرد المسلم والغَربي. فالأول -وأقصد الفرد المسلم -ورغم الوباء إلا أنه متم لحياته قاض لصروفها، متخذ من "القضاء والقدر" سببا في ذلك. وقد أدهشه هذا الأمر وضرب فيه مثالا تجسد في عدم تخلي المِصريين عن ممارسة شعائر الدِّين والاحتفال بعيد الأَضحَى رغم شدة الوباء. في حين كان الغَربي أكثر خوفا من سابقه آخذا لتدابير الحيطة والوقاية، عزل نفسه عن الناس وامتنع عن الخروج من بيته ولكن مع ذلك كَانُوا هم الأكثر إصابة من غيرهم.[3]

---

[1] بالإطلاع على كتابات هذا المستشرق –الأصلية -يلحظ فيها أنَّ هذا الأخير قد دون مشاهدات رحلته بإيعاز من شخصية مجهولة أوردها تحت مسمى صديق، كان ق طلب منه مخطط رحلته للشرق كونه يرغب في زيارته، الأمر الذي جعله يعزم على كتابة رحلته وتدوينها آمِلا من وراء هذا الجهد أن يطلع عليها أحد أعضاء الجمعية الإحصائية الملكية، وبالتالي فهو لم يخرج من سياق تسخير المعرفة لخدمة الحكومة أي من سياق الاستشراق. للمزيد أنظر: كينغلك، المرجع السابق، ص 92. أنظر أيضا: Alexander William Kinglake, **Travel In The East**, 04edi, Pall Mall, London, 1845, preface

[2] نفسه، ص ص92 -95.

[3] نفسه، ص 93.

ولعل كِتابات هذا الأَخير وطرحه القصير والمقتضب به نوع من التأييد لكِتابات المُستشرق السَّابق وأفكاره، ودحض لها في ذَات الوَقت. فالتأييد يتجسد في تأكيده أن الفرد الأوروبي فرد ملتزم بوسائل وأساليب الوقاية أكثر من غيره ولكن هذا من باب الخوف لا من باب الالتزام كما ذكر "**جون انتسJohn Antes**". فَضلاً عن أنه دحض فِكرَة الاستهتار وأن الولاية وشعبها غير ملتزمين بوسائل الحماية والوقاية، وهذا في تأكيده عَلى العزل الذي طبقته مِصر عَلى نفسها بمنع مُختَلف الأشخَاص من دُخولها وأن دُخوله إياها كان بعد إلحاح وإصرار، بالإِضافَة للفِكرَة القائِلَة بأن الوباء لم يصب أي فرد غَربي.

02 الوباء في العاصمة العثمانيَّة "استنبول"

شَهِدت العاصمة العثمانيَّة "استنبول" انتِشارا لوباء الطاعون خِلال النصف الأول من القَرن التَّاسع عشر، بالضَّبط خِلال شهر سبتمبر من عام 1836م. وقد تمكنت الرَحالَة الإنجلِيزية "**جوليا باردو Julia Pardoe**" من موافاته ومعاينة الوَضع والكتابة عنه. فذكرت في مستهل حديثها وصفا أطلق عَلى العاصمة العثمانيَّة وشاع استعماله وذكره آنذاك، تمثل في كونها "**مدينة الطاعون والنار**" وهذا لانتِشار كل من وباء الطاعون والحرائق فيها بكثرة ولعل هذا القَول دفعها بالكتابة عن هذا الأمر والحَدِيث عنه.[1]

أشَارت هذه الأَخيرة في كِتاباتها إلى سبب رئيس مسَاهمَ في انتِشار الوباء تجسد عَلى حَسبَ قولها في انعدام النظافة وانتِشار القاذورات في الوسط، وهو أمر اتفقت عَلى ذكره هي والمُستشرق الرَحالَة "**جون انتسJohn Antes**". كما أكَّدت أن انتِشاره بكثرة كان بين أفراد الطبقة الدنيا من عمال وفقراء انعدمت النظافة بينهم واعتادوا عَلى عدم تغيير ملابسهم ما سَاهمَ في انتِشاره أكثر فأكثر. ولعلها بحديثها هذا تشير إلى ذَات الفِكرة التي أشَار إليها المُستشرقين السَّابقي الذِّكر خَاصة إذا لاحظنا مساعيها لتأكيد هذا الأمر وإصرارِها عَلى إبرازه. نَاهيك عن أنها أشَارت إلى عامل مهم لم يذكره غيرها كان عَلى حد ذكرها عاملا مهما لا يصدق بل ويدفع الشخص نَحو الجنون، والمتمثل في قِيام اليَهود بشراء ملابس كل من

[1] Pardoe, Op cit, p 535.

أصيب بالوباء بِشكل سري وإِعادَة بيعها متخذين في ذلك ذريعة التجارة وكونها صفقات مربحة ومتناسين العواقب الوخيمة التي تنجر عن ذلك، وهو ما سَاهمَ في انتِشار الوباء عَلى نطاق واسع.[1]

أضف إلى ذلك عامل ندرة المياه في العاصمة واستهتار الأسر العثمانيَّة والأفراد بهذا الوباء، وتجنب أعداد كَبيرة منهم عن الإفصاح عن المرض من جِهة، خَاصة الأسر الفقيرة منهم تجنبا لما سمته هذه الأَخيرة بـ **"المنفى"** والذي قصدت به الإقامة الجبرية لكل من ثبتت إصابته بالمرض في الجبال لمدة أربعين يوما، وهذا بِسَببِ تخوفهم من انعدام الأكل وقلة لقمة العيش. هذا بغض النَظر عن قِيام الأسر التي وجهت للجبال بتوظيف عدد من الأشخَاص المنتمين للشرائح الفقيرة لتطهير بيوتهم بالبخار وتهويتها وإِعادَة طلائها معتقدين أنها أمور تقضي عَلى الوباء ومتناسين حجم المخاطر الموجهة لمن يقومون بمثل هذه المهام.[2]

فَضلاً عن كل ذلك، توجهت هذه الأَخيرة للحديث عن الطرُقِ التي استخدمها العُثمانيون واليونانيون للحد من انتِشار هذا الوباء والتي تمثلت في فرض العزلة والابتعاد عن الناس، ووضع بيوت خشبية صغيرة في فناء ومدخل كل بيت يجلس فيها كل من قدم من خارجه لبرهة من الزَّمن. بالإِضافَة لاستخدام الأعشاب الطبية والاهتِمام بالنظافة الشَّخصِية، علاوة عَلى اتخاذ الدولة من السجون مستشفيات لتطبيب المصابين وقِيامها بإغلاق عدد من القصور، فَضلاً عن منعها الناس من زيارة قصر "Topkapı"، فإن أصيب الشخص رغم أخذه بالاحتياطات الواجبة يرسل للجبال. وقد أشَارت "**جوليا باردو Julia Pardoe**" إلى أمر مهم اعتاد العُثمانيون عَلى القِيام به تمثل في تجنب ذكر اسم الوباء والالتزام بقول **أنهم ذَهبَوا للجبال"** كإشارة عَلى كل من أصابه الوباء.[3]

لعلنا يُمكن أن نضيف هُنا أحد أهم الطرُقِ الوقائية التي اتبعتها الدولة العثمانيَّة للحد من انتِشار هذا الوباء، والتي لم يرد ذكرها في كِتابات المُستشرقين الرَحالَة والمعروفة

[1] Ibid, p 538.
[2] Ibid, p 541.
[3] Ibid, p 538.

بالحجر الصحي أو "**الكرنتينا Quarantena**"، هذا الذي طُبقَت تعاليمه في الموانئ وعَلى المسافرين وكل من ثبتت إصابته بوباء أو مرض أو عدوى فيروسية ما. وقد استهلت الدولة العثمانيَّة العمل به مع أواخر عهد السُّلطَان "محمود الثاني" بالضَّبط بدءً من عام 1831م، أين أطلَقت عَليهِ اسمَ "**أصول تحفظ UsÛl-itehaffuz**" وعَلى مَكانِ تَطبيقِهِ "**تحفُظ خَانة tehaffuzhâne**" أو "**دَار الحِمايَة koruma evi**" ليَتغيَّرَ عقبها اسمُه إلى "**كرنتِينَا Quarantena**" **(Karantina yeri)**.[1]

وللعلم فَقد قَامَت الدولة بِتفعِيلِ العَملِ به في عَاصِمتِها "إستنبول" وفي مَضيقِ البسفُور وعَاصِمتِها الأولى "بورصة" وكَذا في "طرابزون". وأنشَأت لِتسهِيلِ العمل به مَجلِساً خَاصاً بِهِ يَقضِي في قَضايَاه وعددا مِن المُستشفَيات، كَما استقدَمَت خُبراءَ نِمساوِيين كَانُوا قَد عَهِدُوا العمل به. عَلى أن يَتِم فَرضُ رَقابَةٍ صَارِمَة عَلى كَل السُفنِ القَادِمَة والخَارِجَة مِنها، وتَوقِيفِها وفَرضِ حَجرٍ صِحي عَلى رُكابِها قُدرَت مُدَّتُه بَينَ الخَمسَة والعَشرة أَيام.[2]

رُغمَ ذَلك فَهذِه الاحتِياطَات وغَيرُها كَانَت قَليلَة وغَيرَ كَافِية لِمَنعِ الوَباءِ في نَظرِ الرَحالَة "**جوليا باردو Julia Pardoe**"، فَهي لَم تُقلِل مِن عَددِ المُصابِين ولا في عَددِ الوَفاياتِ فَكانَ ذَلك فَضيعاً في نَظرِها. نَاهِيكَ عَن ذَلِك فالأفكَار المُنتشِرَة في الوَسطِ العُثمَانِي دَفعت بِها إلى الاستِغرَاب والدَّهشَة مِن جِهَة، وإلى **التَّقليل من قِيمَةِ الفَرد العُثمَاني المُسلِم** والاستِخفَافِ بِه، فاتِخَاذُهُ مِن "القَضاءِ والقَدر" ذَريعَةً لتَبرِيرِ ازدِيادِ عَددِ الوَفايَات، وقَولِه أنَّ كُلَّ مَن مَاتَ بِهِ دَخلَ الجَنة أَمرٌ عَلى حَدِ قَولِهَا سَخيفٌ جِداً.[3]

---

[1] صلاح خيراني، "**الحجر الصحي -الكرنتينا -في مواجهة الأمراض والأوبئة بالدَّولَة العُثمانية (1923لمح1831)** "، مجلة آفاق فِكرية، مج 09، ع02، الجزائر، أكتوبر 2021م، ص ص64، 66. أنظر أيضا:

Şule Osmanağaoğlu, Berfin Melikoğlu, "**Tahaffuzhane Ve Gümrük Veteriner Müdürlüklerinin Yapilandirlmasina ilişkin Tarihsel Değerlendirme**", Türk Veteriner Hekimleri Birliği Dergisi, cil 1-2, 2011, Türkiye, P 80.

[2] خيراني، المقال السَّابق، ص ص66 -67.

[3] Pardoe, Op cit, p 539.

ولعلنا بقولها هذا ندرك أنها كغيرها من المُستشرقين والرَحالَة، تعمَل جَاهِدَةً عَلى الاستِهتَارِ والاستِخفَافِ بالجَانب الدِّينِي والعَقدِي للفَردِ العُثمَانِي والطعنِ فِيهِ. فَكانَ هَذا أمراً مُؤكداً عَلى ذَاتِيَّة هَذِه الرَحالَة ومن سَبَقها في قَولِ هَذا الأَمر، وهُوَ في ذَاتِ الوَقتِ أمرٌ -أقصِدُ الذَاتية -غَيرُ مَقبُولٍ عِندَ جُموعِ المُؤرِخِينَ والكُتاب. ولَعلَّهُ في ذَاتِ الوَقتِ يَضربُ مِصدَاقِيَةَ الكِتابَاتِ الاستشراقيَّة ويُقلِلُ مِن قِيمَتِهَا.

بالعَودة لسِيَاقِ المَوضُوع، فالطَاعون كغَيرِهِ مِن الأوبئَةِ والأمرَاض لَه نَتائِج وَخِيمَة يُخلِّفُهَا فِي كُلِ مَنطِقَةٍ دَخلَ لَها. فالعَاصِمَة العثمانيَّة واليُونَان اللتَانِ عَرفَتَا انتِشاراً لَهُ خِلالَ النِّصفِ الأولِ مِن القَرنِ التَّاسِعِ عَشر خَلَّفَ فِيهِمَا آثاراً ونَتائِج عَدِيدة، كَانَت قد أَحصَتها الرَحالَة البرِيطَانِيَّة "**جوليا باردو Julia Pardoe**" وجَمعَتها في انتِشار الجُثثِ في مُختَلَفِ المنَاطِق دَاخِلَ المُدنِ وفي الجِبَال، كَثرَةُ الجَوارِحِ في المَدِينَة وازدِيادِ أَعدَادِهِم، اِرتِفَاع نِسبَة الوَفايَات بِمُرُورِ الأيام، نُدرَة المِيَاه وتَوجُّهِ بَعضٍ مِنَ الأشخَاصِ نَحوَ بَيعِها بأثمَانٍ بَاهِضَة. [1]

خُلاصَةُ القَولِ، ومِن خِلال الإطلاعِ عَلى كِتَاباتِ هَذه الرَحالَة نَجد أنَّهَا كَغيرِها مِنَ المُستَشرِقين رُغم زِيارَتِها للدَّولَةِ العثمانيَّة ومُعايَنتِهَا للوَضعِ المُعاش خِلالَ فَترَةِ الوَباء وكِتَابَتِهَا عَنهُ إلا أنَّها تُؤَكِدُ أفكَارَ مَن سَبَقها. فَهيَ الأخرَى تَجعلُ مِنَ الدولة العثمانيَّة مَراكِزاً للوَباءِ، وتُقلِلُ مِن قِيمَةِ الفَردِ العُثمَانِي المُسلِم وتَستَخِفُ بِه وتَرفَعُ مِن قِيمَة الغَربِي، وتَستَهتِرُ بالجَانب الدِّينِي والعَقدِي للإِسلام، نَاهِيكَ عَن أَنَّ طُرُقَ الوِقَايَةِ لَم تَرُق لَهَا بَل صَنفَتَهَا ضِمنَ الأَعمَالِ الأَنَانِيَّةِ التِي يقوم بِهَا الفَردُ -قَاصِدَةً بِذلِكَ العُزلَة التِي يُمارِسُهَا الشَخصُ عَلى نَفسِهِ - ومُتخِذَةً في ذَلكَ ذَرِيعَة أَنَّ فَترات الأَوبئَة مِنَ المَفرُوضِ أَنَّها تُظهِرُ أَنبَلَ الصِفَاتِ في الإِنسَان.

[1] Ibid, pp538- 542.

ثانيا - الدولة العثمانيَّة والأجَانب

01 التَسامُح الدِّيني

كَانت ولا زَالت قَضيَّة التَسامُح الدِّينِي[1] في الدولة العثمانيَّة قَضيَّةً مُثيرَةً للجَدلِ، فَقد خَلفَت فِيهَا الأَقلامُ كِتاباتٍ ذَات آراءٍ مُختَلِفة ومُتعدِدَة ومَردُ هَذا لأَهمِيتِهِ وللنَتَائِجِ الحَسنَة التِي تَرتَبت عَليهِ. كَونهُ قَد سَاهمَ فِي خَلقِ نَوعٍ مِن التَفاهُمِ والتَوافُقِ بَينَ عَدِيد المِلَلِ والنِحَل مِن جِهة وبَينَ مُختَلَفِ الأَديانِ مِن جِهَةٍ أُخرى حَتى أَضحَى مِن الضَرُورِي وُجودُه والتَعامُلُ به.

بداية؛ وكَما هو مَعلوم أنَّ هَذا النِظَام قد بَرزَ خِلال العَهدِ العُثمَاني -وإن كَانَ مَعرُوفاً قَبلهُ - فَقد جَاء بِناءً عَلى أَوامِرَ أصدَرهَا السُّلطَان "محمد الفاتح"[2] عَقِبَ فَتحِهِ لمدينَةِ القُسطنطِينِيَّة، مَا سَمحَ بأحداث قَفزَةٍ نَوعِيَّة فِي الوَسطِ العُثمَانِي في التَعامُلِ مَع مُختَلَفِ الأديانِ والِملل، انتَقلَ بِمُوجَبِها الفَردُ العُثمَانِي مِن طُرقِ التَعامُلِ المَعرُوفَة في القُرونِ الوُسطَى إِلى طُرقٍ أَكثَرَ تميُزاً عَن سَابِقَاتِها.[3] وبِناءً عَليهِ تَعامَلَ العُثمَانِيونَ مَع مُختَلَفِ الأديانِ بمُعامَلَةٍ وَاحدَة،

---

[1] **التسامح "Toleration, Tolerance"**: يقصد بهذا اللفظ في اللغة ترك مالا يجب تنزها، ويقصد به كذلِك الصفح والمساهلة. وهو كذلِك الكلام الذي لايعلم الغرض منه ويحتاج في فهمه لتقدير لفظ آخر كونه قائم عَلى حضور المعني. أما في القاموس الإنجلِيزي فيقصد به حرية اعتناق دين أو آراء دينية مُختَلفة عن دين البلد الرئيس. للمزيد أنظر: إلياس دكار، **"حقيقة التسامح الديني بين المَسيحية والإسلام - دراسة تحليلية مقارنة"**، مجلة العلوم الإسلامية والحَضارة، مج04، ع02، 2019م، الجزائر، ص 147. أنظر أيضا: علي بن محمد الشريف الجرجاني، **التعريفات**، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت -لبنان، 1985م، ص59. أنظر أيضا:

Collins English Dictionary, HarperCollins Publishers, Glasgow-UK, 1998, P 1609.

[2] **السلطان محمد الفاتح (1451 -1481م):** هو السلطان العُثماني السابع، تولى حكم الدَّولَة العُثمانية لفترتين كَانت الأولى منهما ما بين عَامَي 1444 -1446م، أما الثانية فكَانت الأطول، قدرت بثلاثين سنة وكَانت ما بين عَامَي 1451 و1481م. تمكن خلالها من فتح عدد من المُدن وجعلها تحت السَّيطرة العُثمانية وكان أشهرها فتحه لمدينة القسطنطينdة وتغيير اسمها إلى مدينة السلام "إسلام بول أو إستنبول" وجعلها عاصمة لدولته، ليشرع عقبها في انتِهاج سياسته القائمة عَلى تأمين حياة سكانها ومنحهم الحرية الدِّينية، ومن ثم إعمار المدينة من خلال نقل السكان لها وإنشاء المؤسسات والمجمعات بها. فبنى مسجد أبا أيوب الأنصاري أو المعروف بمسجد السلطان أيوب، وبنى كذلِك سوقا كَبيرا وأبراجا لسور دولته، فضلا عن أنه منح امتيازات عديدة للأوروبيين كالبنادقة والجنيويين، للمزيد أنظر: كولن، المرجع السَّابق، ص ص58 -67.

[3] يلماز أوزتونا، المرجع السابق، مج01، ص 181.

وضُمِنَت من خِلالهِ حَياةُ المَسيحِيينَ ومُختَلفِ مُمتلَكاتِهم، كَما مَنحَت لَهُم حَق مُمارَسةِ مُختَلفِ شَعائِرِهِم الدِّينيَّة بأريَحِيَّةٍ تَامة. وهَذَا كُله شَرِيطَة تَبعِيَّتِهِم للدَّولَة العثمانيَّة وتَوقُفِهِم وامتِنَاعِهِم عَن مُختَلفِ التصرُفاتِ السيئَة والمُسيئَة للإسلام والمُسلِمين، فَضلاً عن دَفعِهِم للجِزيَة والضَّرائِب.[1]

بالعَودَة للمَدرَسة الاستشراقيَّة البرِيطَانِيَّة نَجدُ بَعضاً من المُستشرِقين الذِينَ تَحدَّثُوا وأَبدو رَأيهُم في قَضِيَّة التَسامُح الدِّينِي، فَهذَا المُستَشرِق **"تُومَاس أرنُولد Thomas Arnold"** قد أفرد في كِتاباته حيزا للحديث عنها. فذكر أن هذا النِظَام قد مر بمرَاحِلَ عَدِيدة مُنذُ ظُهورِهِ خِلالَ القَرنِ الخَامِسِ عَشر وتَطورِه خِلالَ القَرنَينِ اللذينِ تَلاه، لِيشرَع في التَدهوُرِ والأفولِ عقبها. وحَسبَ هذا الأَخير لَم يَكُن انتِهَاجُ السُّلطَان "محمد الفَاتِح" لِمثلِ هَذا النِظَامِ مُنذُ الوَهلةِ الأُولَى لِفتحِ القُسطَنطِينِيَّة إلا **ذَريعةً** يَضمنُ بها وَلاءَ المَسيحِيينَ لِدَولَتِه وكَذا لإقرَارِ النِظَامِ فِيهَا.[2]

حَظِي بِسَببِهِ المَسيحِيُونَ الإغرِيق والأَرثُوذُوكس وعَددٌ مِن الطوائِف الأُخرَى بِمُعامَلةٍ حَسنةٍ لائِقة، ورِعَايةٍ بَالِغةٍ عُدُوا مِن خِلالها رَعايَا عُثمَانِيين. فسُمِحَ لَهُم بِمُمارَسةِ شَعائِرِهم وطُقوسِهِم الدِّينية والتَعبُدِ في الكَنائِسِ وِفقَ ما اعتَادُوا عَليهِ ولَم يُجبَرُوا عَلى اعتِنَاقِ الإسلامِ، كَمَا نَالَ أَسَاقِفتُهُم امتِيازَاتٍ عَدِيدة. وهُو أَمرٌ دَفعَ بِهذَا المُستَشرِقِ نَحوَ مُقارَنةِ هَذهِ المُعامَلةِ بالمُعامَلةِ الكَنسِيَةِ لِمثلِهم، جَزمَ فِيها بِأنَّ المَسيحِيينَ لَم يَحظَوا بِمثلِهَا حَتى فِي دِينهِم وكَنائِسِهِم، وأنَّ هَذهِ المُعامَلة القَائِمَة عَلى التَسامُح كَانَت سَبباً للقَضاءِ عَلى الأرُستُقرَاطِية المَسيحِيَة من جِهة وعاملا مُهِمًا زَادَ مِن نَشاطِ المَسيحِيينَ الأسَاقِفَة مُقارنَةً بِمَا سَبَق.[3]

---

[1] خليل إينالجيك، **تَاريخ الدَّولَة العُثمانية من النشوء إلى الإنحدار**، تر، محمد الأرناؤوط، ط01، دار المدار الإسلامي، بيروت -لبنان، 2002م، ص ص16 -17. أنظر أيضا: عباس عبد الوهاب علي آل صالح، "**التسامح الدِّيني لدى العُثمانيين تجاه المَسيحِيين**"، مجلة الدراسات التَاريخية والاجتِماعية، ع40، 31 ديسمبر 2019م، نواكشط -موريتانيا، ص 86.

[2] توماس أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، تر، حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النجراوي، ط02، مكتبة النهضة المصرية، مِصر، 1970م، ص 170.

[3] نفسه، ص ص170 -171.

بالعَودة للكِتَاباتِ التَّاريخِيَّة المُعالجة لِهذَا الأمر، نَجدُ أنَّ لَها رَأياً آخراً مُخالِفاً لِرأيِ هَذا المُستَشرِقِ فَقد أكَّدَت أَنَّ السِياسَة التِي انتهَجَهَا السُّلطَان "محمد الفَاتِح" في دَولَتِه ومُختَلفِ الامتِيازَاتِ التي مَنحَهَا للمَسيحِيينَ كَانَت أمراً غَيرَ طَبيعِي فِي عَهدِهِ، مَا جَعلَهُ مَحطَ نَقدٍ مِن طَرفِ العَدِيد مِنَ الكُتاب. وأَنَّ انتِهَاجهُ لَهَا لَيسَ مُجردَ ذَريعَةٍ بَل كَونَهُ كَان مُضطراً لِذَلِك، وهَذا بُغيةَ تَحقِيقِه لِهدفِه المُتمثِلِ فِي فَصلِ العَالَمِ الأَرثُوذُوكسِي عَن الكَاثولِيكِي مِن جِهة وأَن يَكونَ ارتِبَاطَ المَسيحِيينَ "الأرثُوذُوكس Orthodox" بالدولة العثمانيَّة حَائِلا عَن ارتِبَاطِهِمَا ببَعضٍ وتَوحِيدِ جُهودِهِمَا ضِدَّهَا.[1]

من جَانب آخر، خَلَّفَ نِظَامُ التَسامُح هَذا آثارًا عَدِيدة عَلى المُستَوِيينِ العُثمَاني والمَسِيحِي عَلى حَدٍ سَواء، فحَسبَ ما أَملتُه كِتَاباتُ المُستَشرِق **"تُوماس أرنولد Thomas Arnold"** خَلَّفَ هَذا النِظَام آثَاراً إيجَابِية عَلى الدولة العثمانيَّة فَقد ضَمِنَت مِن خِلاله وَلاءَ المَسيحِيينَ لَها وانضِمَامهُم لِلوَائِها هُروباً مِن مُختَلفِ السُلطاتِ المَسيحِيَّة، وجَعلت شُعوباً مَسيحِيَّةً عَدِيدة تَتطلعُ لِحُكمِها، فَضلاً عن اعتِنَاقِ أَعدادٍ هَائلةٍ للإِسلامِ بمحضِ إرادَتِهم ودُونَ أي ضَغطٍ عَليهِم. والتِي كَانَت جَمِيعاً آثَاراً سِلبِية بالنِسبَةِ للطرَفِ المَسِيحِي أَينَ فَقدَت أورُوبا أَهالِيهَا وعددا مِن سُكانِهَا، وتَخوَفَت في ظِل انتِشار الإِسلامِ الوَاسِعِ مِن اندِثَارِ دِيانَتِهَا.[2]

كَان هَذا الأمرُ سَبباً دَفعَ بالمُستشرِقِ **"تُوماس أرنولد Thomas Arnold"** إلى الاستغراب، فَهُو لَم يَتقبَل فِكرَة الانضواء تَحتَ لِواءِ العُثمَانِيينَ ورَغبَةِ المَسيحِيينَ الجَامِحَة في تَغييرِ حُكامِهِم للسبَبِ البَسيطِ المُتمثِلِ في مَنحِهِم الحُريَةَ وتَمكِينِهِم مِن مُمَارَسةِ مُعتَقدَاتِهم وطُقُوسِهِم وشَعَائِرِهم الدِّينِيَّةِ بأريَحِيَّةٍ تَامة والذِي لَم يَتسنَ لَهُم قَبلَ ذَلِك. وتوجه إِلى القَولِ: {...إِلَّا أَنَّهُم آثَرُوا التُركِي الكَافِرَ عَلى الكَاثُولِيكِ الهَراطِقَة إِيثاراً مُطلَقاً}.[3]

---

[1] يلماز أوزتونا، المرجع السابق، مج01، ص 183.

[2] أرنولد، **الدعوة ...**، المرجع السَّابق، ص 172.

[3] نفسه، ص 172.

لعلَ هَذا الرَأيَ الأَخيرَ وبِسَبَبِ تَناقُضِهِ مَع مَا سَيأتِي ذِكرُهُ يَدفعُ البَاحِثَ نَحوَ الدَهشَةِ والاستغراب، فَقد غَيَّرَ المُستَشرِق **"توماس أرنولد Thomas Arnold"** رَأيَهُ في الدولة العثمانيَّة وحُكمِهَا وذَلكَ بَعدَ أَن أَجرَى مُقارَنَةً حَولَ وَضعِ الإغرِيقِ قَبلَ الفَتحِ العُثمَانِي للقُسطَنطِينِيَّة وبَعدَه. فَذكرَ أَنَّ حَالُهم قَد تَحسنَ بِكَثيرٍ مِمَا كَان عَليهِ فَأضحوا -بَعدَ انضِوائِهِم- أَشخَاصاً ذَوو مَكانةٍ وتِجارةٍ، يحظَون بالاحتِرام والتَقدِيرِ فِي مُختَلفِ الدُولِ بَعدمَا فَقدُوهُ فِي ظِلِ الحُكمِ البِيزَنطِي. وانتَشرَ الأمنُ فِي المَنطِقَةِ، وخُفِّفَ عِبءُ الضَّرائِبِ عَلى الأفرادِ من التزَامَاتٍ إقطاعِيَةٍ لِضرائِبَ مَدفُوعةٍ، وغُيرَت نُظمُ الإدارَةِ مِن الأَسوءِ للأَحسنِ، هَذا دُونَ أَن نَنسَى التَّنظِيمَاتِ الرَائِعَةِ عَلى حَد قَولِه والخَاصةِ بالقَضاءِ والشُؤونِ المَدنِيَّة. فَدفعَت بِهِ هَذهِ الأَسبَاب مُجتَمِعةً إلى القَولِ بأنَّ الدولة العثمانيَّة كَانَت أَفضلَ وأَحسنَ حُكماً وأَكثرَ رَخاءً مِنَ الحُكمِ البِيزَنطِي للمَنطِقة. [1]

وقد استَثنَى هذا الأَخير جُزءًا مِن نِظَامِ التَسامُح الدِّيني الذِي انتَهجَتهُ الدولة العثمانيَّة. فَقد أَوردَ في كِتابَاتِه أَنَّ السُلوكَ والتَعامُلَ الحَسنَ الذِي لَقِيهُ الفَردُ المَسيحِي مِنَ العُثمَانِيينَ قَد فَقَدَ قِيمَتهُ فِي ظِل فَرضِ الدولة لـ **"ضَريبَة الأبنَاء"** واستِمرَارِيَةِ عَمَلِهَا بِهَا، وذَلكَ بأخذِهَا لِطفلٍ مِنَ الأُسرَةِ المَسيحِيَةِ بَلغَ سِنُه السَّابِعَة مَرةً كَلَ أَربعِ سَنوَات. كَانَت قَد جَعلت المَسيحِي مُتخَوِفاً مِنهَا، رَاغِباً فِي وَقفِ العمل بِهَا، ومُنتَهِجاً لِطُرقٍ مُختَلِفة لمنع حُدوثِها وتَجنبِها والتي كَان مِن بَينِها افتِدائُهم بِالمالِ، رَشوةُ الجُباةِ أو شِراءُ أبناءِ المُسلِمينَ وتَقدِيمُهم للجُباةِ عَلى أَنَّهُم مَسيحِيين. وكَانت في نِهَايةِ المَطافِ حَسبَ رَأيهِ عَمَلاً يَتنافَى مَع الإنسانِيَّة.[2]

مع ذلك كله، وبالإطلاع عَلى كِتابات المُستشرق **"توماس أرنولد Thomas Arnold"** نجد هُناك نَوعا من التَناقُضِ في رَأيهِ فرُغمَ عدمِ تَقبُلِ هذا الفِعل كَما سَبَق ذِكرُه واعتِبارُه إياهُ عَمَلاً يَتنَافى والإنسَانِية، أكَّدَ أَنَّهُ كَانَ مُنقِذاً للوَضعِ المَسيحِي في المَنطِقَة. وقَد جَاء رَأيُه هَذا بَعدَ تَحلِيلِه لِهذَا الأمر، فَقد رَأَى أَنَّهُ رُغمَ عَدمِ تَقبُلِ الإغرِيقِ لِهذِه الضَريبَة إلا أَنَّهَا كَانَت

[1] أرنولد، **الدعوة ...**، المرجع السَّابق، ص 174.

[2] نفسه، ص ص175، 177.

المُنقِذَ للوَضعِ في البِدايَاتِ الأُولَى لاستِعمَالِها، بَعد أَن كَثُرَ عَددُ الأطفالِ اليَتامَى جَرَّاءَ الحُروبِ والجُوع. ولَولاهَا لَتعرَّضُوا إِمَّا لِلهَلاكِ أو بِيعُوا كَعبيدٍ فِي مُختَلفِ الأسواقِ المَسيحِيَّة.[1]

وَلعلَنا هُنا يُمكِنُ أَن نُضيفَ فِكرَةً أُخرَى إلى طَرحِ هَذا المُستشرِق، تُدرَجُ ضِمنَ النَتائِجِ الإيجَابية لـ "ضَريبَة الأبناءِ" أو لنِظَام **"الدُوشِرمة أو الدَفشرمَة Devişrime"**[2] والتي مَفادُها مُسَاهمَةُ هَذا النِظَامِ فِي خلقِ جيلٍ مِن المُسلِمينَ سَاهَمُوا بدَورِهِم في نَشرِ الإِسلامِ عَلى نطاقٍ أَوسع وفي انضِمامِ أعدادٍ هَائلةٍ مِن النُبلاءِ للدَّولةِ العثمانيَّة واعتِنَاقِهم للإِسلام بَعدَ أَن أَدرَكُوا المَنافِعَ التِي تُفتَحُ لَهم بِمُوجَبهِ وبِمُوجَب نِظَام التَسامُح المَعمُول به.[3]

ولكن مَا يَجبُ التَّنبِيهُ إليه هُنا؛ أَنَّهُ ورُغمَ الإطراءِ والاستِحسانِ المَوجودِ فِي كِتاباتِ هَذا المُستشرِق حَول "ضَريبَة الأبناءِ"، وكَذا فِي خِضَمِ حَديثِه عَنها كَان كَغيرِهِ مِنَ المُستشرِقينَ يَعمدُ في كَثيرٍ مِنَ المَراتِ إِلى ايصَالِ فِكرَةِ أَنَّ الغَربَ هُو الأصلُ لِكُلِ شَيء. وبإسقَاطِ الأمرِ عَلى هَذهِ القَضِيَّة كَانَت هَذه الضَريبَة هِيَ الأُخرَى مَوجُودَةً ومُستَخدَمَة عِندَ الأَباطِرَة البِيزنطِيينَ قَبلهُم.[4]

استَثنى هَذا المُستشرق من نِظَام التَسامُح هذا ضَريبَة أخرى مفروضة عَلى الرعَايَا المَسيحِيين والمعروفة بـ **"ضَريبَة الرأس"** ووَضح في كِتاباتِه أَنَّ الدولة العثمانيَّة قَد استَثنَت النِساءَ ورِجالَ الكَنِيسَة مِن دَفعِهَا، فَضلاً عَن أَنَّهَا كَانَت بِمثَابَةِ العِبءِ عَلى مَن يَدفَعُها. لِذلِك

---

[1] أرنولد، **الدعوة ...**، المرجع السَّابق، ص 176.

[2] تجدر الإشارة هُنا إلى فِكرَة مهمة حول قضية توجه السلطان "محمد الفاتح" نَحو الإعتماد الكلي في دولته عَلى نتاج نظام **"الدوشرمة أو الدفشرمة Devişrime"**، والمتمثلة في أن هذا الأَخير وبِسَبَبِ عدم ثقته في أمراء الأناضول ومُختَلف الشَّخصِيات وكذا كونه رجل عصر جديد وصاحب تفكير مُختَلف عن سابقه إِضافَة إلى رغبته في تحقيق إنجازات عديدة لم تسبَق لغيره انتهج هذه السياسة، وهذا كله يصب في نقطة واحدة مفادها رغبته في الزيادة من القُوة المركزية لدولته وجعلها مطلقة وتجسيدها في شخص السلطان، وبالتالي تحقيق إنجازاته وتطور دولته واستَمرار فاعليتها. للمزيد أنظر: يلماز أوزتونا، المرجع السابق، مج01، ص ص183 -184.

[3] محمد الأرناؤوط، **دراسات في التَاريخ الحضاري للإسلام في البلقان**، تق، عبد الجليل التميمي، ط01، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1996م، ص 79.

[4] أرنولد، **الدعوة...**، المرجع السَّابق، ص 176.

وكَسابِقَتِها توجه الرعَايَا المَسِيحِيُونَ نَحو البَحثِ عَن طُرقٍ لِعدمِ دَفعِهَا وتَأدِيَتِها للدَّولة والتي كَانَ في طَلِيعتِها اعتِنَاقُ الإِسلامِ -بِشكلٍ ظَاهرِي فَقط -أو حتى برَغبَةٍ مِنهُم. وبالعودَة لِرأيِ هَذا المُستَشرِق نَجد أَنَّهُ لَم يَتقبَل هَذِه الطَّريقَة وكَانَت الرَغبَة في عَدمِ دَفعِ الضَريبَة عُذراً غَيرَ مَنطِقِي لِتغيير عَقيدَتِهم ولَو كَذباً.[1]

فَضلاً عن أَنَّهُ توجه للحَديثِ عن أَبرَزِ النَتائِج التي تَرتبت عَن الاعتِمادِ عَلى نِظَامِ التَسامُحِ الدِّينِي، كَان في طَليعَتِها انتِشارُ الإِسلامِ بِشكلٍ كَبير طَبعا في المَنَاطِق المَسيحِية التي ضُمت للدَّولة العثمانيَّة. فَكانَ انتِشارُه وَاسعاً خِلالَ القُرونِ الأولَى لاعتِمادِ هَذا النِظَام أَينَ اعتَنقَ جُلُ المَسيحِيينَ الإِسلام بِدافِعٍ ورَغبَةٍ ذَاتِيةٍ مِنهُم، تَكوَنت عن طريقِ أَخلاقِ المُجتَمعِ العُثمَانِي والمُعامَلَةِ الحَسنة التي لَقِيهَا الرعَايَا المَسيحِيون من الدولة العثمانيَّة والتي فُقدت خِلال فَترة الحُكم البيزنطي لِهذه المَنَاطِق. هَذا بِغَضِ النَظرِ عَنِ الأعدادِ التي اعتَنقتِ الدِّينَ وجَعلت مِنهُ غِطاءً وحَاجزاً أَمامَ الضَّرائِبِ المَفرُوضةِ عَليهِم.[2]

إِضافَة إلى ما سَبَق ذكره، كان من بين نَتائِج التَسامُح الدِّيني انتِشار الشَغفِ للحُكم العُثماني بَين شُعوبِ أورُوبا، والرَغبَةِ في تَغييرِ الحُكامِ والانضواء تَحتَ لِواءِ العُثمانِيينَ. وهَذا كُلُهُ بِسَببِ الحُريةِ الدِّينِيَة التي مُنحت لِرعايَا الدولة. فَرغِبَ المجرِيُونَ وشُعوبُ ترانسِلفَانيا في الخُضوعِ للدَّولةِ العثمانيَّة عَلى السَّيطرَةِ الهَابسبُورجية، بالإِضافَة للإِيطالِيينَ واليَهُود الإِسبَان وغَيرُهم كَثير. وقَد جَسدَ المُستشرِق **"توماس أرنولد Thomas Arnold"** هذه الرَغبَة في قوله: { تَمنَوا أَن يَشتَرُوا الحُريَة الدِّينِيَة بِالخُضوعِ للحُكم الإِسلامي} ، وقَولِه: {حَتى إِيطَاليَا كَانَ فِيهَا قَومٌ يَتطَلعُونَ بِشوقٍ عَظيمٍ إِلى التُرك لَعلَّهُم يَحضَونَ كَمَا حَضِي رَعايَاهُم مِن قَبلُ بِالحُرِيَةِ والتَسامُحِ اللَذينِ يَئِسُوا مِنَ التَمتُعِ بِهِمَا فِي ظِلِ أَيَّةِ حُكومَةٍ مَسِيحِيَّة}.[3]

---

[1] أرنولد، **الدعوة ...**، المرجع السَّابق، ص ص178 -179.

[2] نفسه، ص ص180 -183، 198.

[3] نفسه، ص ص181 -183.

وهو ذَات الأمر الذي أكَّده المُستشرق "**أرنولد توينبي Arnold Toynbee**" في كِتاباته، وجَسَّدَ الأمرَ في رَفضِ اليُونَانِيين لتَوحِيدِ الكَنِيسَتينِ الكَاثُولِيكِيَّة والأَرثُوذُوكسِيَّة عَام 1439م وإِن كَانَ الأمرُ وَرقِياً فَقط، بِسَببِ سِياسَةِ العُثمَانِيين. وتَفضِيلِهم لسُلطَةِ السُّلطَانِ العُثمَانِي أو كمَا سَمّاه "البَادِيشَاه" عَلى سُلطَة البَابَا. فَضلاً عَن رَغبَتِهم الجَامِحَة في أَن يَكُونُوا عُثمَانِيين عَلى أَن يَكُونُوا مَسِيحِيين وهُو مَا يَبدُوا جَلِياً فِي مُحاكَاتِهم وتَقلِيدِهِم لِلبَاسِ الفَردِ العُثمَانِي لِدرجةٍ كَبِيرَة، فَكانَ هَذا الأمر فِي نَظَره دَالا عَلى تَغيُرِ عَقلِيَةِ الفَردِ المَسيحِي بِفعلِ السِيَاسَةِ العثمانيَّة المُنتَهجَة.[1]

علاوة عَلى هذا، توجه هذا الأَخير في طَرحِهِ إلى أَبعَد مِن طَرحِ سَابِقه فَقد أَفردَ في كِتَابَاتِه حَيزاً للحَديثِ عن نِظَامِ "**المِلةِ العُثمَانِي**"[2] هَذا الذِي نَظَّمَت مِن خِلالهِ الدولة العثمانيَّة رَعايَاهَا المَسيحِيينَ فِي مِللٍ وطَوائِف، وجَعلت عَلى رَأسِ كُل طَائِفةٍ رَئيساً يَتولَى شُؤونَها ويَكونَ بِمثابَةِ الوَاسِطةِ بَينها وبَينَ السُّلطَان، نَاهيك عن أنها منحَت كُل طَائِفةٍ حَق انتِخابِ رُؤسائِهم الدِّينيين ومُمارَسةِ مُختَلفِ شَعائِرهم وشُؤونِهم الخَاصة.[3]

حَسبَ ما أملته كِتابات المُستشرق والمُؤرخ "**أرنولد توينبي Arnold Toynbee**" سَاهمَ هذا النِظَام في حصول المَسيحِيين الأرثوذوكس عَلى الحرية الدِّينية بِشكل أكثر من تِلكَ التي عهدت في عُصورٍ سَابقة، ونَالَت بِمُوجَبه الدولة العثمانيَّة وَلاءهُم وحَافظت عَليهِ في ذَاتِ

---

[1] أرنولد توينبي، **مختصر دراسة للتاريخ**، تر، فؤاد محمد شبل، مرا، محمد شفيق غربال، تق، عبادة كحيلة، ج03، د.ط، المركز القومي للترجمة، القاهرة – مصر، 2011م، ص ص284 -286.

[2] **الملة:** مُصطلح يقصد به في اللغة جماعة من القوم أو السكان، أما نظام الملة أو الملل فقد انتهجته الدَّولَة العُثمانية لتصنيف رعاياها غير المُسلِمين وقف مذاهبهم الدِّينية. توضع كل طائفة أو ملة تحت رئاسة رئيس روحي والذي يجسد الواسطة والرابط بين أفراد الطائفة والسلطان عَلى أن ينقل انشغالاتهم ويرعى شؤونهم. وقد استخدمت الدُول الأوروبية هذا النظام منذ نِهاية القَرن الثامن عشر كمنفذ للتدخل في شؤون الدَّولَة العُثمانية الداخلية وإِثارَة الفتن والقلاقل فيها. للمزيد أنظر: سحر علي، عبد المنعم الأحمد، "**نظام الملل في الدَّولَة العُثمانية إبان القَرن التَّاسع عشر -ظهور المشروع الماروني وتطوره أنموذج للدراسة**"، مجلة جامعة دمشق للدراسات التَّاريخية، مج147، ع02، دمشق - سورية، 2023م، ص 07.

[3] عبد الوهاب علي آل صالح، المقال السَّابق، ص 87.

الوَقتِ. وكَغيرِه مِنَ المُستَشرقِين سَعَى هذا الأَخير إلى نَفيِ الأصالةِ عن الدولة العثمانيَّة والإسلام بشكلٍ عَام وأَرجعَ هَذا النِظَام إِلى مَا قَبل ظُهورِ الإِسلام إِلى عَهدِ "الإِمبراطورِية الأَخمِينِية"[1].[2]

إِضافَة إلى ذلك، جعل هذا النِظَام لأسقف القسطنطينية سُلطَة سِياسيَّة عَلى المَسيحِيين جَمِيعا في الروملي أو حتى في الشَّق العَربي وهو أمر لم يُعهد منذ القَرن السَّابع للميلاد، فَضلاً عن أنه فتح المَجال أمام الرعَايَا المَسيحِيين نَحو إشراكهم في الإدارة والحُكومة العثمانيَّة منذ القَرن السادس عشر، فعُيّنَت شَخصياتٌ يُونانِية وفَنارِية في منَاصِبَ رَاقِية في الدولة مِن أمثَال مَنصِبِ "تُرجمانِ البابِ العَالي" و"تُرجمانِ الأسطُول". [3]

هذا بغض النَظر عن مسَاهمَتهم في بناء الدولة العثمانيَّة، فحَسبَ ما ورد في كِتابات هذا الأَخير أنه وبقبول المَسيحِيين الأرثوذوكس للسيطرة العثمانيَّة سَاهموا في إنشاء وصيانة الدولة، باعتبار أنَّهُم شكلوا رأس المال العُثماني. ومرد هذا في نَظره لشيئين اثنين أولهما كونهم كَانُوا بمثابة المدد والمصدر الرئيس للإمدادات البشرية التي وصفها بكلاب الماشية، وفي ذَات الوَقت جَسدُوا دَورَ الفَاتِحينَ والمُجندِينَ الأوائِل في الدولة. وهُو أَمرٌ لَم يَتقبَلهُ هَذا

---

[1] **الإمبراطورية الأخمينية (331لمح559ق.م):** هي واحدة من أقدم الإمبراطوريات في التَاريخ القديم، قَامَت عَلى أنقاض الحَضارة الميدية، وعرفت تَاريخيا بجمعها بين الأشياء وضدها كالقُوة والضعف في آن واحد. وللعلم أضافت هذه الحَضارة أشياء كثيرة للشرق الأدنى كابتكرها لأنظمة البريد وإيجادها لكيفية تسيير التجارة الدُولية، فضلا عن سيطرتها عَلى الشعوب وإرضائها لهم اعتمادا عَلى المعتقدات الدِّينية. للمزيد أنظر: هاله عبد الأمير محسن، **الإمبراطورية الإخمينية (331لمح559 ق.م) دراسة تَاريخية في عوامل الضعف والسقوط**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التَاريخ القديم، جامعة بغداد، 2022م، ص ص01 -02.

[2] أرنولد توينبي، "**الدَّولَة العُثمانية في تَاريخ العالم**"، تر وتع، أحمد سالم سالم علي، دَورية كان التَاريخية، ع17، سبتمبر 2012م، ص 115.

[3] أرنولد توينبي، **مختصر**، ج03، المرجع السَّابق، ص 289.

المُستَشرِق كَونهُ كَانَ حَائلا أَمامَ استِقلالِهم السِياسِي أو حَتى خُضوعِهم للسَيطرةِ الأورُوبية الغَربية.[1]

أشَار هذا الأَخير لنقطة مهمة في كِتاباته كَانت بالنسبة له بِمثَابةِ مُفارقةٍ عَجيبَة، والمتمثِّلَة في الفُروقِ بَين المِلَلِ ومَدى حُصولهم عَلى وظائف سامية ومرموقة في الدولة وكذا مقدار مسَاهمَتهم في بنائها. فَذكرَ أَنَّ المُسلِمين الأحرَار كمِلةٍ عُثمَانية اعتَبرُوا أَنفُسهُم أعَلى وأكثَرَ تَمييزاً عَن بَقيةِ المِلَلِ مِن النَاحِيةِ الاجتِمَاعِية، ولكنهم كَانُوا الأكثر عجزا من الناحية السِياسيَّة، إذ لم يتسن لهم الحصول عَلى وظائف مرموقة في الدولة العثمانيَّة، وكان نصيب هذا الأمر لغير المُسلِمين[2] "طبعا الذين اعتنقوا الإسلام".[3]

بحلول القَرن الثامن عشر قل انتِشار سِياسَة التَسامُح والتعامل بها بِشكل كَبير، ومرد هذا حَسبَ رأي المُستشرق **"توماس أرنولد Thomas Arnold"** إلى فساد الحُكومة العثمانيَّة وتدهور أمورها من جِهة، وفُقدان العُثمانيين للعزيمة والرَغبَة في نشر الإسلام أو كما وصفها هو: {... ظَهرَ الأتراكُ أَنفُسَهُم بِمظهَرِ الذِينَ لا يَكتَرِثُونَ مُطلَقاً لِتقدُمِ دِينِهِم} ، هذا فَضلاً عن انتِشار الإلحاد فيما بينهم.[4]

في حين كان للمُستشرق **"أرنولد توينبي Arnold Toynbee"** رأي آخر، فقد أكَّد في كِتاباته أن الرعَايَا المَسيحِيين الأرثُوذُوكس قَد كَابدُوا وتَحملُوا قَساوةَ الحَياةِ مُنذُ القَرنِ الثَامِنِ عَشر بِسَببِ فَسادِ الحكومة. ولَكنه مَع ذَلِك لَم يُعطِ السَبَبَ الرَئيسَ وراءَ ذَلكَ أكانَ

---

[1] أرنولد توينبي، **"الدَّولَة العُثمانية..."**، المقال السَّابق، ص 114.

[2] ما يجب الإشارة إليه هُنا أن نيل رعايا الدَّولَة من المَسيحِيين كاليونانيين والفنارين عَلى سبيل المثال لا الحصر لوظائف في الحُكومة العُثمانية كان بعد اعتناقهم للإسلام وحَسبَ النظام الذي سنه السلطان "محمد الفاتح" والقاضي بأخذ عناصر الحُكومة من نتاج نظام الدفشرمة، ليتغير هذا الأمر في العهود الأَخيرة للدُّولة العُثمانية بفعل سياسة التغريب أين حضي المَسيحِيون عَلى وظائف في الدَّولَة دون اعتناقهم للإسلام. وقد أشَار المُستشرق "أرنولد توينبي Arnold Toynbee" في مقاله السَّابق لهذا الأمر. للمزيد أنظر: نفسه، ص 117.

[3] نفسه، ص 115.

[4] أرنولد، **الدعوة...**، المرجع السَّابق، ص 180.

توقُفُ الاعتِمادِ عَلى سِياسَةِ التَسامُح الدِّيني وتَطبيقِها عَلى أرضِ الوَاقِع أم الفَسادُ الإدارِي في حَد ذَاته.[1]

بناء عَلى ما سَبَق، ورغم التناقض في أقوال المُستشرقين نجد أن **"توماس أرنولد Thomas Arnold"** قد أكَّد في كِتاباته أن التَسامُح الدِّيني وتِلكَ المُعاملةِ الحَسنة التي لَقيهَا المَسيحِيُونَ مُنذُ أَولِ وَهلةٍ لانضواء مَناطِقهم تَحتَ الحُكمِ العُثمَانِي ولمدةِ قَرنين مِن الزَّمن عَلى التَوالِي كَان دَالا عَلى تَسامحٍ لَم تشهَده أورُوبا ولَم يَكُن لَه مَثيلا فِيها. وكَذا عَلى رِفعةِ أَخلاقِ العُثمَانِيينَ وتَفوقِهم في الآدابِ عَلى الشُعوبِ الأورُوبية. [2]

في حين أكَّدت كِتابات المُستشرق الآخر "**أرنولد توينبي Arnold Toynbee**" أن نِظَام التَسامُح الدِّيني هذا لَم يَرُق لَه وهو بَارزٌ بشكل كَبير في كِتاباته، وفي اللَومِ الذي طَالَ الأرثُوذُوكس ومُختَلفَ الطوائِفِ التي قَبِلت بالهيمَنةِ العثمانيَّة بفعلِ هَذا النِظَام عَلى بني جِلدَتِهم من المَسيحِيين أو حتى عَلى استِقلالِهم الفِعلي.

والمُلاحظُ هُنا أنَّ كِليهِمَا لَم يَتقبَّل مَسألة تَغييرِ العَقيدَة بقصدٍ ورَغبَةٍ أم تَهرُباً مِن دفعِ للضَرائِب وبدونِ قَصد، فلَم تَخلُ كِتابَاتُهمَا كَغيرِهمَا مِن المُستَشرِقين مِن إبرازِ فِكرَةِ الصِّراعِ الدِّيني بَينَ الدِّينِ المَسيحِي ودِينِ الإسلام، وكَذا الفِكرة القَائِلَة بأنَّ المَسِيحية هِي الأصلُ لِكلِ شَيء.

02 عَلاقَة الفرد العُثماني بالأجنبي

أثار عدد من المُستشرقين البريطانيين في كِتاباتهم قَضيَّة المعاملة العثمانيَّة للفَردِ الأجنَبي والمَكانةِ التي حَضيهَا هَذا الأَخير في الدولة أو الولايات إمَا بصورةٍ مُباشِرةٍ وَاضِحة أو بصورٍ غَيرِ بينَة أي ضِمنَ سِياقِ الحَدِيث، وخَلَّفَ كُل واحدٍ مِنهُم فِيها رأياً مُخالِفاً للآخر. فعَلى سَبيلِ المِثَال لا الحَصر: عَالجَ المُستَشرِق والرَحالَة البريطَاني "**ألكسندر وليام كِينغلِك Alexander William Kinglake**" هَذا الأمر في كِتابه وبشكلٍ غَيرِ مُباشر، نَفى مِن

[1] توينبي، **مختصر**...، ج03، المرجع السَّابق، ص 286.

[2] أرنولد، **الدعوة**...، المرجع السَّابق، ص ص181، 197 -199.

خِلاله صِحتَها وأقصِدُ بذلِك نفيَهُ لفِكرَةِ المُعاملةِ الحَسنةِ التي لَقيهَا الفَردُ الغَربي في الدولة العثمانيَّة. فذَكرَ أنَّ الفَردَ العُثمانِي -الذي انتَمى مُنذُ يَومٍ مَا للدَّولة العثمانيَّة - كالمِصري عَلى سَبيلِ المِثَال لا يُحسن معاملة الفرد الأوروبي الذي لم يكن في نَظرهم سوى شخص ذا مال وجب أخذه منه بأي طَريقَة.

وقد استَنَد في إِصدارِ حُكمِه هذا إلى المعاملة التي لقيها في مِصر خِلال فَترة رحلته منها وإليها، فلم يتمكن من الحصول عَلى المؤونة التي تَسدُ جُوعهُ دُونَ دفعٍ للإِكرامِياتِ لشيخِ أَحدِ القَبائل، فَضلاً عن الممارسات التي مَارسهَا عدد من الناس وأصحَاب النفوذ عَلى السياح، والتي كَانت جَمِيعا سبباً دَفعَ به للقولِ أنَّ الغَربِي وفي سَبيلِ عَيشهِ في المَنطِقةِ وَجبَ عليهِ تركُ مَبادئِهِ وأَخلاقِهِ والاعتِمادِ عَلى البَطشِ والاستِنادِ إلى الشَتائِمِ حتى يَحصُلَ عَلى ما يُريد كَونَ أنَّ المَنطِقَة وكمَا ذكرَ بصريحِ عِبارتِه **"بِلادٌ اعتَادَت أَلا تَفعَلَ الخَير"**.[1]

هذا بالإِضافَة إلى ما ورد في مذكرات الرَحالَة والمُستشرق **"جون انتس John Antes"** الذي هو الآخر ونتيجة للمعاملة التي وصفها بالمُجحِفة والتي لقيها من أحد بكوات القاهرة خِلال مدة إقَامَته في ولاية مِصر، كَانت قد قَامَت عَلى الشتم، الضرب، الجر، السجن والجلد والابتزاز للحصول عَلى المال. توجه إلى الحَدِيث عن هذا الأمر فوصف هذا البك بالوغد من جهة وتوجه نَحو تعميم هذا اللَّقب عَلى ثُلةٍ مِن العُثمَانيين وبكوات مِصر، وسَعَى جاهدا من جِهة أخرى إلى البَحث عن طرق معاقبته والتي انتهت بتأكُّده بعدمِ مَقدرَتِهِ عَلى هَذا نَتيجةً لتطلُبِ الأمر لأموالٍ بَاهضةٍ تُقَدَّمُ إِلى من هُو أعَلى مِنهُ دَرجةً في السُلطَة، وإن قُدِّمَت وقُبلت فَلن يَلقى غَريمُهُ أي جَزاءٍ بَل سَيتعرَّضُ للمُضايقاتِ أَكثر وقَد يتوجه الأمرُ نَحوَ قَتلِه. [2]

نَاهيك عن ذلك، فالمعاملة التي يتلقاها الأوروبي الغَربي في المَنطِقة سَواء من المِصريين أو العُثمانيين لم تكن في نَظره إلا تأكيدا عَلى أمرين اثنين هما جهل كليهما وانتِشار الأوهام والخزعبلات في الوَسطِ الشَعبوي. بَل وذَهبَ إلى تَشبيههم بمَسيحيي العُصورِ الوسطى

[1] كينغلك، المرجع السَّابق، ص ص100 -101.

[2] انتس، المرجع السَّابق، ص ص152 -162.

ذَوُو المِراسِ الصَعبِ والمُعامَلاتِ المُجحِفَة مِن جِهة، وإلى القَول بأنَّ هَذه المُعاملات تَتُمُ كذلِكَ عَن فَسادِ الحُكومةِ العثمانيَّة رُغمَ كثرتِ قَوانِينِها ونُظمِها مِن جِهةٍ أُخرى. وأَنَّ الحَل للحَدِ مِن هَذهِ التَصرُفاتِ القَاسيةِ والبَربَريةِ عَلى حَدِ قولِهِ يَكُونُ إمَّا بِنبُوغِ شَخصيةٍ مِن بَني جِلدَتِهم تَعزِمُ عَلى الإصلاحِ كَما سَار الأمرُ معَ "بُطرس الأكبر"، أو **بِوقُوعِ هَذِه المَنطِقَة تَحتَ سَيطرةِ دَولةٍ أُخرى أَكثَر رُقياً مِنهُم**.[1]

ولعل أقوال هذا المُستَشرق والذي قَبلَهُ أقوالٌ يَستنكِرُها البَاحِث فَتصرُفاتُ عَددٍ مِن الأشخَاصِ لا تَعنِي بالضَرورةِ ولا تَعكِسُ تَصرُفَ المُجتَمعِ ولا أَخلاقَه ومَبادِئه. فَضلاً عن ذلك، فالملاحظ هُنا أن هؤلاء المُستشرقين قد سَوَّغُوا لأنفُسِهم وأَعطوا لَها حَق إصدارِ الأحكامِ عَلى العُثمَانيين ورَسمُوا لَهم صُورةً وِفقَ أَهوائِهم، ولَم يُعطُوا العُثمَانيينَ هَذا الحق. فإن افترَضنَا أَنَّ لَهُم حَق الحُكمِ عَلى العُثمانيين والمِصريين فلِهؤلاءِ أَيضاً حَقٌ في إصدارِ الأحكامِ عَلى كُلِ غَربي يَدخلُ المَنطِقة. هذا دُونَ أن نَغفَلَ عَن فِكرَةٍ مُهمَةٍ أبرزهَا المستَشرِق الأخِير في كِتابَاتِه والتي تَقضِي بِضرورَةِ وُقوعِ هَذه المنَاطِق تَحتَ السَّيطرةِ الغَربيَّة وهُو مَا يَبدُوا كَشكلٍ مِن أَشكالِ التَشجِيعِ عَلى الاحتِلالِ ومُسوغاً لِنفسِهِ ولِلقارئِ الغَربي بالدَرجةِ الأولَى الحَق في ذَلِك.

[1] انتس، المرجع السَّابق، ص 165.

III. العِلم والعُلماء في الدولة العثمانيَّة بنَظرة استشراقية

أولا - صورة العِلم والعُلماء من خِلال نماذج من الكتابات الاستشراقية البريطَانية

يقال أنَّ الدُول تبنى عَلى العلم، والدولة العثمانيَّة كغيرها من دول هذا العالم لها نظمها وتنظيماتها الخَاصة بالعلم والعُلماء. فكما هو معروف كان بُروز العلم فيها منوطا بأسس العلم السلجوقي وبذلك الموجود في مُختَلف الإمارات بالأناضول، وكذا تحت تأثير الثَقافة الإسلامية. لتشهد هذه الأَخيرة قدوم عدد من الشَّخصِيات العِلمية نَحوها بعد أن ذاع صيتها وتوسعت رقعتها وأضحت من الدُول القوية عَلى الساحة الدُولية. غير أن هذا الأمر لا ينفي وجود شخصيات عُثمَانية بحتة بَرزَت منذ القرون الأولى للدَّولة العثمانيَّة وسَاهمَت بنشاطها في تطور الجَانب العلمي فيها.[1]

ليتطور هذا الجَانب أكثر فأكثر بعد توجه السلاطِين العُثمانيين نَحو الاهتِمامِ به، أينَ أسَّسُوا المَدارِس ووَفرُوا لَها دَعماً مَالياً مُستمِراً عَن طريقِ الأوقَاف، ومُدرسُونَ يَسهرُونَ عَلى التعلِيم بها مُنذُ عَهدِ السُّلطَان "أورخان"[2] وجَعلُوا الأمرَ مُواكِباً لعَمِليَّةِ الفَتح. ليشَهَدَ مجالُ التعلِيم قفزةً نَوعيَّة مَع السُّلطَانين "محمد الفاتح" و"سليمان القانوني"[3] والمَدارِس التي أَسَساهَا

---

[1] أكمل الدِّين إحسان أوغلى، **التراث العلمي العُثماني -النشأة التطور القضايا**، تر، ماجدة مخلوف، مج01، ط01، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي -مركز مخطوطات الدراسات الإسلامية، لندن، المملكة المتحدة، 1443هـ/2021م، ص ص09 -10.

[2] **السلطان أورخان (1326 -1362م):** هو السلطان الثاني للدُّولة العُثمانية، تولى الحكم لمدة ست وثلاثين سنة، تمكن خلالها من تحقيق عدد قيم من الإنجازات فقد جعل من مدينة "بروسه" عاصمة لدولته، وسع مناطق نفوذه، ونظم شؤون رعيته، وطن عدا من العائلات في المناطق التي فتحت حديثا، وضع عددا من النُّظم المسيرة لدولته، هذا فضلا عن إنشائه لجيش نظامي يواكب تطور دولته وتوس رقعتها وتأسِيسِه لأول مدرسة في العهد العُثماني. للمزيد أنظر: عزتلو يوسف بك، **المرجع السَّابق،** ص ص33 -34. أنظر أيضا: صالح، **المرجع السَّابق،** ص 14

[3] **السلطان سليمان الأول**: أو كما عرف في التاريخ بسليمان القانوني، أو العظيم، هو السلطان العثماني العاشر للدولة العثمانية، حكمها لمدة ستة وأربعين سنة من عام 1520م ولغاية عام 1566م. تمكن خلالها من توسيع الرقعة الجغرافية للدولة

وكَذا بَعدَ أن فَتحَا المَجال أَمامَ تعلِيمِ العُلومِ العَقلية في الدولة العثمانيَّة إلى جَانب مُختَلف العلوم النقلية.[1] ليستمر هذا الجَانب بالتطور والتغير بمرور الزَّمن وتغير السلاطِين والأحدَاث وكذا بمدى اهتمامهم بهذا الجَانب وهو مَا سيلِي ذِكرُه فِيمَا يلي مِن الوُريقَات.

بداية، وبالعودة للكِتابات الاستشراقية البريطَانية نجد أن عددا منهم قد أجمع عَلى القَول بأن العِلم في الدولة العثمانيَّة عِلمٌ لَه عَلاقَة بالدِّين الإسلامي وكُل مَا يَمُدُ لَه بِصلَة ولا وُجودَ لِعلومٍ أُخرى، والعُلماء فيها ما هم سوى عُلماءُ الشَريعَة والقُضاة. وهُو مَا وَردَ في كِتاباتِ كلٍ مِنَ المُستَشرِق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" والمُستشرقين "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**" و"**هارولد باون Bowen. H**". غير أن طَرحَ ومُعالجَة كَلٍ مِنهُم لِهذَا المَوضُوعِ وإِن اختَلفَت في المَبنَى فَهي تَحمِلُ نَفسَ المَعنَى.

فهذا المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" وضح في كِتاباته أن العُلماء في الدولة العثمانيَّة هم فئتين جسد الأولى في علماء الشريعة أو كما سَمَّاهُم بالرُوحانيين، وخَصَّ الثَّانِيَة لِعلَماءِ القَانونِ أو القُضاة. وهَذا التقسِيم رَاجِعٌ في نَظرِهِ للتقَارُبِ الكَائِنِ بينَ الدِّينِ والقَانُون ولِعدمِ قُدرةِ الفَردِ عَلى التَّفريقِ بَينهُما.[2] ولَعلَّنَا هُنا نَستَطيعُ أن نُضيفَ إلى هَذا احتِمالا آخرا عَائداً لِطبيعَةِ العُلومِ في حَدِ ذَاتِها ولارتِبَاطِها الأولِ بالدِّينِ كعُلومِ الحَدِيث، الفِقه والنَحوِ ومَا تلا ذلِك.

العثمانية أكثر فأكثر، فقد فتح بلغراد، وتوسع في أوروبا حتى وصل إلى مشارف فيينا، كما سيطر على جزيرة رودس وفرض السيطرة العثانية على بغداد. للمزيد أنظر: كولن، المرجع السابق، ص ص102 - 112.

[1] أوغلى، **التراث العلمي**، مج01، المرجع السَّابق، ص ص163 -164. أنظر أيضا: سليم أحمد محمد عبد العال، **"تطور المؤسسات التعليمية النظامية في مركز الدَّولَة العُثمانية حتى بداية عصر التنظيمات 1839م"**، مجلة كلية الآداب، مج 70، ج02، القاهرة، أفريل 2010م، ص ص12 -16.

[2] لويس، **استنبول**...، المرجع السَّابق، ص 178.

قبل الحَدِيث عن تَحلِيلات هذا المُستشرق للعلم والعلوم في الدولة العثمانيَّة والصُورة التي جَسدَها عن هَذهِ القَضِيَّة في كِتابَاته، لا بُد مِن الإشارةِ لبَعضِ الأفكَارِ التي يسعى إلى إيصالِها للقَارِئ بشتَى الطرُقِ والتي لَها عَلاقَةٌ بالدِّين الإسلامي، الدِّين المَسيحِي، وبطبيعَةِ الصِّراعِ القَائمِ بينهُمَا وبالعِلمِ في الدولة العثمانيَّة في ذَاتِ الوَقت.

فبالاطلاع عَلى كِتابات المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" عن العِلم في الدولة العثمانيَّة، نجد أنه قام بربطه بالدِّين وهو ما يَبدوا جَلياً في العَناوينِ التي استَخدمَها في كِتَاباتِه وفي طَرحهِ ومُعالجَتهِ للمَوضُوع. ولكن المُثيرَ للانتباه هُنا هُو الوَصفُ الذي طالَ الشَّخصَ التُركي مِن ورَائِه والذي استَهل أحدَ كِتابَاتِه به، أينَ أشَارَ أنَّ الغَربَ المَسيحِي يَستَخدِمُ كلِمةَ "**تُرك**" دَلَالةً عَلى كَلِ شَخصٍ اعتَنقَ الإسلامَ فَأضحَت بذلِك مُرادِفةَ لِكلمةِ "مُسلم".[1]

في حين كان قد أشَار في موضع آخر من كِتاباته أن هذه اللفظة قد استخدمت عند الغَرب للدلالة عَلى الهمجية والقسوة، ولعل هذا الطَّرح المتناقض يسوق البَاحث لإدراك ما يَصبُوا إليهِ هذا المُستشرِق، فإذا كَانت كَلمَةُ "تُرك" مُرادِفةً لِكلمةِ "مُسلم" وفي ذَات الوَقت مُرادِفةً للهَمجِيَّة فهذَا يَعني أن كلمةَ "مُسلِم" هي مرادفة لكلمة "الهمجية" وهو ما يَصُب في الأفكَار السَّابقة الذِّكر التي مَفادُها مُحاوَلاتِ هَذا الأَخيرِ تشويهَ الإسلامِ وكل مَا يمُدُ إليهِ بصلة.

هذا دون أن نَغُضَ الطرفَ عَن مُحاوَلاتِه المُتكرِرَة لرَبطِ الإسلامِ والعِلم في الدولة العثمانيَّة بالدِّين المَسيحِي، من خِلال مُحاوَلاتِه المُتكرِرَة لإدراجِ بَعضِ المُصطلحات الغَربية المَسيحِيَّة في كِتَابَاتِه، كوصفٍ لِعددٍ مِن الوَظائِفِ العثمانيَّة مِن بَاب التَشبيه. فالعُلماء والفُقهَاء حَسبَ رَائِدِ المَدرَسةِ الاستشراقية "**برنارد لويس Bernard Lewis**" مَا هُم إلا "**طَبقةٌ**

[1] لويس، **استنبول**...، المرجع السَّابق، ص 177.

كَهنُوتِية"[1] مُساعِدةٌ للسُلطَان فِي القِيامِ بِواجِباتِه الدِّينِية وفِي تَطبيقِ القَوانِين. تِلكَ القَوانِين التِي لَم تَكُن فِي نَظره قَوانِيناً ولا لَوائِح بَل مُجردَ بُنودٍ مُنظِمَة هَدفُها تَسهيلُ العمل الإدَاري.[2] ولَعلَّ قَولَهُ الأَخير هَذَا قَد ضَرَب مِن خِلاله مُختَلفَ القَوانِينِ العثمانيَّة عَرضَ الحَائِط، فَقد جَعلَ مِنهَا مُجردَ مَوادٍ مُنظِّمَة للجَانب الإدَارِي العُثمَانِي لا غَير فَأفقَد الدولة العثمانيَّة بِقولِه هَذا تِلكَ الصِفَة المُلازِمَة لَها مُنذُ عُصورِهَا الأُولَى والمَعرُوفَة بـ" دَولَة القَوانِين".

كَما ذَهبَ المُستَشرِق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" مِن جِهةٍ أُخرَى إلى تَشبِيه القُضاة والمُفتِين بالقُضاة والأَسَاقِفَة المَسيحِيين، ولكن المُثِير للانتِبَاه هُنا أنَّ تَشبِيهِ القُضاة بقُضاةٍ غَربِيين مِثلهم لَيسَ بالأمرِ الغَريبِ ولكن لا نَدرِي وَجهَ الشَبهِ بَينَهُم وبَينَ الأسَاقِفَة أينَ يَكمُن. ولَعلَّ هَذا الأَمر يُمكِنُ أن يُدرَجَ ضِمنَ سِياقِ الفِكرة السَّابقة القائِلَة بِسَعي هَذا المُستَشرِق ومُحاوَلاتِه الجَادَّة للتَوفِيقِ والرَبطِ بَينَ الوَظائِف الإسلامية والمَسيحِيَّة وتِبيَانِ أَنَّ وُجودَها في الدِّينِ المَسيحِي هُو الأصل.[3]

مِن جَانب آخر، أشَار المُستَشرِقون البريطانِيون إلى الطرُقِ الصُوفيَّة المُختَلِفة التي بَرزَت في الدولة العثمانيَّة وقَامُوا بِربطِهَا بالدِّين مِن جِهةٍ وبالعِلم مِن جِهةٍ أُخرى، مِثلَ ما ذَهبَ إليه المُستشرِق السَّابق الذِّكر. هَذا الذي عَكست كِتابَاته إعجابه بهذه الطرُقِ، نُظمُها وطَرِيقَتُها في العِبادَة، كاستِخدَامِها للرقصِ، الغِناء والمُوسِيقَى غَير المَوجُودَة في الدِّينِ الإسلامي الصَحِيح

[1] **الكهنوتية:** مأخوذة من كلمة الكهنوت التي قصد بها وجود سلطة عليا لرجل الدِّين أو للكاهن فوق الكل، وهي خاصة بفَترة العصور الوسطى مذ كان للكنيسة سلطة عَلى الحُكومَات والشعوب. للمزيد أنظر: محمود محمد علي، **محمد أركون ونظرية الكهنوت المتأسلم**، جامعة أسيوط، مِصر، د.ت، ص03.

[2] لويس، **استنبول**...، المرجع السَّابق، ص ص177، 179.

[3] نفسه، ص 180.

أو كَمَا سَماهُ بالإسلامِ السلَفِي فكَانَت حَسبَ ذِكرِه مُكمِلةً لِمَا اصطُلِحَ عليهِ بنَقائصِ الدِّين وللفَراغِ الرُوحي بينَ الشَخصِ وخَالِقِه.[1]

الجدِير بالذِّكر هُنا، وفي ظِل اطلاعِ البَاحِث عَلى آراء هذا المُستَشرِق حَولَ الطرُقِ الصُوفِيَّة والصُورَة التي جَسدَهَا عَنها والمُتمثِّلَة في مَلء فَراغِ الفَردِ المُسلم، يرى أنَّ هَذا الأَخير يَسعَى جَاداً لأن يَكُونَ مُناقِضاً لِكُلِ الأمُورِ ذَات العَلاقَة بالإسلام. فبالرغمِ مِن إدرَاكه لرفضِ الفُقهَاء والعُلماء والوَسطِ الإسلامي لمثلِ هَذهِ الطرُقِ، وعَدمِ تقبُلِها بِحُجةِ ابتِعادِها عن الدِّينِ الصَحيحِ وابتِدَاعِ أصحَابِهَا لطُرقٍ وعِبادَاتٍ لا عَلاقَة لهَا بالإسلام. نَرى أَنَّ "**برنارد لويس Bernard Lewis**" مُولعٌ بها ومُعجبٌ، وهَذا لَيسَ بالأمرِ الغَريبِ فَلولَا مَساسُهَا بالدِّينِ الإسلامي -وهُو هَدفُه الأول -لما رَأينَا مَوقفَهُ هَذَا.

إضافَة إلى هَذا، فَهذَا الطَّرح يَقُودُ البَاحِثَ للتساؤُلِ عَن سَببِ ربطِ هؤُلاءِ الغَربيينَ للدِينِ الإسلامي بالطرُقِ الصُوفِيَّة، وفي ذَاتِ الوَقتِ يَجعلُه يَضعُ احتِمالاتٍ عَدِيدةٍ حَولَ هَذا الأمرِ، فَلعلَّ التَّقلِيلَ مِنَ الدِّينِ الإسلامي وإبرازِه بِمظهرِ النُقصِ كَانَ في طَلِيعَةِ هَذهِ الأَسبَابِ. بالإضافَة لِكونِ هَذهِ الطُقوسِ سَاريةُ المَفعولِ في الدِيَانَة المَسيحِيَّة والذِي أشَار إليه "**برنارد لويس Bernard Lewis**" في كِتابَاتِه.[2] وبالتالِي فاستِخدَامُ الطرُقِ الصُوفِيَّة لِهذِه الطُقوسِ هُو نَقلٌ عَنِ الدِّينِ المَسيحِي ولَم يَكُن بالأَمرِ الأصِيلِ والجَدِيدِ عَليهِم. ولَكِنَ المُثِيرَ للإنتِبَاهِ أنَّهُ ورُغمَ هَذا الشَرح فَهُو لَم يَربط فِي حَدِيثِه هَذهِ الطرُقِ بالدِّينِ المَسِيحِي ولَم يُقَارن كَذلِك بَينَ الدِّينَينِ كَما جَرت عَادتُه، فالمَسيحِيَّة وإن استَخدَمَت المُوسِيقَى والغِناء في عِبادَاتِهَا فَهِي لَم تَستَخدِم الرَّقصِ في ذَلك وهُو ذَاتِ الأمر مَع الدِيَانَة اليَهُودِية -دِيَانَةُ جُلِ المُستَشرقِين -أم أَنَّ أَمرَ الرُوحَانِية بَعِيدٌ عَنهُمَا.

---

[1] لويس، **استنبول**...، المرجع السَّابق، ص 185.

[2] نفسه، ص 186.

بالعَودةِ لكِتابَاتِ المُستَشرِقين "**هاملتون جب Alexander Roskeen Gibb Hamilton**" و"**هارولد باون Bowen. H**" المُعالجة لهذه القَضِيَّة، نَجدُ أَنَّ لَهُمَا نَظرةً وتَحلِيلا آخر أَكثَر تَفصِيلا عَن سَابِقِهِمَا، فالعُلَماءُ جزءٌ مِنَ المُؤسَسةِ الدِّينِيَّة العثمانيَّة والمُدَافِعِينَ عَن مَبادِئِها، هَدفُهُم الحِفاظُ عَلى وِحدةِ وتَماسُكِ المُجتَمع العُثمَانِي ومَبادِئِه.[1]

فَضلاً عن ذلك، فالعلم في الدولة العثمانيَّة هو حَجرُ الأساسِ الخَاص بالمؤسَسَةِ الدِّينية، والمُتمثِل في العِلم الشَرعِي ذُو العَلاقَة بالدِّين الإسلامي. وحُصولِ الفَردِ عَلى وَظيفَةٍ مِن وَظائِفِ العُلماءِ مَنوطٌ بتحصِيلِ جُزءٍ مِن هَذا العِلم، كالفُقهَاء الدَارِسينَ للفِقه، القُضاة، المُعلِمُون، الوعاظ... وغَيرهم. وقد كَان هَذا هُو تَقسِيمٌ خَاصٌ بالعُصورِ العثمانيَّة الأولَى، ليتوجهوا عقبها نَحوَ التَخصُصِ العِلمِي مُنذُ القَرنِ الثَامِن عَشر لأسبابٍ كَانَت في نَظرِ هَاذينِ المُستَشرِقين أَسباباً اقتِصَادِية وسِياسِيَّة.[2]

من جَانب آخر، كان لِهذين المُستَشرقين رَأيٌ آخر عَن وَضِيفَةِ القَاضِي فَقد ابتعدَا عَن المُقارَنةِ بالمَسيحِيينَ وتَوجَها نَحوَ مُقارَنتِها بوَظائِفَ أُخرَى تَخُص العُلماء وتَندَرِجُ تَحتَ سِيادَةِ المُؤسَسَةِ الدِّينِيَّة. فَرأيَا أَنَّهَا وَظِيفَةٌ تُقَدِّمُ الكَثِير للمُجتَمع وجَدِيرةٌ بِأَن تَحظَى بالتَقدِير والاحترام مِنَ النَّاس. غَير أَنَّ أَصحَابَها وَرُغم الضُغوطَات الكثِيرَة التِي يَتعرضُونَ لَها، والإغرَاءات العَدِيدة التي يَجبُ عَليهِم مُقَاوَمتِها فَهُم لَم يَحضَوا باحتِرام كَبير مِن المُجتَمَع فَضلاً عَن أَنَّ هُناكَ شَخصِياتٍ عَدِيدة قَد لَوثَت وشَوَهت سُمعَتهَا.[3]

ومن باب الإشارة والتَّنبِيهِ هُنا، كان لهذين المُستشرقين رأي مشابه لرأي سابقهما "**برنارد لويس Bernard Lewis**"، فالعُلماء الأوائل في الدولة العثمانيَّة لم يَكُونُوا عُثمَانِيين بَل

[1] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج02، المرجع السَّابق، ص 123.

[2] نفسه، ص 124.

[3] نفسه، ص 125.

قَدَّمُوا إِليهَا مِنَ المَشرِقِ ومِمَا جَاورَهَا مِن الأرَاضِي، وبِسَبَبِ حَاجةِ الدولة لِمثلِهم توجه السَلاطِينُ العُثمَانِيين كالفَاتِح والقَانُونِي نَحوَ إنشاءِ مَدارِس ومَراكِز عِلمِيَّة في دَولتِهِمَا.[1] ولكن بالعَودةِ لِلمَصادِرِ العثمانيَّة التي تَحدَّثت وجَمعَت في طَيَّاتِها سِيَرَ العُلماءِ العُثمَانِيين نَجدُ أَنَّ للدَّولة العثمانيَّة علماء بارزون منذ القرون الأولى لتأسيسها وهو ما ورد في كِتاب الشَّقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانيَّة.[2]

لم يتم هاذين المُستشرقين كِتاباتهما دون التوجه نَحو التشبه بالمَسيحِيين وهذا طبعا من باب إبراز الفِكرة القائِلَة بأن الغَرب هو الأصل لكل شيء. وهو ما يبدوا جليا في قولهما أن الدولة العثمانيَّة سعت نَحو تنظيم علمائها وفق بنية هرمية مشابهة للبنية الهرمية اليونانية الأرثوذكسية، وكان في طليعة هذا التشبيه أن وضع العُثمانيون شيخ الإسلام رئيسا للمؤسسة الدِّينية أو مؤسسة العُلماء وهو ما يوافق حَسبَ تقديرهما ورغم غرابة مَنصِبه وظيفة البطريرك.[3]

ما يجب قوله هُنا، أن المُستشرقين ومن باب تشبيه العالم الإسلامي ككل بالعالم المَسيحِي وربطه به يسعون جاهدين إلى إيجاد دول مسيحية قريبة من الدُول المراد تشبيهها به حتى يكون الأمر أكثر إقناعا. فعَلى سَبيلِ المِثال هُنا: ربطوا عددا من النُّظم والتَّنظيمَات العثمانيَّة الخَاصة بالعلم والعُلماء باليونان بحكم القرب بينهم وبين الدولة العثمانيَّة من جِهة، وبحكم ارتباطهم بها من جِهة أخرى.

في ذَات السِياق، أورد كل من "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**" و"**هارولد باون Bowen. H**" في كِتاباتهما تقسيما لفئة العُلماء وفق التنظيم الهرمي

---

[1] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج02، المرجع السَّابق، ص 126.

[2] للمزيد اطلع عَلى كِتاب طاشكبري زاده، **الشَّقائق النعمانية في علماء الدَّولَة العُثمانية**، د.ط، دار الكِتاب العَربي، بيروت -لبنان، 1975م.

[3] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج02، المرجع السَّابق، ص ص127 -128.

الذي رأيا بأنه سائر المفعول في الدولة العثمانيَّة منذ عهودها المبكرة حتى القَرن الثامن عشر، ولكن مع ذلك ورغم المَعلُومَات التي أورداها لم نتمكن من الحصول عَلى الترتيب الصَحيح لطبقة العُلماء بِسَببِ الخلط بين المَعلُومَات. فأضفت معلوماتهم تِلكَ وتقسيماتهم المتعددة نوعا من الخلط عَلى كِتاباتهما، فَضلاً عن أنها تجعل البَاحث الراغب في فهم المقصود مركزا في القراءة ومعيدا لها حتى يستطيع الفصل بينهم.

كَانت بِشكل تقريبي وقريب من شرحهما كالتالي: قسم هذين المُستشرقين العُلماء جَمِيعا لمرتَبَتين، إحداهما مرتبة عليا والأخرى مرتبة دنيا، خص كل منهما الترتيب الأول لمهن العُلماء والتي حدداها في مهنتين أساسيتين: الأولى هي مهنة التعلِيم، وكَانت الثانية خَاصة بالقضاء. ليتخصصا في حديثهما عن علماء الشريعة أو الفُقهَاء الذين كَانُوا حَسبَهما تحت رئاسة شيخ الإسلام وينقسمان لفئتين سرعان ما أضيفت لهما الفِئة الثالثة بحلول القَرن الثامن عشر وهم كالتالي: طلاب الشريعة ضمن الفِئة الأولى، يليهم مباشرة مطبقو الشريعة أو القُضاة، ثم القائمون عَلى خِدمَة المساجد من وعاظ، مرشدين، أئمة وغيرهم. [1]

ليتخصصا في الحَدِيث عن فئة من فئات العُلماء في الدولة العثمانيَّة ألا وهم القُضاة، أين رتبوا القُضاة وفق ترتيب هرمي كذلِك من الفِئة العليا وصولا إلى أدنى مرتبة فيهم. فذكروا أن القُضاة هم من فقهاء الدولة العثمانيَّة وهم قسمان: قضاة عظام وفيهم كل من فئة "الملالي العظام" أي القُضاة العظام والخمسة قضاة المسؤولين عن أوقاف الدولة العثمانيَّة والمقسمين هم كذلِك إلى قسمين: ثلاثة منهم في عاصمة الدولة استنبول وقاضيان أحدهما في العاصمة الأولى بورصة والثاني في عاصمة الدولة التَّاريخية الثانية أدرنة. يليهم في الترتيب القُضاة الصغار أو "الملالي الصغار" والذين قدر عددهم بثلاث وأربعين قاضيا، ثم خفض العدد ليضحى سبعا وعشرين شخصا.[2] وقد أرجع المُستشرقان "**هاملتون جب Hamilton**

[1] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج02، المرجع السَّابق، ص 129 وما بعدها.

[2] أنظر الملحق العاشر، ص 287.

Alexander Roskeen Gibb" و"**هارولد باون Bowen. H**" سبب هذا التغيير إلى الفساد الذي تفشى وسط العُلماء والذي كَانت من أبرز صوره إنشاء طبقة أرستقراطية خَاصة لهم، وتوارث المنَاصِب بِشكل كان حَسبَهما مثيرا للغرابة.[1]

مع ذلك كله لم يعط المُستشرقون السَّابقوا الذِّكر أهمية للعلوم العقلية وبينوا -في الأجزاء التي خصصوها للحديث عن العلم والعُلماء في الدولة العثمانيَّة -أن العُثمانيين كان اهتمامهم بها قليلا إذا ما قورن الأمر بالعلوم الأخرى. ولكن وبالعودة والبَحث في مواضع أخرى من كِتابات المُستشرقين نجد أنهم قد تحدثوا عن اهتمام العُثمانيين بالعلوم العقلية كالفلك، الرياضيات والطب. فَضلاً عن اهتمامهم باللُغات من باب تحسين المنَاصِب في الدولة وعدم الاستعانة بالملل ومُختَلف الطوائِف المنتمية للدَّولة العثمانيَّة. وهو ما نجده في كِتابات المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" وكان قد سَبَق ذكره في قَضيَّة الإصلاحات والتَّنظيمَات العثمانيَّة.

فَضلاً عن أن الكتابات التَّاريخية المُعالجة لهذا الأمر تأكَّد عَلى اهتمام العُثمانيين بمُختَلف العلوم العقلية من طب، فيزياء، رياضيات وعلوم الفلك... وغيرها منذ وقت مبكر، باعتبار أنها كَانت موجودة منذ عهد السلاجقة واستَمرت في العهود العثمانيَّة الأولى. وقول هذا راجع حَسبَ ما أملته الكُتب التَّاريخية إلى وجود المستشفيات والمراصد الخَاصة بعلم الفلك، فَضلاً عن جرد الكُتب لبَعض من الشَّخصيات أو بالأحرى لعدد من المدرسين ذوو الاهتِمام بالعلم العقلي من أمثَال "قاضي زادة الرومي"[2]، الذي كان يقدم دروسا في الهندسة

[1] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج02، المرجع السَّابق، ص ص130 -137، 159.

[2] **قاضي زاده الرومي:** هو معلم رياضيات وعلم فلك معروف بالرياضي، من مواليد مدينة بورصة لعام 1360م. نشأ في هذه المدينة وتلقى تعليمه بها وأتمه، لينتقل عقبها لسمرقند ويستقر بها ويزاول مهنته في التعليم حتى وفاته. وقد أشَارت المراجع التَاريخية إلى قضية تلقنه لمُختَلف العلوم العقلية بالعاصمة العُثمانية الأولى -بورصة - وجعلوا منها حجة ودليلا عَلى اهتمام العُثمانيين منذ العصور الأولى بمُختَلف العلوم العقلية. للمزيد أنظر: أوغلى، **التراث العلمي ...**، مج01، المرجع السَّابق، ص ص170 -172.

وفي عدد من العلوم العقلية الأخرى. وحتى عهد السُّلطَان "محمد الفاتح" والقفزة النوعية التي جرت في عهده في جَانب العلوم العقلية وعن طريق المَدرَسة التي أنشأها، وكذا باهتمامه بالمدرسين وبهذه العلوم وشغفه بها.[1] وهذا كله من باب نفي ما ذكره المُستشرقون في هذا الجَانب وتأكيدا عَلى اهتمام العُثمانيين بالعلوم العقلية.

من جَانب آخر، ومن باب الاستفسار والرَغبَة في البَحث والمَعرِفة وتَحلِيل آراء المُستشرقين، نجد أن شرحهم المطول للعلماء وتركيزهم عَلى فئة القُضاة عن غيرهم أمر يدفع بالبَاحث إلى البَحث والتساؤل عن السبب الكامن وراء ذلك. وبالإطلاع عَلى كِتابات المُستشرقين نجد أن كِتابات المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" لم تحو أي إجابة عن هذا الأمر أو إشارة دالة عليه. في حين أجاب كل من "**هاملتون جب Alexander Roskeen Hamilton Gibb**" و"**هارولد باون Bowen. H**" عن ذلك بقولهما أنه كان نِظَاما - معقدا -حاملا في طياته تفاصيل عَدِيدة مبهمة.[2]

لكن مع ذلك كله يدفع هذا الطَّرح البَاحث لوضع الاحتِمَالات التي كان من بينها: أن الأهمية التي يحظى بها القضاء في الدِّين الإسلامي من جهة وفي الدولة العثمانيَّة من جهة أخرى باعتبارها دولة القَوانِين، وكذا كونه المحافظ عَلى عدل الدولة وحقوق شعبها عله هو السبب وراء ذلك.

إن المُطلِّع والدارس لكِتابات المُستشرقين البريطانيين وفق الترتيب الزَّمني الذي جاؤوا به يجد أن هُناك نفس الأفكَار تتوارث من شخص لآخر مع اختلاف وتفاوت في الطَّرح والمُعالجة. فعَلى سَبيلِ المِثال لا الحصر ما ورد في كِتابات المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" قد جَاء ذكره مفصلا في كِتابات "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen**

[1] نفسه، ص ص169 -175.

[2] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج02، المرجع السَّابق، ص ص140، 179.

Gibb" و"**هارولد باون Bowen. H**" ولعل هذا عائد لاعتماد كل واحد عَلى كِتابات من قبله كمصدر للمعلومة حتى وإن لم يرد ذكره في هامش الكتابات.

فهذا "**برنارد لويس Bernard Lewis**" وإن أعاب عَلى غيره من المُستشرقين عدم العودة للأرشيف العُثماني والكتابات المحلية للمَنطِقة إلا أنه كغيره من المُستشرقين غير معتمد عليها بشكل كَبير وهو ما يبدو جليا في هامش كِتاباته من جِهة، فَضلاً عن اعتماده عَلى كِتابات الذين سَبَقوه في هذا المَجال من الغَربيين الرَحالَة والمُستشرقين من جِهة أخرى. وهو ما يبرز في توافق المَعلُومَات وتشابهها بالعودة لكتب السَّابقين له.

زيادة عَلى هذا، يسعى كل من المُستشرق "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**" و"**هارولد باون Bowen. H**" إلى تأكيد فِكرَة أخرى اعتاد البَاحثون في الوَقت الراهن عَلى تكرارها والتي تفيد وتعكس بأن الدولة العثمانيَّة "**دولة عسكرية**" غابت فيها أسس الحَضارة كالعلوم والفنون، لم تُعرَف إلا بفضل السلاح ولم يُحافظ عليها إلا به.[1] ولعلها عبارة خاطئة أشير إلى أنها قَضِيَّة فلسفية في الوَقت الراهن وسَعَى البَاحثون إلى تَحلِيلها بالقبول أو الرفض، غير أنها عبارة وفِكرَة استشراقية محضة غرضها تضليل القارئ وتغييب المَعلُومَات الصَحيحة عن الدولة العثمانيَّة وتَاريخها.

بالإِضافَة إلى كل هذا، ركز المُستشرقون البريطانيون السَّابقوا الذِّكر في كِتاباتهم عَلى ربط التعلِيم بالدِّين الإسلامي بشكل مباشر، فتحدثوا في سِياق هذه الفِكرة عن المَدارِس القرآنية في الدولة العثمانيَّة وركزوا عليها كمحاولة للتأكيد بأنها المَدارِس الوحيدة التي تواجدت بها. متناسين مُختَلف المَدارِس المنشأة من قبل السلاطِين العُثمانيين منذ القَرن الخامس عشر وصولا إلى تِلكَ المنشأة وفق أسس ونظم حديثة، وحتى تِلكَ التي أسست خصيصا لتعليم البنات. هذا فَضلاً عن محاولاتهم المتكررة لاستخدام المُصطلحات في غير

[1] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج02، المرجع السَّابق، ص 160.

محلها، مع إدراج بَعض من المُصطلحات الغَربية في التَّاريخ العُثماني والإسلامي بِشكل إجباري مبالغ فيه، والذي يولد ويصنع نوعا من الخلط في التَّاريخ وفي هذه الكتابات. نَاهيك عن مواصلتهم في نفي الأصالة عن هذا التَّاريخ، ففي هذه القَضِيَّة كذلِك حتى نظم التعلِيم لم تكن عُثمَانية خالصة بل مزيج من نظم قديمة.

فَضلاً عن أن عددا منهم سعوا إلى استِغلال هذه الفِكرة لخِدمَة الفِكرة السَّابقة والمبرزة للدَّولة العثمانيَّة بصفة عسكرية من أمثَال "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**" و"**هارولد باون Bowen. H**". فمن خِلال الإطلاع عَلى كِتاباتهما نجد أنهما أكَّدا عَلى أن الأساس الذي قَامَت عليه مُختَلف نظم التعلِيم العثمانيَّة عسكرية كَانت، إدارية أم تقنية ليس سوى هذه المَدارِس وهو ما يعكس وصفا إيجابيا للقارئ، ليواصلا الحَدِيث عن هذه المَدارِس ويؤكدا عَلى أنها لم تقدم تعليما مناسبا للمجتمع العُثماني موافقا لاحتياجاته، وأنَّ الأستَاذ القائم عَلى التَدريس فيها أو كما سمياه "الفقيه" ليس سوى شخصا عاديا جاهلا، نقص راتبه جعله يسعى للقِيام بأي شيء في سَبيلِ الحصول عَلى المال، نَاهيك عن أن الدولة العثمانيَّة لم تطبق أي رقابة عَلى نِظَامه التعلِيمي وما يقدمه من دروس.[1] ولعل هذه الأفكَار هي أفكار ضاربة وهدامة لكل نظم التعلِيم العثمانيَّة ومقللة من شأنها ففساد الأصل يعني فساد الفرع، وبالتالي فهما يحاولان القَول أن التعلِيم العُثماني، ومُختَلف خريجيه وموظفيه فاسدين باعتبار أن أساسه المتمثل في المَدارِس القرآنية فاسدة.

نَاهيك عن ذلك، لم يتوان هاذين المُستشرقين عن الحَدِيث عن التعلِيم العُثماني خِلال القَرن الثامن عشر، ولكنهما وفي ظل التطور الذي شَهِدته الدولة العثمانيَّة خِلال فَترة الإصلاحات لم يتحدثا سوى عن المَدارِس القرآنية مع تأكيدهما المتواصل عَلى أن التعلِيم العُثماني خِلال هذا القَرن وما بعده هو نفسه تعليم القَرن الخامس عشر. وهذه مفارقة عجيبة

[1] جب، باون، **المُجتَمع**، ج02، المرجع السَّابق، ص ص201، 203.

فمصادر التَّاريخ العُثماني المتحدثة عن فَترة الإصلاحات العثمانيَّة وما شَهِدته الدولة خِلالها تقول غير هذا.

فبالإطلاع عَلى الكتابات التَّاريخية المتحدثة والمُعالجة لهذه الحقبة، نجد أنها تؤكد عَلى أن الدولة العثمانيَّة ومنذ الربع الأَخير للقرن الثامن عشر شَهِدت إنشاءً لعدد من المؤسسات العِلمية المهتمة بالعلوم العقلية والتطبيقية. ليتطور الأمر أكثر بحلول القَرن التَّاسع عشر أين أضحت التجارب العِلمية الخَاصة بمُختَلف العلوم العقلية من طب، رياضيات، فيزياء وكيمياء متاحة في هذه المؤسسات -خَاصة في المَجال الطبي -كتمكن الطلبة من إجراء تجارب عِلمية خَاصة باللقاحات لمُختَلف الأوبئة المعروفة آنذاك "كداء الكلب" عَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر.[1]

ولعل من الأمور والأفكَار المثيرة للغرابة والريبة في ذَات الوَقت في نفس القارئ تِلكَ التي قدم فيها المُستشرقان السَابِقا الذِّكر نماذج عن المَدارِس العثمانيَّة خِلال القَرن الثامن عشر، عَلى غِرار المكتب المنشأ من طرف والد السُّلطَان "محمود الأول" بغلطة لتعليم الطلاب الكتابة، والذي جسده هذين الأَخيرين بأنه أول نموذج في الدولة العثمانيَّة غاضين الطرف عن المَدارِس المنشأة قبله هذا من جِهة. وأكَّدا من جِهة أخرى أن منهجه لم يعلم الطلاب القراءة والكتابة بل سوى فن الخط. علاوة عَلى ذلك كله فإنجازات العُلماء لم تكن ذَات قيمة كَبيرة في نَظرهما.[2]

[1] بالعودة للكتابات التاريخية نجد أنَّ اهتمام الدولة العثمانية بالعلوم العقلية يعود إلى سنيها الأولى، فمنذ القرن الرابع عشر برز فيها شخصيات وعلماء أكفاء برعوا فيها كل حسب تخصصه. من أمثال: محمد الفناري وقاضي زادة أو موسى باشا الذي برع في الرياضيات وغيرهم كثير. للمزيد أنظر: أوغلى، **التراث العلمي**، مج 01، المرجع السَّابق، ص 223. أنظر أيضا: خليل إينالجيك، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار**، تر، محمد الأرناؤوط، ط01، دار المدار الإسلامي، بيروت -لبنان، 2002م، ص 267.

[2] جب، باون، **المُجتَمع**، ج02، المرجع السَّابق، ص ص205 -206.

كما تعمد بَعض من المُستشرقين البريطانيين في حديثهم إبراز بَعض الأفكَار في كِتاباتهم وتكراراها دون شرح، وتركها مفتوحة ومبهمة وهو ما يضع القارئ الغَربي الذي وجهت له هذه الكتابات بدرجة أولى أو حتى العَربي أمام مجال مفرغ يفرض عليه وضع الاحتِمَالات لملئِه. فعَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر: كرر المُستشرقين "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**" و"**هارولد باون Bowen. H**" في حديثهما عن العلم والعُلماء في الدولة العثمانيَّة أن للعلماء سلبيات كثيرة ومساوئ عَدِيدة[1] غير أنهما لم يفصحا عنها ولم يقدما شرحا مستفيضا عن ذلك ولم يضربا للقارئ أمثلة تحاكي ما يتحدثان عنه، وهو ما يفتح المَجال لعقل القارئ لوضع الاحتِمَالات ولك أن تدرك ما سيكون من ذلك.

ركزا كذلِك في كِتاباتهما عَلى الحَدِيث عن الأخلاق والمِثَالية الأخلاقية في كل قضاياهما، فلا السلاطِين ذوو خلق رفيع ولا موظفو الدولة العثمانيَّة ولا حتى علماؤها. وكمثال بسيط عَلى هذا كَانت المؤسسة الدِّينية العثمانيَّة في نَظر المُستشرقان السَابِقا الذِّكر هي الرابط والجَانب الإيجابي الوحيد في الدولة العثمانيَّة، لكنها رغم ذلك كله لم تعكس حَسبَهما صور العدالة ومثالية الأخلاق في الوسط العُثماني ولم تُقَدِّمهُمَا حتى. وهذا كُله لَم يُعرِّضهَا للنقدِ مِن أي سُلطَةٍ أُخرَى.[2]

[1] نفسه، ص160.

[2] نفسه، ص163.

ثانيا - التعلِيم في الوِلايات العثمانيَّة بنَظرة استشراقية

01 التعلِيم في الأقَالِيم العَربية

كان للجَانب العلمي في عدد من وِلايات الدولة العثمانيَّة كبلاد الشام، العِراق، مِصر وكذا الحِجاز نصيب من كِتابات وآراء بَعض من المُستشرقين البريطانيين، من أمثَال "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**"، "**هارولد باون Bowen. H**"، وكذا "**برنارد لويس Bernard Lewis**". فقد تَحدثُوا عَن مُختَلفِ النُّظمِ والتَّنظِيمَاتِ المُتبعة في هَذه المنَاطِق، وعَن فِئاتِ العُلماء وأبدَوا آراءهُم حَولَها بالسَلبِ والإيجَاب أو بالأحرَى بالقَبُولِ والرَفضِ لِمثلِها وهو مَا سيلي ذِكرُه فِيما يأتي مِنَ الوريقَات.

بداية، بالعَودَة للكِتَابَات الاستشراقية نَجِد أنَّ المُستشرِقَان البريطَانِيان صَاحبا كِتاب المُجتَمع الإسلامي والغَرب قَد أفرَدا فِيهِ حَيزاً للحَدِيثِ عَن التَعلِيم في عَددٍ مِن المنَاطِق العَربية التَابعَة للدَّولَة العثمانيَّة. والذِي كَان حَسبَهُما تَعلِيماً تَقلِيدياً فَاعلا في الوَسطِ العَربي في كُلٍ مِن العِراق، بلاد الشَام ومِصر. عَرف انتِشَاراً للمَساجِدِ والمَدارِس والمُؤسساتِ التَعلِيميَّة كَتِلكَ المَوجُودَة في حَلَب ودِمشق، وكَجَامِع الأزهَر صَاحِب الحظوة الكَبِيرَة في عَددِ الأسَاتِذَة والمُعلِمينَ وفي تَعلِيمِ الطَلبةِ. ولكن الاختِلافَ الكَائِنَ بَينهُم يَكمُنُ في مَا أَسميَاهُ **بالمركَزِيَةِ** التي قَصدًا بِهَا تَعلُمَ الفَردِ فِي وِلايَتِه ومَنطِقَتِهِ، وكَانَ المِصرِيُون في ذَلِك أَكثرَ مَركَزِيَّة مِنَ الشَامِيينَ المَيالِينَ للدِرَاسةِ خَارِجَ مَناطِقهم.[1]

في حين اختَلفَ أمرُ التَعلِيمِ في العِراقِ عَن البَقية فَقد كَانت الوِلايَةَ الأقلَ حَظاً في هَذَا الأمر، ومَرُد هَذا لِعدَمِ استِتبَابِ الأُمورِ بَينَ السُّنَةِ والشِيعَة مَا جَعلَ أمرَ التوَاصُلِ العِلمِي، وتأسيس عِلمٍ تَقلِيدِي كَغيرِهَا مِن الوِلايات أمراً نَوعاً مَا شِبهَ مُستَحِيل. دُونَ أن

[1] جب، باون، **المُجتَمع**، ج02، المرجع السَّابق، ص ص222 -223.

نَنسَى الحِجاز التي كَانَت مِن بين المَراكِزِ التَعلِيمِية المُهِمَة في الدولة العثمانيَّة وكُل هَذا حَسبَ رَأيِ "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**" و"**هارولد باون Bowen. H**"[1].

بَيدَ أنَّ مُختَلفَ هَذه المَدارِس كَانَت وحَسبَ ما أملتهُ كِتابَاتُهمَا **غَيرَ ثَابتةِ المَناهِج التَعلِيمِيَّة، دُروسُها ضَيقةٌ، تَقلِيدِيَّة، مُنغَلِقَة ومَحدُودَة**. قَائِمَة عَلى اللُغةِ العَربية، النَحو، المَنطِق، الدِّين ومَبادِئ الرِيَاضِيات. فَضلاً عن أن عددا من هذه المَدارِس قد توجه نَحو تَدريس بَعض من الأَعمالِ ذَات العَلاقَة بالطرُقِ الصُوفِية في كل من سُوريَا والحِجاز. كانَ تَسييرُ أُمورِهَا مِن دَفعٍ لأجُورِ الأَساتِذَة والمُعلِمين وتَعلِيمِ الطَلَبَةِ وتَهيئَتِ الجَوِ والظُرُوفِ لَهُم مَبنِيٌ عَلى الأَوقافِ التي تُحبَسُ عَليهَا، تَماماً مِثل مَركزِ الحُكمِ، وعَلى المِنَحِ المُقدمة والهَدايَا ومُختَلفِ الهباتِ المَمنُوحةِ لَهم. وكَانَت الحظوة في كُلِ هَذهِ الأمورِ لـ "جامِعِ الأزهَر" الذي حُبِست عَليهِ عَدِيد الأوقَافِ عَن طَرِيقِ الدولة العثمانيَّة، ومَكةَ والمَدِينَة، وعَددٍ لَيسَ بِهينٍ مِنَ الشَّخصِيات الثَرِية آنذاك من باشَوات وأُمرَاء.[2]

كَلامُهمَا هذا وإن كَان صَحيحاً في بَعضِ جَوانِبهِ إلا أنَّ به مُغالطاتٍ عَدِيدة، فَحتى وإن رَكزَ التَعلِيمُ عَلى العُلومِ النَقلِيَّة والعُلومِ الدِّينية فالعُلومِ العَقلِية هي الأخرَى كَان لَها نَصِيبٌ في ذَلك. زيادَة عَلى هَذا الأمر، فالكَتَاتِيبُ والمَدارِسُ والمَساجِدُ وحَتى المُؤسَساتُ التَعلِيمِيَّة الصُوفِيَّة قَد لَعِبت دَوراً في النِظَام التَعلِيمِي في المَنطِقَة وهَذا أَمرٌ صَحِيح، فَقد بقي نِظَام التَعلِيم في مُختَلفِ الوِلايات العثمانيَّة عَلى الشَاكِلَة التِي كَانَ عَليهَا قَبل التَواجُدِ العُثمانِي بها. ولكن مَع ذَلِك أشرَفت الدولة العثمانيَّة عَليه ودَعمَتهُ واهتَمت بِمَا حُبِسَ عَليهِ مِن أَوقافٍ وسَعت كذلِكَ إلى تَطوِيرِهِ. فبإسقَاطِ هَذا الأمر عَلى ولاية الحِجاز نجد أن لها دَورا كَبيرا وبارزا في المَجال التعلِيمي -كما ذكر المُستشرقان - ولكنها عرفت زيادة عَلى

[1] جب، باون، **المُجتَمع**، ج02، المرجع السَّابق، ص 224.

[2] نفسه، ص ص225، 227، 229.

النمط التعلِيمي التقليدي الذي ذكراه -الأهلي وذلك الذي تم في المساجد والمَدارِس - تعليما نِظَاميا حكوميا جعل من اللغة العثمانيَّة أساسا له وهو ما تم إغفاله وعدم ذكره من قبل المُستشرقين.[1]

بيد أن هذا الأمر لم يقف عَلى هذا؛ فقد توجهت الدولة العثمانيَّة نَحو ترميم المؤسسات التعلِيمية القديمة وتطويرها وإنشاء أخرى جديدة. زيادة عَلى اهتمام السلاطِين العُثمانيين بمُختَلف الأوقاف المحبوسة عَلى الجَانب التعلِيمي في الحِجاز وعينوا قضاة عثمانيين للتكفل بهذا الأمر، وأرسلوا مع قافلة الحج مالاً وافِرًا صُرِف كثيره عَلى الجَانب العلمي وهذا وفق ما يعرف بالصرة الهمايونية فكان ذلك أمرا سنويا دائما مستمرا باستَمرار السلاطِين.[2]

وهذا كله يفند أقوال المُستشرقين السَّابقة ويؤكد للبَاحث أنهم وبحديثهم هذا يسعون جاهدين إلى إغفال دَور الدولة العثمانيَّة في هذا الجَانب، وتأكيد الفِكرة القائِلَة بأن العُثمانيين لم يولوا اهتماما بالجَانب العلمي وهو الأمر الشائع في الوَقت الراهن والذي اعتاد البَاحثون عَلى تكراره. وأن دولتهم دولة عسكرية محضة وأن أساس التعلِيم فيها أجنبي عنها.

كما أشَار المُستشرقين إلى أنَّ مستوى التعلِيم في الأقَالِيم العَربية كان مُختَلفا عما شَهِده مركز الحُكم، فقد عرف استقرارا في مستواه ولم ينخفض عَلى مدى ثلاثة قرون متتالية من القَرن السادس عشر ولِغَاية القَرن الثامن عشر. وأنه ورغم انحطاط تعليم مركز

[1] أماني جعفر الغازي، **"دعم الدَّولَة العُثمانية للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين خلال عهد السلطان عبد الحميد الثاني - دراسة وثائقية"**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع64، مكة المكرمة، محرم 1436هـ، ص ص260 -261.

[2] نفسه، ص 262.

الحُكم بِسَببِ الفساد واستقرار التعلِيم في الأقَالِيم العَربية لم ينل كلاهما استحسان المُستشرقين ولا قبولهما. فكان الأول فاسدا وكان الثاني راكدا محدودا وضيقا.[1]

ولعل الأمر الذي يجب التَّنبيهِ له هُنا؛ أنَّ هاذان المُستشرقان قد اعتَمدَا في إصدار حكمهما هذا سَواء عَلى مركز الحُكم أو الوِلايات التابعة له عَلى تقصي عدد من الأمور البعيدة كل البعد عن تَحدِيد مستوى الطالب والمعلم، أي مستوى التعلِيم في حد ذَاته، وبعيدا عن الحَدِيث عن نوعية الدروس المقدمة والتي بتركيزها عَلى العلوم الدِّينية كَانت حَسبَهما غير لائقة كما ذكرنا سَابقا، وتوجها نَحو تَحدِيده عن طريق معرفة مدى تهيئة المَدارِس للمتمدرسين والمعلمين، وعن طريق البَحث حول نسب الفساد في هذه المَدارِس، وبالأحرى حول مدى استقامة القائمين عليها ومصداقيتهم في تسيير المنح والأموال المقدمة لهم.[2]

بغض النَظر عن هذا الأمر؛ وبحلول القَرن الثامن عشر وما تلاه تغير نِظَام التعلِيم في عدد من وِلايات الدولة العثمانيَّة كبلاد الشام ودِمشق وحتى الحِجاز عَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر، أين بَرزَت المكاتب الابتدائية والمَدارِس الرشدية، الإعدادية وحتى الخصوصية منها، فَضلاً عن المَدارِس والجَامِعات المنشأة من طرف الإرسَاليات التَنصِيريَّة، وبالتالي فالمَناهِج التعلِيمية قد تغيرت كذلِك.[3]

ولعل هذا قول آخر ينفي قول المُستشرقين السَّابق الذي أكَّدا من خِلاله عَلى استَمرارية وثبات مستوى التعلِيم طيلة ثلاثة قرون متتالية، فاختلف بذلك طرحهما عن المنطق وكان طرحا غير عقلاني في ذَات الوَقت.

---

[1] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج02، المرجع السَّابق، ص ص226، 230.

[2] نفسه، ص ص226، 230.

[3] رجا غازي رجا العمرات، **النظام التعليمي في بلاد الشام في القَرن الثالث عشر الهجري**، رسالة ماجيستار في التربية في الإسلام، جامعة اليرموك، 1999م، ص ص40، 42، 98، 117، ومابعدها. أنظر أيضا: أماني جعفر الغازي، المقال السَّابق، ص ص264، 267.

02 العُلماء في الأقَاليم العَربية

باعتبار أن الدولة العثمانيَّة كَانت دولة مترامية الأطراف، شاسعة المساحة، متعددة الوِلايات. فلوِلاياتها ووِلاياتها نظم خَاصة بفئة العُلماء وبالعلم بصفة عامة، رغم كونهم جزءا لا يتجزأ منها. لِذلِك كان لابد من معرفة نَظرة المُستشرقين البريطانيين لهذا الأمر ورأيهم حوله.

فاستهلالا في هذا المَوضُوع؛ وبالعودة إلى كِتابات المُستشرقين البريطانيين نجد أن بَعضا منهم وفي سِياق حديثه عن العلم والعُلماء في الدولة العثمانيَّة، يسعى جاهدا إما إلى عدم ذكرهم، أو إلى الحط والتقليل من قيمتهم، وهذا في سياق الفصول التي خصصت للحديث عنهم، وهو ما يبرز بشكل جلي في كتابات كل من "**هاملتون جب Alexander Roskeen Gibb Hamilton**"، "**هارولد باون Bowen. H**" و"**برنارد لويس Bernard Lewis**".

غير أن المطلع والقارئ للكتابات الخاصة بهم يجد أنهم قد تحدثوا وأشاروا في صفحات مختلفة لعدد من الشخصيات العثمانية الفاعلة ذات الاهتمام بالجوانب العلمية الحديثة، فهذا المستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" قد أشار في سياق حديثه عن الإصلاحات العثمانية إلى عدد من العلماء العثمانيين والذين سماهم بالنخبة العثمانية عالية الكفاءة من أمثال: "كاتب جلبي"[1] الذي وصفه هذا الأخير بصاحب العقلية الحديثة كونه

[1] **حاجي خليفة (1609 -1657م)**: هو مصطفى ابن عبد الله المشهور بين أهل الديوان باسم كاتب جلبي وبين أقرانه من العلماء باسم حاجي خليفة. حافظ للقرآن الكريم ومتعلم لعدد من العلوم كعلوم الخط، التفسير وعلوم الدين على يد ثلة من علماء الدولة العثمانية. عمل هذا الأخير في أقلام الديوان منذ كان في سن الرابعة عشر، انظمّ عقبها رفقة والده للجيش العثماني وشارك في حروب الدولة. ليعكِف عقب انتهاء خدمته على الاستزادة من العلم فشرع في تدوين أسماء الكتب واقتناء مختلف المؤلفات التي تهمه. خلف حاجي خليفة عددا من الكتب المهمة ككتاب "تقويم التواريخ"، "سلم الوصول إلى طبقات الفحول"، بالإضافة لكتاب "تحفة الأخيار في الحكم والأمثال والأشعار"، وكتاب "أسامي الكتب والفنون"، وكذا "ميزان الحق في اختيار الأحق". للمزيد أنظر: مصطفى بن عبد الله (كاتب جلبي)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب الفنون**، مج01، تع، محمد شرف الدين، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان، د.ت، ص ص13 -18.

كان من أوائل الشخصيات المهتمة بالعلوم الغربية فكان بذلك رمزا من رموز التاريخ العثماني البارزة.[1]

هذا فضلا عن شخصيات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الذين توجهوا نحو العلوم الحديثة أو كما سما بعضا منها المستشرق السابق الذكر بالعلوم الأوروبية، من أمثال كل من: "إسحق أفندي"[2] و"عطا الله محمد"[3]. لذلك جاء ذكره لهذه الشخصيات دحضا لآرائه السابقة الذكر والقائلة بعدم اهتمام العثمانيين بالعلوم الحديثة، أو حتى عدم وجود علماء أكفاء ذوو اهتمام بهذه المجالات.[4]

لم يغفل عن الحَدِيث عن وضعهما في الوِلايات العَربية. فعَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر: ذكر المُستشرقان البريطَانيان "**هاملتون جب Alexander Roskeen Gibb Hamilton**" و"**هارولد باون Bowen. H**" في كِتاباتهما أن نِظَام مؤسسة العُلماء في مركز الحُكم مُختَلف نوعًا ما عن ذاك الموجُودِ في الأقَالِيم التابِعَة لَهُ. ولعل هَذا الاختِلاف حَسبَهُما عَائِدٌ لمرونَةِ الثَانِي إذا مَا قُورِنَ بالأول، فَضلاً عَن عَدمِ اهتِمَامِ الأقَالِيم العَربية بِمسأَلةِ المَظاهِر الخَارجِية والرَسمِية للتَنظِيمات الخَاصة بهذه المؤسسة. ولكن الأمر المتفق عليه هو التنسيق والعَادات التي جرى

---

[1] لويس، **الإسلام**...، المرجع السابق، ص 341.

[2] **إسحق أفندي (1774 -1834م)**: شخص عثماني بلقاني، يجيدعددا من اللغات الأجنبية كالفرنسية، اللاتينية، الفارسية، والعربية..، وقد عمل مدرسا بمدرسة الحساب في الدولة العثمانية ليصبح بمرور الزمن كبير المدرسين بها، له في جانب التآليف أربع مجلدات خاصة بالعلوم الطبيعية والرياضية، وعدد ليس بهين من المؤلفات الخاصة بالترجمة، وبالعلوم والهندسة العسكرية. أنظر للمزيد: برنارد لويس، **ظهور**...، المرجع السابق، ص 115.

[3] **عطا الله محمد (1769 - 1826م)**: شخصية عثمانية ذات معرفة موسوعية، يعرف في الدولة العثمانية باسم شاني زاده، متعلم للعديد من اللغات الأوروبية، ودارس للطب الأوروبي، عين كمؤرخ للدولة عام 1819م. وللعلم تمكن بفضل درايته باللغات الأوروبية كاللغة النمساوية من ترجمة عدد من كتب الطب للغة العثمانية والتي أحدثت نقلة نوعية في مستوى الطب العثماني بانتقاله من الطب التقليدي للحديث، ناهيك عن أنه استحدث مفردات طبية حديثة ظلت تستخدم في المنطقة حتى بعد قيام الجمهورية التركية. للمزيد أنظر: نفسه، ص ص114 -115.

[4] نفسه.

التعامل بها في مُختَلف الوِلايات والقائم عَلى تعيين قاض عثماني بِشكل سنوي لتولي الأمور رفقة **"نقيب الأشراف"**[1] الذي يعين هو الآخر بنفس طَريقَة الأول، ولكن بشهادة صادرة من رئيس العُلماء المحليين تنم عن موافقتهم.[2]

تأسيسا عَلى هذا، واستنادا إلى ما ورد في الكتابات التَّاريخية، نجد أن مَنصِب **"نقيب الأشراف"** الذي سَبَق ذكره مَنصِب معروف وموجود قبل التواجد العُثماني بالمنَاطِق العَربية. وقد اعتاد الخُلفَاء والحكام عَلى تعيينه من بين الوزراء أو الولاة أو حتى الأشخَاص أصحَاب الرأي السديد وأولئك المنتمين للأسر الكَبيرة. واستَمر تواجده خِلال الفَترة العثمانيَّة وأخذ منحى جديدا معها. فقد حضي السادة والعُلماء بمعاملة جيدة منذ عهد السُّلطَان أورخان وابنه "مراد الأول"[3] فأعفوهم من مُختَلف أنواع الضَّرائِب، أمنوا حياتهم، اهتموا بهم ومنَحوهم كذلِك عددا من الامتيازات. وهو ما سهل قدومهم نَحو الدولة العثمانيَّة وفتح لهم الباب لِذلِك.[4]

ليتم الاهتِمام بهم ووضع نظارة خَاصة بهم دون وجود نقيب، حتى عهد السُّلطَان "محمد الفاتح" هذا الذي وضع نقابة ونقيبا خَاصة بهم، لتأخذ هذه الأَخيرة شكلا أكثر تنظيما عن

---

[1] **نقيب الأشراف:** من باب شرح هذا المُصطلح، يقصد بالنقيب الوكيل، الكفيل، أخير الناس وأعرفهم، أو الشخص المختار من المُجتَمع. وقد اصطلح وأوجد هذا اللفظ "نقيب" نتيجة لكونه الشخص الآخذ له يتابع أعمال الناس، يكفلها وينقب عنها. وخلاصة القول أنَّ هذا المُصطلح يقصد به تِلكَ الوظيفة ذَات العَلاقَة بمؤسسة النقابة التي أسس للأشراف والسادة. وهو منصب ضارب في القدم لكنه أخذ أشكالا عديدة بمرور الزَّمن والدُول. للمزيد أنظر: مراد صاريجك، **نقابة الأشراف في الدَّولَة العُثمانية**، تر، سهيل صابان، ط01، دار القاهرة -مِصر، 2007م، ص ص60 -62.

[2] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج02، المرجع السَّابق، ص ص146 -147.

[3] **السلطان مراد الأول (1362 -1389م):** ابن السلطان أورخان والسلطان الثالث للدُّولة العُثمانية، حكمها لمدة ثلاثين سنة. سار فيها عَلى خطى والده، فاستخدم الزيجات السِياسيَّة لتقوية وتمتين الروابط والعلاقات الخارجية بين دولته والإمارات الأناضولية، كما فتح مدينة "أدرنه" وجعلها عاصمة لدولته، ليتوجه بعدها نَحو توسيع رقعته الجغرافية وتنظيم شؤون دولته، فدخل في حروب مع الصرب، البلقان والأرناؤوط وتمكن من ضم عدد من المناطق الأناضولية وفتح أخرى وجعلهما تحت سيطرته. للمزيد أنظر: يوسف بك آصاف، المرجع السَّابق، ص ص35 -37. أنظر أيضا: كولن، المرجع السَّابق، ص 22.

[4] مراد صاريجك، المرجع السَّابق، ص ص64، 68، 95 -103، 162 -170.

سابقتها خِلال عهد السُّلطَان "بايزيد الثاني"[1]، فأطلق عَلى النقيب بدءا من هذا العهد مُصطلح نقيب الأشراف، واشترط عَلى تعيينه عدد من الشُروط كان من بينها أن يكون حسيني النسل، عالما، قاضيا، مدرسا، أو شيخ إسلام.[2]

والواجب ذكره هُنا، أن لـ **"نقيب الأشراف"** المتواجد بالعاصمة العثمانيَّة إستنبول نواب في عدد من الوِلايات العَربية اصطلح عَلى كل فرد منهم لقب **"القائم مقام"**. وللعلم فقد أوكِلَت له مهام معاقبة السادة ممن ثبت إذنابُهم ومخالفتهم للقَوانِين والعَادات المعمول بها، وإن تطلب الأمر واستعصى عَلى القائم مقام يخبر نقيب الأشراف عن الوَضع حتى يتم ضبطه.[3]

ذكر المُستشرقان "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**" و"**هارولد باون Bowen. H**" في كِتابهما أن هُناك اختلافا واضح في نظم مؤسسة العُلماء من ولايةٍ لأخرى بحُكمِ قُربها أو بُعدِها عَن مَركزِ الحُكمِ، فَقد كَان للدَّولةِ العثمانيَّة القُدرَة عَلى التَحكُمِ والتَدخلِ في شُؤونِ مُؤسَساتِ العُلماءِ الخَاصةِ بالوِلايات الآسيَوية. وكمِثالٍ عَلى هَذا الأمر كَانَ النُفوذُ والتَأثِير العُثمَانِي عَلى هَذِهِ المُؤسَسة وتَنظِيمَاتِها ونُظُمها قَوياً في وِلايَةِ حَلب، تَلِيهِ الحِجاز في اتِبَاعِ النُّظُم السَائِرة في مَركزِ الحُكم، لتعقبها في ذَلِك وِلايةِ دِمشق

---

[1] **السلطان بايزيد الثاني (1481 -1512م):** هو ابن السلطان محمد الفاتح والسلطان الثامن للدُّولة العُثمانية، فاق حكمه لها الثلاثين سنة. تمكن خلالها من السَّيطرة عَلى مقاليد الحكم بعد صراع مع أخيه الأمير "جم"، وكذا من الحفاظ عَلى رُقعة دولته دون التَّوجه صَوبَ الفتوحات، أين سيطر عَلى عدد من الإمارات الأناضولية والمناطق الداخلية. هذا فضلا عن توجهه نَحو الإهتمام بالبحرية العُثمانية وإرسَال مساعدات صَوبَ الأندلس. خلف هذا السلطان ثمانية ذكور لم يبق منهم عَلى قيد الحياة سوى ثلاثة، فجعل كل واحد منهم عَلى رأس ولاية من ولايات الدَّولَة تجنبا للإختلاف، ولكن رفض ابنه "سليم" لولاية - طرابزون - التي عين عليها ورغبته في تولي إحدى ولايات الروملي جعلته يتوجه نَحو حشد جيشه ومواجهة والده، ليصل الأمر إلى إرغام الإنكشارية السلطان "بايزيد الثاني" عَلى التنازل عن العرش لابنه "سليم" والذي تم في عام 1512م. للمزيد أنظر: كولن، المرجع السَّابق، ص ص82 -85. أنظر أيضا: نزار قازان، **سلاطين بني عثمان بين قتال الأخوة وتمردات الإنكشارية**، ط01، دار الفكر اللبناني، بيروت -لبنان، 1992م، ص ص45 -46.

[2] صاريجك، المرجع السَّابق، ص ص112، 224 ومابعدها.

[3] نفسه، ص ص269 -270.

التي كانت نُظمُ مُؤسَسَةِ العُلمَاءِ فِيهَا مُصطَنعة نَتِيجَة لِقِيامِ الدولة العثمانيَّة بِمنحِ بَعضٍ مِن المنَاصِب الدِّينِية كَهدِيةٍ لِعددٍ مِن شَخصِيَاتِ هَذهِ الولايَة.[1]

عَدا وِلايَةِ مِصر، تِلكَ التي تَمتَع عُلمَاؤها بنوعٍ مِن الاستِقلال الوَاضِح والنِسبي، ونَوعٍ مِنَ المُرُونَةِ في العمل، وحَضُوا في ذَاتِ الوَقتِ ببَعضٍ مِنَ الامتِيازَاتِ التِي مَكنتهُم مِنَ الحِفَاظِ عَلى استِقلالِيتِهم الذَاتِيَة. وقد استَدَل المُستَشرِقَانِ لإصدَارِ حُكمِهِمَا هَذا وإثبَاتِهِ إلى سَببٍ بَارِزٍ تَمَثلَ في عَدمِ حِيَازَةِ أي شَخصٍ حَنفِي لِمَنصِبِ شَيخِ الأزهَر وهُو أعلَى رُتبَةٍ في طَبقةِ العُلَماءِ والمُشرِفُ عَلى الشُيوخِ في مِصر رُغمَ كَونِ المذَهبِ الحَنفِي هُو المذَهبُ الرَسمِي والمَعمُول به في الدولة العثمانيَّة.[2]

كما أشَارا في سِياقِ حَدِيثِهمَا عَن فِئَةِ العُلمَاءِ في الوِلايات العَربِيَّة العثمانيَّة، إلى مَنصِب **"نقيب الأشراف"** الذي يَعرِفُ ويَشهَدُ اختِلافاً وَاضِحاً بَينَ مُختَلفِ الوِلايات العَربية، فَقد عَهِدتِ الدولة العثمانيَّة عَلى تَعيينِه مِن بَينِ قُضاةِ إستنبول. ولكِن كَانَت مِصر كعَادَتِها مُختَلِفةً عَن بَقِيةِ الوِلايات العَرَبية، فَهِي لَم تَقبَل الأشخَاصَ الذِينَ عُينُوا مِن مَركزِ الحُكمِ وعَمدَت عَلى تَعيينِ النَقِيبِ مِن بَينِ عَائِلاتِها المَحلِيَّة. [3]

وتَبعتها في ذَلِك بَغدَاد وعَددٌ مِن وِلايات بِلادِ الشَام ولَكِنَّ هَذِهِ الأَخِيرَة اختَلَفت عَن مِصر فِي مَسألَةٍ وَاحِدَة، فحَسبَ ما أملَتهُ كِتابات المُستَشرِقين أنَّ نَقابَة مِصر هِي عِبارَة عَن مُؤسَسَةٍ دِينِيَّة اجتِمَاعِيَّة، فِي حِينِ اكتَسبت الثَانِيَة طَابِعاً سِيَاسِياً عَسكَرِياً ودَخلَت فِي صِراعٍ مَع الإنكِشَارِية فِي عَدِيد المَرات. وقَد ضَربَ المُستَشرِقَانِ مِثالاً وَاضِحاً عَن هَذا الأمرِ اقتَبسَا مَعلُومَاتِهِ مِن مَصدَرٍ تَارِيخِي مَحلِي أَلا وهُو كِتَابُ "خُطَطِ الشَام". والمِثال يَقول أنَّ نَقِيبَ أَشرَافِ

[1] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج02، المرجع السَّابق، ص 146.

[2] نفسه، ص ص147 -148.

[3] نفسه، ص ص149 -151.

القُدسِ تَمرَّدَ عَلى الدولة العثمانيَّة مَطلَعَ القَرنِ الثَّامِنِ عَشر ودَخلَ في مُواجَهاتٍ مَعهَا انتَهت بالقَضاءِ عَليهِ. وقَد أدرَجا هَذا الأمرَ ضِمنَ سِياقِ الفَسادِ في طَبقةِ النُقبَاءِ، أو بالأحرَى النُقبَاء الذِينَ اعتَمدُوا في حُكمِهِم وسَيطَرتِهِم عَلى المنَاطِق عَلى القَمع والحُكمِ الشَدِيدِ.[1]

ولكن وبالعَودَةِ لكِتابِ "خطط الشام" نَجد أنَّ الثَّورَة التي قَامَ بِهَا نَقِيبُ القُدسِ مَذكُورَة ولكن لَم تَقُم بِسَبَبِ الفَسادِ ولَم تَكُن رَاجِعة للحُكم التَعسُفِي ولا القَمع، وإِنمَا أرَادَ بِهَا صَاحِبُها مُواجَهَة الفَسادِ الإِداري في القُدس وفَسادَ العُمالِ.[2] ولَعل هَذا الأَمرَ يَقودُ البَاحِثَ نَحوَ تَأكِيدِ الفِكرَةِ القَائِلَة بِأَنَّ المُستَشرِقينَ ولَو اعتَمدَوا في كِتابَاتِهم عَلى مَصادِرَ تَارِيخِيَّة مَحلِيَّة، فَهُم يقومونَ بِتطوِيعِ الأحدَاثِ والقَضَايَا وِفقَ مَا يُلائِمُ أَفكَارَهُم وطَرحَهُم وهَذا يَتجَسدُ في المِثَال الذي ذَكرنَاه.

أضِف إلى ذَلك، تَركِيزهم عَلى فِكرَة فَسادِ العُلمَاءِ وطَبقَةِ الأشرَافِ، وهُوَ ما يُمكِنُ أن نُدرِجَهُ ضِمنَ الفِكرَةِ السَّابِقَةِ الذِّكرِ والقَائِلَة بِأنَّ تَركِيزَ المُستَشرِقينَ عَلى ضَربِ أَخلاقِ العُلمَاءِ، القُضَاة، المُفتِين، المُعلِمين والشُيوخ وتَشوِيهِهَا، والذِين يُجَسدُونَ أَسَاسَ المُجتَمَعِ فَكَانَ بالتَالِي فَسادُهُم يَعنِي فَسادَ المُجتَمع.

[1] جب، باون، **المُجتَمع**...، ج02، المرجع السَّابق، ص 151.

[2] محمد كرد علي، **خطط الشام**، ج02، د.ط، المطبعة الحديثة، دمشق، 1925م، ص ص286 -287.

خلاصة الفصل

تَعرَضَ عَددٌ مِنَ المُستَشرِقين البريطَانيين لِقضَايَا التَّارِيخِ العُثمَانِي الاجتِمَاعِيَّة والفِكرِيَّة مِنها بالمُعالجة والبَحثِ في حَيثِيَاتِها، مُخلِفِينَ بذلِك كِتَابَاتٍ عَدِيدة ومُتنَوعَة، حَامِلةً في طَيَاتِهَا آرَاءهُم ومُلاحَظَاتِهم حَولَها، وعددا كَبِيراً من المُغالَطَاتِ والأفكَارِ الاستشراقيَّة. رَسمَت جَمِيعُهَا صُورَةً مُشِينَة للعَالَمِ العُثمَانِي الشَّرقِي وظَلَّت سَارِيَةَ المَفعُولِ حَتى الوَقتِ الرَاهِن، فَقد أُلصِقَت بتَاريخِه وتَناقَلَتهَا كِتَابَاتُ البَاحِثِينَ كمُسلَماتٍ لا نِقَاشَ فِيها.

طَالَت أوصَافُهُم تِلكَ المَرأَة نِصفُ المُجتَمعِ الشَّرقِي وأَسَاسُه، ورُبِطَت بها صُورٌ خَلِيعَة ومَشاهِدٌ جِنسِيَّة، فِي وَقتٍ كَانَت فِيهِ المَرأَة مَحجُوبةً بشكلٍ تَامٍ عَن أعيُنِ الرِجالِ. فأَثارَت كِتَابَاتُهم تِلكَ فُضولَ الفَردِ الغَربِي بَعد أن جَسدَت الشَّرقَ بكونِهِ عَالَمُ العُنفِ والفُسق. نَستَثنِي مِن ذَلِك كِتابَاتُ بَعضٍ مِنَ الرَحالَة المُستَشرِقينَ مِن فِئَةِ النِسَاءِ اللَواتِي سَنحت لَهُنَ الفُرصُ بدُخول عالَمِ الحَرِيمِ ومُخالَطةِ النِسَاءِ عَن قُرب والكِتَابَةِ عَنهُنَ. ولَكن ورُغمَ نُدرَةِ الأفكَارِ الاستشراقيَّة فِي كِتَابَاتِ بَعضِهِنَّ إلا أنَّ مَساعِيهم لخِدمَةِ الكَنِيسَة الغَربِيَّة كَانَت وَاضِحةً للعَيانِ، مُؤكِدةً بذلِكَ الفِكرَةَ القائِلَة بأنَّ المُستَشرِقينَ سَواسِيَة جَمِيعُهُم يَسعَونَ لخِدمَةِ الهَدَفِ الغَربِي البرِيطَانِي.

فَضلاً عن ذلك، ومُواصلَةً في سِيَاقِ الأفكَارِ الاستشراقيَّة المَغلُوطَة والمُلصَقةِ بالتَّارِيخِ والعَالمِ العُثمَانِيَين، فَقد جُسِدَ هَذا الأَخير فِي الكِتَابَاتِ الاستشراقيَّة بكونِهِ مَركزُ الأوبئَةِ ومَوطِنُهَا الأصلِي، يَحوِي شَعباً أنَانِيًا، مُستَهتِراً وغَيرَ مُلتَزِم. نُظُمُهُ مَأخُوذَةٌ مِنَ العَالمِ المَسيحِي مِنَ البِيزَنطِيينَ أو اليُونَان أو حَتى مِنَ الحَضَارَاتِ القَدِيمَة البَعِيدَة كُلَّ البُعدِ عَنِ الدولة العثمانيَّة. وإن كَانَت نُظماً أَصِيلَة ولَها عَلاقَةٌ بالدِّينِ الإسلامي فَهِي تَقلِيدِيَّة رَجعِيَّة لا تُضِيفُ الشَيء الكَثِيرَ لِلمُجتَمعِ والفَردِ العُثمَانِيين. هَذا فَضلاً عَنِ الفِكرَةِ التي لا تَزَالُ مُستَمِرَةً مَعنَا مُؤَدَاهَا التَّقلِيلُ مِن قِيمَةِ الفَردِ العُثمَانِي المُسلِم والاستِخفَافِ بِهِ وبدِينِهِ، فَهُو لا يُجِيدُ مُعامَلةَ الفَردِ الغَربِي ولا يَعرِفُ مَعنَى الإنسَانِية.

الفصل الرابع

القيمة التَّاريخية للكِتابات الاستِشراقية البريطَانية

I. الدِراسَات الاستشراقية أثناء القَرن التَّاسع عشر وبعده
II. القيمة التَّاريخية للكِتابات الاستشراقية البريطَانية

أولا - إسهامات المُستشرقين في دِراسة التَّاريخ العُثماني

ثانيا - المُغالطَات والأفكَار الاستشراقية المغرضة في التَّاريخ العُثماني

سَعَى أغلب رُواد المَدارِس الاستشراقية الغَربية إلى دِراسة التَّاريخ العُثماني باعتباره جزءًا من تَاريخ الشَّرق برمته، غير أن دوافعهم من وراء ذلك، ومَناهِج أَغلَبهم المُعتَمَدة في البَحثِ جَعلَت دِراسَاتهم غَير صَادِقَة، ويَنظُرُ لَها مَعشرُ البَاحِثِينَ بِعينِ الاحتِقَانِ والمَقت ولا تُؤخَذُ غَالِبيتُهَا عَلى مَحمَلِ الجِد. وقَد ظَلَّت هَذِه النَظرَة مُلازِمَةً للاستِشرَاق رُغمَ تَطورِ الدِراسَات الاستشراقيَّة وبُرَوزِ بَعضِ الشَّخصِيَاتِ الرَّاغِبَةِ في التَنَصُلِ مِن كُلِ مَا شَابَ هَذه الحَركة، وتَوجُهِهم نَحوَ انتِهَاجِ مَنهَجية البَحثِ العِلمِيَّة في دِراسَاتهم.

مع هذا وذاك، عُدَّت الدِراسَات الاستشراقية المُختَلفة من أساليب المَعرِفة في الوَقت الحاضر وموردًا من موارد المَعلُومَات التَّاريخية، خَاصة للراغبين في معرفة نَظرة الغَرب لتَاريخهم. وبما أن الحَدِيث يدَور حول التَّاريخ العُثماني ونَظرة المُستشرقين الغَربيين له فقد تَعددت الدِراسَات حَولهُ وتَعرَّضَ المُستشرِقُونَ بالبَحثِ والتَحقِيقِ والدِرَاسةِ لِكُل مَا يخُصه، ومِن جَمِيعِ جَوانِبهِ ومَحطاتِهِ التَّاريخِية. مِن تَاريخِ نَشأةِ هَذه الدولة وتَطورِها، أَسبابُ انحدَارِهَا وتَدهورِهَا، أوضَاعُها الاجتِمَاعِيَّة، الاقتِصَادِيَّة والسِيَاسِيَّة، ودُونَ أن يَغفَلُوا عَن آخرِ فَترةٍ مِن تَاريخِها. نَاهِيك عَن اهتِمَامِهم باللُغةِ والأدبِ العُثمَانِيين، وباللغة العَربية باعتِبَارِها لُغةَ أغلَبِ شُعوبِ هَذه الدولة، وبِجمعِ المخطُوطَاتِ التي تَخُص هَذا التَّاريخ، ونَقلِها وإدرَاجها في المكتَبَاتِ العَالمِيَّة.

بالإِضافَة إلى دِراستهم للدِين الإسلامي باعتبَارِه دِين هَذه الدولة الرَسمِي، دُونَ أن يَغفَلُوا عَن المُعتَقدَاتِ ومُختَلفِ الأديَانِ الأخرَى لِتكُونَ سَبباً يُستَندُ عَليهِ في إِثَارَة النَعرَاتِ الطَّائِفية. وسَنستعرِضُ في هَذه الوريقَاتِ مجمُوعة مِن العَواملِ والأَسبَابِ التي جَعلت الكِتابَاتِ الاستشراقية عَلى قَدرٍ كَبيرٍ مِن الأهمِيَّة. مَع ذِكرِ أغلَبِ المُغالطَاتِ والأفكَارِ الاستشراقيَّة المُغرِضَة والمشوهة لِهذَا التَّاريخ رَغبَة في إِثَارَة انتباه القَارئ لَها ولمثلها حتى لا يَأخُذَ كَل ما وَردَ في هَذه الكِتابَاتِ كمُسلمَاتٍ لا نِقَاشَ فِيها، مع ذِكرِ الدِراسَات والأَبحَاثِ الاستشراقية التي كَشفَت جَوانِبَ كَثيرَة مِن التَّاريخِ العُثمَانِي كَنوعٍ مِن الإشارة لا الحَصر، ورَغبَةً فِي النَظَرِ

فِي مَدى الاعتِماد عَليهَا كمصدرٍ مِن مَصادِرِ المَعلُومَات المُسَاهِمَة فِي كِتَابَةِ وإِثرَاءِ هَذا التَّارِيخ.

I. الدِراسَات الاستشراقية أثناء القَرن التَّاسع عشر وبعده

الاستشراق تِلكَ الحَركة الفِكرية الغَربية شَهِدت تَطورا ملحُوظا عَبرَ الزَّمنِ، وتَغُيراً فِي نَوعِيَّةِ الكِتَابَاتِ والدِراسَات التي يُنتِجُها المُستَشرِقُون. فكمَا هُو مَعلُوم كَان هَذا الأَخِير مُنذُ انطِلاقَتِه الأولى وقَبلَ فَترةِ النهضَةِ الاستشراقيَّة ذُو مُنطلَقٍ كَنسِي يَهدِفُ إلى مُواجَهَةِ الدِّينِ الإسلامي والقَضاءِ عَليهِ. مُستَنِداً في ذَلكَ إِلى أَسالِيبَ فِكرِية قَائِمة عَلى الطعنِ، التَشوِيه، والتَزييفِ والتَعصُبِ لِكُلِ مَا هُو غَربِي. الأمر الذِي جَعلَ كِتَابَاتِ هَذِه الفَترَة مغرضة، وبعيدة كل البعد عن النزاهة والمَوضُوعيَّة وعن منهَجية البَحث الصَحيحة. ومرد هذا حَسبَ ما يذكره ناقد الاستشراق "**إدوارد سعيد Edward Said**"[1] للفرضيات التي ورثها وخضع لها منذ فَترة العصور الوسطى.[2]

وقد أَثارَت قَضِيَّة منهَجية الدِراسَات الاستشراقية جَدلاً وَاسعاً بَينَ جُموعِ البَاحِثين، فَذكرَ بَعضٌ مِنهُم أنَّ أغلَبَ هَذه الدِراسَات كَانَت تَتِمُ وِفقَ مَنهَجيةٍ تَوارَثها المُستَشرِقُونَ جِيلاً

[1] **إدوارد سعيد Edward Said (1935 -2003م)**: ناقد ومنظر وأستاذ أدب إنجليزي بجامعة كولومبيا، فلسطيني الأصل، ذو جنسية أمريكية. من أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني، متحصل على درجة الدكتوراه الفخرية من ستة عشر جامعة. نشط في مجال التأليف والكتابة وفي مجال المناظرات والتحاضر، فخلف أزيد من خمسة عشر كتابا أبرزها "Orientalism"، "Representations of the Intellectual"، "The Question of Palestine"، "The End of the PeaceProcess: Oslo and After" وغير ذلك من الكتب. أما في جانب المحاضرات فقد حاضر في ذات الجامعة التي عمل بها، وبجامعة برينستون، وشارك في محاضرات BBC. للمزيد أنظر: إدوارد سعيد، **فرويد وغير الأوروبيين**، ط01، دار الأداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004م، ص ص12 -19. أنظر أيضا: إدوارد سعيد، **"السيرة الذاتية والعلمية"**، ج01، ط01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، 1979م، ص116. أنظر أيضا: عبد الوهاب الزركلي، **موسوعة**، المرجع السابق، ج01، ص116.

[2] محمد عبد الله الشرقاوي، المرجع السَّابق، ص ص43 -44. أنظر كذلِك: فؤاد زكريا، **نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العَربية المعاصرة دراسة في المنهج**، د.ط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د.ت، ص 30. أنظر أيضا:
Edward Said, Op cit, p 06.

بَعدَ جِيل، تَأثرَت بالتُراث، النزعَة الأورُوبية، التَفوق الحَضارِي الكلاسِيكِي الأورُوبي وبالفِكر القَديم خَاصةً ذاك الذِي بَرزَ نَتِيجةً للحُروبِ الصَليبيَّة. أو تَأثَّرت بالفِكرِ السُلطوِي الأورُوبي والرَغبَة في السَّيطرة عَلى الشَّرق وبالنَظرة التي طَالَت هذا الأَخير مِن الغَرب فَتنكرَت لتَاريخِهِ واعتَبرتهُ كَيانا غَيرَ مُستَقِلٍ بذَاتِه. وهُو ما جَعلَهُم يَدرُسونَ الشَّرقَ ويَكتُبونَ عنهُ بِناءً عَلى نَظرة مُسبَقة، وهَذا الأمرُ مُخالِفٌ لِمَنهَجية البَحثِ العِلمِية التي تَقتَضِي وتُلزِم خُلوَ ذِهنِ البَاحِثِ مِن الأحكَامِ المُسبقَة المُتعلِّقة بمَوضُوع دِراستَه.[1]

استنادا إلى هذا، يُمكن أن نذكر قول وشهادة المُستشرق "**ماكسيم رودنسون Maxime Rodinson**"[2] حول النزعة والمركزية الأوروبية التي طالت أفكارها أورُوبا قَاطِبَة فَذكر أنَّ الأفكَار القَائِمة عَلى أولَويَةِ وتَفوقِ النَموذَجِ الأورُوبي، ووُجودِ نوعٍ من المِثَالية الدِّينية والعُنصرِيَّة في غَالِبِ الأحيَان وغَيرِها هي التي سَيطَرت عَلى أورُوبا خِلال تِلكَ الفَترة.[3]

بالإضافَة إلى ذلك، كَانت أَغلبُ أَبحَاثِ المُستَشرِقينَ تَستَنِدُ إلى مَصادِرِ غَربيَّة عَن المَنطِقَة، مَع قِيَامِهم بتَولِيدِ النُصوصِ وانتِقَاءِ الأحدَاثِ والقَضايَا والرِوايَات الضَعِيفَة وِفقَ ما يُلائِمُ طَرحَهُم وأَفكَارَهُم، هَذا فَضلاً عَن جَهلِ أَغلَبِهم باللُغَاتِ الشَّرقِيَّة. وقد سَاهمَت جَمِيعُها

[1] السيد صالح، المرجع السابق، ص89. أنظر أيضا: فؤاد زكريا، المرجع السَّابق، ص29. أنظر أيضا: عبد الرحمن خرشي، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الصِّراع الحضاري**، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص ص76 - 77.

[2] **مكسيم رودنسون Maxime Rodinson (1915 -2004م)**: مُستشرق فرنسي يهودي، متحصل عَلى درجة الدكتوراه في الأدب، تقلد خِلالِ حياته وظائف عديدة بين كونه عضوا في مجمعات عِلمية، وأستَاذا ومحاضرا في معاهد مُختَلفة، وبين كونه أمينا ومحررا للعديد من البعثات العِلمية والأثرية. ولعل من أبرز أعماله في مجال التأليف دِراسة حول "الجزيرة العَربية قبل الإسلام"، وأخرى عن "الإسلام"، "العَرب في العالم اليوناني والروماني"، "الإسلام سياسة وعقيدة"، "التَاريخ الاقتصادي وتَاريخ طبقات المُجتَمع في العالم الإسلامي". للمزيد أنظر: مراد يحي، المرجع السابق، ص ص604 -606. أنظر أيضا: مصطفى عبد المعبود، المرجع السابق، ص ص269 -271.

[3] محمد أركون، مكسيم رودنسون وآخرون، المرجع السابق، ص 50

في غَزوِ الشَّرقِ فِكرياً والقَضاءِ عَلى عَادَاتِه وتَقالِيدِه وقَطعَت كذلِكَ رَابطَ الشَّعبِ بفكرِهِ وتَارِيخِهِ وحَضارَتِه.[1]

وبما أن الأمر مُتعلِقٌ بالتَّارِيخِ العُثماني فَقد اعتَمدَ أغلَبُ رُوادِ هَذه الفَترَة في كِتابتهم ومُعالَجتِهم لِهذا التَّارِيخِ عَلى عَددٍ هَينٍ مِنَ المَصادِرِ مَع مَا تُمليهِ مُخيلاتِهم، بالإِضَافَة لاعتِمَادِهم عَلى مَبدَأ الشكِ فِي الوَقَائِع والحَوادِثِ التَّاريخيَّة وانتِقَاءِ الأحدَاثِ والرِوايَات الضَعِيفَة والمُوافِقَة لأهدَافِهِم ومَا يَصبُونَ إِلَيه، مُبتَعِدِينَ بِذَلِك عَن النزَاهَة والأَمَانَة العِلمِيَّة. وهُو ما جَعلَ نَتائِجهُم عَكسِية، مُغرِضَة وبَعِيدَة كُل البُعدِ عَنِ مَنهَجِية البَحثِ العِلمِي الصَحِيحَة.[2]

تَجدُر الإشارة هُنا، إلى أنَّ الهَدفَ الأَساسِي مِن وَراءِ دِراسَات المُستَشرِقينَ المُتَتالِيَة للعَالَمِ الإسلامي وللشرقِ بِرُمتِه، تَتمَثلُ في رَغبَتِهِم فِي تَطوِيرِ ثَقافَتِهِم الأورُوبِيَّةِ الكَلاسِيكِيَّة، ومُواجَهَةِ الإسلامِ التي بَرزَت كَهدفٍ أَساسِي عَقِبَ فَتحِ العُثمَانِيينَ للقُسطَنطِينِيَّة، وازدِيادِ تَوسُعاتِهِم في أورُوبا الشَّرقِيَّة. وقَد بَيَّنَ "**غوستاف لوبون Gustave Le Bon**"[3] وَقعَ هَذا الأَمر فِي قُلُوبِهِم وما انجَر عَنهُ فَقال: {... بَعدَ استِيلاءِ العُثمَانِيينَ عَلَى الأَستَانَة، يُذِلُونَنا بِحضَارَتِهِم السَامِيَة السَاحِقَة. لَقد تَراكَمَتِ الأَوهَامُ المَورُوثَة المُتسَلِطَة عَلينَا، والنَّقمَة عَلى الإِسلامِ وأَشيَاعِهِ عِدَة قُرُونٍ، حَتى أَصبَحت جُزءا مِن نِظَامِنَا..}.[4]

---

[1] السيد صالح، المرجع السَّابق، ص ص91، 95.

[2] حسن عزوزي، **آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية**، د.ط، مطبعة آنفو - برانت، المملكة المغَربية، 2007م، ص ص10، 15، 19، 22.

[3] **غوستاف لوبون Gustave Le Bon (1841 - 1931م)**: فيلسوف، مفكر وعالم اجتماع فرنسي، خلف كتبا عديدة منها الكتاب الموسوم "بحضارة العرب"، وكتاب "حضارات الهند" وكذا "الحضارات الأولى"، "السنن النفسية لتطور الأمم" وغيرها. للمزيد أنظر: غوستاف لوبون، **السنن النفسية لتطور الأمم**، تر، عادل زعيتر، د.ط، مؤسسة هنداوي، 2012م، ص 07.

[4] مالك بن نبي، "**إنتاج المُستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**"، مجلة الإنماء العَربي للعلوم الإنسانية، ع32، لبنان، أفريل -جوان 1983م، ص131. أنظر أيضا: الخربوطلي، المرجع السابق، ص ص31، 39.

تأسيسا على قول هذا الأخير، تنامى الحِقدُ الأورُوبي جراء التوسُعاتِ العثمانيّة المُتزايدة وتنامت معهُ الدِراسات الاستشراقيّة المُغرِضة والكارِهة للإِسلام. وقد ظلت هذِه الأبحاث على هذه الشاكِلة حتى أواخِرِ القرنِ الثّامِنِ عشر، أين شهِدت تغيُرا فِي نوعِية الكِتاباتِ المُنتجة واستِعدادًا مِن أصحابِها للتخلُصِ مِن الآراءِ والأحكامِ المُسبقة. وقد أرجع الباحِثُون بداية هذا الأمرِ إِلى تارِيخِ الحملةِ الفِرنسِيّة على مِصر، نتِيجة للأعمالِ التي خلفها مُستشرِقُوها والمُتمثّلة فِي تفكِيكِ رُموزِ الهيرُوغلِيفِيّة وإِعدادِ إِنتاجٍ ضخمٍ عن تارِيخ مِصر أَضحَى فِيما بعد أضخم إِنتاجٍ حضارِي لِتارِيخِ المنطِقة.[1]

مع تطور الاستشراق وانتقاله من مرحلة الاستشراق الكلاسيكي القديمة القائمة على تشويه تاريخ الشّرق نحو مرحلة الاستشراق العلمي، وبِسببِ نُفورِ المُستشرِقين وتنصُلِهِم مِن مُصطلحِ الاستشراق ورغبتِهِم في إِجراءِ دِراسات دقِيقةٍ عن الشّرقِ وكذا فِي ظِلِ ترابُطِ الاستشراق بسِياسة الدُولِ الأورُوبيّة، توجّه أغلبُ المُستشرِقِين نحو انتِهاجِ المنهجِيّةِ العِلمِية في البحثِ والدِراسة.

ما جعل أغلب الكُتب والأبحاث الاستشراقية تبرز بِحُلّةٍ جدِيدة غلَب على أغلَبِها الطابع العِلمِي الأكادِيمِي، وامتازت بالدِقة والإتقان مِن ناحِية تطبِيقِ المنهجِيّةِ العِلمِيّة، وساهمت في ذاتِ الوقتِ إِلى التوصُلِ لِنتائِج إِن لم تكُن صحِيحة فهِي مُجانِبة لها. هذا فضلاً عن مُساهمةِ جُموعِ المُستشرِقِين في جمعِ ونشرِ العدِيد مِن الوثائِق التّارِيخِيّة واستِقراء العدِيد مِن الحفرِيات، الآثار والنُقود.[2]

من هذا المنطلق؛ يذكُرُ ناقِدُ الاستشراق "**إدوارد سعيد Edward Said**" أنّ نظرة الغربِ للشرقِ تغيّرت مُنذُ أواخِرِ القرنِ الثّامِنِ عشر، أين أضحت أورُوبا تنظُرُ للشّرقِ بِطريقة

[1] الخربوطلي، نفسه، ص ص26، 51.

[2] نفسه، ص101.

عِلميّة. وأرجع هذا الأمر للنتائِج الإيجابيّة التِي خلّفها مستشرقو الحملة الفِرنسيّة على مِصر (1798 -1801م)، والمُتمثِّلة في كِتاب "وصفِ مِصر" الهادِفِ إِلى جعلِ الشّرقِ مفهُوماً عِند الغرب. وكذا لِجُهودِ كُلِ مِن المُستشرِق البرِيطانِي "**ويليام جونز William Jones**" والفِرنسِي "**هيسانت أنكيتيل دوبيرون Anquetil- Duperron**"[1]، لتشهد منهجِيّةُ البحثِ الاستشراقِي مُنذُ هذه الفترة تغيُرًا نحو الأفضل.[2]

وقد حاول العدِيد مِن المُستشرِقِين خِلال هذِه الفترة والتِي تليها التنصل في دِراساتهم من التعصُب ومن الأفكار والصُورِ الأولى التي رُسمت في أذهانِهم حول الإِسلام غير أنهُم ورُغم جُهودِهِم لم يتمكّنُوا مِن التجرُدِ مِنها بِشكلٍ كُلِي. وبِناءً على هذا يذكُرُ المُستشرِقِينِ البريطانِيينِ "**مونتيغمري وات Montgomery Watt**"[3] و"**برنارد لويس Bernard Lewis**" أنّهُ ورُغم المُحاولاتِ الجادة التي يقُومُ بِها المُستشرِقُون لِلتجرُدِ مِن التعصُبِ ودِراسةِ الإِسلامِ بِمنهجِيّةٍ عِلمِية، إِلا أنّ آثار التعصُبِ الدِّينِي الغربِي والأحكامِ المُسبقة فِي حقِ الإِسلامِ لا تزالُ ظاهِرةً فِي مُؤلفاتِهِم وأبحاثِهِم.[4]

---

[1] **هيسانت أنكيتيل دوبيرون Anquetil- Duperron (1731 -1805م)**: مُستشرق، ورحالة فرنسي ارتحل لآسيا بحثا عن برهان لوجود الشعب المختار. تمكن من ترجمة كِتاب الفرس المقدس المسمى "اللافيستا" وسَاهمَ بفضل ذلك في تعريف أوروبا بآسيا ودفعها للبحث والتعرف عليها أكثر. للمزيد أنظر: ساسي سالم الحاج، المرجع السابق، ص 61.

[2] فؤاد زكريا، المرجع السَّابق، ص 31. أنظر أيضا:

Edward Said, Op cit, p 22.

[3] **مونتيغمري وات Montgomery Watt (1909 -2006م)**: مستشرق بريطاني معاصر، وعميد قسم الدراسات العربية بجامعة إدنبرا، درس الدين الإسلامي وألف فيه كتبا عديدة أبرزها "محمد في مكة"، و" رجل الدولة"، بالإضافة لكتاب "محمد النبي" وكتاب عن تاريخ الجزيرة العربية. هذا فضلا عن الدراسات المنشورة في المجلات ذات المواضيع الاستشراقية على غرار دراسته الموسومة بـ"من تاريخ الجزيرة العربية" والمنشورة في صحيفة الجمعية الأمريكية الشرقية (1927لمح47م). والعديد من المقالات المنشورة في دائرة المعارف الإسلامية. وللعلم جاءت كتابات هذا المستشرق حسب مايذكره الباحثون مشوهة لتاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم ولشخصه الكريم. للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السابق، ج02، ص 132.

[4] الشرقاوي، المرجع السَّابق، ص ص44 -45.

مع ذلِك كُله، شكلت كِتاباتُ العدِيد مِن المُستشرِقِين التِي اتُبِع في كِتابتِها منهجِية عِلمِية دقيقة، جانِبا إِيجابِيا في الدِراسات العربية والإسلامية ككُل، وهذا طبعاً بعد التمحِيصِ والتدقِيقِ والنقدِ البنّاء القائِمِ على أخذِ بعضِ الأفكارِ وتركِ أُخرى مِن مُنطلقِ أنّ كُلاً يُؤخذُ بكلامِه ويُردُ إِلا من عصِم اللّه.[1]

على غِرار مُؤلفاتِ المُستشرِقين الألمان أصحاب الدور الرِيادِي في الدِراسات الإسلامية، بالإِضافة لبعض المُستشرقين الروس الذين نشطوا في نفسِ المجالِ لِقُربِهم مِن الدولة العثمانيّة والبِلادِ الإسلامية. مع أنّ منهجيّتهُم في كِتابة التّارِيخِ الإسلامي والعُثمانِي أثّرت على نظرةِ المُسلِمِين لأنفُسِهم في سِياقِ تارِيخِهم، وعلى مجرى الأحداثِ في العالم الإسلامي. لاعتِمادِهم على تطوِيرِ النظرِيات، الفرضِيات والاحتِمالات المُتعلّقة بالتّارِيخ الإسلامي، التِي ورُغم أنها ذاتُ طابعٍ أكادِيمِي إِلا أنّها تحمِلُ في طيّاتِها أهدافاً ودوافِع مُغرِضة لِذلِك كان مِن الواجِبِ التعامُلُ معها بِحذر.[2]

لِتتطور الدِراسات الاستشراقية نحو الأحسن مُنذُ النِصفِ الثّانِي مِن القرنِ العِشرِين، وأَضحَى رُوادُ هذِه الفترة حسب ذِكرِ الباحِثِين الأقدر على التنصُلِ مِن كُل الأساليب غيرِ اللائِقة والتي تُعابُ على الاستشراق مِن طعنٍ، تشوِيهٍ وتجرِيح، أين حاولُوا التخلُص مِنها ومِن خلقِ الأحداثِ والرِوايات. ومع هذا كُلِهِ لم تصِل كُل كِتاباتِهم إلى الموضُوعيّة العِلمِية فقد ظل أصحابُها يُدافِعُون فِيها ويخدمُون مِن خِلالها مصالِح دُولِهم.[3]

---

[1] علي بن إبراهيم الحمد النملة، **نقد الاستشراق في المراجع العَربية**، ط01، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، لبنان، 2010م، ص ص26 -27.

[2] مجموعة مؤلفين، **مناهج المُستشرقين في الدراسات العَربية الإسلامية**، ج01، د.ط، المنظمة العَربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م، ص ص343 -346.

[3] حسن عزوزي، المرجع السَّابق، ص 12. أنظر أيضا: شكري النجار، "**لم الإهتمام بالاستشراق؟**"، مجلة الإنماء العَربي للعلوم الإنسانية، ع31، جانفي -مارس -1983م، ص 65.

ومع بُروز الأطماع الأوروبية الاستِعماريّة توجّه المُستشرِقُون نحو الدِراسات الاستشراقيّة الدّقِيقة، بِهدفٍ جديد وبُعدٍ جدِيد ومنهجِيّة برزت مُنذُ قرنِ النّهضة الاستشراقيّة -أي القرن التّاسِع عشر -حتّى يتسنّى لهُم الوُصُولُ لِنتائِج دقِيقة ووضعِ خُططٍ واستراتِيجِيّاتٍ سِياسِيّة مُلائِمة لأوضاعِ العالمِ الإسلامي ومِن ثمّ إِحداثِ نوعٍ مِن التغيير السِّياسِي في المنطِقة. [1]

II. القيمة التَّاريخية للكِتابات الاستشراقية البريطَانية

أولا - إسهامات المُستشرقين البريطانيين في دراسة التَّاريخ العُثماني

01 في مجال التآليف والدِراسَات

أ. الرحلات والمذكرات

تمكن عَددٌ مِنَ المُستَشرِقينَ الرَحالَة والجَواسِيس الذينَ سَمحَت لَهُم الفُرصَة بزِيارَة الدولة العثمانيَّة والإطِلاعِ عَليهَا عَن قُربٍ ومُعايَنةِ الوَضع فِيهَا، مِن تَدوينِ الأحدَاثِ التي وَاجَهتهُم ورَسمِ صُورةٍ عَما شَهِدُوهُ بِها وبوِلاياتها. غَيرَ أنَّ مَا يَجبُ أن يُشارَ إِليهِ هُنا أنَّ عددا مِن تِلكَ الكِتَاباتِ لَم تَكُن دَقِيقَة ولَم تَنقُل صُورةً صَحيحَة عَن الوَضع المُعاشِ بالدولة. خَاصة تِلكَ التي عَالَجت جَانب الحَريم والمُجتَمَعِ العُثمَاني والتي نُقلَت في أَغلبِهَا بناءً عَلى تَصورَاتٍ وتَخيُلاتٍ وجَاءت مُشَوهَة للوَاقِعِ المُعاش، ومُركزَة عَلى تَبيينِ الوَضع بِنَوعٍ مِنَ الغَرابَة. في حِين ابتَعدَ آخرُونَ عن هذا الجَانب ورَكزُوا في رَحلاتِهِم عَلى زيارَةِ الأمَاكِنِ المُقدَسةِ بفِلسطِين كمُحاوَلةٍ مِنهُم لِفَهمِ ومَعرِفَةِ الأمَاكِنِ التي وُصِفَت في إِنجيلِهم، فانشَغلُوا بِذلِك عَن الوَضعِ والوَاقِع المُعاش وعَن حَياةِ الشُعوب.[2]

---

[1] مالك بن نبي، المقال السَّابق، ص131.

[2] زكاري لوكمان، المرجع السَّابق، ص 125.

مع ذلك لا يُمكن أن نُعمِمَ هَذا الأمرَ عَلى جَمِيعِ كِتَاباتِ الرَحالَة المُستَشرِقين فهُنَاك مَن عَالَج التَّارِيخ العُثمَانِي بِنوعٍ مِن الدِقةِ ونَزاهَةِ الطَّرحِ مُبتَعداً عَن التَخيُلِ والتَشوِيه. عَلى غِرارِ كِتاباتِ المُستَشرِقة "**ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu**" زَوجة أَحدِ السُفراءِ البرِيطَانيين في الدولة العثمانيَّة، التي تمكنت مِن زِيارَة الدولة خِلال القَرنِ الثَامِنِ عَشر والالتقاء بالنُخبَةِ العثمانيَّة ومُصادَقتِهم، وكَذا إجراء دِراسةٍ مُفصلَةٍ عَنِ المُجتَمَعِ العُثمَاني وعَن وَضعِ النِسَاءِ في الدولة. لِتخلُصَ في الأَخير إلى نَشرِ خِطَاباتٍ عَنها مَا بَينَ عَامَي (1717 - 1718م) صُنِفت أنَها الأكثَرُ دِقةً وحِيَادًا وإِدرَاكًا لِلوَضعِ القَائِم في تِلكَ الفَترة إذَا مَا قُورِنَت بِكُتبِ ودِراسَات الرَحالَة المُستَشرِقين صَوبَ الدولة العثمانيَّة، والذِينَ حَملَت كِتَابَاتُهم تَزييفًا وتَحامُلا عَلى هَذِه الدولة وتَشوِيهًا لِحياةِ الحَريمِ فِيها.[1]

كَما سَعت في كِتَاباتِها إلى السُخرِيَةِ مِن كِتاباتِ الرَحالَة المُستَشرقِين الذِينَ كَتَبُوا عَن وَضعِ النِسَاءِ في الدولة العثمانيَّة ودحضها، وذَلك استنادا إلى قَولِهَا: {لَم يَعجَزُوا أَبداً عَن مَنحِكَ رِوَايةً عَن نِساءٍ مِنَ المُؤكدِ أنَّهُم لَم يَروهُنَ أَبداً}. بَل وذَهبَت إلى الحَدِيث عن المَرأَةِ العثمانيَّة وعَن حَياتِها كَما رَأتها مُحاوِلَة رَد الصُورِ الغَربِيَة المشوهة لَها، فَذكَرت: {مِنَ السَهلِ جِداً أن نَرى أَنَّ لَديهِنَ حُرِيةً أَكثَرَ مِمَا لَدينَا.... فَلا تَمييزَ بَينَ السَيدَةِ العَظِيمَة وعَبدَتِهَا ....، أَعتَقِدُ أَنَنِي لَن أَرَى أَبدًا بَلدًا تَستَطِيعُ النِساءُ فِيهِ أَن تَتَمتعَ بِكُلِ هَذهِ الحُرية وتَتَحررَ مِن كُلِ لَومٍ كَمَا فِي تُركِيَا}.[2]

لا يَفُوتُنا أن نُنوهَ هُنا لِنُقطةٍ مُهِمة مَفادُهَا أنَّ المُستَشرِقينَ الرَحالَة لَم يُركِزُوا عَلى مَركَزِ الحُكمِ فَقط، بَل تمكن عَددٌ مِنهُم مِن زِيارَةِ الوِلايات العثمانيَّة، وتَدوِينِ مُشاهَداتِهِم ومُلاحَظَاتِهم عَنها. عَلى غِرار "**جون لويس بوركهارت Johann Ludwing Burckhardt**" الذِي جَابَ شِبهَ الجَزِيرَةِ العَربِيَّة، سُورِيَا، بِلاد الشَام وزَارَ الأَمَاكِنَ المُقدسَة، وكَذَا بِلاد

[1] نفسه.

[2] نفسه، ص ص125 -126.

النَوبَة والسُودَان. وخَلُصت رَحلاتُهُ هَذه بتآلِيفٍ عَدِيدة أبرزُهَا كِتَاب "Travels in Arabia"، المُترجَم إِلى اللُغةِ العَربية تَحتَ عُنوَان "**ترحال في الجَزِيرة العَربية**". والذي يَتضَمنُ في طَياتِه تَاريخَ الحِجاز ومَكة المُكرَّمَة مَطلَعَ القَرنِ التَّاسِعِ عَشر وبالتَحدِيد عَام 1810م، والذي يُمكِنُ الاعتمادُ عَليهِ في مَعرِفَةِ التَّارِيخ الاجتِمَاعِي والسِيَاسِي للمَنطِقَة.[1]

وكذا كِتاب "**ملاحظات عن البدو والوَهَّابِيين**" المترجم عن كِتابه الأصلي " **Notes on The Bedouins and Wahabys**"، والذي دَونَ فِيهِ وَصفًا شَامِلاً لِلقَبائِلِ البَدوية، عَاداتُهم وتَقالِيدُهم، حَياتُهم الاجتِمَاعِية، طَبائِعُهم، وقَوَانِينُهم. وخَصَّ الجُزءَ الثَانِي مِنهُ لِلحَدِيثِ عَن تَصنِيفَاتِهم وعَنِ الحُكمِ الوَهابي وَرَدِ فِعلِ الدولة العثمانيَّة على تَوسُعَاتِهِ المُتزَايدَة. [2]

حَظِيت كِتابَاتُ هذا المُستشرِق الرَحالَة بِمَكانةٍ مَرمُوقَةٍ وعَالِيةٍ سَواءً بَينَ جُموعِ الرَحالَة أو بَينَ جُمُوعِ البَاحِثين، وهَذا للمَعلُومَاتِ الجَمَّةِ التي ضَمَّتهَا كُتُبُه، ولِلمِسَاحةِ الكَبِيرَة التي غَطَّاهَا بِزِيارَتِهِ وكِتَاباتِهِ في ذَاتِ الوَقت. نَاهِيكَ عَن أنَّهُ لَم يَحشُر نَفسَهُ في مُغامَرَاتٍ تُثِيرُ الفُضولَ والدَّهشَة والصُعُوبَات، بَل وكَمَا وَصَفهُ مترجمو كُتُبِه بِأنَّهُ شَخصٌ ذُو بَصيرَةٍ قَضى مُدَّةَ رِحلَتِه في القِيَامِ بعَمَلِه وإِتمَامِه، فَجَاءت كِتَابَاتُه عَلى قَدرٍ كَبِيرٍ مِنَ الدقَةِ والصِدقِ لِيُضِيفَ بِذلِكَ وَصفًا مَوسُوعِيًا للكِتَابَاتِ التَّارِيخِيَّة.[3]

تمكن هَذا المُستَشرِق كَذلِك مِنَ الكِتَابَةِ عَن عَادَاتِ وتَقالِيدِ مِصر إِحدَى وِلايات الامتِيازِ العثمانيَّة خِلال القَرن التَّاسِع عَشر، بالتَحدِيدِ خِلال عَهدِ "محمد عَلي" وذَلِكَ استنادا

[1] جون لويس بوركهارت، **ترحال في الجزيرة العَربية**، تر، صبري محمد حسن، مرا، محمد صابر عرب، ط01، المركز القومي للترجمة، مِصر، 2007م.

[2] John Lewis Burckhardt, **Notes on The Bedouins and Wahabys**, v01, published by Authority of the Association for promoting the discovery of the interior of Africa, London, 1831, p III –IV (of preface).

أنظر أيضا: جون لويس بوركهارت، **ملاحظات**، المرجع السَّابق، ج01، ص ص07 -08.

[3] نفسه، ص ص11 -12.

إلى الأمثَالِ الشَعبِيَّة. إضافَةً لِنقلِهِ صُورَةً لِحيَاةِ الفَلاحِ المِصرِي خِلال تِلكَ الفَترة، وكَذا عَاداتِ وتَقالِيدِ الغَجر، أَخلاقُ وأَفكارُ المِصرِيين، لَهجَتُهم اليَومِيَّة وغَيرِ ذَلِك مِنَ الأمُور.[1]

وقَد سَارَ عَلى نَهجِهِ في مَجالِ دِرَاسةِ العَادات والتَقَالِيد المِصرِيَّة المُستَشرِق والرَحالَة البرِيطَانِي "**إدوارد وليام لين Edward William Lane**" الذِي زَارَ مِصر خِلال النِصفِ الأولِ مِنَ القَرنِ التَّاسِعِ عَشر وكَتَبَ عَمَّا شَهِدَهُ بها مِن عَاداتِ المِصرِيينَ، طَبائِعُهم، قِصَصُهم الشَعبِيَّة وأَهَازِيجُهم، احتِفَالاتُهم... وغَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأمُور. وجَعلَها في كِتَابٍ تَحتَ مُسمَى "**عادات المِصريين المحدثين وتقاليدهم**".[2]

المثير للإنتباه هُنا، أن كِتَاباتِ هَذا الأَخِير بِهَا أَوصافٌ عَدِيدة لِواقِعِ المُجتَمَعِ المِصري خِلال الربع الثاني للقَرنِ التَّاسِعِ عَشر شَمِلَت الحَياةَ اليَومِيَّة، الأَلبِسَة، الأَكل، طَبقاتُ المُجتَمعِ، عَادَاتُه، تَقَالِيدُه، أَعرَافُه وأَفرَاحُه. وهَذا رُفقَة عَددٍ كَبير مِن المُغَالطَاتِ والافتِرَاءاتِ في حَقِ هَذَا التَّارِيخ، خَاصةً في الأُمورِ المُتعلِّقَة بالجَانب النِسوِي، فَقد أَعابَ البَاحِثُونَ عَليهِ تَركِيزُهُ خِلالَ حَدِيثِهِ عَنِ المَرأَة وبِشكلٍ كَبيرٍ عَلى الغَوازِي، المُومِسَات، الغَجر وبَائِعَاتُ الهَوى، فَضلاً عَن الخِيانَة الزَوجِيَّة والأُمورِ الخَارِجَة عَن نِطَاقِ المَعقُولِ كاطِلاعِه عَلى بَعضٍ مِن أَقسَامِ الحَرِيم، وسَماحِ رَجُلٍ مِصرِي لَهُ بِرؤيَةِ زَوجَتِه، فَضلاً عَن تَحرُشِهِ بالنِسَاءِ المُتزَوِجَاتِ وتَغزُلِهِ بهِنَّ. هَذَا بِغَضِ النَظرِ عَنِ الأَوصَافِ التي طَالَت المُجتَمَع المِصرِي في كِتَابه كَكونِه شَعبٌ فَاسِق غَيرَ مُتنَوِرٍ أو مُتَفَتِحٍ ولِلعِلمِ فَقد استَندَ لِلقُرآنِ لِتأكِيدِ صِفَةِ الفُسقِ في هَذا المُجتَمع.[3]

[1] جون لويس بوركهارت، **العادات**، المرجع السَّابق، ص 14.

[2] إدوارد وليام لين، المرجع السَّابق، ص ص07 -08.

[3] نفسه، ص ص50، 181، 192، 232، 304، 305 وما بعدها.

كان مَوضُوع العَادات والتَّقَالِيد وطَبائِعِ المُجتَمَعاتِ مَوضُوعًا مُشوِقًا للعَدِيد مِنَ الرَحالَة المُستَشرِقِينَ، فبالإضَافَةِ للمُستَشرِقينَ السَّابقِي الذِّكر نَجِد المُستَشرِق والرَحَالَة "**جون انتيس John Antes**" الذِي أَقامَ بمِصرَ اثنا عَشَرَ سَنَةً، خَلُصَ عقبها بكِتَابَةِ مُذكِرَاتٍ عَمَا شَهِدهُ بالمَنطِقَة في الرُبعِ الأَخِيرِ مِنَ القَرنِ الثَامِنِ عَشَر بالتَحدِيدِ فِي الفَترَةِ المُمتَدة مِن سَنَةِ 1770م ولِغَايةِ سَنة 1782م. تَضمَّنَت أَوصَافًا لأوضَاعِ مِصرَ السِيَاسِيَّة والاجتِمَاعِيَّة، الأَوضَاع الصِحِيَّة والمُنَاخِيَّة، الأَوضَاعِ الإِدَارِيَّة، والكَوارِث الطَبيعِيَّة. غَيرَ أنَّ مَا يُعَاب عَلى هَذا المُستَشرِق وحَسبَ شَهادَةِ البَاحِثِينَ هُو تَقعُرُه في الكَلامِ وبُروزُ عُنصُرِ الأَنَا في كِتَابَاتِه. مَا عَدا ذَلِكَ فَقَدَ عَدَّ البَاحِثُونَ كِتَابَهُ هَذا مِن بَينِ الكِتَابَاتِ الدَقِيقَةِ الوَصف.[1]

ما يَجبُ الإشارة إِليهِ هُنَا، أنَّ تَوجُّهَ هَذا الأَخِيرَ نَحوَ مِصرَ والإِقَامَةِ بهَا كَانَ بِدافِعٍ ورَغبَةٍ مِنَ الحكومة البرِيطَانِيَّة، فَقد قَصدَهَا للالتِحَاقِ برفَاقِهِ في بعثَةٍ تَنصِيريَّة مُوجَهَةٍ للحَبشة، لَكِنَّهُ تَخلَّفَ عَنهَا بِسَبَبِ مَرضِهِ وقَرَّرَ عقبها البَقاءَ في مِصرَ والكِتَابَةِ عَنهَا، وقَد تَرتَّبَ عَن مُذكِرَاتِهِ تِلكَ إرسَال الحكومة البرِيطَانِيَّة حَملَةً عَسكَرِيَّة صَوبَ مِصرَ والمَعرُوفَةِ تَارِيخِيًا بحَملَةِ "فرِيزَر". [2]

كما كَان للنِسَاءِ دَورٌ وبَصمَةٌ في الرَحلاتِ والدِراسَات الاستشراقيَّة عَلى غِرَارِ المُستَشرِقة "**غيرترود بيل Gertrude Bell**"[3] التِي زَارَت العِرَاق كرَحالَةٍ برِيطَانِيَّة وانتَهى بهَا

[1] جون انتيس، المرجع السَّابق، ص ص18 -19.

[2] نفسه، ص ص16، 25.

[3] **غيرترود بيل Gertrude Bell (1868 -1926م)**: اسمها الكامل غيرترود مارجريت لوثيان بيل، مُستشرق بريطانية تجيد إلى جَانِبِ لغتها الأم أربعة لُغات هي الفِرنسية، الألمانية، الفارسية والعَربية، الأمر الذي مكنها من زيارة بعض الدُول العَربية كالجزائر، مِصر، سوريا، والعراق. ومن أن تظفر بمنصب "مترجمة" في السفارات البريطَانية المتواجدة بالدُول العَربية، فعينت عام 1915م كمترجمة بالسفارة البريطَانية بمِصر، ثم بالبصرة وبغداد عَلى التوالي ما بين عَامَي (1917لمح1916م). ونتيجة لتواجدها بالعراق خلال فَترة الحرب العالمية الأولى ساعدت في التنقيب عن الآثار بالمَنطِقَة وتمكنت من تأليف كِتاب عن المَنطِقَة ترجم للغة العَربية تحت عنوان "فصول من تَاريخ العراق القريب" وهذا إلى جَانِبِ كِتاب "سوريا"، وكِتاب "عرب

الأَمرُ في الأَخيرِ لمُمَارَسةِ الجَوسَسَةِ ورَسمِ سِياسَةِ المَنطِقَة حَتى لُقِبت بلُورَانسَة العَرب، وللعِلمِ كَتَبَت هَذِه الأَخِيرَة عَن أَواخِرِ الحُكمِ العُثمَانِي بالعِرَاقِ، بالتَحديدِ مِنَ الفَترَة التِي سَبَقت اندِلاعَ الحَرب العَالمِيَّةِ الأولَى ولِغَايَةِ وُقُوعِ هَذا الأَخِيرِ تَحتَ وَطأَةِ الانتِدَابِ البرِيطَانِي.[1]

بالإِضَافَةِ إِلى نَشاطِ المُستَشرِقَة والمُنَصِّرَة "**آن بلنت Anne Blunt**" المُتقِنَةِ للُغةِ العَرَبِيَّة، والتِي قَصَدَت شِبهَ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّة بُغيَةَ تَنصِيرِ أَهَالِيهَا. فتمكنت مِنَ الكِتَابَةِ عَنِ المَنطِقَة ومُعَالَجَةِ الأمُورِ الأنثرُوبُولُوجيَّة والدِيمُوغرَافِيَّة الخَاصَةِ بِهَا والتِي صَادَفَتهَا خِلالَ تَواجُدِهَا بِهَا كطَبِيعَةِ سُكانِهَا، قَبَائِلُهَا، بَوادِيهَا، وَاحَاتُهَا، عَشَائِرُهَا ومُختَلَفُ الأمُورِ المُتعلِّقَةِ بِهَا. فكَانَت كَمَا ذَكَرَ أَحدُ البَاحِثِينَ الأَقدَرَ عَلى وَصفِ المَنطِقَةِ كَونَهَا امرَأَةٌ سُمِحَ لَهَا الوُلُوجُ والإِطلاعُ عَلى جَوَانِبٍ وأُمورٍ لا يُسمَحُ بِهَا للرِجَال.[2]

بناءً عَلى هذا الطَّرح المُقتَضب، مَثلت كُتُبُ الرَحالَة المُستَشرِقين مَورِدًا هَامًا مِن مَوارِدِ المَعلُومَات التَّاريخِيَّة المُسَاهمَة في كِتابة التَّاريخ العُثماني، استنادا إلى مَا تَضمَّنَتهُ وَرقَاتُها مِن مَعلُومَاتٍ جَمة سَواءً عَن مَركَزِ الحُكمِ أو الوِلايات، فَقد قدموا بِنَاءً عَلى مُشَاهَدَاتِهِم مَعلُومَاتٍ جَدِيدَةٍ عَنهَا، واكتِشَافَاتٍ أَثرِيَة وجُغرَافِيةٍ خَاصَةً بِمَناطِقَ عَدِيدةٍ غَيرَ مَعرُوفَة. ولَكن رُغمَ ذَلكَ وَجَبَ عَلى البَاحِثِ التَعامُلُ مَعهَا بِحذَرٍ عِندَ استِخلاصِ المَعلُومَات، كَأن لا يُسلِمَ ويُصدِقَ جَمِيعَ المَعلُومَات التي وَرَدت فِيهَا فَيأخُذَ الصَحِيحَ ويَترُكَ غَيرَه، ويَظَلَ بَابُ الشَكِ عِندَ دِرَاسَتِه لَهَا مَفتُوحًا باعتِبَارِ أنَّ صَاحِبَها مُستَشرِق، فيَتَقَصَّى عَن وُجُودِ النَزعَةِ الذَاتِيَّة أو

العراق"... وغيرها من الكتب والدراسات. للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص ص95 -96. أنظر أيضا: الكيالي، **الموسوعة**...، المرجع السَّابق، ج01، ص 549.

[1] المس بيل، **فصول من تَاريخ العراق القريب**، تع، جعفر الخياط، د.ط، د.د، 1971م. أنظرأيضا: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المرجع السابق، ص ص112، 120.

[2] آن بلنت، المرجع السَّابق، ج01، ص ص07 -08. أنظر أيضا: جمال محمود حجر، **"المرأة الغَربية والرحلة في الجزيرة العَربية (1) -رحلة ليدي آن بلنت إلى حائل عام 1879"**، مجلة تراث، ع121، سبتمبر 2009م، ص 35.

الانحيَازِ والمَيلِ لِفِئَةٍ أو فِكرَةٍ مُعيَّنَة. ثُمَ يُخضِعَ مَعلُومَاتِهَا للنَقدِ التَّارِيخِي ويَتحَقَقَ مِن صِحتِهَا بِمُطَابَقتِهَا مَع المَصادِرِ المُعَاصِرَة لَها.[1]

ب. الكُتب والمقَالات

كَرَّسَ العَديد منَ المستَشرقينَ طَاقَاتهم وجل حَياتهم إن لَم نَقل كلهَا في دراسة تَاريخ الدولة العثمانيَّة وولِاياتها، وبَذلُوا لمَعرفَة خَبايَاهُ جُهدًا كَبيرًا، خَاصَةً أولئكَ الذينَ عَاصرُوا فَترَةَ النهضَة الاستشراقيَّة ومَا بعَدَها. والذينَ جَاءَت كتَابَاتُهم مُعَالجَةً لهذَا التَّاريخ بصُورَةٍ دَقيقَةٍ ومُبَاشرَة، إمَا باعتبَارهم من فئة المُستَشرقينَ المُطبقينَ للمَنهَجيَّة العلميَّة، الرَاغبينَ في جَعل الاستشراق ضمنَ فئَة العُلوم، والسَاعينَ لفصله عَن الشَوائب التي أُلصقَت به من تَعصُبٍ، وتَشويهٍ، وإجحَافٍ. أو باعتبَارهم من فئَة المُستَشَارينَ السيَاسيينَ والجَوَاسيس الذينَ دَرسُوا هَذا التَّاريخَ بدقَةٍ بُغيَةَ الوُصُولَ لنَتَائجَ دَقيقَةٍ تَخدُمُ سيَاسَة حُكُومَاتهم.

ويُمكنُ أن نُدرج في هذا الجانب كتاباتُ المُستشرق والجاسُوس البريطاني "**وليم جيفورد بالجريف William Gifford Palgrave**" التي قدّم فيها وصفًا أنثرُوبُولُوجيًا وديمُوغرافيًا خاصًا بشبه الجزيرة العربية، بعد أن قصدها خلال القرن التّاسع عشر مُتنكرًا في زي طبيبٍ عربي ومُتسميًا بسُليمان العيص. وللعلم لم تكُن جُرأتُه هذه نابعةٌ من عدم فإجادتُهُ للُغة العربيّة وإتقانُهُ الكبير لها كانت عاملاً مُهمًا في تسيير وتسهيل مُهمته وعدم اكتشافه.[2]

---

[1] واضح مداني، "**أهمية المصادر التَاريخية عند المُؤرخ**"، مجلة القرطاس، ع10، جامعة الجزائر، 11/ 2018م، ص ص155 - 156. أنظر أيضا: نواصر عبد الرحمان، "**دَور رحلات جون لويس بوركهارت (1818لمح1784م) في الكِتابات التَاريخية**"، مجلة دراسات تَاريخية، مج10، ع01، الجزائر، 1443هـ/ 2022م، ص391. أنظر أيضا: صلاح الدِّين المنجد، المرجع السابق، ج01، المرجع السَّابق، ص 79.

[2] وليم جيفورد بالجريف، **وسط الجزيرة العَربية وشرقها (1862 -1863)**، تر، صبري محمد حسن، مج 01، المجلس الأعَلى للثقافة، مِصر، 2001م، ص 05.

قضى فترتهُ المفرُوضة مُتنقلاً بين حُكام الجزيرة العربيّة ومُختلف مناطقها لمُدة عامٍ كاملٍ دُون أن يُكتشف أمرُه، دوّن خلالها مُلاحظاته حول مُختلف الأُمُور التي شاهدها، وجمع مادةً علميّة هامة من الناس ومن مُعاينته للوضع عن كثبٍ، من أسماء الأماكن والمواقع، والقضايا السياسيّة الحساسة، وكان في ذلك دقيقًا بشكلٍ كبير.[1]

من جهةٍ أُخرى، لفتت فترةُ حُكم الدولة العثمانيّة والأحداث التي شهدتها هذه الأخيرة مُنذُ أواخر القرن الثامن عشر ومطلع التّاسع عشر أنظار المُستشرقين من مُختلف المدارس. فهذا المُستشارُ السياسي والمُستشرقُ البريطاني الأمريكي "**برنارد لويس Bernard Lewis**" الذي كتب عن التّاريخ العُثماني كُتبًا ومقالاتٍ عديدةٍ استناداً إلى مصادر ومُراسلاتٍ عُثمانيةٍ هامة، وكذا استناداً إلى الوثائق الأرشيفيّة القابعة في المكتبات ودُور الأرشيف التُركيّة ما جعل كتاباته على قدرٍ كبيرٍ من الدّقة والأهميّة.[2]

ولعل من بين أبرز كتاباته المُعالجة للتاريخ العُثماني كتابُه الموسُوم بـ " **The Emergence of Modern Turkey**" الذي عالج فيه اضمحلال الدولة العثمانيّة وفق تسلسُلٍ زمني. بدءًا بذكر الأسباب الأولى التي كانت وراء اضمحلالها وضُعفها فالأسباب التي زادت من حدّة الأمر وتفاقُمه والمُتمثّلة في الإصلاحات العثمانيّة. ليسترسل في الحديث عن أبرز ما عاشتهُ هذه الأخيرة خلال القرن التّاسع عشر وما بعدهُ والتي انتهت بسُقُوطها وقيام الجُمهُوريّة التُركيّة. وللعلم واصل هذا المُستشرق في القسم الثاني لهذا الكتاب في الحدِيث عمَّا بعد الجُمهُوريةِ الكمالية، عن الدِّين والثقافةِ التُركِية خِلال هذه الفترة، النُخبة والطبقة المُثقفة.... وغيرِها مِن المواضِيع.[3]

---

[1] نفسه، ص ص06 -08.

[2] العَرب والإسلام والغَرب والظُرُوف الراهنة مقابلة مع برنارد لويس، أسرة تحرير التسامح، موقع الحوار اليوم، http://www.alhiwartoday.net/node/1310 . أنظر أيضا: برنارد لويس، **استنبول**...، المرجع السَّابق، ص ص119، 143.

[3] برنارد لويس، **ظهور** ...، المرجع السَّابق، ص ص39، 103. 483.

بالإضافة لكِتابه "**Istanbul and the Civilisation of the Ottoman Empire**" المُترجمِ للُغةِ العربيّة تحت عُنوان "**استنبول وحضارة الخِلافة الإسلامية**"، والذي عالج فِيهِ الحضارة العثمانيّة بصُورةٍ سهلةٍ ودقِيقة. فتحدّث عنِ الفتحِ العُثمانِي للقُسطنطِينِيّة خِلال القرنِ الخامِسِ عشر، بالإضافة للعاصِمة العثمانيّة استنبُول، وعن القصرِ الذي بها وحُكومتِها، وسلاطِينِها وأبرزِ إنجازاتِهِم. لِينتهِي فِيهِ بالحدِيثِ عنِ العِلمِ والدِّين. وللعِلمِ فإنّ هذا الكِتاب كغيرِهِ مِن كُتُبِ لويس استند في كِتابتِه إلى مصادِر عُثمانِية وأورُوبيّة ولكِنّهُ طعن وشكك مِن خِلالِهِ في مكانةِ العُلماءِ في الإسلامِ وفِي الفِكرِ الإسلامي السِياسِي.[1]

لهذا لا يجبُ الأخذ بمصداقِيّةِ الكاتِبِ التامة، فرُغم اعتِمادِه المنهجِيّة العِلمِيّة الأكادِيمِيّة في دِراستِهِ، واعتِبارِ بعضِ الباحِثين لهُ بأنّهُ -مُستشرِقٌ دقِيقُ الطّرحِ - واستِنادُه في الكِتابةِ على المعلُومات الموجُودةِ فِي الوثائِقِ، المُراسلات، ومُختلفِ المُؤلفات العثمانيّة والأورُوبية وتنوِيعِهِ فِيها، إلّا أنّهُ اعتمد خِلال شرحِهِ لبعضِ القضايا على مُصطلحاتٍ لا يصِحُ استِعمالُها على غِرارِ مُصطلحِ "الفاشِية الإسلامية" و"المُجتمع الإسلامي التقلِيدِي المُستبِد"، الذِي أشار إِليهِ مُراجِعُ الكِتاب في إِحدى هوامِشِ الصفحةِ، وبيّن عدم صِحتِهِ وتساءل عقبها عن طريقة وصفِ الكاتِبِ للمُجتمعاتِ المسيحِيّةِ الغربِيّة. ناهِيك عن أنّهُ مِن بينِ الشّخصِياتِ التِي تُضمِرُ العداء للإِسلامِ وتمقُتُه.[2]

---

[1] برنارد لويس، **استنبول**...، المرجع السَّابق، ص ص15، 127. أنظر أيضا: المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات**، المرجع السابق، ص 91.

[2] برنارد لويس، **استنبول**...، المرجع السَّابق، ص 79. أنظر أيضا: صبحي عبد المنعم محمد، "**المُستشرق برنارد لويس ومنهجه في دِراسة التَّاريخ الإسلامي**"، مجلة كلية دار العلوم، ع13، جامعة الفيوم -مِصر، جوان 2005م، ص ص505 -508. أنظر أيضا: مجموعة مؤلفين، **موسوعة الاستشراق - معاودة نقد التمركز الغَربي وكشف التحولات في الخطاب ما بعد الكولونيالي**، تح، عامر عبد زيد الوائلي، طالب محيبس حسن الوائلي، مرا، علي عبود المحمداوي، وسام العبيدي، ط01، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص 691.

إِضافةً إلى ما سبق، وظّف العدِيد مِن المُستشرِقِين كِتاباتِهم لخِدمةِ سِياسةِ حُكوماتِهم الاستِعمارِيّة، بل واصطُبِغت كِتاباتُ العدِيد مِنهُم بالصِبغةِ السِياسِيّة والاستِعمارِيّة، على غِرارِ ما قام بِه المُستشرِق الإنجلِيزِي "**هنري بالمر Henri Palmer**" الذِي تحصّل -بعد جُهدٍ جهِيدٍ -على معلُوماتٍ عن أسماءِ مُختلفِ المواقِعِ المُتواجِدةِ بسيناء وببلادِ الشامِ ومِن ثمّ قام بِمنحِها للحُكُومةِ البرِيطانِيّة لخِدمةِ سِياستِها الاستِعمارِيّة.[1]

وبِما أنّ الحدِيث هُنا يتمحورُ حول فِئةِ الضُباط، نذكُرُ ضابِطا آخرًا سخر كِتابِاته في خِدمةِ حُكومةِ بلدِهِ -بريطانيا -والمعرُوفِ بـ "**جورج فورستر سادلير George Forster Sadleir**" الذي تنقل عبر رُبوعِ شِبهِ جزِيرةِ العربِ ودوّن مُشاهداتِهِ عنها. في مُذكِراتِهِ الموسُومةِ بـ"**مذكرات عن رحلة عبر الجزِيرة العربية خِلال عام 1819**". [2]

دوّن فِيها طبيعة النِظامِ العشائِرِي لِشِبهِ الجزِيرةِ العربِيّة خِلال الرُبعِ الأولِ مِن القرنِ التّاسِعِ عشر، مع وصفٍ للمُدُنِ والمناطِق التي مر بِها كالدرعِيّة، الأحساء، جدة والمدينة المُنورة، بالإِضافة لأهم الأحداثِ التي جرت خِلال تِلك الفترة على غِرار مُواجهةِ الدولة العثمانيّة للوهابِيين. مكنت مُذكِراتُ هذا الضابِط وتجوالُهُ في رُبوعِ شِبهِ الجزِيرةِ العربِيّة مِن حُصولِهِ على معلُوماتٍ جمّةٍ تخُصُ أسماء مناطِقِ لم تُذكر قبله فِي الخرائِط الخاصةِ بالمنطِقة.[3]

ج. دِراسَات حول الدِّين الإِسلامي

اهتمت مُختلف المدارِس الاستشراقية بالدِّين الإِسلامي وبمُختلف الدِراسات المُتعلِّقة به، من دِراسة للشريعة، العقِيدة، والسُنة النبوِيّة. باعتِبارِه توجه الاستشراق الأول الهادِف للقضاءِ

[1] محمد العناوسة، "**إسهامات المُستشرقين في نشر الوثائق العَربية والإسلامية**"، دراسات العلوم الإنسانية والاجتِماعية، مج 43، ملحق02، الأردن، 2016م، ص 1093.

[2] عبد الغني ابراهيم، المرجع السَّابق، ج01، ص ص315 -341.

[3] سادلير، المرجع السَّابق، ص ص71، 85، 116، 13.

على الدِّين. لِذلِك كُلِه جاءت أغلبُ كِتاباتِهم مُغرِضةً ومغلُوطة ومبنِيّة على تصوُراتٍ قبلِيّة. فكتبُوا عنِ السِيرةِ النبوِيّة، وترجمُوا القُرآن الكريم للُغاتِهم ودرسُوهُ بِناءً على تفاسِير مُضادةٍ للإِسلام. فضلاً عن دِراسةِ كُتبِ الفُقهاءِ، وكُتبِ الفتاوى لِتعمِيقِ الخِلافِ بين المُسلِمِين في حد ذاتِهم. استِنادًا إلى فِكرةِ المذاهِبِ والطوائِف، وبينهُم وبين مُختلفِ المِللِ الأخرى كذلِك، ساعِين مِن خِلالِ ذلِك كُلِه إلى إبعادِ الفردِ المُسلِم عن دِينِهِ وأُصُولِه. فكان لِزامًا على الباحِثِ والدارِسِ لِهذِه الكُتُبِ توخِي الحذرِ والاعتِمادِ فِي التعامُلِ معها على مبدأ الشك.[1]

استمرت هذه الدِراسات خِلال العهد العُثماني و بنفس الطريقة واعتمدت لإِثارة وإحياء النّعرات الطّائِفية في الدولة العثمانيّة، بغية ضرب الوِحدة الاجتِماعية وتفكيك المُجتمع داخليا، فسعوا بداية إلى ربط مُختلف الأقوام العُثمانيين بحضاراتهم القديمة، على غِرار الحضارة الفرعونية في مِصر، الآشورية في العِراق، والفينيقية ببلاد الشام غير أنها لم تأت بنتيجة تذكر.[2]

فتوجّهوا نحو إحلال الفِكر القومي والوطني محل النزعة الدِّينية، بدلا من ربطهم بحضارات بعيدة. على غِرار ما حدث في مركز الحُكم بالدولة مع بُروز الفِكر الطوراني، وما حدث ببلاد الشام مع بُروز الفِكر القومي العربي. وغيرها من الأحداث التي ما لبثت أن ساهمت في فصل العرب ومُختلف أقوام الدولة وإبعادِهم عنها من جهة، وعن الرابط الروحي الذي ربطهم بها والمتمثل في الخِلافة من جهة أخرى. وطبعا كان كل ذلك خِدمة لمصالح الغرب، وإشباعا لشعور التفوق الحضاري الغربي.[3]

---

[1] فاروق عمر فوزي، **المرجع السَّابق،** ص ص39 -40.

[2] السيد صالح، المرجع السَّابق، ص ص117 -119. أنظر أيضا: أنور الجندي، **عقبات في طريق النهضة مراجعة لتاريخ مصر الاسلامية منذ الحملة الفرنسية إلى النكسة 1898 -1964،** د.ط، دار الاعتصام، د.ب، د.ت، ص ص137 - 138.

[3] السيد صالح، المرجع السَّابق، ص124، ص ص140 -141.

كما عالجت أبحاثُهم الإسلام بطريقة خاصة براقة، وعكست للقارئ صورة عن هذا الدِّين مفادُها أن الإسلام هو المشكلة وأنها هي الإسلام في حد ذاته. وقد لقيت هذه الفِكرة رواجا كبيرا ودعما نتيجة للمشاكل التي كان يعاني منها المُجتمع الإسلامي آنذاك.[1]

بناءً على هذا الطّرح نجد عددا من المُستشرقين عالجُوا قضيّة الخِلافة، مسألة الدِّين عند العُثمانيين والعقائد والطوائِف الدِّينية في الدولة العثمانيّة، على غِرار المُستشرق الإنجلِيزي " **توماس أرنولد وولكر Sir Thomas Arnold Walker**" الذي عالج في كِتاب له كان قد أصدره سنة 1924م تحت عنوان "**The Calipate الخِلافة**" نِظام الخِلافة الإسلامية، ورأى بأنه نِظام استبدادي يضع السُلطة المطلقة وغير المقيدة بيد الحاكم. غير أن المُطلِّع على هذا الكتاب يدرك أن هذا المُستشرق وخِلال دراسته لهذا النِظام الإسلامي اعتمد على أحاديث مغرضة وملفقة، ووقع في أخطاء اصطِلاحية ومنهجية قد تعود لجهله بالمُصطلحات العربية وفحواها أو على حد قول الباحثين الذين درسوا هذا الكتاب بأنه استخدم مُصطلحات ملفقة لحِساب جهات معينة.[2]

من جِهة أخرى ونتيجة لما تركته الخِلافة في نفوس المُسلِمين في مُختلف الأقطار واستجابتهم لها -خاصة في عهد السُّلطان عبد الحميد الثاني - تخوفت الدُول الاستِعماريّة الأوروبية على مستعمراتها وعلى مشاريعها في المشرِقِ العربي، ما جعلها تعملُ ساعِيةً للقضاءِ عليها. على غِرار بريطانيا التي أعدّت العُدّة لِمُواجهتِها بِكُلِ ما أوتِيت مِن قُوةٍ وسخرت لإنجاحِ الأمرِ بعضاً مِن مُستشرِقِيها ومُستشارِيها السِياسِيين مِن أمثالِ المُستشرِق البرِيطانِي "**ولفرد سكاون بلنت W. Sc. Blunt**"[3] الذي توجّه لِلمشرِقِ العربي بِهدف تحقِيقِ المصالِحِ الاستِعمارِيّة

[1] الجندي، **عقبات** ...، المرجع السَّابق، ص ص137 -138.

[2] محمد العناوسة، المقال السَّابق، ص 1092.

[3] **ولفرد سكاون بلنت W. Sc. Blunt (1840 -1922م)**: مُستشرق، منصر كاتب وشاعر بريطاني، انخرط في العمل الدبلوماسي منذ بلوغه سن الرشد ولمدة تزيد عن عشر سنوات، ليترك عَمِله هذا برغبة منه وبهدف إدارة الأملاك التي ورثها

البرِيطانِية والذِي بيّن فِي أحدِ مُؤلفاتِهِ آراءهُ في الخِلافة العثمانيّة بدءًا مِن عهدِ السُّلطانِ "سليم الأول"[1]. ولِلعلِم فإنّ بلنت فنّد في كِتابِهِ مشرُوعِيّة وصِحةِ الخِلافة العثمانيّة ووصفِ كِليهِما بِقولِه أنّهُ شخصٌ مُغتصِبٌ، أخذ الخِلافة بِناءً على تنازُلٍ مشكُوكٍ فِي أمرِهِ و وُجُودُها ولو كان رمزِياً فهو غيرُ مشرُوع.[2]

وقد واصل هذا الأخير عرض أفكاره الداحضة لفِكرة الخِلافة العثمانيّة في كِتابه "**مُستقبلُ الإسلام**" بل وتعدّى بِهِ الأمر لِتكفِيرِ العُثمانِيين لإِحداثِ نوعٍ مِن القطِيعة بينهُم وبين الخِلافةِ والإِسلام في حد ذاتِه، وهذا استنادا إلى قولِه: {كَمَا أَصبَحَ البَلاطُ الإستنبولي مَضرِبَ المَثلِ فِي السُوءِ بِسَبَبِ رَذائِلِهِ وكُفرِه}. نَاهيكَ عَن أَنَّهُ اقتَرَحَ بديلاً لَهُم بِحُجَةِ القُوَّةِ والسِيَاسَة أو وُجُودِ بَعضِ الشَّخصِيَاتِ الأَحقُ مِنهُم بِهَا والمُتمثِّلَة حَسبَ رَأيِهِ فِي وَالِي مِصر "مُحمد علي باشا" أو "نَابليون بونابرت Napoléon Bonaparte" [3] أو حَتى "الشَرِيف

عقب زواجه من السيدة "آن إيزابيل نويل" حفيدة شاعر بريطاني. عَمِل بلنت هو وزوجته عَلى الترحال في مناطق مُختَلفة في الهند، الجزيرة العَربية، بلاد الشام وإفريقيا الشمالية، بل وتمكن من الاستقرار بمِصر حتى يتسنى له إنجاح عَمِله التَّنصيري بسوريا وتحقيق المصالح الاستِعماريَّة البريطَانية. للمزيد أنظر: محمد إلهامي، **السلطان عبد الحميد الثاني في الذاكرة العَربية**، ج02، ط01، دار الأصول العِلمية، استنبول -تركيا، 2019م، ص ص720، 724.

[1] **السلطان سليم الأول (1512 -1520م)**: هو السلطان التاسع في السلالة العُثمانية، ابن السلطان بايزيد الثاني والملقب بالشجاع. تمكن خلال مدة حكمه التي قدرت بسبع سنوات ونصف من القيام بالعَديد من الإنجازات والمشاريع التي مست مُختَلف المَجالات من ضم للعديد من المناطق العَربية وجعلها تحت لواء الدَّولَة العُثمانية بدءًا من عام 1516م، ومواجهة الأخطار الخارجية المتمثلة في توسعات الصفويين والبرتغاليين، والداخلية المتمثلة في تمرد الجلالية، وتطوير للجَانِبِ العسكري من خلال توسيع المصانع البحرية وتوظيف المهندسين وتطوير الأسطول العُثماني، بالإِضافَة لإنماء الجَانِبِ الحضاري من خلال بناء المجمعات والمساجد والمنشئات الحضارية. للمزيد أنظر: كولن، المرجع السَّابق، ص ص90 -101.

[2] محمد إلهامي، المرجع السَّابق، ج02، ص ص719 -727

[3] **نابليون بونابرت Napoléon Bonaparte (1769 -1821م)**: عسكري وإمبراطور فرنسي، إيطالي المولد، أرستقراطي النسب. درس بفرنسا حتى أضحى ضابطا للمدفعية، ليترقى لمنصب قائد للجيش الفرنسي جراء إخماده للتمرد الملكي بالعاصمة الفرنسية عام 1795م. سير هذا الأخير حملة على مصر 1798 -1801م، وجه من خلالها أنظار العالم لأهمية مصر الاستراتيجية، وكانت في ذات الوقت وحسب ذكر الباحثين نداءًا لليهود يحثهم للتوجه نحو فلسطين. عاد عام 1799م لبلده

الحسين".[1] وللعِلم فَقد تَفطَّنَ السُّلطَان "عبد الحَميد الثَّاني" لِجُهودِ هَذا المُستَشرِق وبَيَّن فِي مُذكِرَاته مَسَاعِيه الرامِيَة لِنزعِ الخِلافَة مِن العُثمَانِيين، وجَعلِهَا بِيدِ بَعضِ الشَّخصِيَاتِ غيرِ العثمانيَّة عَلى غِرار الشريف حسين.[2]

بناءً عَلى ما سَبَق واستنادا إلى كِتابات عدد من البَاحثين في التَّاريخ العُثماني وكذا الدارسين لمؤلفات المُستشرق "**ويلفرد سكاون بلنت W. Sc. Blunt** "فإن هذا الأَخير كان من فئة صناع القرار في بريطَانيا، قصد الشَّرق وارتَحلَ فيه وفي مُختَلف مَناطِقِه بُغيَة الحُصولِ عَلى مَعلُوماتٍ قَيمةٍ عَنهُ وحَتى يَتسنَى لَهُ تَحقِيقِ مَساعِي دَولتِه الاستِعمَاريَّة، وللعِلمِ فَقد جَاءت كِتَاباتِه مُفصِحة عن الجُهودِ والمَساعِي البريطَانية في المَنطِقة.[3]

الجدير بالملاحظة هُنا أن المُستشرق البريطاني الأمريكي "**برنارد لويس Bernard Lewis**" لم يغفل عن التَّاريخ الإسلامي وقضاياه، فقد عالج قَضيَّة الإسلام في الدولة العثمانيَّة ومدى تمسك العُثمانيين به، وما بذلوه في سَبيلِ الدِفاعِ والذودِ عَنه. ولم يَغفَل عَن قَضيَّة الخِلافة الإسلامية، والتي رَأَى فِيهَا رَمزُ وِحدة المُسلِمين وهَويتهُم التي تَنعكِسُ وتَبرزُ في استِعمَالاتِهِم اليَومِيَّة وفِي أسمَاءِ الوَظائِف، المُؤسَساتِ ومُختَلف شُؤونِ الحَياةِ عَلى غِرارِ مُصطَلَحِ "شيخ الإسلام" المُستَخدمِ عند العُثمانيين والمُعبِرِ عَن الرَئيسِ الدِّيني، ومُصطَلَحِ

ليصبح إثر ذلك الزعيم الأول في البلاد حتى عام 1814م، وللعلم تمكن عام 1804م من القبض على السلطة وإعلان نفسه إمبراطورا على فرنسا، ليقضى أغلب سنين حكمه في صراع مع النمسا، روسيا وبريطانيا والتي انتهت بانتصاره على حسابها. للمزيد أنظر: عبد الوهاب الكيالي، **موسوعة السياسة**، ج06، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، د.ت، ص ص538 - 539.

[1] نفسه، ص 728.

[2] السلطان عبد الحميد، المصدر السابق، ص ص134، 142،

[3] محمد إلهامي، المرجع السَّابق، ج02، ص ص735 -736. أنظر أيضا: محمد حرب، المرجع السابق، ص182 -183.

"الأرَاضِي الإسلامية" الذي يُطلَقُ عَلى الأراضِي التَابعةِ للدَّولَةِ العثمانيَّة... وغَيرِ ذلِكَ من المُصطَلحَاتِ والأَلفاظِ التي تَعكِسُ مَدى ارتِبَاطِ العُثمَانيينَ بالإِسلام.[1]

لم تَتَوقف دِراسَات هذا الأَخيرِ في جَانب الدِّين في الدولة العثمانيَّة عِندَ هَذا الحَد بَل وَاصلَ في ذَلِك رَافِضاً مَبدأَ وفِكرَة **وِحدَةِ الدِّينِ** الإسلامي، فَقامَ بتقسِيمِ الإِسلامِ في هَذهِ الدولة إلى أَنواع، فهُنَاك حَسبَ رأيه إِسلامُ الثُغورِ وهُوَ الخَاص بالدَراوِيشِ والمُتصَوِفَة، وإِسلامِ دُولِ قَلبِ الإِسلام. وظَلَ لويس يَمتَدِحُ تَارةً التَّاريخَ العُثمانِي ويُشوِهُهُ تارةً أُخرَى، أو يَفصِلُ تَاريخَهُ الإسلامي عَن نِطاقِ التَّارِيخِ الإسلامي العَام. وفي هَذَا المَقامِ يَذكُرُ أَحدُ البَاحِثِينَ أَنَّ لُويس بَيَّنَ في العَدِيد مِن كِتابَاتِه أَنَّ العُثمَانِيينَ لَم يُرغَمُوا عَلى اعتِنَاقِ الإِسلامِ قَاصِداً أَنَّ غَيرَهُم قَد أُرغِمَ وأُكرِهَ في ذَلك، وبَيَّنَ كَذلِك أَنَّ الخِلافَة عِندَهُم امتَازَت بالتَسامُحِ واللِينِ في التَعامُلِ مَعَ مُختَلَفِ المِلَلِ والرَعَايَا العُثمَانِيينَ غَيرَ أَنَّهَا جَعلَتهُم يَعِيشُونَ في عُزلَةٍ عَن بَقِيَّةِ الأجنَاسِ ولَم يُسمَح لَهُم بتقدِيمِ أي خَدماتٍ للدَّولَة.[2]

وبناءً عَلى هذا الطَّرح، أَجمَعَ عَددٌ مِن البَاحِثِينَ حَولَ عَدمِ استِيفَاءِ كِتابَاتِ المُستَشرِقِينَ لشُرُوطِ الدِقةِ والنَزَاهةِ والمَوضُوعيَّة العِلمِيَّة في جَانب الدِراسَات الإسلامية، بل وعَدمِ أَحقيتِهم في الخَوضِ والحَدِيث عَن الإِسلام مِن الأَساسِ وأَنَّ هَذا الأمرَ يَخُصُ أَهلَ الدِّينِ وخَاصَته والمُتضَلِعينَ فِيه.[3]

---

[1] برنارد لويس، **أزمة الإسلام**، المرجع السابق، ص 30. أنظر كذلِك: المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات**...، المرجع السَّابق، ص335.

[2] المطبقاني، **الاستشراق والاتجاهات** ...، نفسه، ص ص335 -336.

[3] علاء جعفر حسين، "**مرافعات ضد الإستشراق**"، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتِماعية، ع28، ج02، العراق، 2018م، ص 342. أنظر أيضا: عبد اللطيف الطيباوي، المرجع السابق، ص49. أنظر أيضا، خرشي، المرجع السَّابق، ص105.

د. دِراسَات حول اللُغات

لم يغفل المُستشرقون عن دِراسة اللُغات الشَّرقية باعتبارها المفتاح والحجر الأساس الذي تبنى عليه دِراسَاتهم، فنجدهم قد درسوا اللغة العَربية باعتبارها لغة علم واللغة العثمانيَّة باعتبارها اللغة الرَسمِية للدَّولة العثمانيَّة، ودرسوا فقه كليهما، قواعدهما وما كتب بكليهما من نظم ونثر وشعر. وهو ما يتجلى في الدِراسة التي أجرها المُستشرق الإنجلِيزي "**جب إلياس جون ولكينسون Gibb Elias John Wilkinsn**"[1] والموسومة ب "**Ottoman Poems**" تَاريخ الشعر العُثماني.[2]

والتي استطاع من خِلالها أن يجمع و يترجم في مؤلف فاقت صفحاته الثلاثمائة صفحة عددا هائلا من القصائد العثمانيَّة، لأزيد من ثلاثين شخصية عُثمَانية تنوعت بين نساء ورجال من أمثَال "عاشق باشا"، "فاضل باي"، "ليلى هانم"، "إسحق شلبي" ... وغيرهم كثير.[3]

أما فيما يخص اللغة العَربية فقد نشط رجال الدِّين واللاهوت منذ القَرن السَّابع عشر في دراستها بِشكل ملحوظ، وانكبوا عَلى دِراسة النصوص القديمة وترجمتها للُغاتهم، والبَحث عن المَعلُومَات التي كتبت عن المَسيحِيين وتَاريخهم. وكذا جمع مُختَلف المخطوطَات العَربية المفهرسة، غير المفهرسة، وذَات النسخة الواحدة ونقلها لمكتباتهم وجَامِعاتهم، عَلى

---

[1] **جب إلياس جون ويلكينسون Gibb Elias John Wilkinsn (1857 -1901م)**: مُستشرق أسكتلندي متخصص في الأدب التركي، الفارسي والعَربي. مولع باللُغات الشرقية ومتعلم لعدد منها عَلى غِرار العَربية، الفارسية والعُثمانية. اهتمامه هذا باللُغات الشرقية جعله يتوجه صَوبَ الترجمة فقام بترجمة المخطوطات، حكايات وفصول من كتب عثمانية، وعددا من القصائد العُثمانية. وقد تسنى له جمعها في كِتاب تحت عنوان "Ottoman Poems"، للمزيد أنظر: بدوي، المرجع السَّابق، ص ص171 -172. أنظر أيضا: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص 76.

[2] فاروق فوزي عمر، المرجع السَّابق، ص 40.

[3] Gibb Elias John Wilkinsn, **Ottoman Poems**, edited by, Edward G. Browne. M. A. M. B , Luzac and Co, London, UK, 1882, pp 2, 139, 154 .

غِرار مكتبة جَامعَة ليدن. هادفين من وراء ذلك كله إلى تَنصِير المُسلِمين ومحاربة الدِّين الإسلامي، وخِدمَة مصالحهم الشَّخصِية ومصالح بلدانهم.[1]

ولعل من بين أبرز المُستشرقين البريطانيين الدارسين للغة العَربية وحتى العثمانيَّة والمتقنين لهما فهما وكِتابة، نجد المُستشرق البريطاني "**ديفيد صامويل مرغوليوث David Samuel Margoliuth**" الذي برع في الدِراسَات العَربية، لدرجة تعيينه أستَاذا للغة العَربية بجَامعَة أكسفورد. أجرى هذا الأَخير عددا من الأَبحَاث وتمكن من نشر مؤلفات قيمة في هذا المَجال، عَلى غِرار الكتاب الذي أحصى فيه المُؤرخين العَرب بدءًا من القَرن الثاني عشر ولِغَاية القَرن الخامس عشر، وتحدث فيه عن بَعض المُؤرخين العَرب الذين أرخوا في كِتاباتهم للدَّولة العثمانيَّة عَلى غِرار "ابن إياس".[2]

02 في مجال التَّحقيقِ، النشر، الفهرسة، والترجمة

تماشيا مع ما تم ذكره اهتم المُستشرقون بالمصادر، المخطوطَات، أمهات الكُتب ومُختَلف كتب التَّاريخ وعكفوا عَلى دراستها، تَحقيقِها ومن ثم ترجمتها للُغاتهم. إما خِدمَة للعلم أو بغية تَحقيقِ أغراضهم وأهدَافهم المتمثِّلَة في التَنصِير، الاستِعمار، وتزوير الحقائق وتحريفها لأحداث نوع من القطيعة بين الفرد وتَاريخه. وقد عكف العَدِيد من المُؤرخين عقبهم عَلى إِعادَة تَحقيقِ مُختَلف المخطوطَات المحققة ليستفيد منها جُموعِ البَاحثين.[3]

---

[1] مقابلة مع الدكتور قاسم السامرائي بعنوان: **التراث الإسلامي المخطوط وإهتمام المُستشرقين به في جَامِعات هُولندا**، مركز الملك عبد العزيز التَاريخي، 20 مارس 2007م، ص ص04 -08.

[2] مرغوليوث، **دراسات عن المُؤرخين العَرب**، تر، حسين نصار، د.ط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت، ص 173.

[3] فاروق فوزي عمر، المرجع السَّابق، ص 41. أنظر أيضا:

Abdulrahman al-Salimi, "**Orientalism and Relationships Between Islam and the West"**, Krzysztof Koscielniak, V01 , Krakow, 2009, p 223.

بداية؛ وكنتيجة لتنقل المُستشرقين الدائم صَوبَ الشَّرق تمكنوا من الكشف والحصول عَلى عدد كَبير من المخطوطَات، الآثار، وحتى المسكوكات، وقاموا بنقل أغلبها صَوبَ دولهم التي قَامَت بدَورها بجمعهم في متاحفها ومكتباتها الخَاصة. عَلى غِرار مكتبة برلين التي تزخر بعدد هائل من المخطوطَات، مكتبة ميونيخ ومكتبة بودلي التي تأسست سنة 1603م وعدت من أهم المكتبات المهتمة والمختصة بالمخطوطَات باعتبار أنها تضم في طياتها أكثر من ثلاثة آلاف مخطوطة، نَاهيك عن المكتبات الموجودة في كل من برلين، باريس، روما، لندن، ليدن، أكسفورد، وكمبرج.... وغيرهم كثير.[1]

ويُمكن أن نذكر هُنا مسَاهمَة كل من المُستشرق والجاسوس السَّابق الذِّكر **"إدوارد هنري بالمر Edward Henry Palmer"** الذي تمكن من إعداد فهرسة للمخطوطَات العثمانيَّة، العَربية والفَارسِية. بالإِضافَة للمُستشرق **"ريو تشارلز Rieu Charles"**[2] الذي وإن لم يرد ذكره في متن الدِراسة ولكن له مسَاهمَة في مجال الفهرسة، بعد أن تمكن من إعداد فهرس للمخطوطَات العثمانيَّة في المتحف البريطاني. فَضلاً عن جهود ومسَاهمَات كل من المُستشرق **"أمدروز، ه. ف H. F Amedroz,"**[3] ، والمُستشرق **"براون إدوارد جرانفيل .Browne E**

[1] الجبري، المرجع السابق، ص 23. أنظر أيضا: رائد أمير عبد الله، "**المُستشرقون ودَورهم في خِدمَة التراث العَربي**"، آداب الرافدين، العراق، ع67، 1434هـ/ 2013م، ص ص455 -456.

[2] **ريو تشارلز Rieu Charles:** مُستشرق بريطاني وأستَاذ لغة عربية بجامعة كامبريدج، مسَاهمَاته ونشاطاته كَانت في مجال الفهرسة، فقد تمكن من إعداد فهرس للمخطوطات العَربية المتواجدة بالمحتف البريطاني، وكذا فهرس خاص بالمخطوطات التركية (العُثمانية) عام1888م وأتبعه بفرس خاص بالمخطوطات الفارسية عام 1895م. للمزيد أنظر: العقيقي، المرجع السَّابق، ج02، ص 69.

[3] **"أمدروز، ه. ف H. F Amedroz" (1854 -1917م):** مُستشرق بريطاني سويسري، من محرري مجلة الجمعيَّة الملكية الآسيوية، دارس للغة العَربية ومن المسَاهمَين في تحقيق عدد من المؤلفات المكتوبة بها كتحفة "ابن الجوزي"، فضلا عن نشره لعدد من المؤلفات العَربية في ذَات المجلة السَّابقة الذِّكر، ككِتاب الأحكام السلطانية للماوري. للمزيد أنظر: نفسه، ص ص73 -74.

G"[1] وكذا كل من المُستشرقين **"إيته، هـ Ethé . H"**[2] و**"جب إلياس جون ولكينسون Gibb Elias John Wilkinsn"** السَّابق الذِّكر ودَورهما في تَحقيقِ المخطوطَات العَربية وإعداد فهارس لمخطوطَات قابعة في جَامِعات بريطانية.[3]

استخلاصا مما سَبَق ذكره، ورغم كل ما يشوب أغلب الكتابات الاستشراقية من تزييف ومغالطات إلا أنها سَاهمَت في الكشف عن جوانب كثيرة من التَّاريخ العُثماني، كجَانب الحَريم، وتَاريخ وواقع المُجتَمعات والملل العثمانيَّة، بل ونتج عن جهود أصحَابها آثار إيجابية نوعا ما، بعد أن سَاهموا في إحياء عدد ليس بهين من المخطوطَات العَربية والعثمانيَّة وتَحقيقِها، مع نشر فهارس لها. بالإِضافَة لطبع كتب عَدِيدة عن الأدبين العَربي والعُثماني وعن التَّاريخ الإسلامي وترجمتها للُغاتهم الأصلية، والتي سَاهمَت بطَريقَة أو بأخرى في تعرف الفرد الغَربي عَلى الشَّرق برمته.[4]

ولكن مع هذا كله لم تكن كل الدِراسَات الاستشراقية في صالح التَّاريخ العُثماني ولا يُمكن أن نعتبر ما حاد منها عن المنهَجية العِلمية كمصدرٍ يُمكن الاعتماد عليه في كِتابة التَّاريخ العُثماني، ولا نغفل عن الجَانب السلبي لأغلب الدِراسَات الاستشراقية باعتبارها درست التَّاريخ العُثماني والعَربي، وتَاريخ الشَّرق عامة انطلاقا من فرضيات وتصورات قبلية وبنوع من

---

[1] **براون إدوارد جرانفيل Browne E. G (1862 -1926م):** مُستشرق وطبيب بريطاني، متعلم لعدد من اللُغات الشرقية كاللغة العَربية، الفارسية، الهندية والعُثمانية. انضم إلى صفوف الجيش العُثماني خلال حروبه مع روسيا التي دارت رحاها ما بين 1877و 1878م، اشتغل كأستَاذ محاضر للغة الفارسية بجامعة كامبردج، واشتهر بكونه شخصا مدافعا عن العَرب والفرس. للمزيد أنظر: نفسه، ص ص80 -81.

[2] **إيته، ه Ethé. H:** مُستشرق بريطاني وأستَاذ كرسي للُغات الشرقية بجامعة "ويلز"، مسَاهمَاته وأعماله كلها كَانت في مجال الفهرسة، فقد تمكن من وضع فهارس للمُختَلف المخطوطات العُثمانية، العَربية، الفارسية وحتى الهندية الموجودة بالهند، بمكتبة جامعة إدنبرا، وكذا بمكتبة ويلز الوطنية. للمزيد أنظر: نفسه، ص 86.

[3] نفسه، ص ص65 وما بعدها.

[4] سعد الدِّين السيد صالح: المرجع السَّابق، ص 95. أنظر أيضا: محمود حمدي زقزوق، **الإسلام في تصورات الغَرب**، ط01، مكتبة وهبة، مِصر، 1987م، ص ص10 -11.

الاستخفاف والتَّقليل من شأن الشَّرق، مع اعتمادهم في الدِراسَات التي أجروها عَلى معطيات ومواد محدودة وعدم اعتمادهم عَلى المؤلفات التي ينتجها الشَّرق، هذا بغض النَظر عن أن أبحاَثِهم تِلكَ اتخذت كوسيلة للتشكيك والطعن في هذا التَّاريخ لتكون بذلك المَوضُوعيَّة في كِتاباتهم نسبية ومحدودة.[1]

لِذلِك يظل لزاما عَلى كل بَاحث يسعى لدِراسة تَاريخ الشَّرق ومعرفة صورته بناءً عَلى نَظرة الغَرب أن يتعامل بحذر مع مُختَلف الكتابات الاستشراقية كونها تحتاج إلى غربلة وتدقيق لما جَاء فيها، فلا يسلم بجَمِيع ما جَاءت به ويشرع بعد دراستها في التحقق من المَعلُومَات ومدى مطابقتها للمصادر المحلية. ويتقصى فيها النزعة الذَاتية والانحياز لفئة أو فِكرَة معينة، ويخضع كذلِك معلوماتها للنقد التَّاريخي البناء ليصل بذلك للمعلومات الصَحيحة ويجتنب الخاطئة منها.

ثانيا - المُغالطَات والأفكَار الاستشراقية المغرضة

في إطار تقييم الكتابات الاستشراقية البريطَانية ونقدها يتوجه البَاحث بعد الإطلاع عَلى كِتابات المُستشرق، حياته ومن يكون نَحو وضع المؤَلِف في سِياق مجمُوعة من الأسئلة، يتوجب عليه في طليعتها معرفة الكتاب وموقعه ضمن بقية مؤلفات المُستشرق إن وجدت، وهل ألفه في بداية حياته أو في نهايتها؟ ومالدَّافِع وراء ذلك، وأقصد بهذا هل تأليفه للكِتاب كان طارا أم في صميم اهتماماته؟ .[2]

فإذا أتم هذه الأسئلة يتوجه نَحو فحوى الكتاب، فيقرأه بَاحثا عن الأفكَار التي يسعى إلى تطويرها، نقدها وإيصالها للقارئ، مركزا عَلى شيئين اثنين أولها البَحث عن المصادر

[1] محمد العناوسة، المقال السَّابق، ص ص1090 -1092

[2] **الاستشراق بين الشرق والغَرب مقابلة مع ناصر الملا جاسم**، برنامج مجالسات، مركز الشهاب للدراسات والبُحوث، 16 ديسمبر 2022م، https://www.youtube.com/watch?v=YTvMIKOiFdw.

التي اعتَمدَ عليها في دراسته، وهل تمكن من استيعابها واستخدامها بصورة صَحيحة. وثانيهما البَحث عن الكتابات الاستشراقية التي استند عليها في كِتابه، عَلى أن يحتكم إلى المصادر المحلية الموثوقة فور انتهائه باعتبارها الفاصل بينه وبين الحَقيقَة.

استنادا إلى ما تم ذكره؛ أشَار أحد البَاحثين في مجال الاستشراق إلى فِكرَة مهمة مؤداها أن ضرر المُستشرقين وشرورهم لا تخلو من النفع للعالم الإسلامي، فبتوجههم نَحو الدِراسَات المُتعلِّقة به والبَحث فيها هم يقدمون خدمات له. كالفهارس المنشأة، الكُتب والمخطوطَات المَنشُورة والمحققة، الدِراسَات والأَبحَاث المطبوعة والمرتبة... وغيرها من الأعمال. ومع ذلك ورغم دِراسَاتهم تِلكَ فالواجب عدم تزكية أي واحد منهم، فرغم زعمهم بأنهم موضوعيون في جانب الكتابات إلا أن جلهم لم يتمكن من الارتقاء بكتاباته عن تحيزه الديني، المذهبي وحتى الثقافي، ورغم معرفتنا وإقرارنا بدَورهم إلا أننا يجب ألا نغفل عن نواياهم، أهدَافهم وافتراءاتهم الموجهة للشرق. وقد أكَّد أحد البَاحثين العَرب أن سِياسَة الاستشراق هاته كالسم في العسل هدفها تشويه الإسلام والعالم الإسلامي الشَّرقي دون إِثَارَة لمشاعر أبنائه. [1]

بناء عَلى هذا؛ توجه بَعض البَاحثين إلى تعداد أخطاء المُستشرقين ومغالطاتهم في مجال الدِراسَات التَّاريخية، فذكروا أن أخطاءهم تِلكَ عائدة لجهلهم باللُغات الشَّرقية وأسرارها وفحوى مُصطلحاتها وبالتراث الإسلامي، حقائقه، نصوصه وكل ماله عَلاقَة به. بالإِضافَة

[1] حسين هراوي، زكي مبارك، **"رأيان متعارضان، هل ضرر المُستشرقين أكثر من نفعهم"**، مجلة الهلال، ع03، جانفي 1934م، مِصر، ص ص326 -327. أنظر أيضا: الدهان، المرجع السابق، ص ص71 - 72. أنظر أيضا:

Hussain Asaf and al, **Orientalism Islam and Islamists**, Amana Books, Brattleboro, US, 1984 , P 177 . see as well : Abul Hasan Ali Nadawi, **Islamic Studies Orientalists and Muslim Scholars**, tra, Mohiuddin Ahmad, 01 Edit, Academy of Islamic Research and Publications, India, 1983, p 07.

لتتبعهم للأخبار والحوادث المبهمة وانتقائها، بغض النَظر عن تأثرهم بالبيئة الغَربية وبمُختَلف الأفكَار المتوارثة فيها حول الشَّرق وبالتعصُب الدِّيني.[1]

وأكَّد بَعض منهم أن توجههم نَحو الدِراسَات الاستشراقية المُختَلفة لم يكن برَغبَة وهدف علمي بحت، بقدر ما كان خِدمَة للاحتلال الغَربي للشرق والتسهيل له عن طريق جمع المَعلُومَات التَّاريخية والجغرافية ذَات العَلاقَة المباشرة به.[2]

عَلى هذا الأساس؛ ومن خِلال الإطلاع عَلى كِتابات المُستشرقين البريطانيين محط الدِراسة يجد البَاحث ويلحظ عددا من الأفكَار الاستشراقية المغلوطة والملصقة بالتَّاريخ العُثماني والتي بتوارثها عبر السنين أضحت حتمية ولازمة له. كتِلكَ القائِلَة بأن الدولة العثمانيَّة دولة عسكرية لا وجود لنظم تعليمية فيها ولا لنظم حضارية. والتي تداولها البَاحثون العَرب في وقتنا الراهن وأضحت بمثابة قَضِيَّة فلسفية لها مؤيدوها ورافضوها.

وقد أشَار أحد البَاحثين العَرب إلى كيفية انتقال مثل هذه الأفكَار المغلوطة من المُستشرقين نَحو العالم الشَّرقي حتى تضحى بمثابة نَظريَّة وحقيقة أكيدة. فيشير إليها أحد المُستشرقين، ثم يؤكدها الذي يليه، ويرفعها الثالث لمصاف النَظريات إلى أن يجعل منها الأَخير حقيقة حتمية.[3]

ومن باب الإشارة لبَعض من هذه المُغالطَات لا الحصر، سَعَى عدد من المُستشرقين البريطانيين في كِتاباتهم إلى نفي الأصالة عن التَّاريخ العُثماني، وربطه بالتَّاريخ القديم البعيد

[1] أنور الجندي، **موسوعة مقدمات العلوم والمناهج - التَّبشير والاستشراق والدعوات الهدامة**، مج05، د.ط، دار الأنصار، القاهرة - مِصر، د.ت، ص 144. أنظر أيضا: عمر الدسوقي، **"من مزالق المُستشرقين"**، مجلة الرسالة، ع1100، السنة 22، فيفري 1965م، مِصر، ص 14.

[2] محمود إسماعيل، **"الإسلام والمسلمون في نظر المُستشرقين بين تعامل اليمين وتعاطف اليسار"**، مجلة أدب ونقد، ع20، مارس 1986م، مِصر، ص 40.

[3] أنور الجندي، **موسوعة مقدمات...**، المرجع السَّابق، ص 145.

كل البعد عن التَّاريخ الإسلامي من باب فصل الفرد الشَّرقي عن دينه وأصوله الثابتة، تشويهها وربطها بالحضَارات القديمة والبعيدة كل البعد عن التَّاريخين العُثماني والإسلامي كالحَضارة الفرعونية، الفينيقية، الآشورية... وغيرها. أو ربطها بالدِّين المَسيحِي وتبيان أنه الأصل في كل شيء.[1]

وهو ما يبدوا جليا في القضايا الخَاصة بفِلسطِين والتي سَعَى فيها المُستشرقون إلى إثبات الأحقية اليَهودية فيها بالحَدِيث عن تسميات عائدة للعصور القديمة قيل بأنها خَاصة بها. وفي القضايا التي أشير فيها إلى بَعض من النُّظم العثمانيَّة، فهي إما مأخوذة من الحَضارة البيزنطية، الفَارسِية، الأخمينية، أو من اليونان القريبة من الدولة العثمانيَّة والتي قد تكون الأكثر إقناعا للقارئ من غيرها. وفي إشَارتهم لترتيب العُثمانيين وظائف دولتهم حَسبَ ما كان موجودا في الدِّين المَسيحِي واعتبارهم إياه الأصل في كل شيء، وكأن الفرد العُثماني أو الشَّرقي عَلى وجه العموم ليس قادرا عَلى إيجاد نظم وتنظيمات لتسيير دولته.

وهذا أمر جلي وواضح للعيان في طرح وكِتابات كل من المُستشرقين "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**" و "**هارولد باون Bowen. H**" وتلاهما في ذلك المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**". أين عَمدوا في عَدِيد المرات إلى تأكيد هذه الأفكَار باستخدام حجج وبراهين واهية، أو معلومات منقوصة.

بالإِضافَة لسعيهم المتواصل لتبيان العالم العُثماني بمظهر النقص، من خِلال التَّقليل من قيمته، وقيمة مجتمعاته، سلاطينه وشخصياته الفاعلة وإبرازهم بصورة غير لائقة. فسلاطينه البارزين وذوو الصيت الواسع في الدولة أشخَاص غير أكفاء، قاسون وطغاة. وشخصياته المعروفة تَاريخيا غير مثقفة. وهو ما يبدوا جليا في كِتابات المُستشرقين «**توماس آرنولد وولكر Sir Thomas Arnold Walker**"، "**ستيفن هيمسلي لونكريك Stephen**

[1] نفسه، ص ص142، 470. أنظر أيضا: عبد الله القاسم، المرجع السابق، ج01، ص 427.

Hemsley Longrigg"، وكل من "**هاملتون جب Alexander Roskeen Gibb Hamilton**"، "**هارولد باون Harold Bowen** " و"**برنارد لويس Bernard Lewis**" السَّابقي الذِّكر.

نَاهيك عن ذلك؛ فالسِياسَة العثمانيَّة المتبعة في حكم الوِلايات العَربية كَانت في نَظر بَعض منهم سِياسَة سيئة، سَاهمَت في بُروز حَركات التمرد في عدد من المنَاطِق العَربية، وكَانت دالة عَلى حُكمٍ هَمجِي فَوضَوِي. وهو ما يُدرَجُ ضِمنَ سِياق التَّقليل من قيمة الدولة العثمانيَّة. وقد توارثها المُستشرقون وسَعَى كل واحد منهم إلى تأكيدها بإسقاطها عَلى الوَاقِع المعاش.

مثل ما ورد في كِتابات المُستشرق "**إدوارد شيفرد كيرسي Edward Shepherd Creasy**" التي أسقَطهَا عَلى التَمرُدات التي شَهِدتها بلاد الشام خِلال أواخر القَرن الثامن عشر ومطلع القَرن التَّاسع عشر، وكذا في كِتابات المُستشرق والضَابِط "**هاري سانت جون بريدجر فيلبي Harry St. John Bridger Phillby**" خِلال معالجته لحيثيات الحَركة الوهابية.

هذا فَضلاً عن محاولاتهم المتكررة لإثَارَة فِكرَة الرفض العُثماني لكل ماهو مسيحي غَربي، بهدَف خلق نوع من الشرخ داخل الدولة العثمانيَّة وخارجها، أي بين الملل في حد ذَاتهم وبين الدولة العثمانيَّة والدُول الغَربية المَسيحِية. هذا الرفض الذي يتجلى في عدم قبول شخصيات مسيحية لتدريب الجيش العُثماني، ولعدد من الإصلاحات وفق النموذج الأوروبي، وكذا في فِكرَة رفض تزويج المَرأَة العثمانيَّة لفرد مسيحي أو حتى رفض عَلاقَة الحب الكائنة وعدم تقبلها. والتي تبرز في كِتابات المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**"، وفي أوصاف "**جوليا صوفيا باردو Julia Sophia Pardoe** " قبله.

كان من بين المُغالطَات التي أوردها المُستشرقون البريطانيون في كِتاباتهم تِلكَ التي سعوا من خِلالها إلى تمزيق أواصر وروابط ووحدة العالم الإسلامي المتجسد في الدولة العثمانيَّة، من خِلال إِثَارَة مسألة الحدود بين الوِلايات، مسألة القومية والحرية. وتبيان القدرة البريطَانية عَلى صنع الدُول والحكام والملوك.

وهو ما يبرز مع جهود المُستشرقة البريطَانية **"غيرترود مارغريت لوثيان بيل Gertrude Margaret Lowthian, Bell"** التي وجهت للعراق وكان لها دَور كَبير في وضع حدوده ورسمها، حتى سميت بالنسخة المؤنثة للورنس العَرب أو "لورانسة العَرب". وتبرز كذلِك هذه المسألة في كِتابات المُستشرق **"برنارد لويس Bernard Lewis"** في حديثه عن فِلسطِين وعن قَضيَّة المسألة المِصرية، بعد أن أكَّد أن الحاكم البريطاني **"إيفلين بارنج Evelyn Baring"** له دَور في رسم الحدود بين مِصر وفِلسطِين وهو أمر لم يعرفه الشَّرق العُثماني قبل هذا.

وفي هذا إشارة صريحة لافتراء ثان مؤداه القدرة البريطَانية في صنع الدُول الحَدِيثة، وللعلم لم يكن هذا الأَخير وحده هو من أثار هذه الفِكرة وسَعَى إلى ترسيخها في ذهن القارئ، فقد كان جل المُستشرقين البريطانيين محط الدِراسة ممن تبنى هذه الفِكرة، وسعوا إلى تأكيدها رفقة فِكرَة القدرة البريطَانية عَلى صنع الملوك. من أمثَال المُستشرق **"هاري سانت جون بريدجر فيلبي Harry St. John Bridger Phillby"**، والمُستشرق **"هارولد فيتون جاكوب Harold Jacob. F"**، بل وهُناك من ذَهبَ إلى أبعد من هذا الأمر نَحو تشجيع الغَرب عَلى استعمار الشَّرق، بعد أن ألصقوا به افتراءً آخرًا يقضي بهمجية هذا الأَخير ورجعيَّتِه.

في ذَات السِياق؛ ذَهبَ أحد البَاحثين العَرب المتضلعين في الدِراسَات الاستشراقية إلى الحَدِيث عن مسألة الحدود المثارة والدُول الحَدِيثة، فذكر أن المُستشرقين عَلى اختلاف مَدارِسهم يسعون بهذا إلى تمزيق الوِحدَة الإسلامية لجبهات متعددة. من خِلال إِثَارَة مسائل

أخرى ذَات العَلاقَة المباشرة بالإسلام، فإسلام العصور الوسطى لا يشابه إسلام العصور الحَدِيثة، والإفريقي غير الآسيوي، فَضلاً عن مسألة السنة والشيعة. وكل هذا بغية تفريق المُسلِمين حتى يسهل احتلالهم.[1] هذا فَضلاً عن محاولاتهم المتكررة لبث الشك في نفوس القراء في الأمور المُتعلِّقة بالدِّين الإسلامي وأصالته وعراقته وفكره.[2]

من أمثَال المُغالطَات التي سَعَى المُستشرق البريطاني **"ديفيد صامويل مرغوليوث David Samuel Margoliouth"** إلى إلصاقها بالإسلام. والذي لم يرد ذكرها في متن الدِراسة وكَانت الإشارة إليه هُنا خروجا عنها. ومن باب التَّنبيهِ له لكثرة الدِراسَات التي أجريت حوله والتي أكَّد فيها أصحَابها أن هذا الأَخير وأمثَاله يسعون جاهدين لإلصاق عدد من الادعاءات بالدِّين الإسلامي عن طَريقِ السَبِ والشَتمِ والادعاء والافتِراء عَلى شخصية الرسول صلى اللّه عليه وسلم، ونَسبِه وعَلى القرآن الذي أنزل عليه. كادعائه أن الرسول دارس لجَمِيع دروس الفلسفة اليونانية، وعارف بكل الأديان الهندية القديمة، وبالتَّاريخين الفارسي والصيني... وغير ذلك من الأمور.[3] وهذا من باب ربطه بالتَّاريخ القديم ودفع الأصالة عن هذا الدِّين.

كما ركز بَعض منهم عَلى مجال اللُغات، من خِلال الاهتِمام باللهجات العَامَية رَغبَة في القضاء عَلى اللُغات الأَساسية. فعَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر سَعَى عَددٌ من المُستشرقين إلى التَركِيزِ عَلى اللهجات العَامَية في مُختَلف المنَاطِق العَربية من باب القضاء عَلى اللغة العَربية

[1] أنور الجندي، **موسوعة مقدمات...**، المرجع السَّابق، ص 141.

[2] نفسه، ص 139.

[3] حسين الهراوي، **"المُستشرقون وضررهم عَلى الإسلام والشرق"**، مجلة المَعرِفة المِصرية، مج03، ج06، ع18، يونيو 1932م، مِصر، ص 720. أنظر أيضا: حسين الهراوي، **"المُستشرقون وضررهم عَلى الإسلام - بيني وبين مرجوليوث"**، مجلة المَعرِفة المِصرية، مج 04، ج10، أكتوبر 1933م، مِصر، ص 1225.

وتوسيع الفجوة بينها وبين متكلميها، وبالتالي توسيع الفجوة بين الفرد العَربي وتَاريخه المكتوب بها، وبدينه وقرآنه المنزل بها.[1]

بالحَدِيث عن الإسلام، سَعَى المُستشرقون البريطانيون إلى تشويه هذا الأَخير والتَّقليل من قيمته لمنع الغَرب من اعتناقه وتشكيك الشَّرق فيه، فحاول بَعض منهم إدراج مُصطلحات غَربية مسيحية كإشارة لوظائف عُثمَانية لها عَلاقَة مباشرة بالدِّين. مع تبيان أنَّ الدِّين المَسيحِي هو الأصل لكل لشيء. كما أشَار بَعض منهم إلى كون كلمة "ترك" تدل عَلى الهمجية والقسوة، ثم أكَّدوا أن لها دلالة عَلى كل شخص اعتنق الإسلام فأضحَت بذلك مُرادِفَة لكلمة مُسلِم، وبالتَّالي فكلِمَة مُسلم تدل عَلى الهمجية. فَضلاً عن قَضِيَّة الربط بين الوظائف الإسلامية والمَسيحِية وتبيان أن وجودها في الدِّين المَسيحِي هو الأصل.

من جَانب آخر، وبالتركيز عَلى المصادر المعتمدة في كِتابات المُستشرقين البريطانيين محط الدِراسة يلحظ البَاحث أن بَعضهم قد اعتَمدَ عَلى المصادر المحلية ولو بالشيء القليل، والذي وإن كان يبدوا إيجابيا نوعا ما إلا أنهم إما اعتَمدَوا عَلى مصادر محلية ولكنها بعيدة كل البعد عن الفَترة المدروسة، وإن وافقت الفَترة قاموا بنقل وانتقاء الشاذ من المَعلُومَات والرِوايَات والأحدَاث. مثل ما ورد في كِتاب المُجتَمع الإسلامي والغَرب الذي اعتَمدَ فيه صاحبيه عَلى كِتابات، الماوردي للحديث عن قضايا تخص الدولة العثمانيَّة فكان بعيدا عن الفَترة المدروسة. واعتَمدَوا كذلِك وبشكل كَبير عَلى المرادي ولكن لم ينتقوا الأحدَاث الدَّقِيقَة منه وتوجهوا إلى انتقاء الأضعف والشاذ منها.

[1] أنور الجندي، **موسوعة مقدمات،** المرجع السَّابق، ص 140. أنظر أيضا: محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، **التَّبشير والاستشراق أحقاد وحملات عَلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبلاد الإسلام**، ط01، الزهراء للإعلام العَربي، 1991م، ص112.

وقد أعاب المستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" على المستشرقين الدَّارِسين لتاريخِ الشرقِ بمختلفِ مجَالاته عدمَ اعتِمادِهم على مَصادر وكِتاباتٍ تخصه واقتِصارهم على المَصادِر الغَربية دُون غيرِها، ما جعل كِتابَاتهم مَنقُوصة وغَير وَافية في مُعالجةِ الأحداث.[1] وهَذا القَول في حَده دَليلٌ وافٍ يُحسبُ على وَجهين: الأول ضِدَّ الاستشراق والثانِي ضِدَّ "**برنارد لويس Bernard Lewis**" في حدِّ ذَاته فهو وإن كان صحيحا في ذلك لم يَنفَذ من هذا الأمر بشكل كَامل، فقد اعتَمد كغيرِه على كِتاباتِ مُستشرقين غَربيين، ورَغم عدمِ اقتِصاره عَليها واعتِمادهِ على وَثائِق أَرشِيفية تَخص تَاريخَ الشرق ومَصادرهُ الأوليَّة فَهو لَم يَسلَم مِن أفكارِ الغَرب المُتوارِثة حَول الشَرق والتي استَندَ عَليها في إِصدارِ نتَائجه وأَحكامِه حَول الشرق.

علاوة عَلى هذا، جسَّد المُستشرقون البريطانيون علماء الدولة وأساتذتها سَواء في مركز الحُكم أو الوِلايات العَربية التابعة لها وعَلى مدى ثلاثة قرون متتالية بكونهم شخصيات غير لائقة، فهل يعقل ألا يكون هُناك شخصيات لائقة من أساتذة وطلبة طيلة ثلاثة قرون متتالية من القَرن السادس عشر ولِغَاية القَرن الثامن عشر.

فَضلاً عن سعيهم لإلصاق فِكرَة توارث المنَاصِب التعلِيمية بغير وجه حق، أو نيلها استنادا إلى الرشاوى المقدمة للمسؤولين من خِلال حديثهم عن بَعض من الشَّخصِيات التي نالت منَاصِب مرموقة في المَدارِس والمساجد والمؤسسات التعلِيمية وفق ما ذكر سَابِقا، معتبرين إياها الطرُقِ الدائمة والمتبعة في الدولة. والتي وإن حدثت في عدد من المرات لكنها لا تؤكد فكرتهم القائِلَة بديمومتها وبعدم وجود أشخَاص أكفاء.

هذا دون أن نغفل عن ذكر الافتراء القائل بمحدودية الدروس التعلِيمية المقدمة في الدولة العثمانيَّة، وكونها تقليدية، رجعية، منغلقة وغير ثابتة. بالإِضافَة للافتراء القائل بأن العُثمانيين لم يولوا اهتماما بالجَانب العلمي وهو الأمر المعهود في وقتنا الراهن.

[1] Bernard Lewis, **The Ottoman Empire In The Mid-Nineteenth Century : A Review**, Middel Eastern Studies, V 01, N 03,UK, April 1965, P 283.

هذا بغض النَظر عن تشجيعهم للطرق الصوفية وإعجابهم بها واعتبارهم إياها **مكملة لنقائص الدِّين وللفراغ الروحي بين الشخص وخالقه**. وهذا ليس بالأمر الغريب فلولا مساسها بالدِّين الإسلامي -وهو هدفهم الأول -لما رأينا موقفهم هذا. ولكن المثير للإنتباه هُنا؛ هو عدم ربطهم لهذه الطرُقِ بالدِّين المَسيحِي كما جرت عادتهم، فالمَسيحِية وإن استخدمت الموسيقى والغناء في عباداتها فهي لم تستخدم الرقص في ذلك وهو ذَات الأمر مع الديانة اليَهودية -ديانة جل المُستشرقين -أم أن أمر الروحانية بعيد عنهما.

أشَار بَعض من المُستشرقين البريطانيين من أمثَال "**برنارد لويس Bernard Lewis**"، "**هاملتون جب Alexander Roskeen Gibb Hamilton**" و"**هارولد باون Harold Bowen**" في كِتاباتهم للقَوانِين في الدولة العثمانيَّة، وللفقهاء والعُلماء الذين سَاهموا في سنها في سِياق معالجتهم لحيثيات هذا التَّاريخ، ولكن الأمر الأكيد أن معالجتهم تِلكَ كَانت باعتبار أن الدولة العثمانيَّة دولة القَوانِين لِذلِك وجب ضرب مُختَلف القَوانِين العثمانيَّة عرض الحائط وهو ما جرى بالفعل.

فقد بينوا أن أصحَابها إما متزلفون للسُلطَة، أو شخصيات غير لائقة ولم تحضَ باحترام كَبير من المُجتَمع، فَضلاً عن أشَارتهم لشخصيات مجهولة عَدِيدة قد لوثت عَلى حد ذكرهم وشوهت سمعة الدولة دون إبداء لأي أمثلة واقعية. وأن مُختَلف القَوانِين ليست سوى بنود تنظيمية هادفة إلى تسهيل العمل الإداري العُثماني، لإفقاد الدولة العثمانيَّة تِلكَ الصفة التي لازمتها طيلة سنين والقاضية بكونها دولة القَوانِين.

سَعَى عدد من المُستشرقين إلى إعطاء معلومات منقوصة في نطاق حديثه عن حيثيات قَضيَّة ما، عَلى أن يشير لها في سِياق قَضيَّة أخرى والتي تعد تكملة للمعلومات الناقصة، ولكن هذا الأمر ليس من باب الإتمام ولكن مُعالجَة تِلكَ القَضيَّة تتطلب ذلك. فعَلى سَبيلِ المِثَال لا الحصر تكرر هذا الأمر في كِتابات المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" ففي قَضيَّة العلم لم يعالج -كغيره - قَضيَّة اهتمام العُثمانيين بالعلوم العقلية وأكَّد أنهم

لم يهتموا بها أو كان اهتمامهم بها قليلا، ولكن وبالبَحث في كِتاباته نجد أنه قد أكَّد عَلى وجود مثل هذه العلوم في الدولة العثمانيَّة.

وهذا كله يؤكد للبَاحث أنهم يسعون جاهدين إلى إغفال دَور الدولة العثمانيَّة في الجَانب العلمي، وتأكيد الفِكرة القائِلَة بأن العُثمانيين لم يولوا الجَانب العلمي أي اهتمام. وأن اهتماماتهم كلها تنصب في الجَانب العسكري، فَضلاً عن أن أساس التعلِيم فيها أجنبي عنها.

إِضافَة إلى ما سَبَق ذكره، توجه المُستشرقون بشكل مستمر نَحو تزييف النصوص والأحدَاث والوقَائِع التَّاريخية مع التركيز عَلى الساقط منها.[1] والذي بإسقاطه عَلى الكتابات الاستشراقية البريطَانية نجده يبدوا جليا في "قَضِيَّة ثورة نقيب أشراف القدس" المذكورة سَابِقا والتي بعودتنا إلى المصادر التَّاريخية نجدها قد قَامَت كرد فعل عَلى الفساد الإداري في المَنطِقة، غير أن المُستشرقين أكَّدوا عكس ذلك وذكروا أنها قَامَت ضد الدولة العثمانيَّة.

أما قَضِيَّة التركيز عَلى الساقط من الأحدَاث والأمور التَّاريخية، فتبدوا من خِلال تركيز عدد من المُستشرقين في حديثهم عن المَرأَة عَلى الغوازي والمومسات، الخيانة الزوجية والعلاقات الغرامية. فَضلاً عن الابتعاد عن الحَدِيث عن واقع النسوة والتوجه نَحو التغزل بهن وبجمالهم وطَرِيقَة مشيتهن ... وغير ذلك.[2] وللعلم فإن تسريب المُستشرقين للمعلومات المغلوطة والافتراءات يكون في صميم المَوضُوع، فتبدأ كِتاباتهم وتختتم ببَعض من المَعلُومَات الصَحيحة في عَدِيد المرات، ويكون التوجه نَحو عرض المَعلُومَات المغلوطة في متن الدِراسة كله.

من خِلال هذا الطَّرح المقتضب يدرك البَاحث فحوى الكتابات الاستشراقية ومُرادَها، ومدى خطورة المُغالطَات والافتراءات التي يسعى أصحَابها إلى إلصاقها بالعالم العُثماني

[1] أنور الجندي، **موسوعة مقدمات...**، المرجع السَّابق، ص 146.

[2] يحي الخراط، المقال السَّابق، ص ص224، 228.

وإيصالها للفرد الغَربي ورسم صورة مُشينَة ومنفرة عنه في أذهانهم. والتي كَانت جَمِيعا سببا أفقد هذه الكتابات قيمتها وهدفها الأصلي كدِراسَات وأبحاث أصيلة بعد أن أقحَم أصحَابها أنفسهم في مجال التزييف والتشويه العمدي، واعتمادهم عَلى مَناهِج غريبة عن مجال التَّاريخ، ونقلهم لوقائع تَاريخية ضعيفة، متناقضة أو غير حقيقية، بغض النَظر عن خِدمَة الكَنيسَة والحُكومة البريطَانية من بعدها. فسَاهموا في رسم صورة ممزقة ومُشَوهَة للعالم العُثماني والإسلامي.[1] لِذلِك كان من الواجب التأني في قراءة هذه الكُتب مع ملازمة الشك في المَعلُومَات الواردة فيها، فَضلاً عن عدم الاعتماد عليها كمصادر أولية في الأَبحَاث التَّاريخية.

كما لا بُد من التَّنبيهِ هُنا لفِكرَة مهمة تثار في الوَقت الراهن حول الكتابات الاستشراقية، والتي تتمحور حول قَضِيَّة إنصاف المُستشرقين للتَاريخ العُثماني في كِتاباتهم. مثل كِتابات المُستشرقين "**هاملتون جب Hamilton Alexander Roskeen Gibb**" و"**هارولد باون Bowen Harold**"، والمُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**" التي شاعت في الوسط البَحثي بأنها كِتابات منصفة للتَاريخ العُثماني.

فنقلهم لعدد من الأحدَاث التَّاريخية ومعالجتهم لها بنوع من الدقة، لا ينفي وجود المُغالطَات والافتراءات في حق الدولة العثمانيَّة، ولا ينفي كذلِك وجود التزييف والتشويه وانتقاص المَعلُومَات العمدي من مُختَلف قضايا هذا التَّاريخ، فَضلاً عن وفرة الأفكَار الاستشراقية المغرضة في كِتاباتهم.

كما لابد من ابتعاد البَاحث عن قَضِيَّة الإنصاف والإجحاف ولم لا يتم استبدالهما بالمَوضُوعيَّة والمصداقية في مُعالجَة الأحدَاث، كون أن كِتابات المُستشرقين بها نوع من التوارث في المَعلُومَات فكل واحد يعتمد عَلى معلومات من سَبَقه، بغض النَظر عن المَعلُومَات المكتسبة من البيئة والتي تؤدي إلى حتمية توارث الأفكَار واندراجها ضمن سِياق واحد قاض بالرفض الغَربي للشرق.

[1] أنور الجندي، **موسوعة مقدمات...**، المرجع السَّابق، ص 195.

فَضلاً عن ذلك، فالإنصاف لا يعني بالضرورة تِلكَ الكلمات البراقة والشجية التي تشعر القارئ بالفخر، فنحن كشرقيين لا نبحث عمن ينصفنا ولا عمن يؤكد لنا صحة تَاريخنا وأحداثه ووقائعه ولا عمن يرويه لنا. فالشَّرق برمته يقبل تَاريخه بمُختَلف مراحله ويدركها، وله من الكتاب والبَاحثين ما يكفي للكِتابة عنه وزيادة وهم من تشكل كِتاباتهم مصادر الشَّرق ومراجعه. ولكن لنغير النَظرة قليلا ونقول أننَا نتوجه نَحو كِتابات الغَربيين لنعرف الصورة النمطية التي رسمت عن الشَّرق، لأن وكما يقال: معرفتنا بالغير تعزز معرفتنا بذَاتنا.

الخاتمة

الاستشراق تِلك الحركة الفِكرِية والحقل المعرِفِي الهادِف إلى دراسة الشَّرق من جميع مناحِيه، استغلتهُ الحكومة البرِيطانِية وجعلت مِنهُ مشرُوعًا سِياسِيا ذُو مدارِس مُختلِفة، ومعاهِد وجمعِياتٍ ومجلاتٍ تُعنى بدِراساتِه، بُغية خِدمةِ مصالِحِها وأهدافِها المُختلِفة. اِضطلع فِيهِ عددٌ مِن الرواد وعكفوا على تحقِيق المساعِي البرِيطانية، درسوا الشَّرق الذِي تجسَّد في الدولة العثمانيَّة وتبحروا فِيها دِراسة وواقعًا، فقصدوا مركز الحُكم والوِلايات، كرحالةٍ، أطِباء، مُنصِّرين، ضُباط عاينُوا الوضع عن كثبٍ ونقلُوه في مُذكراتهم وكُتبهم، أو كمُؤرِخين باحِثين عن أوراقٍ تاريخيةٍ في ثنايا أرشِيفها، مُخلفين بذلك مُلاحظاتٍ وانطباعاتٍ مُختلفةٍ حولها، ومُغالطاتٍ وافتراءاتٍ عدِيدةٍ في حقها.

بناء عليه، توصلت هذه الدِراسة لعددٍ من الاستنتاجات بخصوص الاستشراق البرِيطاني ورؤيته وملاحظَاته وانطباعَاته التي خلفها حَول عددٍ من قضايا الدولة العثمانيَّة الكائنة بين الربع الثاني للقرن الثامن عشر ولِغَاية مطلع القَرن العشرين، وكَانت كالتالي:

- في إطار توحيد الغَرب لجهوده ضد الشَّرق، لا يزال هذا الأَخير قابعا في تَحدِيد مفهوم واحد، ثابت ومتفق عليه حول الاستشراق، وحول كينونة المُستشرق.
- استَمرت الدِراسَات الاستشراقية الخادمة للكنيسة حتى مع مطلع العصور الحَدِيثة، وزاد من حدتها فتح العُثمانيين للقسطنطينية، الكشوف الجغرافية، الإصلاح الدِّيني، وظل مع ذلك كله الاستشراق فرديا وغير منظم.
- بدأ ظهور الاستشراق المنظم والمَدارِس الاستشراقية خِلال القَرن الثامن عشر، بعد أن أسست الحُكومَات الأوروبية الجمعيات والمجلات، ومن ثم المَعاهِد والمَدارِس وكراسي اللُغات التي تعنى بمثل هذه الدِراسَات. الأمر الذي سَاهمَ في ازدياد الاستشراق وتطوره بوتيرة سريعة خِلال القَرن الذي تلاه حتى أطلق عليه قرن النهضة الاستشراقية. أما خِلال القَرن العشرين فقد توجه المُستشرقون نَحو الدِراسَات الآسيوية والإفريقية بعيدا عن البلدان العَربية الإسلامية.

- بعد الأعمال التي قام بها المُستشرقون الأوائل عَلى اختلاف مَدارِسهم، وبِسَببِ كِتاباتهم المغرضة وما ألصق بالاستشراق من صفات التشويه والتزييف وخِدمَة الاستِعمار، سعى مستشرقو القَرنين التَّاسع عشر والعشرين إلى التَنصل من هذه التسمية، والتوجه نَحو الاعتماد عَلى المُصطلحات التالية بدلا عنه: "الاستِعراب"، "المستعرِب" و"المتخصص في الدِراسَات الإقليمية".
- استغلت الحُكومة البريطَانية الاستشراق ورُواده لخِدمَة مصالحها في الشَّرق، إما بصفة مباشرة أو غير مباشرة. فوجهت مُستشرقيها نَحوه، واستغلت الدِراسَات الدَّقِيقَة التي أجراها بَعضهم لرسم سياستها فيه.
- اهتمت بريطَانيا بمَنطِقة الخليج العَربي، مِصر، بلاد الشام والعِراق بِشكل كَبير لقربها من الهند، وهو ما يفسر كثرة الدِراسَات حولها إذا ما قورنت بأخرى.
- كرست الحُكومة البريطَانية عددا من المُستشرقين لتَحقيقِ أهدَافها الاستِعماريَّة، أين أرسلت الضُبَاط لتَحقيقِ الأهدَاف العسكرية والسِياسيَّة، والرَحالَة والجغرافيين لتقصي الآثار وأسماء المنَاطِق والمُدن، والدبلُوماسيين للتقرب من الأمراء والحكام والمُنصِّرين لتَنصِير المُجتَمعات.

درس هؤلاء المُستشرقون أوضاع المَنطِقة التي وجهوا إليها، كل حَسبَ الهدف الذي يسعى إليه، وخلف كل واحد منهم رأيه وملاحظاته في المواضيع المدروسة. والتي كَانت كالتالي:

- الخِلافة العثمانيَّة لا تعدو كونها مجرد خِلافة إسمية وحبر عَلى ورق، وما هي سوى سلطنةٍ ورثت نظم حكمها وتقالِيدِه من مُختَلف الحضَارات السَّابقة لها.
- انتحل سلاطينها الأوائل ألقاب الخِلافة وتلقبوا بهم ثم سيست هذه الألقاب مع السلاطِين الأواخر، لتفقد الخِلافة مكَانتها بعد تعارضها والسِياسَة البريطَانية الهَادِفة إلى جعل الهند مكان الخِلافة الأساسي.

- السلاطِين العُثمانيين والشَّخصِيات الفاعلة في الدولة العثمانيَّة ما هم في نَظرهم إلا أشخَاص غير أكفاء، سفهاء، ديكتاتوريين، يفتقدون للحنكة والنباهة وهذا كله لتعارُضِ أهدَافهم ومساعي الغَرب، فإن تماشت مع ما يصبوا إليه هذا الأَخير فهم أكفاء محنكون.
- السِياسَة العثمانيَّة سِياسَة ضعيفة سَاهمَت في انتِشار روح التمرد في الوِلايات العَربية، لِذلِك كان تدخل بريطَانيا في شؤون هذه المنَاطِق بغية صناعة الدُول الحَدِيثة والملوك.
- يروج أغلب المُستشرقين البريطانيين في كِتاباتهم إلى تخلف الشَّرق ورجعيته وعدم قدرته عَلى التحضر والتمدن وإلى ضرورة فرض دولة غَربية أكثر قوة منه سيطرتها عليه، ولم لا تكون هي بريطَانيا.
- استغلت الحُكومة البريطَانية الحَرب العالمية الأولى ووكلت المهام لمُختَلف ضُبَاطها المُستشرقين السَّابقي الذِّكر، من تأليب للعَرَب ضد الدولة العثمانيَّة، التقرب من الحكام، إغداقهم بالآمال والمال والسلاح إن لزم الأمر. فطبق هؤلاء السِياسَة البريطَانية بحذافيرها فجزئت القيادة العَربية بِسَببِ الرَغبَة في الحُكم والملك، وسقطت الخِلافة والدولة العثمانيَّة، وجزئت الوِحدَة العثمانيَّة تحت مسمى القومية إلى دويلات مستقلة واقعة تحت الهيمنة الغَربية.
- استغلت الحُكومة البريطَانية أو حتى الكَنيسَة الغَربية دِراسَات المُستشرقين ذوو الأهدَاف العِلمية لمعرفة المُجتَمعات الشَّرقية بِشكل أكثر دقة وبعيد كل البعد عن التزييف والتشويه.
- جُسدَت المَرأَة في عدد من الكتابات الاستشراقية البريطَانية بصورة مُشينَة، رُبطت فيها بالصور الخليعة والمشاهد الجنسية، وكان حديث أغلبهم يتمحور حول المومسات والغوازي والعري والحمامات العثمانيَّة.
- جَاءت كِتابات المُستشرقة **"ماري وورتلي مونتاجو Mary Wortley Montagu"** مقاربة للواقع أكثر من غيرها، بعد أن سمحت لها الفرص بدُخول قسم الحَريم

والاختلاط بالنسوة العُثمانيات عن كثب والكتابة عنهن. ولكن مصداقيتها في نقل المَعلُومَات لم تنف مساعدتها للكنيسة الغَربية أو خروجها من عالم الاستشراق.

- سَعَى عدد من المُستشرقين البريطانيين إلى التَّقليل من قيمة العالم العُثماني وما فيه، من نظم وتنظيمات، قضاء، تعليم، علماء، فَضلاً عن قيمة الفرد والمُجتَمع العُثمانيين. فجسد الأول بكونه موطن الأوبئة ومركزه الأصلي، وجسدت النُّظم وطرق التعلِيم بكونها تقليدية رجعية لا تضيف شيئا للمجتمع، فَضلاً عن أن الفرد العُثماني لا يجيد التعامل مع الفرد الغَربي، أما المُجتَمع فهو مجتمع أناني لا يعرف معنى الإنسانية.
- ضمت الكتابات الاستشراقية البريطَانية عددا من المُغالطَات، الافتراءات، التحريفات والتزييف في التَّاريخ العُثماني، جعلت هذا الأَخير يبدوا بصورة مُشينَة في نَظر الفرد الغَربي من أمثَال: نفي الأصالة عن الدولة العثمانيَّة بإثارتهم فكرتي أن الغَرب أصل كل شيء، وأن المَسيحِية أصل الأديان. بالإِضافَة لتركيزهم عَلى تجسيدها بصفتها العسكرية بِشكل دائم.
- ضرب أخلاق العُثمانيين ودينهم عَلى اختلاف طبقاتهم ووظائفهم كالعُلماء والأساتذة الذين جُسدوا بكونهم شخصيات غير لائقة.
- أغلب تَحلِيلاتهم للقضايا ذَات عَلاقَة بالدِّين الإسلامي، الدِّين المَسيحِي، وبطبيعة الصِّراع القائم بينهما.
- أغلب تركيزهم يصب على الثوابت في الشريعة والدين الإسلامي.
- ركز عدد من المستشرقين على إبراز الفروق بين المسيحي والمسلم، وعلى فكرة الإهمال العثماني لمختلف الملل والطوائف التابعة لها.
- أغلب الكتابات الاستشراقية المدروسة انتهج أصحَابا مَناهِج غير صَحيحة، فَضلاً عن نقلهم للشاذ من الرِوايَات، وتطويعها وفق ما يلائم طرحهم.
- سَعَى عدد من المُستشرقين إلى إعطاء معلومات منقوصة عند معالجته لقَضِيَّة ما، عَلى أن يذكرها في سِياق قَضِيَّة أخرى. ولكن هذا ليس من باب إتمام الأولى ولكن

القَضِيَّة الثانية تتطلب ذلك الشرح، ما يجعل كِتاباتهم يعتريها النقص والإخِلال، وهو أمر موجود بكثرة في كِتابات المُستشرق "**برنارد لويس Bernard Lewis**".

- لعل الصفة المشتركة بين الكتابات الاستشراقية البريطَانية المُختَلفة الزمان والمكان هي سعي المستشرقين الجاد لمواصلة تحقيق الأهداف التي بدأها من قبلهم، محاولاتهم المتكررة لترسيخ فِكرَة القدرة البريطَانية في تسيير الأحدَاث الدُولية والعالمية بأوجه متعددة فهي صانعة الدُول الحَدِيثة، صاحبة القرار، صانعة الملوك، المنَظرة في شؤون الدولة العثمانيَّة الداخلية، فَضلاً عن أن هُناك عددا من الشَّخصِيات العثمانيَّة التي تحاول بجهودها المتواصلة كسب التعاطف والتأييد البريطاني.
- كِتابات المُستشرقين البريطانيين بها نوع من التوارث في المَعلُومَات فكل واحد يعتمد عَلى معلومات من سَبَقه، بغض النَظر عن المَعلُومَات المكتسبة من البيئة والتي تؤدي إلى حتمية توارث الأفكَار واندراجها ضمن سِياق واحد قاض بالرفض الغَربي للشرق.
- كان الاستشراق بجَمِيع مَدارِسه ومؤسساته ورُواده وبالا عَلى العالم العُثماني أكثر من كونه في صالحها، والدليل في هذا واضح وجلي للعيان ولكل من يرغب في التأكَّد ما عليه سوى الخوض في غماره والبَحث والتقصي في دِراسَات رُواده.
- مع ذلك كله؛ يظل الاستشراق مصدرا خصبا وهاما يُمكننا من معرفة الصورة التي جسدها الغَرب عن الشَّرق ومواقفه ومساعيه ومُختَلف أهدَافه منه. والتي لابد له من الإحاطة والإلمام بها حتى نتمكن من تجسيد صورة متكاملة عن مُختَلف الوقَائِع التَّاريخية.

في النِهاية، إنَّ المُطلِّع عَلى كتب المُستشرقين عامة وعَلى البريطَانية عَلى وجه الخصوص يتحتم عليه توخي الحذر في القراءة مع الأخذ بمبدأ الشك وعدم التصديق لكل ما ورد في كِتاباتهم، خَاصة بحكم حالة السخط والكراهية التي يكنها الغَرب للشرق وللإسلام قبله والتي أخذت صورا عَدِيدة عَلى مر الزمان. وأن يسعى كبَاحث إلى الاستغناء عن هاته الكتابات واستبدالها بالمصادر المحلية الخَاصة بالتَّاريخ العُثماني وبمراجعه

الأَساسِية، وإن تحتم عليه العودة لمثلها فعليه أن يسعى جاهدا لاستجلاء المَعلُومَات الصَحيحة منها، ومن ثم مقارنتها بما ورد في الكتابات التَّاريخية السَّابقة الذِّكر وأقصد بذلك المصادر والمراجع.

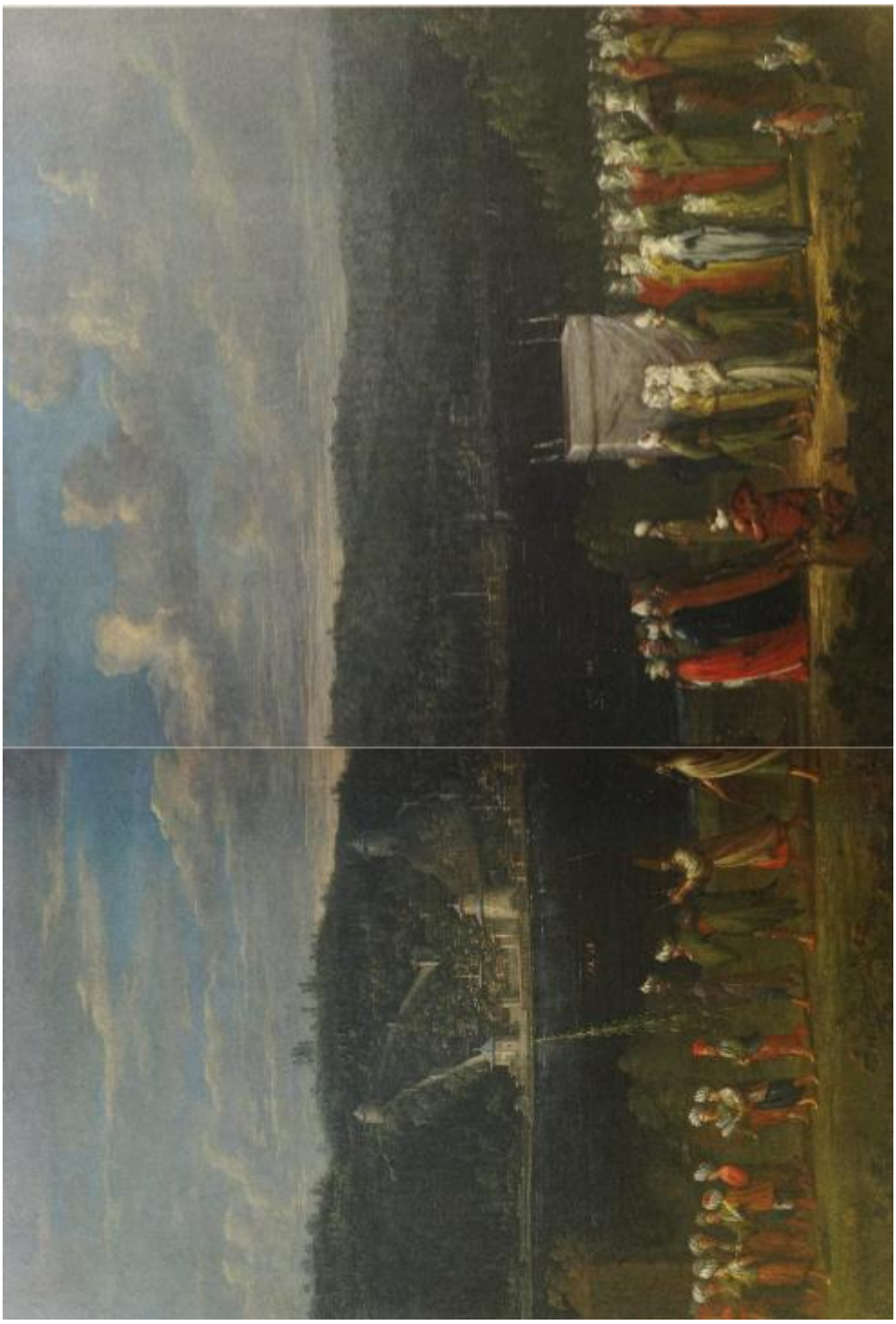
الملاحق

الملحق الأول



لوحة تجسد منظر العاصمة استنبول من رسم مستشرق غير معروف، معنونة بـ " View of Istanbul in Eighteenth century". للمزيد أنظر: Olga Nefedova, Op cit, pp 152- 153.

الملحق الثاني



لوحة تجسد منظرين الأول يخص العاصمة العثمانية في البسفور والثاني يجسد مشهد عرس عثماني. جاءت تحت عنوان: "Wedding Procession on The Bosporus" للمزيد أنظر: Olga Nefedova, Op cit, pp 108- 109.

الملحق الثالث



صور للمُستشرقين البريطانيين من فئة الأساتذة والمُؤرخين الذين تم الاعتماد عَلى بَعض من كِتاباتهم في هذه الدراسة، أخذت من مواقع أجنبية وجمعت في صورة واحدة. للمزيد أنظر:

Alamy Stock Photo, **"Gertrude Bell. Portrait of The English Writer, Traveller, Political officer, Administrator and Archaeologist, Gertrude Margaret Lowthian Bell (1868- 1926)"**, 09-12- 2024, 13 :18 **.** (**https://linksshortcut.com/yOtBa**). See as well : Encyclopedia Britannica, **"David George Hogarth British Archaeologist"**, 09- 12- 2024, 13 :41. (**https://www.britannica.com/search?query=david+george+hogarth**). **See as well :** Alamy Stock Photo, **"Sir Edward Shepherd Creasy", 09- 12- 2024, 13 :36. (https://linksshortcut.com/RHYwy). See as well :** Alamy Stock Photo**,"Historian Arnold J. Toynbe",** 09-12- 2024, 13 :30. (**https://linksshortcut.com/rizvD**). **See as well :** Alamy Stock Photo, **"Bernard Lewis"**, 09-12- 2024, 13 :25. (**https://linksshortcut.com/CcXoW**).

الملحق الرابع



"آن بلنت **Anne Blunt**"
(1917- 1837)



"ويليام جيفورد بالجريف **William Gifford**
"Palgrave
(1888- 1826)

صور مُستشرقين من فئة المُنصِّرين أخذت من مواقع أجنبية وجمعت في صورة واحدة. للمزيد أنَظر:

Alamy Stock Photo, "Palgrave Gifford Stock Photos and Images", 08- 12- 2024, 20 :49. (**https://www.alamy.com/stock-photo/palgrave-gifford.html?sortBy=relevant**). See as well : Alamy Stock Photo, **"Anne Blunt Stock Photos and Images"**, 08- 12- 2024, 20 :51. (**https://www.alamy.com/stock-photo/anne-blunt.html?sortBy=relevant**).

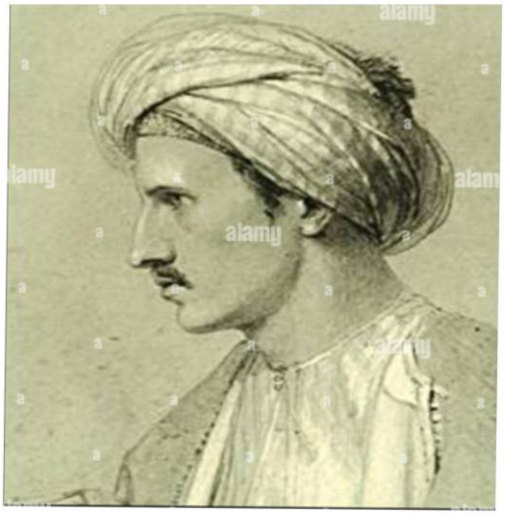
الملحق الخامس



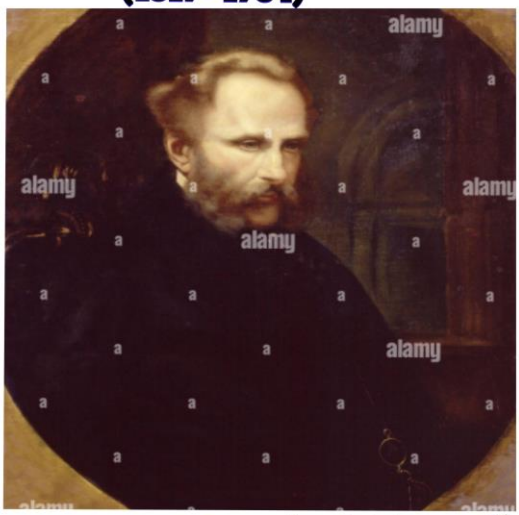
"Mary Montagu ماري مونتاجو"
(1762- 1689)



Jean Louis جون لويس بوركهارت"
"Burckhardt
(1817- 1784)



"Edward William Lane إدوارد وليم لين"
(1876- 1801)



Alexander William ألكسندر وليام كينغلك"
"Kinglake
(1891- 1809)

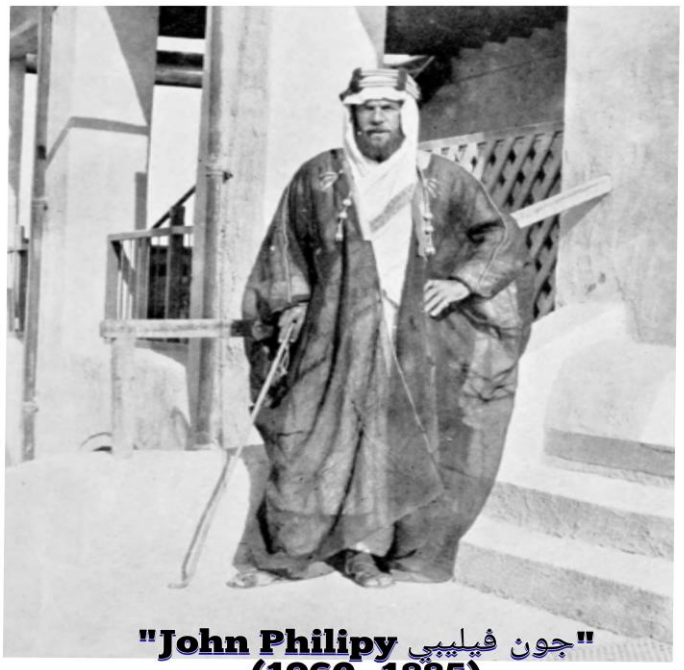
صورة مركبة جُمِعَت فيها صور المُستشرقين الرّحالَة المعتمد عَلى بَعض من كِتاباتهم لإجراء هذه الدِراسة. للمزيد أنَظر:

Alamy Stock Photo, **"Mary Wortley Montagu, English Author and Poet"**, 09- 12- 2024, 14 :11. (**https://linksshortcut.com/igQXV**). See as well : Jordi Canal-Soler, **"Burckhardt : les aventures d'un Suisse en Orient",** Le Monde Histoire and Civilisations, Publié le 04- 04- 2023, 09- 12- 2024, 14 :14. (**https://www.histoire-et-civilisations.com/thematiques/epoque-contemporaine/burckhardt-les-aventures-dun-suisse-en-orient-86404.php**). **See as well :** Alamy Stock Photo, **"Edward William Lane"**, 09- 12- 2024, 14 :17. (https://linksshortcut.com/ARWhb). **See as well :** Alamy Stock Photo, **"Alexander William Kinglake",** 09- 12- 2024, 14 :22. (**https://linksshortcut.com/Ottay**).

الملحق السادس



"Stanley Lane Poole ستانلي لين بول"
(1931- 1854)



"John Philipy جون فيليبي"
(1960- 1885)



"Harold F. Jacob هارولد فيتون جاكوب"
(1936- 1866)



"Thomas Lawrence توماس لورانس"
(1935- 1888)

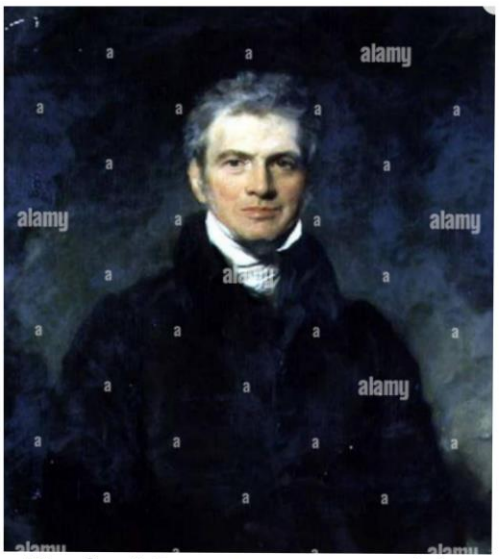


"John B. Glubb جون باجوت غلوب"
(1986- 1897)

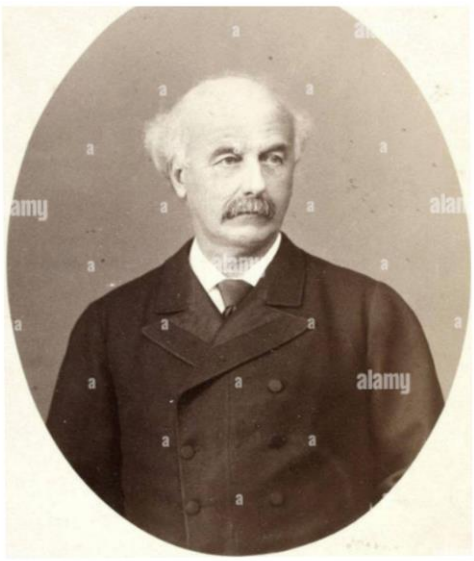
صور للمُستشرقين الضُبَاط جمعت من مواقع أجنبية وركبت في صورة واحدة. للمزيد أنَظر:

Encyclopaedia Britannica, **" Harry Saint John Bridger Philiby"**, 09- 12- 2024, 13 : 50. (**https://www.britannica.com/biography/H-Saint-John-Philby**). See as well : Alamy Stock Photo, "**Stanley Lane Poole**", 12- 12- 2024, 20 :16 (**https://linksshortcut.com/DqPBR**)**.** See as well **:**My Jacob Family, **"Lieutenant –Colonel Harold Fenton Jacob CSI, Officer of The Legion of Honour"**, 12- 12- 2024, 20 :17.(**https://www.myjacobfamily.com/favershamjacobs/haroldfentonjacob.htm**)**. See as well:** Alamy Stock Photo, **"England : T. E. Lawrence (16 August 1888- 19 May 1935)",** 09- 12- 2024, 14 :01. (**https://linksshortcut.com/LhEKJ**)**. See as well :** Alamy Stock Photo, **"Mar. 02. 1956 – Jordan's King Sacks Glubb Pasha",** 09- 12- 2024, 14 :04. **(**https://linksshortcut.com/oDZRO).

الملحق السابع



Harford Jone هارفرد جونز بريدجز"
"Brydges
(1847- 1764)



"Lewis Pelly لويس بلي"
(1892- 1825)





"Gerald de Gaury جيرالد دي غاوري"
(1984- 1897)

صورة مركبة جَمَعَت صور المُستشرقين من فئة الدبلُوماسيين أخذت من مواقع أجنبية. للمزيد أنَظر:

Alamy Stock Photo, **"Brydges Jones Stock Photos and Images",** 06- 12- 2024, 09 :00. (**https://www.alamy.com/stock-photo/brydges-jones.html?sortBy=relevant**). **See as well:** Karen Stapley, **"A Portrait of Sir Lewis Pelly"**, Qatar Digital Library, 2014. (https://www.qdl.qa/en/portrait-sir-lewis-pelly). **See as well:** Andrew Doig, **"Lt. Col Gerald de Gaury MC 1897- 1984"**, Kemptown Estate Histories,22 April 1869. (https://www.kemptownestatehistories.com/sussex-square/house-histories/18)

ملحقات

تعليمات

القسم السري

إلى الكابتن سادلير ،

سيدي ١ ـ نظراً لأن الشريف حاكم المجلس رأى أنه من الضروري تكليف ضابط ، بمهمة إيصال رسالة سرية من سعادة النبيل الأعظم الحاكم العام إلى سعادة إبراهيم باشا (ابن باشا مصر) الذي يقود في هذه الآونة الجيش التركي المستخدم في الجزيرة العربية ضد نفوذ الوهابيين المقيمين في الساحل الغربي للخليج وللاتفاق على الترتيبات الضرورية مع سعادته بهدف سحق ذلك النفوذ بشكل كامل فإن لي الشرف أن أعلمكم بما يلي :

نظراً للثقة العظيمة التي يضعها الشريف في حصافتكم وتعقلكم فإنه قد سُرَّ بأن يعهد إليكم بهذه المهمة .

٢ ـ سبق لعلمكم أن سعادة إبرادهيم باشا قد حالفه الحظ قبل أشهر معدودة مضت في السيطرة على درعية والقبض على سلطان بن سعود[1] زعيم الوهابيين الأول ، وأن سعادته تابع انتصاراته حتى شواطئ الخليج عازماً ، كما هو معتقد ، على إبادة قبائل القرصنة نتيجة للأعمال الوحشية التي ارتكبوها بحق رعايا الباب العالي للدولة العثمانية ، ولسوء الحظ أن هذه الوحشيات لم تقتصر على هؤلاء بل

---

(١) عبد الله بن سعود .

امتدت إلى دول أخرى على هذا الجانب من الهند . يرغب الحاكم العام من وراء إنجاز هذا الهدف أن يُعلِم سعادته بتأييد الحكومة البريطانية له ومساعدتها إياه ، لذلك هي تواقة إلى إجراء اتصالات مع إبراهيم باشا بغرض أخذ العلم من سعادته عن الطريقة المثلى التي يمكن أن تطبقها قواتنا العسكرية البرية والبحرية للانضمام إلى الجيش التركي بقصد تسهيل عمليات سعادته نحو الجواسيين ولكي تُوجه إليهم العقوبة التي تستحقها تلك الوحشيات ، كما تستحق زيارة قواتنا طالما ترتكب مثل تلك الجرائم الفريدة من نوعها .

٣ ـ لاشك أنك ستكون سعيداً في إبحارك على متن طراد الشركة الموقرة المسمى (ثيتيس) حيث وجهت التعليمات إلى قائده باستقبالك ونقلك إلى أحد الموانئ الواقعة على الخليج والخاضعة للقوات التركية وربما يكون هذا الأمر ملائماً لك ومنسجماً مع المعلومات التي قد تتمكن من الحصول عليها في مسقط لتساعدك على القيام باتصال سريع مع إبراهيم باشا وأنه لدى مقابلتك لسعادته عليك أن تقدم له الرسالة المذكورة آنفاً مع السيف المعد لسعادته ، بالإضافة إلى رسالة من الشريف بحق صاحب الرئاسة تحمل عنوان سعادته ، والتي توجد نسخ عنها باللغة الإنكليزية واللهجات المحلية ، وقد وجّهت إليك هذه الرسالة لأحيطك علماً بذلك .

٤ ـ إذا كان سعادة إبراهيم باشا راغباً في الاستفادة من المساعدة البريطانية ، وهذا أمر قد يكون شبه مؤكد ، فإنه سيُجري مباحثات معك بكل رحابة صدر لبحث الخطط التي ربما يكون قد هيأها ، وأنت مفوض في أن تؤكد لسعادته أن الوقت قد يكون مواتياً للتعهد بإجراء عمليات من هناك بعد انتهاء الرياح الموسمية مباشرة ، وسنكون على استعداد لإرسال سفن حربية وقوات عسكرية كافية إلى الخليج للتعاون مع سعادته في إخضاع رأس الخيمة بحيث تعود بعد أداء مهمتها وتبقى المنطقة محتلة من قبل قوات الجيش التركي ، بالإضافة إلى أنه

ينبغي على سعادته أن يوزع قوات ذات كفاءة عالية لتخدم في تغطية الحصار .

٥ ـ إذا كان سعادته مخطيطاً للقيام بفتوح أخرى فإنه لن يكون من الضروري بالنسبة لك أن تعطي أي عهد عن الحكومة البريطانية لتأمين أية ضمانات لفتوح من هذا القبيل دون تلقي تعليمات أخرى من الحكومة .

٦ ـ ستسعى خلال إقامتك مع سعادته إلى التحقق من امتداد ومواصفات القوات التابعة لسعادته ومن مدى وطبيعة المساعدة التي يفكر في الحصول عليها من الحكومة البريطانية .

٧ ـ نظراً لضرورة زيارتك مسقط وأنت في طريقك إلى الخليج ، فإنك ستقوم عند نزولك في ذلك المكان بالتماس مقابلة مع الإمام تطلعه بها على طبيعة الاتصالات التي فوضناك بفتحها مع إبراهيم باشا ، وبنفس الأسلوب ستتحقق من معاليه عن طبيعة ومدى المساعدة التي يتمكن من تقديمها لتطهير موانئ القرصنة .

٨ ـ يطلب مني رئيس المجلس أن أبلّغك معلومات عن نسخة من رسالة كتبها لمعالي الإمام وسترسل إليك النسخة الأصلية عنها قبل انطلاقك لإعلامه عن المهمة التي عهد بها إليك ، بالإضافة إلى نسخة عن رسالته الخاصة لمعاليه التي أرسلها في الخامس عشر من كانون الثاني مع خلاصة رسالة من الكابتن تايلور في مسقط مؤرخة في التاسع والعشرين من نفس الشهر .

٩ ـ ستسعى خلال سكناك في المخيم التركي بأقصى ما يمكنك من مراعاة لذوق الباشا ومشاعره إلى التحقق من أفكاره بالنسبة لمواصلة فتوحه على الشواطئ العربية من الخليج دون إظهار أي اهتمام محسوس بالموضوع .

١٠ ـ ستجمع أيضاً كل ما يمكن من معلومات فيما يتعلق بطبيعة ومصادر المنطقة ، وأعداد وامتداد البلدان التي في الداخل ، وكذلك بالنسبة لأية نقاط ترى أنها ذات أهمية من ناحية كونها مرتبطة ببلد معروف على نطاق ضيق جداً كهذا .

١١ ـ بعد إنهائك لجميع خططك وحصولك على هذه المعلومات من سعادته ـ وهي المعلومات التي ربما يرى أن من مصلحته نقلها إلى سعادة الحاكم العام أو لرئيس المجلس ـ ستعود إلى هذا المكان وأول عمل تقوم به هو إيضاحك للضابط المسؤول عن سفن جلالته وسفن الشركة الموقرة المستعملة في الخليج وعن الخطط التي يحتمل أن تكونوا قد اتفقتم عليها ، فلعله يتمكن من تنظيم مخططه لتعزيز الإجراءات التي ربما سبق تقريرها من أجل بلوغ الأهداف التي تبادلنا الرأي من أجلها .

١٢ ـ يَسُر الحاكم أن يسمح لك بسحب مبلغ ثمانمائة روبية كدخل شهري خاص بك خلال إقامتك بهذه المهمة اعتباراً من أول الشهر الجاري ، كما عليك أن تسجل نفقاتك بكل دقة إذ يتوجب عليك أن تكون حريصاً على تحديدها ضمن أضيق ما يمكن من حدود .

١٣ ـ أُطْلِعَ المندوب السامي في بوشير والمندوب السامي في بصرة على مهمتك الموجهة إلى المعسكر التركي وأمرا بأن يقدما لك أية مساعدة ربما تحتاجها ، فادن من ذينك الضابطين بطريقة مناسبة ، إذ ربما تجد ذلك الأمر عملياً جداً وملائماً من أجل اعتماداتك المالية الأساسية لمواجهة نفقاتك .

١٤ ـ هُيئت مجموعة من الهدايا من أجل الضباط الأتراك الذين يُتوقع أن تلتقي بهم في طريقك والذين يمكن أن يساعدوك خلال تقدمك لدخول المعسكر التركي والخروج منه . كما ينبغي عليك أن تحتفظ بخط الرجعة فتدون أسماء الأشخاص الذين قدمت لهم الهدايا ، فإذا لم تجد مناسبة للتوزيع أرسل ماتبقى منها إلى المستودع لدى عودتك إلى بومباي .

توقيع : نيونهام

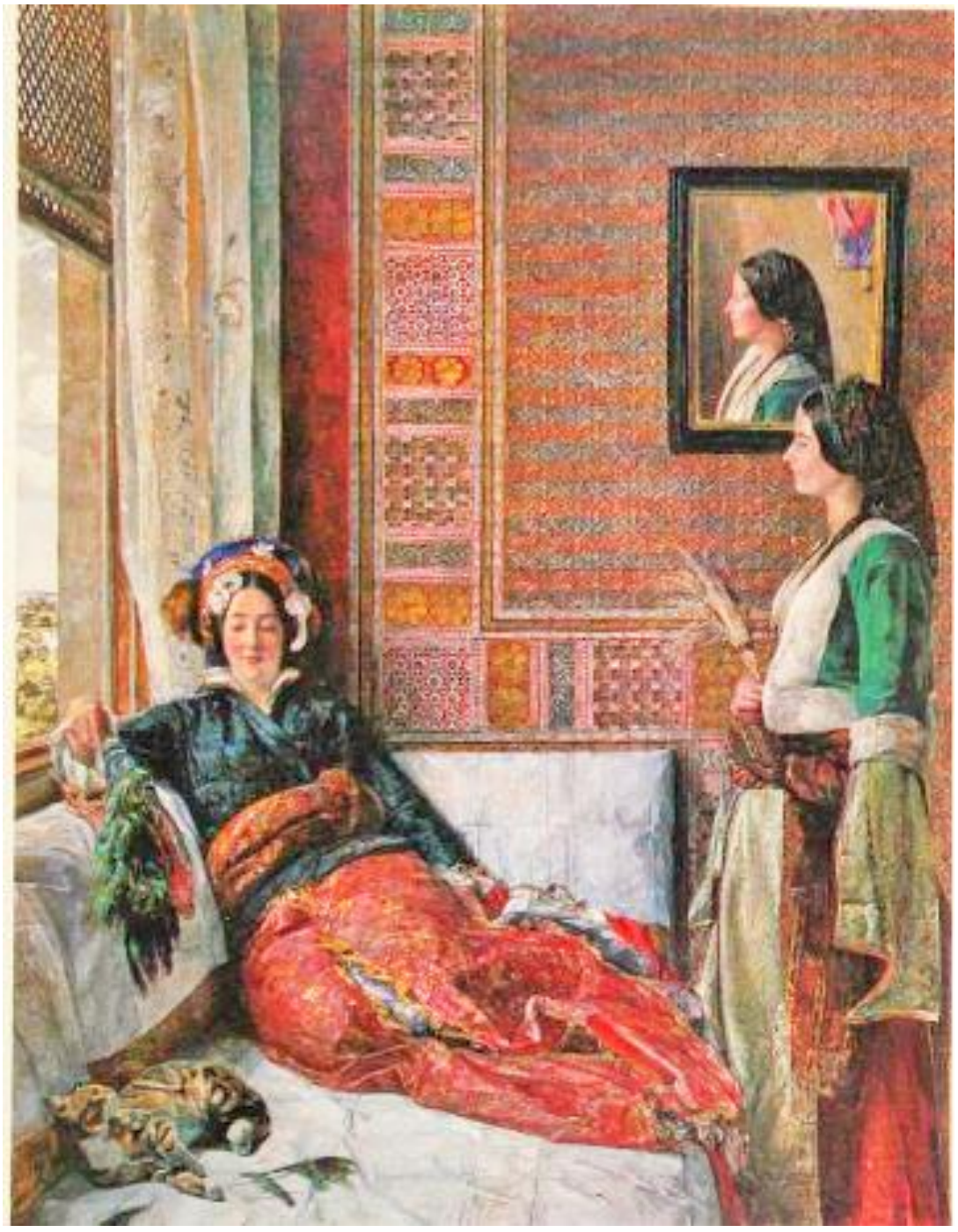
وظيفته : السكرتير الأول

قلعة بومباي ، ١٣ نيسان (أبريل) ١٨١٩

ـ ١٥٩ ـ

رسالة موجهة من الحُكومة البريطَانية إلى المُستشرق والضَابط البريطاني جورج فورستر سادلير توضح المهام التي كلف بالقِيام بها والمتمثِّلَة في تقديم مساعدات لإبراهيم باشا في حال طلب ذلك، وجمع مُختَلف المَعلُومَات اللازمة عن المَنطِقة. للمزيد أنظر: جورج فورستر سادلير، مذكرات عن رحلة عبر الجَزِيرة العَربية خِلال عام 1819م، تر، أنس الرفاعي، تق، عباس منصور، الهيئة المِصرية العامة للكِتاب، القاهرة، مِصر، 2013م، ص ص156 -158.

الملحق التاسع



صورة تجسد واقع الحريم في إستنبول لسنة 1857م من رسم المستشرق "**جون فريديريك لويس John Frederick Lewis**" ووضعها تحت مسمى Constantinople -Hareem Life. للمزيد أنظر:

Michelle Verrier, The Orientalists, 01 Pub, Rizzoli, New York- US, 1979, P 79

الملحق العاشر



صورة لأحد المستشرقين الرسامين تجسد واقع حريم القرن التاسع عشر، موسومة بـ: The Harem in nineteenth Century، للمزيد أنظر:

Olga Nefedova, Op cit, p 64.

الملحق الحادي عشر



"Sophia Lane Poole صوفيا لين بول""julia sophia pardoe جوليا صوفيا باردو"
(1891- 1804) (1862- 1806)

صورة مركبة جمعت صورتي الرحالتين البريطانيتين **"جوليا صوفيا باردو Julia Sophia Pardoe"** و**"صوفيا لين بول Sophia Lane Poole** أخذتا من مواقع أجنبية. للمزيد أنظر:

Alamy Stock Photo,**"Sophia Lane Poole, (1804- 1891) was an English Orientalist"**, 08- 12- 2024, 20 :43. (https://linksshortcut.com/vkmqQ). See as well: **Pardoe Julia. The Beauties of the Bosphorus –illustrated in a Series of Views of Constantinople and its Environs**, Loli Vingopoulou, 04-08-2024, 22 :54, https://eng.travelogues.gr/collection.php?view=225

الملحق الثاني عشر



صورة جسدها المستشرق الرسام "**جون فريديرك لويس John Frederick Lewis** " المرأة عثمانية خلال القرن التاسع عشر تستقبل زوارها بناء على تخيلاته، وضعها تحت عنوان: "A Lady Reciving Visitors- The Reception". للمزيد أنظر: Nicholas Tromans et al, Op cit, p 25.

البيبليوغرافيا

أولا - المصادر

1- الأرشيف

01 Archives Hub, Middle East Centre Archive, St Antony's College, Cambridge University Library, GB 12 MS Add. 7633, Alexander William Kinglake Letters and Papers. (http://archiveshub.jisc.ac.uk/data/gb12-msadd.7633).

02 Archives Hub, Middle East Centre Archive, St Antony's College, University of Oxford, GB 165 0023, Bell Gertrude Margaret Lowthian (1868-1926) Traveller, Archaeologist and Government Officialm, 1966. (http://archiveshub.jisc.ac.uk/data/gb165-0023).

03 Archives Hub, Middle East Centre Archive, St Antony's College, University of Oxford, GB1650033, Harold Bowen Collection, 1957. (http://archiveshub.jisc.ac.uk/data/gb165-0033)/

04 Archives Hub, Royal Asiatic Society Archives, GB 891 RAS BMM /13, 1969- Brigadier Stephen Hemsley Longrigg, 1969. (https://archiveshub.jisc.ac.uk/search/archives/7690ac8e-544e-3f7f-9f71-88f7be33a7dc?component=00a23258-a678-34f7-a8ed-9ddc2351d32f).

2- الكتب

01 أرسلان شكيب، **خلاصة تَاريخ الدولة العثمانيَّة**، تع ومرا، أحمد المنزلاوى، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، مِصر، 2019م

02 ابن الحسين عبد اللّٰه، **مذكراتي**، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثَّقافة، القاهرة - مِصر، 2012م.

03 ابن غنام حسين، **تَاريخ نجد**، تح، ناصر الدِّين الأسد، ط04، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1994م.

04 التفتازاني سعد الدِّين، **شرح المقاصد**، تح، عبد الرحمن عميرة، ج05، ط02، عالم الكُتب، بيروت، لبنان، 1998م.

05 الجبرتي عبد الرحمن، **عجاب الآثار في التراجم والأخبار**، ج01، د.ط، المطبعة العامرة، مِصر، 1322هـ.

06 جودت باشا أحمد، **مَجلّة الأحكام العدلية –فقه المعاملات في المذَهبَ الحنفي**، ط01، دار ابن حزم، بيروت –لبنان، 2004م.

07 حاجي خليفة، **تَاريخ ملوك آل عثمان –فذلكة أقوال الأخيار في علم التَّاريخ والأخبار**، تح، تق، سيد محمد السيد، د.ط، د.د، د.ب، د.ت.

08 الخالدي محمد روحي، **الانقلاب العُثماني وتُركيا الفتاة**، د.ط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2014م.

09 رشيد رضا محمد، **الخِلافة**، د.ط، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مِصر، 2015م.

10 الرمال ابن زنبل، **آخرة المماليك أو واقعة السُّلطَان الغوري مع سليم العُثماني**، تح، عبد المنعم عامر، ط02، الهيئة المِصرية العامة للكِتاب، مِصر، 1998م.

11 الريكي حسن بن جمال بن أحمد، **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب**، تح، عبد اللّه صالح العثيمين، د.ط، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العَربية السعودية، 2005م.

12 ستودارد لوثروب، **حاضر العالم الإسلامي**، تع، عجاج نويهض، مج03، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة –مِصر، 1352هـ.

13 صبري مصطفى، **الأسرار الخفية وراء إِلغَاء الخِلافة العثمانيَّة دِراسة حول كِتاب النكير عَلى منكري النعمة من الدِّين الخِلافة والأمة**، تق، مصطفى حلمي، ط01، دار الكُتب العِلمية، بيروت –لبنان، 2004م.

14 طاشكبري زاده، **الشَّقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانيَّة**، د.ط، دار الكتاب العَربي، بيروت –لبنان، 1975م.

15 عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السِياسيَّة 1891 –1908م**، ط02، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م.

16 الغزالي أبو حامد، **إحياء علوم الدِّين**، ج02، د.ط، مكتبة كرياطة فوترا، إندونيسيا، د.ت.

17 **القانون الأساسي**، المطبعة الأدبية، بيروت، 1908م.

18 القلعاوي مصطفى الصفوي، **صفوة الزمان فيمن تولى عَلى مِصر من أمير وسُلطَان**، تح، محمد عمر عبد العزيز عمر، د.ط، دار المَعرِفة الجامعية، الإسكندرية -مِصر، 2006م.

19 القلقشندي أحمد بن عبد الله، **مآثر الإنافة في معالم الخِلافة**، تح، عبد الستار أحمد فراج، ج01، ط01، عالم الكُتب، بيروت، 1964م.

20 كاتب جلبي مصطفى بن عبد الله، **كشف الظنون عن أسامي الكُتب الفنون**، مج01، تع، محمد شرف الدِّين، د.ط، دار إحياء التراث العَربي، بيروت -لبنان، د.ت.

21 كرد علي محمد، **خطط الشام**، د.ط، المطبعة الحَدِيثة، دِمشق، 1925م.

22 الكرمي مرعي بن يوسف، **نزهة الناظرين في تَاريخ من ولى مِصر من الخُلفَاء والسلاطِين**، تح، أميرة فهد محمد دبابسة، د.ط، د.د، د.ب، د.ت.

23 مانجو أندرو، **أتاتورك -السيرة الذَاتية لمؤسس تُركيا الحَدِيثة**، تر، عمر سعيد الأيوبي، ط01، دائرة الثَقافة والسياحة، أبو ظبي، 2018م.

24 الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، **الأحكام السُّلطَانية والوِلايات الدِّينية**، تح، أحمد مبارك البغدادي، ط01، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م.

25 مدحت باشا، **مذكرات**، تع، يوسف كمال بك حتاته، ط01، مطبعة هندية، مِصر، د.ت.

26 نور رضا، **أتاتورك ورفاقه ونِهاية العُثمانيين**، تح، أحمد عبد الوهاب الشَّرقاوي، ط01، دار البشير للثَقافة والعلوم، القاهرة -مِصر، 2020م.

3- المجلات والمقَالات

01 جرجي زيدان، **"أشهر الحوادث وأعظم الرجال -مدحت باشا أبو الأحرار"**، مَجلَّة الهلال، م17، ج04، (01 يناير 1909 -/ 08 ذي الحجة 1326هـ).

02 رشيد رضا محمد، **ثورة فِلسطِين أسبابها ونَتائِجها -1-**، مَجلَّة المنار، م30، ج05، (جمادى الأولى 1348هـ/ نوفمبر 1929م).

// ، **ثورة فِلسطِين أسبابها ونَتائِجها -2-**، مَجلَّة المنار، م30، ج06، (30 جمادى الآخرة 1348هـ/ 01 ديسمبر 1929م).

ثانيا - مؤلفات المُستشرقين

1- المعربة

01 أركون محمد، رودنسون مكسيم وآخرون، **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه**، تر، هاشم الصالح، ط02، دار الساقي، بيروت -لبنان، 2000م.

02 آرنولد توماس، **الخِلافة تَاريخ الحَضارة الإسلامية حتى آخر العهد العُثماني**، تر، محمد شكري العزاوي، غانم النقاش، ط01، الوراق للنشر، بغداد، 2016م.

// ، **الدعوة إلى الإسلام**، تر، حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النجراوي، ط02، مكتبة النهضة المِصرية، مِصر، 1970م.

03 انتيس جون، **مذكرات رَحالَة عن المِصريين وعاداتهم وتقاليدهم في الربع الأَخير من القَرن الثامن عشر من خِلال وصف الرَحالَة جون انتيس (1782لمح1770)**، تر وتع، أحمد علي الناصري، د.ط، المجلس الأعلَى للثَقافة، مِصر، 1997م.

04 إيرفينغ واشنطن، **الحمراء**، تر، هاني يحي نصري، ط01، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1996م.

05 باتريك ماري ميلز، **سلاطين بني عثمان الخمسة**، ط01، تر، مركز المؤسسة، الدار العَربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2011م.

// ، **صفحات من تَاريخ تُركيا الاجتِماعي والسياسي والإسلامي**، ط01، مؤسسة عز الدِّين، بيروت -لبنان، 1986م.

06 بارت رودي، **الدِراسَات العَربية والإسلامية في الجَامِعات الألمانية**، تر، مصطفى ماهر، د.ط، المركز القومي للترجمة، القاهرة -مِصر، 2011م.

07 بالجريف وليم جيفورد، **وسط الجَزِيرة العَربية وشرقها**، تر، صبري محمد حسن، ج02، د.ط، المجلس الأعَلى للثَقافة، مِصر، 2001م.

08 بريدجز هرفرد جونز، **موجز لتَاريخ الوهابي**، تر، عويضة بن متيريك الجهني، ط01، دارة الملك عبد العزيز، الرياض -المملكة العَربية السعودية، 2005م.

09 بلنت آن، **الحج إلى نجد**، تر، صبري محمد حسن، تق، رؤوف عباس حامد، ج02، المركز القومي للترجمة، مِصر، 2007م.

10 بلي لويس، **رحلة إلى الرياض**، تر وتح، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، عويضة بن متيريك حامد الجهني، ط01، مطابع جَامعَة الملك سعود، المملكة العَربية السعودية، 1991م.

11 بوركهارت جون لويس، **العَادات والتَقَالِيد المِصرية من الأمثَال الشعبية في عهد محمد علي**، تر، إبراهيم أحمد شعلان، ط03، الهيئة المِصرية العامة للكِتاب، مِصر، 2000م.

// ، **ترحال في الجَزِيرة العَربية**، تر، صبري محمد حسن، مرا، محمد صابر عرب، ط01، المركز القومي للترجمة، مِصر، 2007م.

// ، **ملاحظات عن البدو والوَهَّابيين**، تر، صبري محمد حسن، مرا، محمد صابر عرب، ط01، المركز القومي للترجمة، مِصر، 2007م.

12 بوزورث كليفورد إدموند، **الأسرات الحاكمة في التَّاريخ الإسلامي - دراسة في التَّاريخ والأنساب**، تر، حسين علي اللبودي، مرا، سليمان إبراهيم العسكري، ط02، مؤسسة الشراع العَربي، الكويت، 1995م.

13 بول صوفيا، **حريم محمد علي باشا**، تر، عزة كرارة، ط01، سطور، مِصر، 1999م.

14 بيرين جاكلين، **إكتشاف جَزِيرة العَرب خمسة قرون من المغامرة والعلم**، تر، قدري قلعجي، تق، الشيخ حمد الجاسم، د.ط، دار الكاتب العَربي، د.ب، د.ت.

15 بيل غيرترود، **أوراق منسية من تَاريخ الجَزِيرة العَربية**، تر، عطية بن كريم الظفيري، نشر الجريدة الكويتية، د.ب، د.ت.

16 توماس لويل، **مغامرات مع لورنس في جَزِيرة العَرب قصة الثَّورَة العَربية الكبرى 1916-1918م**، تر، أحمد إيبش، ط01، هيئة أبو ظبي للسياحة والثَّقافة، الإمارات العَربية المتحدة، 2013م.

17 توينبي أرنولد، **تَاريخ البشرية**، تع، نقولا زيادة، د.ط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2004م.

// ، **مختصر دِراسة للتَّاريخ**، تر، فؤاد محمد شبل، مرا، محمد شفيق غربال، تق، عبادة كحيلة، د.ط، المركز القومي للترجمة، القاهرة -مِصر، 2011م.

18 ثورنتون لين، **النساء في لوحات المستشرقين**، تر، مروان سعد الدين، ط01، دار المدى، دمشق -سوريا، 2007م.

19 جب هاملتون، باون هارولد، **المُجتَمع الإسلامي والغَرب**، تر، أحمد إيبش، ط01، دار الكُتب الوطنية، أبو ظبي -الإمارات العَربية المتحدة، 2012م.

20 جب هاملتون، شاو ستانفورد وآخرون، **دِراسَات في حَضارة الإسلام**، تر، إحسان عباس وآخرون، ط03، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.

21 دي غاوري جيرالد، **حكام مكة**، تر، محمد شهاب، مرا، محمد علي سويد، ط01، مكتبة مدبولي، مِصر، 2000م.

22 دينيه ناصر الدِّين، **أشعة خَاصة بنور الإسلام**، د.ط، المطبعة السلفية، مِصر، 1929م.

23 ريج كلوديوس جيمس، **رحلة ريج المقيم البريطاني في العِراق عام 1820 إلى بغداد - كردستان -إيران**، تر، اللواء بهاء الدِّين نوري، ط01، الدار العَربية للموسوعات، بيروت - لبنان، 2008م.

24 سادلير جورج فورستر، **مذكرات عن رحلة عبر الجَزِيرة العَربية خِلال عام 1819م**، تر، أنس الرفاعي، تق، عباس منصور، د.ط، الهيئة المِصرية للكِتاب، مِصر، 2013م.

25 غلوب جون باجوت، **حياتي في المَشرِقِ العَربي**، تر، جورج متر، فؤاد فياض، ط01، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، 2005م.

// ، **مذكرات غلوب باشا 1897 -1983م**، تر، سليم طه التكريتي، ط01، الفجر للنشر والتوزيع، بغداد، 1988م.

26 فوك يوهان، **الدراسَات العَربية في أورُوبا حتى مطلع القَرن العشرين**، تع، سعيد حسن بحيري، محسن الدمزداش، ط01، زهراء الشَّرق، القاهرة -مِصر، 2006م.

// ، **تَاريخ حَركة الاستشراق الدراسَات العَربية والإسلامية في أورُوبا حتى بداية القَرن العشرين**، تع، عمر لطفي العالم، ط02، دار المدار الإسلامي، بيروت -لبنان، 2001م.

27 فيتون جاكوب هارولد، **ملوك شبه الجَزِيرة العَربية**، تر، أحمد المضواحي، د.ط، دار العودة، بيروت، 1983م.

28 فيليبي هاري سنت جون، **تَاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية**، تع، عمر الديراوي، المكتبة الأهلية، بيروت، د.ت.

29 كوبر لي ديفيد، رينتز جورج، **الحَركة الوهابية في عيون الرَحالَة الأجَانب**، تر، عبد اللّٰه بن ناصر الوليعي، ط01، الرياض، 1997م.

30 كينغلك ألكسندر ويليام، **رحلة إلى المَشرِقِ 1834 -1835م**، تر، محمود العابدي، ط01، دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دِمشق، 2005م.

31 لاين إدوارد وليم، **عادات المِصريين المحدثين وتقاليدهم (مِصر ما بين 1833 -1835)**، تر، سهير دسوم، ط02، مكتبة مدبولي، القاهرة -مِصر، 1999م.

32 لورانس توماس إدوارد، **أسرار لورانس العَرب**، تر، سامي حجازي، مرا، فؤاد فراج، ط01، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2009م.

33 لورانس هنري، **الأزمات الشَّرقية -المسألة الشَّرقية واللعبة الكبرى (1768 - 1914م)**، تر، بشير السباعي، ط01، المركز القومي للترجمة، القاهرة -مِصر، 2018م.

34 لورانس هنري، **مسألة فِلسطِين**، مج05، تر، بشير السباعي، ط01، المركز القومي للترجمة، مِصر، 2017م.

35 لونكريك ستيفن هيمسلي، **أربعة قرون من تَاريخ العِراق الحَدِيث**، تع، جعفر خياط، ط06، مكتبة اليقظة العَربية، العِراق، 1985م.

36 لويس برنارد، **أزمة الإسلام الحَرب الأقدس والإرهاب المُدنس**، تر، حازم مالك محسن، ط01، دار ميزوبوتاميا، العِراق، 2013م.

// ، **استنبول وحَضارة الخِلافة الإسلامية**، تع، رضوان سيد علي، ط02، الدار السعودية للنشر والتوزيع، المملكة العَربية السعودية، 1982م.

// ، **الإسلام في التَّاريخ**، تر، مدحت باشا، مرا وتق، أحمد كمال أبو المجد، ط01، دار آفاق، القاهرة، مِصر، 2018م.

// ، **أين الخطأ التأثير الغَربي واستجابة المُسلِمين**، تر، محمد عناني، تق، رؤوف عباس، مرا، عمر الشناوي، ط01، سطور، مِصر، 2003م.

// ، **ظهور تُركيا الحَديثة**، تر، قاسم عبده قاسم، سامية محمد، ط01، المركز القومي للترجمة، القاهرة -مِصر، 2016م.

37 لين بول ستانلي، **سيرة القاهرة**، تر، حسن ابراهيم حسن، علي ابراهيم حسن وآخرون، ط02، مكتبة النهضة المِصرية، مِصر، د.ت.

38 لين ستانلي بول، **سيرة القاهرة**، تر، حسن إبراهيم حسن وآخرون، تق، أيمن فؤاد سيد، د.ط، المركز القومي للترجمة، 2011م.

39 ماستناك توماش، **السلام الصليبي**، تر، بشير السباعي، المجلس الأعَلى للثَقافة، القاهرة - مِصر، 2003م.

40 مانتران روبير، **تَاريخ الدولة العثمانيَّة**، ج02، تر، بشير السباعي، ط01، دار الفِكر للدِراسَات والنشر والتوزيع، مِصر، 1992م.

41 مرغوليوث، **دِراسَات عن المُؤرخين العَرب**، تر، حسين نصار، د.ط، دار الثَقافة، بيروت -لبنان، د.ت.

42 المس بيل، **فصول من تَاريخ العِراق القريب**، تع، جعفر الخياط، د.ط، د.د، 1971م.

43 مونتجو ليدي ماري وتلي، **رسائل من تُركيا (1718لمح1716)**، تر، إيزابيل كمال، تق ومرا، فاطمة موسى، ط01، المجلس الأعَلى للثَقافة، القاهرة -مِصر، 2006م.

44 هوجارث ديفيد جورج، **اختراق الجَزِيرة العَربية**، تر، صبري محمد محسن، مرا وتق، جمال زكريا قاسم، ط02، المركز القومي للترجمة، القاهرة -مِصر، 2009م.

45 وليم جيفورد بالجريف، **وسط الجزيرة العَربية وشرقها (1863لمح1862)**، تر، صبري محمد حسن، مج 01، المجلس الأعَلى للثقافة، مِصر، 2001م.

2- الأجنبية

01 Arberry A. J, **Oriental Essays –Portraits of Seven Scholars**, 01 pub, Ruskin House, London, 1960.

02 Arberry. A. J, **British Orientalists**, William Collins sons and Co, UK, 1943.

03 Arnold. W. Thomas, **The Caliphate**, Oxford University Press, London, 1924.
04 Blunt Anne, **A Pilgrimage to Nejd**, V02, John Murray, London, 1881.
05 Bruce James, **Travels to Discover the Source of the Nile**, V01, Printed by J. Ruthven, London, 2017.
06 Burckhardt John Lewis, **Notes On the Bedouins and Wahabys**, The Association for Promoting the Discovery of the Interior of Africa, V02, London, 1831.
07 de Gaury. Gerald, **The Life of Alexander Kinglake 1809- 1891**, 01 Pub, Routledge and Kegan Paul, London, 1972.
08 Esposito John, **The Straight Path**, 03 edi, Oxford University Press, New York- US, 2005.
09 F. Jacob Harold, **Kings of Arabia –The Rise and Set of the Turkish Sovranty in the Arabian Peninsula**, Southampton Times Limited, London, 1923.
10 Glubb John Bagot, **A Short History of the Arab Peoples**, 01 Pub, Hodder and Stoughton Limited, London, 1969.
11 Glubb John Bagot, **A Short History of the Arab Peoples**, Barnes and Noble Books, USA, 1995.
12 Glubb John Bagot, **A Short History of the Arab Peoples**, Quartet Books, 1978.
13 Glubb John Bagot, **The Changing Scenes of Life an Autobiography**, 01 Pub, Quartet Books, London , 1983.
14 Glubb John Bagot, **War in the Desert**, Hodder and Stoughton, London, 1960.
15 Hogarth David George, **The Penetration of Arabia**, Frederick A. Stokes Company, New York, 1904.
16 Kinglake Alexander William, **Travel in the East**, 04edi, Pall Mall, London, 1845.
17 Palgrave William Gifford, **Narrative of a Year 's Journey Through Central and Eastern Arabia (1862-1863)**, V02, Macmillan and Co, London, 1865.

18 Pardoe Julia, **Sultanlar Şehri İstanbul,** Çeviren, Banu Büyükkal, Editör, Emre Yalçın, Baskı Ekim, Yaylacık Matbaacılık, Turkey, 2010.
19 Poole Sophia, **The Englishwoman in Egypt**, G.B. Zieber and Co, Philadelphia- US, 1845.
20 Poole Stanley Lane, **Life of Edward William Lane**, Gilbert and Rivington, London.
21 Wilkinsn Gibb Elias John, **Ottoman Poems**, edited by Edward G. Browne. M. A. M. B , Luzac and Co, London, UK, 1882.

3- المقَالات

1- المعربة

01 أرنولد توينبي، "**الدولة العثمانيَّة في تَاريخ العالم**"، تر وتع، أحمد سالم سالم علي، دَورية كان التَّاريخية، ع17، سبتمبر 2012م.

2- الأجنبية

01 Lewis Bernard, **Islamic Revivel in Turkey**, International Affairs, V 28, Iss 01, Jan 1952.

02 Lewis Bernard, **The Anti-Zionist Resolution**, Foreign Affairs, V 55, iss 01, 01 oct 1976.

03 Lewis Bernard, **The Ottoman Empire in the Mid-Nineteenth Century : A Review**, Middel Eastern Studies, V 01, N 03, UK, April 1965.

04 Lewis Bernard, **The Palestinians and the Plo** , " Commentary Magazine, V59, N 06 , US, 01 Jan 1975. (https://www.commentary.org/articles/bernard-lewis/the-palestinians-and-the-plo/)

05 Zwemer Samuel M, **"Translations of the Koran"**, The Moslem World, V05, N03, July 1915 .

ثالثا - المراجع

1- العَربية والمعربة

01 ابراهيم عبد العزيز عبد الغني، **روايات غَربية عن رحلات في شبه الجَزِيرة العَربية 1500 -1840**، ج01، ط01، دار الساقي، بيروت - لبنان، 2013م.

// ، **روايات غَربية عن رحلات في شبه الجَزِيرة العَربية 1900 - 1952**، ج03، دار الساقي، بيروت - لبنان، 2013م.

02 آرباحي سيف الله، **السُّلطَان عبد الحميد الثاني مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية**، تح، أجير أشيوك، مرا، ياوز آجار، ط01، دار النيل للطباعة والنشر، مِصر، 2011م.

03 أرمسترونج هـ. س، **الذئب الأغبر مصطفى كمال**، د.ط، دار الهلال، مِصر، 1952م.

04 الأرناؤوط محمد، **دِراسَات في التَّاريخ الحضاري للإسلام في البلقان**، تق، عبد الجليل التميمي، ط01، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمَعلُومَات، تونس، 1996م.

05 ارنست رامزور، **تركية الفتاة وثورة 1908**، تر، صالح أحمد العلي، تق ومرا، نقولا زيادة، د.ط، مؤسسة فونكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1960م.

06 إسبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسَة**، تر وتق، حسن حنفي، مرا، فؤاد زكريا، ط01، دار التنوير، بيروت، 2005م.

07 إسماعيل علي محمد، **الاستشراق بين الحَقيقَة والتضليل -مدخل علمي لدِراسة الاستشراق**، ط06، دار الكلمة، القاهرة -مِصر، 2014م.

08 آصاف عزتلو يوسف بك، **تَاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن**، تق، محمد زينهم محمد عزب، ط01، مكتبة مدبولي، القاهرة -مِصر، 1995م.

09 إلهامي محمد، **السُّلطَان عبد الحميد الثاني في الذاكرة العَربية**، ج02، ط01، دار الأصول العِلمية، استنبول -تُركيا، 2019م.

10 أوغلى أكمل الدِّين إحسان، **التراث العلمي العُثماني -النشأة التطور القضايا**، تر، ماجدة مخلوف، مج01، ط01، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي -مركز مخطوطَات الدِراسَات الإسلامية، لندن، المملكة المتحدة، 1443هـ/2021م.

// ، **الدولة العثمانيَّة تَاريخ وحَضارة**، ج02، تع، صالح سعداوي، مركز الأَبحَاث للتَاريخ والفنون والثَقافة الإسلامية، استنبول -تُركيا، 1999م.

11 أولريخسن كريستيان، **الحَرب العالمية الأولى في الشَّرق الأوسط**، تر، طارق عليان، ط01، جروس برس ناشرون، لبنان، 2016م.

12 إينالجيك خليل، **تَاريخ الدولة العثمانيَّة من النشوء إلى الإنحدار**، تر، محمد الأرناؤوط، ط01، دار المدار الإسلامي، بيروت -لبنان، 2002م.

13 بدول روبن، **الرَحالَة الغَربيون في الجَزِيرة العَربية**، تر، عبد الله آدم نصيف، د.ط، د.د، الرياض، 1989م.

14 براون مالكوم، **لورانس العَرب في الحَرب والسلم -مختارات من كِتاباته العسكرية**، تر، هيثم فرحت، ط01، دار الساقي، المملكة المتحدة، 2022م.

15 البرغوثي عمر صالح، طوطح خليل، **تَاريخ فِلسطِين**، تق، محمد زينهم محمد عزب، ط02، دار المعارف، القاهرة -مِصر، د.ت.

16 برو توفيق علي، **العَرب والترك في العهد الدستوري 1908 -1914م**، د.ط، دار الهُنا للطباعة، 1960م.

17 بن نبي مالك، **إنتاج المُستشرقين وأثره في الفِكر الإسلامي الحَدِيث**، ط01، دار الإرشاد، بيروت، 1969م.

18 بن هذلول سعود، **تَاريخ ملوك آل سعود**، تق، محمد العبودي، ط01، مطابع الرياض، المملكة العَربية السعودية، 1961م.

19 بني المرجة موفق، **صحوة الرجل المريض أو السُّلطَان عبد الحميد الثاني والخِلافة الإسلامية**، د.د، صقر الخليج للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الكويت، 1984م.

20 بيات فاضل، **الدولة العثمانيَّة في المَجال العَربي**، ط01، مركز دِراسَات الوِحدَة العَربية، بيروت -لبنان، 2007م.

21 بيكر راندال، **مملكة الحِجاز الصِّراع بين الشريف وآل سعود**، تر، صادق عبد علي الركابي، ط01، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2004م.

22 جارشلي إسماعيل حقي، **أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العُثماني**، تر، خليل علي مراد، ط01، الدار العَربية للموسوعات، بيروت -لبنان، 2003م.

23 جبارة تيسير، **تَاريخ الدولة العثمانيَّة 1280 -1924م**، د.ط، جَامعَة القدس المفتوحة، فِلسطِين، 2015م.

24 الجبري عبد المتعال محمد، **الاستشراق وجه الاستِعمار الفِكري**، ط01، مكتبة وهبة، مِصر، 1995م

25 الجراد سفير أحمد، **الاستشراق والمُستشرقون فن التزييف العلمي والأخلاقي**، ط01، دار العصماء، سُوريَا، 2015م.

26 جريس صبري، **تَاريخ الصُهيونِية**، ج01، ط02، مركز الأَبحَاث منظمة التَحرِير الفِلسطِينية، بيروت -لبنان، 1981م.

27 الجمل شوقي، عبد الرزاق عبد الله، **تَاريخ أورُوبا من النهضة حتى الحَرب الباردة**، د.ط، المكتب المِصري، القاهرة -مِصر، 2000م.

28 الجندي أنور، **تَاريخ الغزو الفِكري والتغريب خِلال مرحلة ما بين الحَربين العالميتين**، د.ط، دار العلوم للطباعة، القاهرة -مِصر، د.ت.

// ، **تصَحيح أكبر خطأ في تَاريخ الإسلام الحَديث -السُّلطَان عبد الحميد والخِلافة الإسلامية**، ط01، دار ابن زيدون، بيروت -لبنان، 1407هـ.

29 الجندي أنور، **سموم الاستشراق والمُستشرقين في العلوم الإسلامية**، ط02، دار الجيل، بيروت، 1985م.

30 الجندي أنور، **شبهات التغريب في غزو الفِكر الإسلامي**، د.ط، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1978م.

// ، **عقبات في طريق النهضة مراجعة لتَاريخ مِصر الإسلامية منذ الحَملَة الفِرنسية إلى النكسة 1898 -1964**، د.ط، دار الاعتصام، د.ب، د.ت.

31 الجهني عويضة بن متيريك، **نجد قبل الوهابية**، تر، إحسان زكي، ط01، جسور للترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 2016م.

32 حرب محمد، **السُّلطَان عبد الحميد الثاني آخر السلاطِين العُثمانيين الكبار**، ط01، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دِمشق، 1990م.

33 حسن أحمد محمد خليفة، **آثار الفِكر الاستشراقي في المُجتَمعات الإسلامية**، ط01، عين للدِراسَات والبُحوث الإنسانية والاجتِماعية، مِصر، 1997م.

34 حسن محمد خليفة، **أزمة الاستشراق الحَديث والمعاصر**، ط01، جَامعَة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2000م.

35 حسون علي، **العُثمانيون والروس**، ط01، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1982م.

36 حسين غازي، **الاستيطان اليَهودي في فِلسطِين من الاستِعمار إلى الإمبريالية**، د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العَرب، دِمشق، 2003م.

37 الحصري أبو خلدون ساطع، **البلاد العَربية والدولة العثمانيَّة**، ط03، دار العلم للملايين، بيروت، 1965م.

38 حلاق حسان، **دَور اليَهود والقوى الدُولية في خلع السُّلطَان عبد الحميد الثاني (1908 - 1909م)**، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

// ، **موقف الدولة العثمانيَّة من الحَركة الصُهيونية 1897 - 1909**، دار الأحد (البحري اخوان)، بيروت، 1978م.

39 حمدان نذير، **مُستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون**، ط01، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، المملكة العَربية السعودية، 1988م.

40 الحمدي صبري فالح، **جون فيليبي والبلاد العَربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز بن سعود 1915 -1953**، ط01، الدار العَربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2013م.

41 حميش بنسالم، **العَرب والإسلام في مرايا الاستشراق**، ط01، دار الشروق، مِصر، 2011م.

42 حوراني ألبرت فيليب خوري وآخرون، **الشَّرق الأوسط الحَديث**، مج01، تع، أسعد صقر، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة -مِصر، 2016م.

43 الحيدري إبراهيم، **صورة الشَّرق في عيون الغَرب -دِراسة للأطماع الأجنبية في العالم العَربي**، ط01، دار الساقي، بيروت -لبنان، 1996م.

44 الخربوطلي علي حسن، **المُستشرقون والتَّاريخ الإسلامي**، د.ط، الهيئة المِصرية العامة للكِتاب، مِصر، 1988م.

45 خرشي عبد الرحمن، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الصِّراع الحضاري**، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

46 خيري منصور، **الاستشراق والوعي السالب**، د.ط، المؤسسة العَربية للدِراسَات والنشر، بيروت، 2001م.

47 الخيلي عبد الحي، **النخبة والإصلاح -نماذج من الفِكر الإصلاحي العُثماني بين القَرنين السادس عشر والتَّاسع عشر الميلاديين**، تق، عبد الرحيم بنحادة، ط01، دار أبي رقراق للطباعة والإخراج، الرباط -المغرب، 2014م.

48 الدعمي محمد، **الاستشراق الاستجابة الثقافية الغَربية للتَاريخ العَربي الإسلامي**، ط02، مركز دِراسَات الوِحدَة العَربية، بيروت -لبنان، 2008م.

49 الدهان محمد محمد، **قوى الشر المتحالفة الاستشراق -التَّبشير -الاستِعمار وموقفها من الإسلام والمُسلِمين**، ط02، دار الوفاء، القاهرة -مِصر، 1988م.

50 دياب عبد المجيد، **تَحقيقِ التراث العَربي منهجه وتطور**، ط02، دار المعارف، القاهرة -مِصر، 1993م.

51 الديراوي، **الحَرب العالمية الأولى**، ط16، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1999م.

52 رافق عبد الكريم، **بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت**، ط01، دمشق، 1967م.

53 ربيع محمد، **أزمة الفِكر الصهيوني**، المؤسسة العَربية للدِراسَات والنشر، ط02، بيروت -لبنان، 1979م.

54 رمضان محمد رفعت، **علي بك الكَبير**، د.ط، دار الفِكر العَربي، القاهرة -مِصر، 1950م.

55 الريس محمد ضياء الدِّين، **تَاريخ الشَّرق العَربي والخِلافة العثمانيَّة أثناء الدَور الأَخير للخِلافة 1774 -1924**، ج01، مكتبة نهضة مِصر، مِصر، 1950م.

56 زقزوق محمود حمدي، **الاستشراق والخلفية الفِكرية للصراع الحضاري**، ط02، دار المنار، القاهرة -مِصر، 1989م.

// ، **الإسلام في تصورات الغَرب**، ط01، مكتبة وهبة، مِصر، 1987م.

// ، **الإسلام والاستشراق**، ط01، مكتبة وهبة، 1984م.

57 زكاري لوكمان، **تَاريخ الاستشراق وسياساته الصِّراع عَلى تفسير الشَّرق الأوسط**، تر، يونس شريف، ط01، دار الشروق، مِصر، 2007م.

58 زكريا فؤاد، **نقد الاستشراق وأزمة الثَقافة العَربية المعاصرة دِراسة في المنهج**، د.ط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د.ت.

59 زماني محمد حسن، **الاستشراق والدِراسَات الإسلامية لدى الغَربيين**، تر، محمد نور الدِّين عبد المنعم، ط01، المركز القومي للترجمة، القاهرة -مِصر، 2010م.

60 زوركر إريك، **تَاريخ تُركيا الحَديث**، تر، عبد اللطيف الحارس، مرا، سعد ضاروب، ط01، المدار الإسلامي، لبنان، 2013.

61 الزيات أحمد حسن، **تَاريخ الأدب العَربي**، د.ط، دار المَعرِفة، بيروت -لبنان، 1992م.

62 ساسي سالم الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي الظَّاهِرَة الاستشراقية وأثرها في الدِراسَات الإسلامية**، ج01، ط01، دار المدار الإسلامي، بيروت -لبنان، 2002م.

63 السامرائي قاسم، **الاستشراق بين المَوضُوعيَّة والافتعالية**، ط01، دار الرفاعي للنشر والطِّباعة والتوزيع، الرياض - المملكة العَربية السعودية، 1983م.

64 الساموك سعدون، **الاستشراق ومَناهِجه في الدِراسَات الإسلامية**، ط01، دار المَناهِج للنشر والتوزيع، الأردن، 2010م.

65 السايح أحمد عبد الرحيم، **الاستشراق في ميزان نقد الفِكر الإسلامي**، ط01، الدار المِصرية اللبنانية، القاهرة- مِصر، 1996م.

66 السربوني محمد صبري، **الامبراطورية المِصرية في عهد محمد علي والمسألة الشَّرقية (1811 -1839)**، ج01، تر، ناجي رمضان عطية، مرا وتق، أحمد زكريا الشلق، ط01، المركز القومي للترجمة، القاهرة -مِصر، 2012م.

67 سعيد إدوارد، **الاستشراق المَفَاهيم الغَربية للشرق**، تر، محمد عناني، ط01، رؤية، مِصر، 2006م.

// ، **فرويد وغير الأوروبيين**، ط01، دار الأداب للنشر والتوزيع، بيروت -لبنان، 2004م.

68 سمايلوفيتش أحمد، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العَربي المعاصر**، د.ط، دار الفِكر العَربي، القاهرة -مِصر، 1998م.

69 سنجر أصلي، **المرأة العثمانية بين الحقائق والأكاذيب**، تر، سمير عباس السيد زهران، ط01، دار النيل، القاهرة الجديدة -مصر، 2014م.

70 السيد رضوان، **المُستشرقون الألمان النشوء والتأثير والمصائر**، ط02، دار المدار الإسلامي، بيروت -لبنان، 2016م.

71 السيد صالح سعد الدِّين، **احذروا الأساليب الحَديثة في مواجهة الإسلام**، ط01، مكتبة التابعين، القاهرة -مِصر، 1998م.

72 الشَّرقاوي محمد عبد اللّه، **الاستشراق دِراسَات تَحلِيلية تقويمية**، ط01، دار الفِكر العَربي، القاهرة - مِصر، د.ت.

73 شعيب علي عبد المنعم، **التدخل الأجنبي في شؤون العَرب في التَّاريخ الحَديث والمعاصر**، ط01، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2005م.

74 الشلق أحمد زكريا، **العَرب والدولة العثمانيَّة من الخضوع إلى المواجَهة 1516 - 1916**، ط01، مِصر العَربية للنشر والتوزيع، القاهرة - مِصر، 2002م.

75 صاريجك مراد، **نقابة الأشراف في الدولة العثمانيَّة**، تر، سهيل صابان، ط01، دار القاهرة، مِصر، 2007م.

76 صبري أيوب، **تَاريخ الوَهَّابيين**، تر، مسعد بن سويلم الشامان، د.ط، دار ترجمان حقيقت، د.ب، د.ت.

77 صلاح مخلوف ماجدة، **الحريم في القصر العثماني**، ط01، دار الآفاق العربية، القاهرة -مصر، 1998م.

78 طقوش محمد سهيل، **تَاريخ العُثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، دار النفائس، ط03، 2013بيروت -لبنان، 2013م.

79 الطهطاوي محمد عزت إسماعيل، **التَّبشير والاستشراق أحقاد وحملات عَلى النبي محمد صلى اللّه عليه وسلم وبلاد الإسلام**، ط01، الزهراء للإعلام العَربي، 1991م.

80 الطيباوي عبد اللطيف، **المستشرقون الناطقون بالإنجلِيزية دِراسة نقدية**، تر، قاسم السامرائي، إدارة الثَّقافة والنشر جَامعَة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ط، المملكة العَربية السعودية، 1991م.

81 العالي عبد القهار داود عبد اللّه، **الاستشراق والدِراسَات الإسلامية**، ط01، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، 2001م.

82 عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحيم، **الريف المصري في القرن الثامن عشر**، ط02، مكتبة مدبولي، القاهرة -مصر، 1986م.

83 عبد الرزاق عيسى، **المرأة المصرية قبل الحداثة -مختارات من وثائق العصر العثماني**، د.ط، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة -مصر، 2012م.

84 عبد الهادي جمال محمد مسعود وآخرون، **أخطاء يجب أن تصحح في التَّاريخ -الدولة العثمانيَّة**، ج02، ط01، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مِصر، 1995م.

85 العدوى إبراهيم أحمد، **رشيد رضا الإمام المجاهد**، د.ط، المؤسسة المِصرية العامة، مِصر، د.ت.

86 عريبي محمد ياسين، **الاستشراق وتغريب العقل التَّاريخي العَربي - نقد العقل التَّاريخي**، ط01، المجلس القومي للثَّقافة العَربية، الرباط -المملكة المغَربية، 1991م.

87 عزوزي حسن، **آليات المنهج الاستشراقي في الدِراسَات الإسلامية**، د.ط، مطبعة آنفو -برانت، المملكة المغَربية، 2007م.

88 عصام عبد الفتاح، **أطلس الحَربين الأرض والحَرب والسلام الحَرب العالمية الأولى والثانية**، ط01، شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع، القاهرة -مِصر، 2015م.

89 علي محمد أحمد صالح، **الإصلاحيون في الدولة العثمانيَّة في القَرن 19م (مدحت باشا أنموذجا)**، دار العلم والمَعرِفة للطبع والنشر والتوزيع، مِصر، 2022م.

90 عمايرة إسماعيل أحمد، **المُستشرقون وتَاريخ صلتهم بالعَربية**، ط02، دار حنين، عمان -الأردن، 1992م.

91 عميرة عبد الرحمن، **الإسلام والمسلمون بين أحقاد التَّبشير وضلال الاستشراق**، ط01، دار الجيل، بيروت -لبنان، 1999م.

92 عوض محمد عبد العزيز، **الإدارة العثمانيَّة في ولاية سورية 1864 -1914م**، تق، أحمد عزت عبد الكريم، د.ط، دار المعارف، مِصر، 1969م.

93 الغامدي سعيد بن سعد سفر، **موقف المعارضة من المَشرِقِ العَربي من حكم السُّلطَان عبد الحميد الثاني (الشام ومِصر) 1292 – 1327هـ/ 1876 – 1909م**، ط01، مكتبة التوبة، المملكة العَربية السعودية، 1992م.

94 الغزالي محمد، **دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المُستشرقين**، ط07، نهضة مِصر للطباعة والنشر والتوزيع، مِصر، 2005م.

95 فوزي فاروق عمر، **الاستشراق والتَّاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)**، ط01، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، 1998م.

96 الفيومي محمد إبراهيم، **الاستشراق رسالة استعمار**، د.ت، الفِكر العَربي، القاهرة، مِصر، 1993م.

97 قازان نزار، **سلاطين بني عثمان بين قتال الأخوة وتمردات الإنكشارية**، ط01، دار الفِكر اللبناني، بيروت –لبنان، 1992م.

98 القاسم خالد بن عبد الله، **مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)**، ج01، ط01، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض –المملكة العَربية السعودية، 2010م.

99 قطب محمد، **المُستشرقون والإسلام**، ط01، مكتبة وهبة، القاهرة – مِصر، 1999م.

100 قورشون زكرياء، **العُثمانيون وآل سعود في الأرشيف العُثماني 1745 –1914م**، ط01، الدار العَربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2005م.

101 كامل مجدي، **زعماء صهيون وثائق صور واعترافات**، مرا، طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العَربي، ط01، سُوريَا، 2008م.

102 كروب منفرد، كرباج يوسف وآخرون، **تأملات في الشَّرق تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره**، تر، عدنان حسن، محمد صبح، ط01، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، 2006م.

103 الكسندروفنا دولينا نينل، **الامبراطورية العثمانيَّة وعلاقاتها الدُولية في ثلاثينيات وأربعينيات القَرن التَّاسع عشر**، تر، أنور محمد إبراهيم، د.ط، المجلس الأعَلى للثَقافة، مِصر، 1999م.

104 الكوثوراني وجيه، **السُلطَة والمُجتَمع والعمل السياسي من تَاريخ الولاية العثمانيَّة في بلاد الشام**، ط01، مركز دِراسَات الوِحدَة العَربية، بيروت، لبنان، 1988م.

105 مارشاند سوزان، **الاستشراق الألماني في زمن الإمبراطورية**، تر وتق، رضوان السيد، ج01، ط01، المركز القومي للترجمة، مِصر، 2021م.

106 مجمُوعة مؤلفين، **مَناهِج المُستشرقين في الدِراسَات العَربية الإسلامية**، ج01، د.ط، المنظمة العَربية للتربية والثَقافة والعلوم، تونس، 1985م.

107 محارتي إدريس وآخرون، **مئة عام عَلى الحَرب العالمية الأولى مقاربات عربية**، مج 01، ط01، المركز العَربي للأبحاث ودِراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2016م.

108 المحامي محمد فريد بك، **تَاريخ الدولة العلية العثمانيَّة**، تح، إحسان حقي، ط01، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981م.

109 محمد علي محمود، **محمد أركون ونَظريَّة الكهنوت المتأسلم**، جَامعَة أسيوط، مِصر، د.ت.

110 مخلوف ماجدة، **تحولات الفِكر والسِياسَة في التَّاريخ العُثماني -رؤية أحمد جودت باشا في تقريره إلى السُلطَان عبد الحميد الثاني**، ط01، دار الآفاق العَربية، القاهرة -مِصر، 2009م.

111 المرسي أحمد الصفصافي، **الدولة العثمانيَّة والوِلايات العَربية**، دارة الملك عبد العزيز، مج08، ع04، أفريل 1983م.

112 المطبقاني مازن بن صلاح، **الاستشراق والاتجاهات الفِكرية في التَّاريخ الإسلامي - دِراسة تطبيقية عَلى كِتابات برنارد لويس**، د.ط، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 1995م.

113 معاليقي منذر، **الاستشراق في الميزان**، ط01، المكتب الإسلامي، بيروت، 1997م.

114 مفيد رائف محمود العابد، **معالم تَاريخ الدولة الساسانية (عصر الأكاسرة) 226 - 651م**، ط01، دار الفِكر المعاصر، بيروت - لبنان، 1999م.

115 المنجد صلاح الدِّين، **المُستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهَموا به في الدِراسَات العَربية**، ج01، ط01، دار الكتاب الجديد، بيروت -لبنان، 1978م.

116 الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة، **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التَّبشير - الاستشراق - الاستِعمار) دِراسة وتَحلِيل وتوجيه**، ط08، دار القلم، دِمشق، 2000م.

117 ناجي سليمان، **اليَهود عبر التَّاريخ**، تق، سهيل زكار، ط01، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دِمشق، سُوريَا، 2007م.

118 النبهان محمد فاروق، **الاستشراق تعريفه ومَدارِسه وآثاره**، د.ط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثَقافة، الرباط - المملكة المغَربية، 2012م.

119 النتشة رفيق شاكر، **السُّلطَان عبد الحميد الثاني وفِلسطِين -السُّلطَان الذي خسر عرشه من أجل فِلسطِين**، ط03، المؤسسة العَربية للدِراسَات والنشر، الأردن، 1991م.

120 النعيمي أحمد نوري، **اليَهود والدَّولَة العُثمانية**، ط01، دار البشير، عمان -الأردن، 1997م.

121 النملة علي بن إبراهيم الحمد، **الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشَّرق والغَرب**، ط02، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2015م.

// ، **الاستشراق في الأدبيات العَربية عرض للنَظرات وحضر وراقي للمكتوب**، ط01، مركز الملك فيصل للبحوث والدِراسَات الإسلامية، الرياض، 1993م.

// ، **الاستشراق والإسلام في المراجع العَربية**، ط01، دار بيسان، الرياض - المملكة العَربية السعودية، 2010م.

// ، **الاستشراق والدراسات الإسلامية مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم**، ط01، مكتبة التوبة، الرياض -المملكة العربية السعودية، 1998م.

// ، **الشَّرق والغَرب مُنطلِقات العلاقات ومحدداتها**، ط03، بيسان، المملكة العَربية السعودية، 2010م.

// ، **المُستشرقون والتَصير -دِراسة للعَلاقَة بين ظاهرتين مع نماذج من المُستشرقين المُنصِّرين**، ط01، التوبة، الرياض -المملكة العَربية السعودية، 1998م.

// ، **نقد الاستشراق في المراجع العَربية**، ط01، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، لبنان، 2010م.

122 ياسين عبد نادية، **الاتحاديون دِراسة تَاريخية في جذورهم الاجتِماعية وطروحاتهم الفِكرية أواخر القَرن التَّاسع عشر -1908**، تق، هاشم صالح التكريتي، ط01، صفحات، دِمشق، 2014م.

123 يلماز أوزتونا، **تَاريخ الدولة العثمانيَّة**، تر، عدنان محمود سلمان، مرا، محمود الانصارى، مج01، ط01، مؤسسة فيصل للتمويل، استنبول -تُركيا، 1988م.

2- الأجنبية

01 Akgündüz Ahmet, **İslm Hukukunda Kölelik-Cariyelik Müessesesi ve Osmanli'da Harem**, Osav Osmanli Araştirmaları Vakfı, İstanbul, 1995.

02 Ali Nadawi Abul Hasan, **Islamic Studies Orientalists and Muslim Scholars**, tra, Mohiuddin Ahmad, 01 Edit, Academy of Islamic Research and Publications, India, 1983.

03 Altındal Meral, **Osmanlı'da Harem**, Altın Kitaplar Yayınevi, 1 Basım, Turkey, 1993.
04 Asaf Hussain and al, **Orientalism Islam and Islamists**, Amana Books, Brattleboro, US, 1984.

05 Bazin René, **Charles De Foucauld Explorateur du Maroc Ermite au Sahara**, Plon- Nourrit, Paris, 1921.
06 Benoit Madhu, **Sir William Jones et la représentation de l'inde**, Ellug – Université Stendhal, Grenoble, 2011.

07 Gibbs Lewis, **The Admirable Lady Mary -the Life and Times of Lady Mary Wortley Montagu (1689- 1762)**, J. M. Dent and Sons Ltd, Great Britain -London, 1949.
08 Gill Hélène, **The Language of Franch Orientalist Painting**, The Edwin Mellen Press, UK, 2003.

09 Halsband Robert, **The Life of Lady Mary Wortley Montagu**, Oxford University Press -Amen House, London, 1956.
10 Herman James, **Carl Heinrich Becker and the making of the modern orient**, Thesis, Georgia State University, USA, 2014.
11 Irwin Robert, **For Lust of Knowing the Orientalists and their Enemies**, 1 pub, penguin group, London- England, 2003.
12 Kiatzkin Jacob, **Boundaries: Judaism is Nationalism (1914-21)**, The Zionist Ideas, The Jewish Publication Society, Philadelphia.
13 Little Douglas, **American Orientalism - the United State and The Middle East Since 1945**, The University of Nprth Carolina Press, US, 2002.

14 Lowe Lisa, **Critical Terrains - French and British Orientalisms**, 01 Pub, Cornell University Press, London, 1991.
15 Nefedova Olga, **A Journey into the world of Ottomans- The Art of Jean Baptiste Vanmour (1671- 1737)**, 01 Pub, Skira Editore, Milano- Italy, 2009.

16 Nicholas Tromans et al, **The Lure of East: British Orientalist Painting**, 01 Pub, Yale University Press, New Haven, US, 2008.

17 Said Edward W, **Orientalism**, 01 Pub, Random House, New York, USA, 1979.

18 Salt Jeremy, **The Last Ottoman wars -the Human Cost 1877-1923**, The University of Utah Press, US, 2019.

19 Theodore Herzl, **De l'idée à l'organisation « l'état des Juifs »**.

20 Troy Gil, **The Zionist Ideas: Visions for the Jewish Homeland- Then**, Now, Tomorrow, The Jewish Publication Society, Philadelphia, 2018.

رابعا - المقَالات والدَوريات

1- العَربية

01 إسماعيل محمود، **"الإسلام والمسلمون في نَظر المُستشرقين بين تعامل اليمين وتعاطف اليسار"**، مَجلَّة أدب ونقد، ع20، مِصر، مارس 1986م.

02 آل صالح عباس عبد الوهاب علي، **"التَسامُح الدِّيني لدى العُثمانيين تجاه المَسيحيين"**، مَجلَّة الدِراسَات التَّاريخية والاجتِماعية، ع40، نواكشط -موريتانيا، 31 ديسمبر 2019م.

03 أمجد أحمد سليمان، **"الاستشراق والتغلغل الألماني في الدولة العثمانيَّة دِراسة في وظائف وأدوار الاستشراق الألماني في الربع الأَخير من القَرن التَّاسع عشر"**، دِراسَات للعلوم الإنسانية والاجتِماعية، مج46، ع01، الأردن، 2019م.

04 بن نبي مالك، **"إنتاج المُستشرقين وأثره في الفِكر الإسلامي الحَديث"**، مَجلَّة الإنماء العَربي للعلوم الإنسانية، ع32، لبنان، أفريل -جوان 1983م.

05 جديع منير عبود، **"سِياسَة اللورد سالزبيري حيال المسألة الشَّرقية 1895 - 1896م"**، مَجلَّة الأستَاذ، ع206، مج02، القاهرة، 2013م.

06 حسين علاء جعفر، "**مرافعات ضد الاستشراق**"، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتِماعية، ع28، ج02، العِراق، 2018م.

07 حوراني ألبرت، "**هاملتون جب انجازات مُستشرق**"، تر، سلام فوزي، مَجلَّة الإنماء العَربي للعلوم الانسانية، ع32، بيروت، أفريل -يونيو1983م.

08 الخراط محمد يحيى، "**المَرأَة الشَّرقية في عيون المُستشرقين**"، مَجلَّة المَعرِفة، ع 521، سُوريَا، فبراير 2007م.

09 خيراني صلاح، "**الحجر الصحي -الكرنتينا - في مواجَهة الأمراض والأوبئة بالدولة العثمانيَّة (1923لمح1831)**"، مَجلَّة آفاق فِكرية، مج 09، ع02، الجزائر، أكتوبر 2021م.

10 داغر يوسف أسعد، "**حول مؤتمر المُستشرقين الدُولي الرَّابع والعشرين**"، الأديب، ع12، لبنان، 01 ديسمبر 1957م.

11 الدسوقي عمر، "**من مزالق المُستشرقين**"، مَجلَّة الرسالة، السنة 22، ع1100، مِصر، فيفري 1965م.

12 دكار إلياس، "**حقيقة التَسامُح الديني بين المَسيحية والإسلام -دِراسة تَحلِيلية مقارنة**"، مَجلَّة العلوم الإسلامية والحَضارة، مج04، ع02، الجزائر، 2019م.

13 الزعبي أمجد أحمد، "**الاستشراق والتغلغل الألماني في الدولة العثمانيَّة - دراسة في أدوار ووظائف الاستشراق الألماني في الربع الأَخير من القَرن التَّاسع عشر**"، دِراسَات العلوم الإنسانية والاجتِماعية، مج46، ع01، ملحق 02، الأردن، 2019م.

14 زهرة عطا محمد صالح، "**حول هجرة يهود الفلاشا إلى فِلسطِين المحتلة**"، المستقبل العَربي، ع75، بيروت -لبنان، ماي 1985م.

15 سعيد إدوارد، "**السيرة الذَاتية والعِلمية**"، مَجلَّة الجديد، ع04، بيروت -لبنان، أكتوبر 1994م.

16 سلستي جورج، "**المُستشرق الكَبير العلامة "إدوارد وليم لين" مؤلف "مد القاموس" بالعَربية والإنجلِيزية 1801 -1876**"، العَربي، ع118، الكويت، سبتمبر 1968م.

17 صادر كارين، "**جان سوفاجييه المُستشرق الفرنسي الذي عاش حلم حلب (1901 - 1950م)**"، آفاق المَعرِفة، ع 508، سُوريَا، جانفي 2006م.

18 صبحي عبد المنعم محمد، "**المُستشرق برنارد لويس ومنهجه في دِراسة التَّاريخ الإسلامي**"، مَجلَّة كلية دار العلوم، ع13، جَامعَة الفيوم -مِصر، جوان 2005م.

19 عبد العال سليم أحمد محمد، "**تطور المؤسسات التعليمية النِظَامية في مركز الدولة العثمانيَّة حتى بداية عصر التَّنظيمَات 1839م**"، مَجلَّة كلية الآداب، مج 70، ج02، القاهرة، أفريل 2010م.

20 عبد الله رائد أمير، "**المُستشرقون ودَورهم في خِدمَة التراث العَربي**"، آداب الرافدين، العِراق، ع67، 1434هـ/ 2013م.

21 علي جواد، "**يوحنا الدمشقي Johannes Damascenus**"، مَجلَّة الرسالة، ع610، القاهرة، مارس 1945م.

22 علي سحر، الأحمد عبد المنعم، "**نِظَام الملل في الدولة العثمانيَّة إبان القَرن التَّاسع عشر -ظهور المشروع الماروني وتطوره أنموذج للدِراسة**"، مَجلَّة جَامعَة دِمشق للدِراسَات التَّاريخية، مج147، ع02، دِمشق - سورية، 2023م.

23 عليان رشدي، "**الخِلافة والأمامة في الإسلام بحث مَوضُوعي في رئاسة الدولة مقارنا بآراء المذاهب الإسلامية**"، مَجلَّة الآداب، ع18، جَامعَة بغداد، العِراق، 01 جانفي 1974م.

24 العناوسة محمد، "**إسهامات المُستشرقين في نشر الوثائق العَربية والإسلامية**"، دِراسَات العلوم الإنسانية والاجتِماعية، المجلد 43، ملحق02، الأردن، 2016م.

25 الغازي أماني جعفر، "**دعم الدولة العثمانيَّة للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين خِلال عهد السُّلطَان عبد الحميد الثاني -دِراسة وثائقية**"، مَجلَّة جَامعَة أم القرى لعلوم الشريعة والدِراسَات الإسلامية، ع64، مكة المكرمة، محرم 1436هـ.

26 غراف هجيرة، "**السُلطَة العثمانيَّة وآليات الوقاية من الأوبئة في ولاية الجزائر -الحجر الصحي أنموذجا**"، مَجلَّة القرطاس للدِراسَات الفِكرية والحضارية، مج07، ع02، تلمسان -الجزائر، جويلية 2020م.

27 فراج عبد الستار أحمد، "**الخِلافة والإمارة والإمامة في الإسلام**"، مَجلَّة العَربي، ع101، الكويت، 01 أفريل 1967م.

28 فرام منصور يعقوب، "**تطور الاستشراق الانكليزي**"، مَجلَّة المَعرِفة، ع63، سُوريَا، 1967م.

29 قارئ ياسر، "**أتاتورك حقيقته والدَور الذي أداه**"، مَجلَّة البيان، مج11، ع106، نوفمبر 1996م.

30 قديحي فاطمة الزهراء، "**مؤسسة الحَريم في البلاط العُثماني (الجذور التَّاريخية والاجتِماعية)**"، المَجلَّة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، 24، الكويت، أفريل 2021م.

31 محمد علي شيرين كمال، **مفهوم المفارقة في فلسفة إبراهام بن عزرا (1092م - 1167م)**، "الدَوريات المِصرية"، مج 05، ع01، مِصر، 2019م.

32 محمود حجر جمال، "**المَرأَة الغَربية والرحلة في الجَزِيرة العَربية (1) -رحلة ليدي آن بلنت إلى حائل عام 1879**"، مَجلَّة تراث، ع121، سبتمبر 2009م.

33 محمود محمد عبد الواحد، مواهب عدنان أحمد، "**موقف السُّلطَان عبد الحميد الثاني من الحَركة الصُهيونية ثوابت مبدئية في عصر ضعف مؤسسات الدولة العثمانيَّة**"، مَجلَّة جَامعَة تكريت للعلوم، م18، ع08، العِراق، سبتمبر 2011م.

34 مداني واضح، "**أهمية المصادر التاريخية عند المُؤرخ**"، مَجلَّة القرطاس، ع10، جَامعَة الجزائر، 11/ 2018م.

35 ميشال جحا، "**الدِراسَات العَربية والإسلامية في أورُوبا**"، مرا، يحي حمود، مَجلَّة الإنماء العَربي للعلوم الإنسانية، ع 31، جانفي، السنة الخامسة، بيروت، 1981م.

36 النجار شكري، "**لم الاهتِمام بالاستشراق؟**"، مَجلَّة الإنماء العَربي للعلوم الإنسانية، ع31، جانفي -مارس -1983م.

37 نعوم عبد الفتاح، "**مسَاهمَة الاستشراق الأنغو -أمريكي في صعود دِراسة المنَاطِق**"، تبين للدِراسَات الفِكرية والثقافية، ع09، مج 03، قطر، 2014م.

38 نواصر عبد الرحمان، "**دَور رحلات جون لويس بوركهارت (1818لمح1784م) في الكتابات التَّاريخية**"، مَجلَّة دِراسَات تَاريخية، مج10، ع01، الجزائر، 1443هـ/ 2022م.

39 نوري إسماعيل، "**دَور المَرأَة في حرب الاستِقلال التركية (1919 - 1922) خالدة أديب أنموذجا**"، مَجلَّة جَامعَة كركوك للدِراسَات الإنسانية، مج03، ع02، العِراق، 2008م.

40 الهراوي حسين، "**المُستشرقون وضررهم عَلى الإسلام -بيني وبين مرجوليوث**"، مَجلَّة المَعرِفة المِصرية، مج 04، ج10، مِصر، أكتوبر 1933م.

// ، "**المُستشرقون وضررهم عَلى الإسلام والشَّرق**"، مَجلَّة المَعرِفة المِصرية، مج03، ج06، ع18، مِصر، يونيو 1932م.

41 هراوي حسين، مبارك زكي، "**رأيان متعارضان، هل ضرر المُستشرقين أكثر من نفعهم**"، مَجلَّة الهلال، ع03، مِصر، جانفي 1934م.

42 الهواري أحمد محمد أمين، "**المُستشرق الإنجلِيزي برنارد لويس وكِتاباته في مجال التَّاريخ التركي كِتابه ظهور تُركيا الحَديثة نموذجا**"، كلية اللُغات والترجمة - جَامعَة الأزهر، ع43، مِصر، جانفي 2008م.

2- الأجنبية

01 Al-Salimi Abdulrahman, "**Orientalism and Relationships Between Islam and the West"**, Krzysztof Koscielniak, V01, Krakow, 2009.

02 Artur Lakatos, **"Arab Identity and Culture through Romanian Eyes"**, Journal for the study of Religions and Ideologies, V09, N25, Romania, 2010.

03 Azad Arezou, "**Clifford Edmund Bosworth"**, The Journal of Middle East Medievalists, V23, N01, USA, 2015.

04 Bennett Clinton, "**The Legacy of Karl Gottlieb Pfander"**, International Bulletin of Missionary Research, V20, UK, April 1996

05 Deryfuss Mathias, **"Les Juifs dans L'orientalisme**", Musée d'art et d'histoire du Judaisme, paris, mars- juil 2012.

06 Edwards. F.M, **"George Forster Sadleir (1789- 1895) of the 47th Regt The First European to cross Arabia"**, Journal of The Royal Central Asian Society, V44, 1957.

07 Hillenbrandm Carole, "**Bernard Lewis 31 May 1916- 19 May2018"**, Biographical Memoirs of Fellows of the Britich Academy, V19, Britich Academy, UK, 2020.

08 Kaçmaz Ercan, Füsun Çoban Döşkaya, **"Letters from and to Lady Mary Wortley Montagu"**, Çağdaş Türkiye Tarihi Araştırmaları Dergisi, Cilt 17, Sayi 35, Türkiye, 2017 .

09 Kramer Martin, Bernard Lewis, "**Encyclopedia of Historians and Historical Writing"**, v01, London, 1999.

10 le Bras Yvon, Ruellan Fabienne," **Voyages le Gout de l'ailleurs dand les collections du musée**", Musée des Beaux-Arts de Quimper, France, 25 Nov 2016- 27 mars2017.

11 Mastrantonio Monica, **"Lady Mary Wortley Montagu: The Epistolary Women Because Women Could Not Be Called Philosophers, Scientists or Inventors"**, Journal of The History of Women Philosophers and Scientists, V01, Issue 01, Brill, 2022.

12 Murray Alexander, **"Southern Richard William 1912- 2001"**, The British Academy, V120, UK, 30 May 2019.

13 O'Neal Michael, **"Clifford Edmund Bosworth an Updated Bibliography"**, The Journal of Middle East Medievalists, V23, N01, USA, 2015.

14 Osmanağaoğlu Şule, Berfin Melikoğlu, "**Tahaffuzhane Ve Gümrük Veteriner Müdürlüklerinin Yapilandirlmasina ilişkin Tarihsel**

Değerlendirme", Türk Veteriner Hekimleri Birliği Dergisi, cil 1-2, Türkiye, 2011.

15 Vigliano Tristan, "**Le Coran des Latins – un impossible décentrement les deux cas exemplaires de Robert de Ketton et Jean de Ségovie"**, Réforme Humanism Renaissance, N78, 2014.

خامسا - الأطروحات والرسائل الجامعية

1- العَربية

01 درغام أبو شعيشع عبد الرزاق، **السنن الإلهية في سقوط الحضَارات: الدولة العثمانيَّة نموذجا**، رسالة ماجيستار، الجَامعَة الأسمرية للعلوم الإسلامية، ليبيا، 2016م.

02 عبد الأمير محسن هاله، **الإمبراطورية الإخمينية (559 - 331 ق.م) دراسة تَاريخية في عوامل الضعف والسقوط**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التَّاريخ القديم، جَامعَة بغداد، 2022م.

03 عمر يوسف حسين يوسف، **أسباب خلع السُّلطَان عبد الحميد الثاني 1876 -1909م**، أطروحة ماجيستار في التَّاريخ الحَدِيث والمعاصر، الأردن، 2000م.

04 العمرات رجا غازي، **النِظَام التعلِيمي في بلاد الشام في القَرن الثالث عشر الهجري**، رسالة ماجيستار في التربية في الإسلام، جَامعَة اليرموك، 1999م.

2- الأجنبية

01- Herman James, **Carl Heinrich Becker and the making of the modern orient**, Thesis, Georgia State University, USA, 2014.

02- Mandel N. J, **Turks Arabs and Jewish Immigration into Palestine (1882- 1914)**, A Thesis Submitted for The degree of Doctor of Philosophy, Oxford University.

سادسا - الموسوعات والقواميس، المعاجم والتراجم

1- العَربية

01 ابن منظور جمال الدِّين محمد، **لسان العَرب**، مج10، د.ط، دار صادر، بيروت - لبنان، د.ت.

02 بدوي عبد الرحمن، **موسوعة المُستشرقين**، ط03، دار العلم للملايين، بيروت -لبنان، 1993م.

03 الجرجاني علي بن محمد الشريف، **التعريفات**، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، 1985م.

04 الجندي أنور، **الموسوعة الإسلامية العَربية**، ج03، د.ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

// ، **الموسوعة العَربية الإسلامية**، ج04، ط02، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1983م.

// ، **موسوعة مقدمات العلوم والمَناهِج -التَّبشير والاستشراق والدعوات الهدامة**، مج05، د.ط، دار الأنصار، القاهرة - مِصر، د.ت.

05 الزركلي خير الدِّين، **الأعلام -قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العَرب والمستعربين والمُستشرقين**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.

06 زيدان جرجي، **تراجم مشاهير القَرن التَّاسع عشر**، ج02، د.ط، هنداوي، القاهرة، مِصر، 2011م.

07 عبد المعبود مصطفى، **موسوعة المُستشرقين اليَهود**، ط01، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة -مِصر، 2021م.

08 عبده إبراهيم، **أعلام الصحافة العَربية**، ط01، مكتبة الأداب، القاهرة، مِصر، 1944م.

09 عطية اللّه أحمد، **القاموس السياسي**، ط03، دار النهضة العربية، القاهرة -مصر، 1968م.

10 العفيفي عبد الحكيم، **موسوعة 1000 مدينة إسلامية**، ط01، أوراق شرقية، بيروت -لبنان، 2000م.

11 العقيقي نجيب، **المُستشرقون**، ط04، دار المعارف، القاهرة - مِصر، د.ت.

12 كولن صالح، **سلاطين الدولة العثمانيَّة**، تح، أجير أشيوك، تر، منى جمال الدِّين، مرا، أديب الدباغ، بهاء الدِّين نعمة اللّه، ط01، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة - مِصر، 2014م.

13 الكيالي عبد الوهاب، **موسوعة السياسَة**، ج01، ط 01، المؤسسة العَربية للدِراسَات والنشر، بيروت -لبنان، 1979م.

14 مجمُوعة مؤلفين، **الموسوعة العَربية العالمية**، ج01، ط02، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العَربية السعودية.

// ، **الموسوعة العَربية العالمية**، ج23، ط02، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العَربية السعودية، 1999م.

// ، **الموسوعة العَربية العالمية**، ج27، ط02، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض -المملكة العَربية السعودية، 1419ه/ 1999م.

15 مجمُوعة مؤلفين، **الموسوعة العَربية الميسرة**، ج04، ط03، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت -لبنان، 2009م.

16 مجمُوعة مؤلفين، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ج07، ط02، دار ذَات السلاسل، الكويت، 1986م.

17 مجمُوعة مؤلفين، **موسوعة الاستشراق -معاودة نقد التمركز الغَربي وكشف التحولات في الخطاب ما بعد الكولونيالي**، تح، عامر عبد زيد الوائلي، طالب محيبس

حسن الوائلي، مرا، علي عبود المحمداوي، وسام العبيدي، ط01، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م.

18 المسيري عبد الوهاب محمد، **موسوعة اليَهود واليَهودية والصُهيونية**، ج08، ط01، دار الشروق، القاهرة -مِصر، 1999م.

19 **المعجم الوسيط**، ط04، مكتبة الشروق الدُولية، مِصر، 2004م.

20 موترد بولس، **المنجد في اللغة والأعلام**، ط43، دار المَشرِقِ، بيروت - لبنان، 2008م.

21 النجار حسين فوزي، **أعلام العَرب -رفاعة الطهطاوي رائد وإمام نهضة**، د.ط، الدار المِصرية للتأليف والترجمة، مِصر، د.ت.

22 يحي مراد، **معجم أسماء المُستشرقين**، د.ط، كتب عربية، د.د، د.ت.

2- الأجنبية

01 Barbara Brothers, Julia Gergits, **Dictionary of Literary Biography-British Travel Writers 1837- 1875 Victorian Period**, V166, Gale Research, United Kingdom,1996.

02 Barbara Brothers, Julia Gergits, **Dictionary of Literary Biography-British Travel Writers 1876- 1909**, V174, Gale Research International Limited, United Kingdom, 1997.

03 **Collins English Dictionary**, Harper Collins Publishers, Glasgow-UK, 1998.

04 Johnston Grahame, **The Australian Pocket Oxford Dictionary**, 05 edi, Oxford University Press, London, 1969.

05 Robert Paul, **Le Nouveau Petit Robert**, 1ed, Josette Rey Debove et Alain Rey, paris, 1967.

سابعا - الملتقيات والندوات والمقابلات

1- المقابلات

01 **الاستشراق بين الشَّرق والغَرب مقابلة مع ناصر الملا جاسم**، برنامج مجالسات، مركز الشهاب للدِراسَات والبُحوث، الجزائر -سطيف، 16 ديسمبر 2022م.

https://www.youtube.com/watch?v=YTvMIKOiFdw .

02 العَرب والإسلام والغَرب والظُرُوف الراهنة مقابلة مع برنارد لويس، أسرة تَحرِير التَسامُح، موقع الحوار اليوم. http://www.alhiwartoday.net/node/1310

03 مقابلة مع الدكتور قاسم السامرائي بعنوان: **التراث الإسلامي المخطوط واهتمام المُستشرقين به في جَامِعات هُولندا**، مركز الملك عبد العزيز التَّاريخي، 20 مارس 2007م.

ثامنا - الوسائط الإلكترونية

1- العَربية

01 **عيسى فتوح، الموسوعة العَربية**، مج09. (https://linksshortcut.com/mEHXY)

02 مارجريت ماكبيس، **"نبذة تَاريخية عن شركة الهند الشَّرقية الإنجليزية 1600 - 1858"**، مكتبة قطر الرقمية، 13 أوت 2014م.

(https://linksshortcut.com/vgVGN)

01 مطبقاني مازن بن صلاح، **"الاستشراق المعاصر وأثره في ظاهرة التطاول عَلى الإسلام"**، مَجلَّة البيان، القدس، 2007م. (http://saaid.org/Doat/mazin/56.htm)

- **Encyclopedias and Dictionaries :**

01 Association Famille Spirituelle Charles de Foucauld, **"Biographie de Charles de Foucauld"**, 03-10-2024, 12:38. (https://www.charlesdefoucauld.org/fr/biographie.php)

02 Collège de France, **"André Miquel"**, 14- 12- 2024, 11 :20. (https://www.college-de-france.fr/fr/chaire/andre-miquel-langue-et-litterature-arabes-classiques-chaire-statutaire/biography.)

03 Encyclopaedia Britannica**, "Arnold J. Toynbee "**, 18 Oct 2023, 08:00, (https://www.britannica.com/biography/Arnold-J-Toynbee).

04 Encyclopaedia Britannica, **"Harry Saint John Bridger Philiby"**, 09- 12- 2024, 13: 50. (**https://www.britannica.com/biography/H-Saint-John-Philby**)

05 Encyclopaedia Britannica, Leonard Modley, "**Lord Curzon British Foreign Secretary"**, 03- 10- 2024, 18 :20. (https://www.britannica.com/place/British-Empire)

06 Encyclopedia Britannica, **"David George Hogarth British Archaeologist"**, 09- 12- 2024, 13 :41. (**https://www.britannica.com/search?query=david+george+hogarth)**

07 Jordi Canal-Soler, **"Burckhardt : les aventures d'un Suisse en Orient",** Le Monde Histoire and Civilisations, Publié le 04- 04- 2023, 09- 12- 2024, 14 :14. (**https://www.histoire-et-civilisations.com/thematiques/epoque-contemporaine/burckhardt-les-aventures-dun-suisse-en-orient-86404.php)**

08 La Rousse, **"Jean de La Fontaine"**, 15-07- 2024, 10:15. (https://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Jean_de_La_Fontaine/128410)

09 Marsot Afaf Lutfi al-Sayyid, **Evelyn Baring- 1st earl of Cromer**, Encyclopaedia Britannica, 26 Feb 2024. https://www.britannica.com/biography/Evelyn-Baring-1st-Earl-of-Cromer

10 My Jacob Family, **"Lieutenant –Colonel Harold Fenton Jacob CSI, Officer of The Legion of Honour"**, 12- 12- 2024, 20 :17 (**https://www.myjacobfamily.com/favershamjacobs/haroldfentonjacob.htm)**

11 Perry John, **"Brydges Harford Jones"**, Encyclopaedia Iranica, V05, pp 488- 489. Available Online at (https://www.iranicaonline.org/articles/brydges-sir-harford-jones)

12 Travelogues, **Pardoe Julia. The Beauties of the Bosphorus – illustrated in a Series of Views of Constantinople and its Environs**, Loli Vingopoulou, 04-08-2024, 22 :54.(https://eng.travelogues.gr/collection.php?view=225)

- **Libraries :**

13 Bibliotheque Nationale de France, "**Creasy, Edward Shepherd (1812- 1878) forme Internationale",** 13- 12- 2024, 22:12 **(**https://catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb123152676).

14 Doig Andrew, **"Lt. Col Gerald de Gaury MC 1897- 1984"**, Kemptown Estate Histories,22 April 1869. (https://www.kemptownestatehistories.com/sussex-square/house-histories/18)

15 Karen Stapley, **"A Portrait of Sir Lewis Pelly"**, Qatar Digital Library, 2014. (https://www.qdl.qa/en/portrait-sir-lewis-pelly).

16 The Britich Museum, **"Gerald de Gaury"**, 14- 08- 2023, 06 :45.(https://www.britishmuseum.org/collection/term/BIOG129950)

- **Websites :**

01 Alamy Stock Photo, **"Alexander William Kinglake",** 09- 12- 2024, 14:22. (**https://linksshortcut.com/Ottay)**

02 Alamy Stock Photo, **"Bernard Lewis"**, 09- 12- 2024, 13:25. (**https://linksshortcut.com/CcXoW)**

03 Alamy Stock Photo, **"Brydges Jones Stock Photos and Images",** 06- 12- 2024, 09:00. (**https://www.alamy.com/stock-photo/brydges-jones.html?sortBy=relevant)**

04 Alamy Stock Photo, **"Edward William Lane"**, 09- 12- 2024, 14:17. (https://linksshortcut.com/ARWhb)

05 Alamy Stock Photo, **"England: T. E. Lawrence (16 August 1888- 19 May 1935)",** 09- 12- 2024, 14 :01. (**https://linksshortcut.com/LhEKJ)**

06 Alamy Stock Photo, **"Gertrude Bell. Portrait of The English Writer, Traveller, Political officer, Administrator and Archaeologist, Gertrude Margaret Lowthian Bell (1868- 1926)"**, 09-12- 2024, 13:18 **.** (**https://linksshortcut.com/yOtBa**)

07 Alamy Stock Photo, **"Mar. 02. 1956 – Jordan's King Sacks Glubb Pasha",** 09- 12- 2024, 14:04. **(https://linksshortcut.com/oDZRO)**

08 Alamy Stock Photo, **"Mary Wortley Montagu, English Author and Poet"**, 09- 12- 2024, 14 :11. (**https://linksshortcut.com/igQXV)**

09 Alamy Stock Photo, **"Palgrave Gifford Stock Photos and Images"**, 08- 12- 2024, 20 :49. (**https://www.alamy.com/stock-photo/palgrave-gifford.html?sortBy=relevant**)

10 Alamy Stock Photo, **"Sir Edward Shepherd Creasy", 09- 12- 2024, 13 :36. (https://linksshortcut.com/RHYwy)**

11 Alamy Stock Photo, **"Anne Blunt Stock Photos and Images"**, 08- 12- 2024, 20 :51. (**https://www.alamy.com/stock-photo/anne-blunt.html?sortBy=relevant**)

12 Alamy Stock Photo**,"Historian Arnold J. Toynbe",** 09- 12- 2024, 13 :30. (**https://linksshortcut.com/rizvD)**

13 Alamy Stock Photo,**"Sophia Lane Poole, (1804- 1891) was an English Orientalist"**, 08- 12- 2024, 20:43. (https://linksshortcut.com/vkmqQ)

الفهارس

فهرس الأعلام

- أ -

إبراهيم باشا: 128، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 137.

إبراهيم بن عزرا: 49.

أبو الذهب: 117.

أحمد الثالث: 207.

أحمد باشا الجزار: 116، 118.

أحمد جودت باشا: 155.

آدلارد أوف باث: 48، 49، 67.

إدموندكاستل: 51.

إدوارد بوكوك الأب: 67.

إدوارد بوكوك: 51، 56.

إدوارد توماس وولكر: 83، 84، 87، 91، 93، 94، 96، 102، 281، 293.

إدوارد سعيد: 264، 267.

إدوارد شيفرد كيرسي: 61، 77، 116، 117، 118، 119، 136، 139، 140، 141، 143، 144، 147، 149، 151، 293.

إدوارد هنري بالمر: 56، 62، 158، 159، 287.

إدوارد وليم لين: 71، 74، 78، 353.

إدوارد وورتلي: 68، 69.

أدولف هتلر: 178.

أرنولد تالبوت ويلسون: 75.

أرنولد جوزيف توينبي: 64، 77، 102، 191، 231، 233، 234,

إسحق أفندي: 149، 256.

ألكسندر ويليام كينغلك: 71، 78، 135، 138، 216، 218، 219، 234.

آن بلنت: 68، 77، 120، 121، 122، 123، 125، 130، 131، 133، 275، 282.

آن ريفلين هيلين: 66.

أندرسون. ج. ن. د: 68.

إيتيان دينيه: 40.

إيفلين بارنج (اللورد كرومر): 173، 294.

-ب -

بايزيد الثاني: 258.

براوان إدوارد جرانفيل: 287.

برنارد لويس: 13، 16، 34، 75، 78، 88، 94، 96، 98، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 112، 120، 139، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 149، 150، 151، 152، 153، 155، 172، 137، 175، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 193، 238، 239، 240، 241، 242، 245، 246، 247، 251، 255، 277، 292، 293، 294، 297، 298، 307.

بطرس الأكبر: 141، 149، 236.

بطرس المحترم: 25، 26، 37، 49.

-ت -

تركي بن سعود: 130، 132.

تورنر: 139.

توماس إدوارد لورانس: 73، 78، 159، 165، 166، 169.

توماس برترام سيدني: 73.

توماس فيليبس: 54.

-ث -

ثيودور هرتزل: 173.

-ج -

إجناتس جولد زيهر: 42.

جان سوفاجييه: 40.

جب إلياس جون ولكينسون: 285، 288.

جربرت دي أورلياك: 26، 37.

جورج سيل: 51.

جورج فورستر سادلير: 16، 72، 78، 128، 129، 133، 143، 279.

جورج كيرزون: 57.

جوزيف فون هامر برجشتال: 42.

جوليا باردو: 205، 206، 208، 210، 216، 221، 222، 223، 224.

جون انتس: 69، 77، 216، 217، &_é، 221، 235.

جون باجوت غلوب: 74، 78، 10، 135، 159، 160، 166، 174، 176، 177، 180، 181.

جون فريديريك لويس: 53، 204، 321.

جون لويس بوركهارت: 12، 16، 70، 71، 78، 120، 123، 125، 126، 127، 129، 130، 133، 135، 170، 271.

جيرار دي الكريمونا: 27.

جيرالد دي غاوري: 77، 78، 125، 127، 130، 134، 158، 160، 163، 164، 166، 167، 168.

جيمس ريدهاوس: 75.

-د -

دانيال أوف مورلي: 48.

ديفيد جورج هوجارث: 63، 77، 132.

ديفيد روبرت: 53.

ديفيد صامويل مرجوليوث: 286، 295.

-ر -

رفاعة رافع الطهطاوي: 124.

روبرت أوف تشستر: 48.

روبرت أوف كيتون: 49.

روبير مانتران: 40.

روجر بيكون: 27، 49.

رودي بارت: 26.

ريو تشارلز: 287.

-س -

سالزبيري: 45.

ستانلي لين بول: 73، 78، 117، 135.

ستيفن هيمسلي لونكريك: 74، 78، 110، 112، 147، 153، 160، 293.

سليم الأول: 87، 91، 282.

سليم الثالث: 118، 140، 141، 142، 145، 150.

سليمان القانوني: 237، 243.

سيمون أوكلي: 51، 67.

-ص -

صوفيا لين بول: 198، 202، 209، 323، 324.

صمويل زويمر: 46.

-ط -

طوسون باشا: 124.

-ظ -

ظاهر العمر: 114، 115، 116، 117، 118.

-ع -

عبد المجيد الأول: 150.

عبد المجيد الثاني: 187.

عبد الحميد الثاني: 93، 98، 100، 102، 104، 105، 106، 107، 109، 111، 178، 184، 281، 283.

عبد العزيز: 154، 155، 187.

عبد الله بن الحسين (الشريف حسين): 95، 157، 158، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 283.

عطا الله محمد: 148، 256.

علي بك الكبير: 115، 116، 117، 135.

-غ -

غالب بن مساعد (الشريف غالب): 126، 127.

غليوم بوستل: 37، 41.

غوستاف دوجا: 26.

غوستاف لوبون: 266.

-ف -

فرانسيس بيرتون: 62.

فيصل بن تركي: 132.

-ق -

قسطنطين فرانسوا فولني: 141.

-ك -

كارل جوتليب يفاندر: 42.

كلود لويس جيمس: 55.

كليفورد إدموند بوزورث: 65.

كيتشنر: 161.

-ل -

لويس بلي: 76، 78، 121.

لويل توماس: 46.

-م -

مارغريت غيرترود لوثيان بيل: 63، 77، 158، 159، 62، 274، 294، 332.

مازن المطبقاني: 13، 17، 88، 181، 348.

محمد الغزالي أبو حامد: 83، 91.

محمد الفاتح: 225، 226، 227، 237، 246، 257.

محمد بن سعود: 119، 123.

محمد بن عبد الوهاب: 12، 119، 120، 121.

محمد رشيد رضا: 82.

محمد علي: 66، 70، 72، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 131، 132، 134، 135، 136، 137، 138، 173، 272، 282.

محمود الثاني: 137، 138، 142، 144، 145، 146، 147، 149، 150، 223، 249.

مدحت باشا: 110، 111، 112.

مصطفى كمال أتاتورك: 95، 97، 183، 184، 185، 186، 189، 190.

مكسيم رودنسون: 265.

مونتيغمري وات: 268.

-ن -

نابليون بونابرت: 282.

-هـ -

هارفرد جونز بريدجز: 76، 78، 122، 125، 127، 130، 132.

هارولد باون: 15، 66، 77، 86، 88، 89، 100، 115، 118، 191، 196، 199، 200، 238، 242، 243، 245، 246، 247، 248، 250، 251، 252، 255، 256، 258، 292، 293، 298، 300.

هارولد فيتون جاكوب: 75، 78، 94، 154، 158، 163، 165، 166، 167، 168، 294

هاري سانت جون بريدجر فيليبي: 57، 64، 77، 120، 121، 29، 133، 158، 159، 162، 165، 169، 170، 293، 294.

هاملتون جب: 15، 65، 66، 77، 84، 85، 86، 88، 89، 100، 115، 118، 191، 196، 199، 200، 238، 242، 243،

244، 246، 247، 248، 250، 251،
252، 255، 256، 258، 292، 293،
298، 300.

هلموت ريتر: 42.

هنري الثامن: 149.

هنري لورانس: 40.

هيسانت أنكيتيل دوبيرون: 268 .

-و -

واشنطن إرفنغ: 44.

وتني: 45.

وليام جيمس ريدهاوس: 75.

وليم جيفورد بالجريف: 68، 77، 129،
131، 133، 134، 276.

ويليام بدويل: 51، 67.

ويليام رايت: 61.

ويليام جونز: 33، 268.

ويلفرد سكاون بلنت: 281، 283.

-ي -

يوحنا الدمشقي: 24.

يوهان فوك: 26.

-م -

ماري ميلز باتريك: 46.

ميخائيل سكوت: 49.

ماري وورتلي مونتاجو: 68، 77، 198، 199،
200، 201، 205، 206، 207، 208،
211، 212، 271، 305

فهرس الأماكن والبلدان

-أ -

الأحساء: 123، 162، 279.

إسبانيا: 67.

الأستانة: 67، 266.

إستنبول: 16، 44، 53، 54، 110، 161، 185، 186، 187، 193، 217، 221، 223، 244، 258، 259، 278، 282.

الإسكندرية: 65، 218.

آسيا: 21، 35، 47، 65.

إفريقيا: 21، 22، 35، 72، 76، 177.

أمريكا: 43، 44، 45، 46.

إنجلترا: 45، 67، 69، 119، 136، 153، 154، 220.

الأندلس: 25، 37، 47، 48.

أوروبا: 14، 28، 29، 43، 44، 86، 103، 105، 106، 107، 116، 136، 139، 146، 152، 153، 154، 175، 177، 178، 208، 227، 230، 234، 265، 266، 267.

إيران: 44.

إيطاليا: 230.

-ب -

باريس: 28، 30، 35، 37، 38، 76، 287.

باكستان: 50.

برلين: 41، 287.

بريطانيا: 07، 08، 10، 47، 50، 52، 55، 56، 57، 59، 61، 69، 70، 71، 79، 94، 95، 113، 128، 129، 138، 139، 157، 158، 159، 160، 162، 163، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 173، 177، 180، 181، 194، 279، 281، 304، 305.

البصرة: 57، 64، 123، 159.

بغداد: 56، 64، 103، 110، 111، 112، 113، 123، 159، 160، 259.

بيروت: 44، 171.

-ت -

تركيا: 16، 44، 109، 149، 183، 188، 271.

-ج -

جدة: 279.

الجزيرة العربية: 68، 72، 74، 77، 128، 130، 153، 158، 159، 163، 164، 167، 168، 271، 275، 276، 277، 279.

الجمهورية التركية: 98، 183، 188، 189، 193، 277.

- ح -

حائل: 158، 227، 233.

الحجاز: 87، 103، 119، 120، 125، 126، 127، 129، 130، 131، 133، 137، 153، 158، 159، 160، 161، 163، 165، 166، 169، 251، 252، 253، 254، 258، 272.

حضرموت: 158.

حلب: 56، 67، 70، 251، 258، 328,

- خ -

الخليج: 07، 42، 47، 75، 128، 167، 304.

- د -

الدرعية: 119، 122، 131، 279.

دمشق: 24، 62، 65، 70، 110، 116، 117، 123، 137، 158، 169، 170، 171، 251، 254، 258.

الدولة العثمانية: 07، 08، 09، 10، 11، 16، 21، 29، 31، 37، 41، 53، 54، 57، 62، 68، 69، 75، 82، 87، 88، 89، 92، 93، 94، 98، 99، 100، 109، 112، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 122، 123، 133، 136، 139، 140، 141، 142، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 155، 156، 158، 160، 161، 162، 163، 164، 168، 171، 172، 176، 182، 183، 184، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 197، 198، 199، 200، 201، 206، 208، 210، 212، 213، 216، 217، 219، 222، 223، 224، 225، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 235، 237، 238، 239، 240، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 257، 259، 260، 261، 269، 270، 271، 272، 276، 277، 279، 280، 281، 283، 284، 291، 292، 293، 294، 296،

297، 298، 299، 300، 303، 306، 307

-ر -

روما: 287.

-س -

سالونيك: 107، 185.

سوريا: 44، 56، 63، 64، 65، 73، 172، 252، 271.

سيناء: 56، 62، 70، 73، 159، 173، 279.

-ش -

الشام: 47، 53، 68، 114، 115، 116، 117، 118، 137، 138، 186، 190، 251، 254، 259، 260، 271، 279، 280، 293، 304.

الشرق الأدنى: 15، 35، 66.

الشرق الأقصى: 22.

الشرق الأوسط: 48، 58، 61، 63، 65، 66، 74، 75، 76.

-ص -

الصعيد: 135.

-ع -

العراق: 07، 44، 47، 63، 64، 73، 74، 75، 110، 158، 159، 160، 164، 165، 170، 251، 274، 275، 260، 304.

العينية: 123.

-ف -

فارس: 76.

فرنسا: 37، 38، 39، 45، 72، 138، 153، 166، 167، 170، 220.

فلسطين: 25، 44، 47، 118، 167، 168، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 180، 181، 270، 292، 294.

فيينا: 27، 28، 41.

-ق -

القاهرة: 53، 57، 202، 204، 235.

قبرص: 63.

القدس: 53، 62، 171، 179، 180، 260، 299.

القسطنطينية: 28، 99، 225، 226، 232.

-ك -

كريت: 63، 137.

كوتاهية: 138.

-ل -

لبنان: 58، 62، 65.

لندن: 49، 52، 56، 60، 61، 68، 70، 76، 172، 287.

ليدن: 61، 286، 287.

-م -

المدينة المنورة: 124، 279، 123، 125، 127، 252.

المشرق: 21، 25، 44، 99، 167، 168، 243، 281.

مصر: 54، 56، 63، 66، 69، 70، 71، 74، 87، 91، 115، 117، 124،122، 125، 129، 130، 131، 134، 135، 136، 138، 159، 173، 202، 203، 209، 214، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 235، 251، 259، 267، 272، 273، 274، 282، 294.

المغرب الأقصى: 65.

مكة: 123، 124، 125، 126، 164، 165، 168، 252، 272.

-ن -

نجد: 131، 162.

النمسا: 41، 68، 156.

-هـ -

الهند: 07، 50، 61، 63، 76، 94، 95، 128، 170، 194، 304.

-ي -

اليمن: 91، 158، 164، 165.

اليونان: 21، 88، 146، 224، 243، 261، 292.

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
الإهداء	
الشكروالعرفان	
قائمة المختصرات	
المقدمة	07
الفصل الأول: الاستشراق ماهيته وأبرز مدارسه	21
I. مفهوم الاستشراق	21
أولا- المفهوم اللغوي والاصطلاحي	21
01-المفهوم اللغوي	21
02-المفهوم الاصطلاحي	23
II. المسار التاريخي للاستشراق	26
أولا- الاستشراق خلال العصور الوسطى	26
ثانيا- الاستشراق خلال الفترة الحديثة	31
ثالثا- الاستشراق خلال وبعد القرن التاسع عشر	33
III. مدارس الاستشراق	39
أولا- المدرسة الاستشراقية الفرنسية	40
ثانيا- المدرسة الاستشراقية الألمانية	44
ثالثا- المدرسة الاستشراقية الأمريكية	48
IV. المدرسة الاستشراقية البريطانية	52
أولا- النشأة والتأصيل	52
ثانيا- خصائص الاستشراق البريطاني	65
ثالثا- رواد المدرسة الاستشراقية البريطانية	66
خلاصة الفصل	84

الفصل الثاني: القضايا السياسية في كتابات المدرسة الاستشراقية البريطانية	86
I. الشرعية الدينية والسياسية	87
أولا- الخلافة في الدولة العثمانية بنظرة استشراقية	87
ثانيا- صورة السلطان عبد الحميد الثاني في الكتابات الاستشراقية	103
ثالثا- شخصيات من القرن التاسع عشر بنظرة استشراقية –مدحت باشا	115
II. ظاهرة النفوذ المحلي في الدولة العثمانية من خلال الكتابات الاستشراقية	119
أولا- تمردات بلاد الشام	119
ثانيا- الحركة الوهابية	124
ثالثا- المسألة المصرية	139
III. علاقة الدولة العثمانية بأوروبا برؤية استشراقية	144
أولا- الإصلاحات والتنظيمات	144
ثانيا- التنافس والتسويات	161
01-الحرب العالمية الأولى وتداعياتها على الدولة العثمانية	161
أ- دخول الدول العثمانية إلى الحرب	161
ب- الثورة العربية	165
02-فلسطين في كتابات المستشرقين	175
03-سقوط الدولة العثمانية	187
خلاصة الفصل	199
الفصل الثالث: القضايا الاجتماعية والفكرية في كتابات مدرسة الاستشراق البريطاني	200

I. المرأة العثمانية في الكتابات الاستشراقية البريطانية	201
أولا- صورة الحرملك في الكتابات الاستشراقية	201
ثانيا- المرأة العثمانية والعربية في الكتابات الاستشراقية	208
II. الحياة الاجتماعية في الدولة العثمانية	221
أولا- الأوبئة والأمراض	221
أ- الوباء في ولاية مصر العثمانية	222
ب- الوباء في العاصمة العثمانية استنبول	226
ثانيا- الدولة العثمانية والأجانب	230
أ- التسامح الديني	230
ب- علاقة الفرد العثماني بالأجنبي	239
III. العلم والعلماء في الدولة العثمانية بنظرة استشراقية	242
أولا- صورة العلم والعلماء من خلال نماذج من الكتابات الاستشراقية البريطانية	242
ثانيا- التعليم في الولايات العثمانية بنظرة استشراقية	256
أ- التعليم في الأقاليم العربية	256
ب- العلماء في الأقاليم العربية	260
خلاصة الفصل	266
الفصل الرابع: القيمة التاريخية للكتابات الاستشراقية البريطانية	267
I. الدراسات الاستشراقية أثناء القرن التاسع عشروبعده	269
II. القيمة التاريخية للكتابات الاستشراقية البريطانية	275
أولا-إسهامات المستشرقين البريطانيين في دراسة التاريخ العثماني	275

01-في مجال التآليف والدراسات	275
أ- الرحلات والمذكرات	275
ب- الكتب والمقالات	281
ج- دراسات حول الدين الإسلامي	284
د- دراسات حول اللغات	290
02-في مجال التحقيق، النشر، الفهرسة والترجمة	291
ثانيا- المغالطات والأفكار الاستشراقية المغرضة	294
الخاتمة	307
الملاحق	315
البيبليوغرافيا	334
فهرس الأعلام	375
فهرس الأماكن والبلدان	382
فهرس المحتويات	387

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة المدية **الطالبة: خولة بوقوفالة**	**التخصص**: تاريخ الدولة العثمانية **أطروحة دكتوراه: نظام LMD**	**التاريخ**: 2024 - 2025م **عدد الصفحات:** 394

عنوان الأطروحة: الاستشراق البريطاني وقضايا التاريخ العثماني من الربع الثاني للقرن الثامن عشرولغاية مطلع القرن العشرين

ملخص الأطروحة

تعد المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية واحدة من أهم وأبرز المَدارِس الاستشراقية وأقدمها، والتي وإن لم تكن السباقة في دِراسة التَّاريخ العُثماني إلا أنها ذَات نصيب وافر فيه، بصرف النَظر عن أهدَافها الحقيقية. لِذلِك جَاءت هذه الدِراسة لتعكس مدى مسَاهمَة المَدرَسة الاستشراقية البريطَانية في دِراسة ومُعالجَة حيثيات هذا التَّاريخ، مع تسليط الضوء عَلى كِتابات رُوادها وتَحلِيل آرائهم ومعرفة طرق كِتابتهم ونوعية القضايا المُعالجة، وكذا طبيعة الادعاءات الموجهة لهذا التَّاريخ. حتى يتسنى لنا في الأَخير الحُكم عليهم، تقييمهم، انتقاء الأفضل من بينهم من ناحية تطبيق المنهَجية العِلمية الصَحيحة ونقل ومُعالجَة الأحدَاث بمَوضُوعيَّة مطلقة وإبراز الحَقيقَة التَّاريخية كما هي، فَضلاً عن إبراز المُغالطَات والافتراءات الموجهة للتَاريخ العُثماني.

الكلمات المفتاحية:

التَّاريخ العُثماني، الاستشراق البريطاني، المُستشرقون، القضايا السِياسيَّة، القضايا الاجتِماعية،الأوبئة، العلم، المَرأَة.

كلية العلوم الانسانية والإجتماعية جامعة المدية الطالبة: خولة بوقوفالة	**التخصص**: تاريخ الدولة العثمانية أطروحة دكتوراه: نظام LMD	**التاريخ**: 2024 - 2025م عدد الصفحات:394

The Titel : British Orientalism and Ottoman Issues From the Quarter of Eighteenth Century to the Beginning of the Twentieth Century

Abstract

The British Oriental School is one of the most important and prestigious and oldest schools, which, although not the first to study Ottoman history, has a great share in it, regardless of its true aims. This study therefore reflected the extent to which the British Oriental School contributed to the study this history. Highlighting the writings of its pioneers, analysing their opinions, knowing the methods of writing and the quality of the issues dealt with, as well as the nature of the allegations made to date. So that we can finally evaluate them, select the best from them in terms of applying the right scientific methodology, transmitting and addressing events with absolute objectivity and highlighting the historical truth as it is, as well as highlighting the errors and slurs directed at Ottoman history.

Keywords :

Ottoman history, British Orientalism, Orientalists, Political Issues, Social .Issues, Science, Women